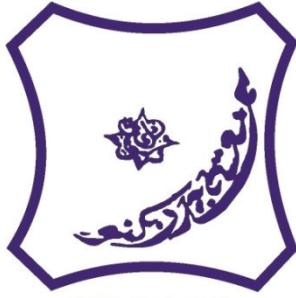




# دراسات عربية

السلسلة الجديدة



ISSN: 2360-7645

حولية تصدر عن

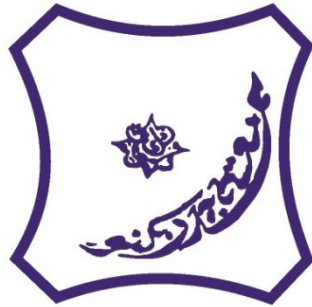
قسم اللغة العربية - جامعة بايرو - كنو، نيجيريا

العدد الخامس عشر، الرقم ١، أكتوبر ٢٠٢٠م



# DIRĀSĀT ĀRABIYYAH

New Series



ISSN: 2360 -7645

An Annual Journal of  
Department of Arabic,  
Bayero University, Kano

Volume 15, No. 1, October 2020

# دراسات

## عربية

السلسلة الجديدة

العدد الخامس عشر، الرقم ١، أكتوبر ٢٠٢٠م



حولية تصدر عن

قسم اللغة العربية - جامعة بايرو - كنو، نيجيريا

السلسلة الجديدة

العدد الخامس عشر، الرقم ١، أكتوبر ٢٠٢٠م

ISSN: 2360 -7645

© قسم اللغة العربية - جامعة بايرو - كنو، نيجيريا

عنوان المراسلات:

البريد العادي: Kano Nigeria.P. M. B. 3011

البريد الإلكتروني: [arabiyyah@buk.edu.ng](mailto:arabiyyah@buk.edu.ng)



كنو - نيجيريا

الهاتف: +2348023855133

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

### شروط النشر في المجلة

دراسات عربية (السلسلة الجديدة) حولية تصدر عن قسم اللغة العربية بجامعة بايرو، كنو، نيجيريا. وترحب لجنة تحرير المجلة، لعددتها القادم، ببحوث علمية رصينة، لم يسبق نشرها، في نطاق اللغة العربية وآدابها. وتتولى اللجنة تقويم البحوث المقدمة للنشر مع الاستعانة بخبير واحد على الأقل خارج اللجنة.

تطبع البحوث المقدمة للنشر على الحاسوب في ورق مقاسه (A4) وعلى واجهة واحدة منه في حجم يتراوح بين ١٥ و ٢٠ صفحة مع مراعاة هوامش كافية، وأن تكون الطباعة على مسافتين، ويتوقع من المساهمين تسليم ثلاث نسخ من البحث مع قرص يحمل في طياته البحث نفسه. أما منهج المجلة في إثبات المصادر والمراجع والشروح فإنه يكون في آخر البحث بتقديم اسم المؤلف، فسنة النشر، فعنوان المؤلف (إن كان كتابا)، فدار النشر، فالمكان، فالصفحات. وإذا كان بحثا في مجلة فيُقدّم اسم الكاتب كذلك، فعنوان البحث، فالمجلة مع ذكر السنة والعدد والصفحات.

إلى أن توافينا مساهماتكم العلمية لتحقيق الرسالة الملقاة على كاهلنا.

## هيئة التحرير

رئيس القسم: د. أحمد مُجَّد ثالث

رئيس تحرير المجلة: أ. د. يحيى إمام سليمان

السكرتير الإداري: د. أبوبكر نوح فندا

السكرتير المالي: د. بلقيس طاهر عمر

الأعضاء: أ. د. محمد طاهر سيد

د. مُجَّد هارون حطيغيا

د. يعقوب أرمياء

## مستشارو التحرير:

أ. د. سمبو ولي جنيد

أ. د. عبد الباقي شعيب أغاكا

أ. د. مصلح يحيى تايبو

أ. د. زكريا حسين

أ. د. تجاني المسكين

## محتويات العدد

- كلمة العدد ١ إعداد أسرة التحرير
- ١- القضايا اللغوية في المقدمة النقدية لكتاب جمهرة أشعار العرب لأبي زيد القرشي [الدكتور مبروك بركات]
- ٢٧- من مسائل القياس عند ابن جني [أحمد بوصبيعات]
- ٤٧- مفهوم المصطلحيّات: اتجاهاتها وأهمّ نظريّاتها [الدكتور الحاج موسى ثالث]
- ٨١- البنية المقطعية: دراسة تقابلية بين اللسان العربي والفرنسي [الدكتور عبد القادر بن زيان]
- ١٠٥- نظام مدرسة مازونة التعليمي خلال العهد العثماني للجزائر [الدكتور جلول دواجي عبد القادر]
- ١٤٧- بُنيّة الفواصل في سورة الطور: دراسة أسلوبية [الدكتور مُحمّد منصور جبريل]
- ١٧٧- تعليق الدلالات الصيغية في القرآن الكريم وأثره على المفسرين المحليين في بلاد يوربا [عبد الوهاب صلاح الدين]
- ١٩٩- التماسك في النص المشترك: التخسيس والتشطير بين الشيخ أبي بكر عتيق سنّك والشيخ الناصر كبرّ [طاهر لون معاذ]

- ٢٣١ -٩ الصورة الفنية في المدائح المغاربية القديمة  
[الدكتور مُجَّد بوعلاوي]
- ٢٥٠ -١٠ اللغة العربية في تشاد ما بين الماضي والحاضر  
[الدكتور أبوحزمة مُجَّد الحسين الراشدي والدكتور أحمد مُجَّد  
هارون]
- ٢٧١ -١١ صور من أساليب الطباقي في مقامات الحريري: دراسة  
وتحليل [الدكتور مُجَّد إنوا ثالث طلحة]
- ٢٨٦ -١٢ قصيدة "تسليية الأحران في رثاء الشيخ تجاني بن عثمان"  
للشيخ مُجَّد قن العسوي: قراءة أدبية  
[هادي عبد القادر جائي]
- ٣٠٨ -١٣ الاتجاه الديني في شعر عبد الواحد جمعة أربي: دراسة أدبية  
[الدكتور مرتضى الإمام أكبيدي]
- ٣٣٩ -١٤ تجليات المظاهر الشفاهية في رواية الحمار الذهبي لأبوليوس  
[أ.د. شعيب مقنونيف]
- ٣٦٣ -١٥ التغير الدلالي لألفاظ لغة هوسا المقترضة من اللغة العربية  
[الدكتور زيد جبريل مُجَّد]
- ٣٨٣ -١٦ الشيخ مُجَّد منذو أرزي وإسهاماته في نشر الدراسات  
القرآنية والعربية (من عام ١٩٣٤م إلى ٢٠١٥م)  
[الدكتور بشير لون]



- ١٧- مدينة تمنطيط ودورها التجاري وسط الصحراء حتى نهاية ٤١٣  
القرن الثالث عشر الهجري  
[الأستاذ الدكتور أحمد جعفري]
- ١٨- الصور البيانية في قصيدة "جمع الخردة من قصيدة البردة" ٤٣٥  
[إبراهيم صالح جبيا]
- ١٩- اللغة العربية وصلاحيتها لتدريس العلوم ٤٤٨  
والتكنولوجيا بالمدارس العربية في نيجيريا ولاية كوارا  
أنموذجا [الدكتور محمد الأول شاويش]
- ٢٠- تصوير الصوت والشكل في التهجئة العربية عند كتاب ٤٩٥  
هوسا في شمال نيجيريا [الدكتور أبوبكر نوح فندا]
- ٢١- تخطيط دروس اللغة العربية والتربية الإسلامية: مفهومه، ٥٢١  
أهميته، وخطواته [الدكتور أبوبكر الصديق سيسى]



## كلمة العدد

يسعد أسرة التحرير أن تقدم للقراء العدد الخامس عشر من السلسلة الجديدة لمجلة "دراسات عربية" إصدار قسم اللغة العربية بجامعة بايرو بكنو - نيجيريا. وهي مجلة محكمة هدفها نشر العلم والثقافة العربية من خلال ما تحمله من مواد علمية جيدة وموضوعية بحتة. ولأول مرة في تاريخ المجلة أن يظهر هذا العدد في جزئين كبيرين (الرقم الأول والثاني).

وكالعادة نذكر القراء بأن المجلة تبذل قصارى جهدها خلال تحكيم أي مقال مقدم للنشر في التحقق من أصالة محتواه وسلامة شكله، ولكنها لا تحيط بكل شيء علما. لذا، فإن الباحث هو المسئول مسؤولية كاملة - بعد نشر المجلة - عن كل ما خفى عند التحكيم، وعن صحة النقل من المراجع المستخدمة في بحثه، وعن أية سرقة علمية يتهم بها لا سامح الله.

واعتبارا من العدد القادم سيحدث تغيير إداري في المجلة، نسأل الله أن يزيد ذلك ثراءها وتقدمها، وأن يجعل ما قدمناه من الأعمال في ميزان حسناتنا، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

## القضايا اللغوية في المقدمة النقدية لكتاب جمهرة أشعار العرب لأبي زيد القرشي

الدكتور مبروك بركات

مركز البحث العلمي والتقني لتطوير اللغة العربية

وحدة ورقلة - الجزائر

[yasirbm2013@gmail.com](mailto:yasirbm2013@gmail.com)

### الملخص:

يعنى هذا المقال بتقصي بعض القضايا اللغوية التي وردت في المقدمة النقدية لكتاب جمهرة أشعار العرب لأبي زيد القرشي، وقد تم التركيز على تلك القضايا التي كانت محل خلاف بين العلماء، وهي: الاحتجاج بالشعر على فهم غريب القراء الكريم، وجدلية المعرب والمجاز في القراءان أيضا، لنذيل البحث بخاتمة تلخص حوصلة البحث وأبرز نتائجه .

المفاتيح : القضايا- اللغوية - القراءان - القرشي - الجمهرة

### مدخل:

للأدب العربي القديم عدة مصادر عديدة حملت إرث الأوائل من شعر ونثر بمختلف فنونه الأدبية، فكانت بذلك وسائل تدوين وإيصال لتراث غلبت على أصحابه المشافهة التي كانت ميزة العرب في العصر

الأول من تاريخ أدبهم، إذ يصف الرافي حاهم وقتذاك بقوله : "كان العرب أمة أمية لا يقرؤون ولا يكتبون إلا ما تخطه الطبيعة ولا يكتبون إلا ما يلقنون من معانيها فيأخذون عنها بالحس ويكتبون باللسان في لوح الحافظة، فكان كل عربي على مقدار وعيه وحفظه كتابا أو جزءا من كتاب وكانت قبيلة بذلك كأنها سجل زمني في إحصاء الأخبار والآثار"، فظروف هذه الفترة التي تميزت بضالة أدوات الكتابة جعلت الأذهان مشحودة بالحفظ، ومشدودة إلى الرواية والتلقي الشفهي المباشر كوسيلة تمنع ضياع ذلك الموروث وتبدده .

ونظرا لهذه الظروف زاد شأن الرواية، وشاع عرف السلاسل الشعرية في القبائل التي بفضلها حفظ ذلك الموروث، ومن تلك السلاسل :

- سلسلة أوس بن حجر الذي كان زوجا لأم زهير بن أبي سلمى، فنشأ رواية لأوس، وعن زهير أخذ ابنه كعب .
- سلسلة المهلهل خال امرئ القيس .
- سلسلة المسيب بن علس خال الأعشى وهو راويته<sup>٢</sup> .

ولما جاء عصر صدر الإسلام زادت الرواية وارتفع صرحها عاليا لعدة أسباب نذكر منها:

- ١- حرصهم على فهم القرآن الكريم العربي المتضمن للهجاء العرب ويدل على ذلك قول ابن عباس : "الشعر ديوان العرب، فإذا خفي

علينا الحرف من القرآن الذي أنزله الله بلغة العرب رجعنا إلى ديوانها،  
فالتمسنا معرفة ذلك منه"<sup>٣</sup>.

٢- فشو اللحن بدخول الأعاجم إلى الإسلام، الذين لا يتقنون  
قواعد اللغة العربية جيدا، وقد تجلّى أثر ضعفهم في قراءتهم للقرآن  
الكريم، فكان من اللازم على العلماء أن يضعوا قواعد يتعلم من خلالها  
غير العربي، ويقوم اللاحن لسانه على قواعدها ونظامها، وقد استنبطت  
من كلام العرب شعره ونثره، ولذا عرف ابن جني النحو بقوله: "هو  
انتحاء سمت كلام العرب، في تصرفه من إعراب وغيره كالتثنية والجمع  
والتنكير والإضافة والتركيب وغير ذلك ليلحق من ليس من أهل العربية  
بأهلها في الفصاحة فينطق بها وإن لم يكن منهم وإن شذ بعضهم رد به  
إليها"<sup>٤</sup>.

#### أولا- ترجمة المؤلف:

تشير المصادر إلى أن مؤلف كتاب جمهرة أشعار العرب هو أبو زيد  
مُحمَّد بن أبي الخطاب القرشي<sup>٥</sup>، وعلى الرغم من اشتهار الكتاب فإن  
كتب التراجم لم تأت على ذكر مؤلفه وإن ذكر فدون إسهاب في  
التعريف به، أو التفصيل في محطات حياته والعصر الذي عاش فيه.  
ومن المظان التي ذكر فيها أبو زيد كتاب العمدة<sup>٦</sup> لابن رشيق  
القيرواني - ت ٤٦٣ هـ - ، وذكره السيوطي - ت ٩١١ هـ - في

كتابه المزهر<sup>٧</sup> ناقلا نص ابن رشيق، كما ورد ذكره في كتاب الخزانة لعبد القادر البغدادي أيضا .

وقد تباينت الأخبار حيال العصر الذي عاش فيه القرشي إذ استندوا في تحديده إلى بعض القرائن غير الصريحة، فيرى شوقي ضيف أنه عاش في أواخر القرن الثالث وأوائل القرن الرابع، إذ يقول "يتضح من مقدمته لكتابه وما نقله عن الرواة أن بينه وبين رواة القرن الثاني جيلين أو ثلاثة، فالوسائط بينه وبينهم في السند غير بعيدة، ولذلك نظن أنه كان يعيش في أواخر القرن الثالث وأوائل القرن الرابع"<sup>٨</sup>.

وبناء على الاختلاف حول عصر حياته وقع الخلاف في وفاته أيضا، إذ قسم مُجَّد علي الهاشمي محقق الكتاب الدارسين من القدماء والمحدثين حيال هذه الحيثية إلى فريقين : "فريق جعل وفاته تتراوح بين القرن الثالث والقرن الخامس، وفريق ذهب إلى أنه توفي سنة ١٧٠ للهجرة"<sup>٩</sup>، ويرجح أن القرشي توفي بين سنتي ٣٠٠ - ٣١٠ للهجرة استنادا إلى أن أقدم من ذكر أبا زيد هو ابن رشيق ولد سنة ٣٩٠ هـ وتوفي سنة ٤٥٦ هـ أو ٤٦٣ هـ وبذلك يكون قد ألف قبل عصر ابن رشيق، ووفاته في التحديد السالف ذكره<sup>١٠</sup>، وقد مال إلى هذا الرأي والتخريج علي الجندي<sup>١١</sup> أيضا.

### ثانياً- عرض وصفي لكتاب جمهرة أشعار العرب:

إن من مصادر الشعر الجاهلي المجموعات الشعرية التي من أبرزها المفضليات والأصمعيات وجمهرة أشعار العرب، إذ تأتي الجمهرة في هذه المرتبة موازاة مع المعلقات والمجموعات الشعرية الأخرى بالنظر إلى سند الرواية وعدم وجود اختلاف كبير في واضعها وجامعها أيضاً.

وقد تضمن هذا الكتاب الصغير حجماً إذا ما قورن مع غيره من المجموعات مقدمة نقدية ومجموعة من القصائد المختارة ، فأما المقدمة فقد ناقشت بعض القضايا، وسأقت أخبار بعض شعراء المعلقات المشهورين<sup>١٢</sup>، وهذا العناصر التي تناولتها على النحو الآتي:

- مطلب ما جاء في القراءان الكريم وكلام العرب من اللفظ المختلف ومجاز المعاني .

- مطلب اختلاف الناس في الشعراء أيهم أشعر وأذكى وأخبار شعر الجن .

- باب صفة الذين قدموا زهيراً على امرئ القيس .

- باب خبر أعشى بكر بن وائل .

- باب خبر لييد بن ربيعة .

- باب صفة عمرو بن كلثوم .

- باب صفة طرفة بن العبد .



- ذكر طبقات من سماهم .

وأما مجموعة القصائد فقد جعلها سباعية الاختيارات والأقسام، وفي كل قسم سبع قصائد وهي على النحو الآتي:

١- **المعلقات** : وينضوي في القسم معلقة امرئ القيس، وزهير بن أبي سلمى، والنابغة الذبياني، والأعشى، ولبيد بن أبي ربيعة، وعمرو بن كلثوم، وطرفة بن العبد، ويظهر أنه أخذ برأي المفضل الضبي الذي أسقط من المعلقات معلقتي الحارث بن حلزة وعنترة العبسي وجعل مكانهما معلقتي الأعشى والنابغة الذبياني<sup>١٣</sup>.

٢- **المجمهرات** : والتجمهر هو التجمع، وذلك بمعنى أنها محكمة السبك والأسلوب، وأصحابها عبيد بن الأبرص، وعدي بن زيد، وبشر بن أبي حازم، وأميرة بن أبي الصلت، وخداش بن زهير، والنمر بن تولب، وعنترة بن شداد .

٣- **المنتقيات** : أي المختارات، وأصحابها المسيب بن علس، والمرقش بن أبي ربيعة، والمتلمس، وعروة بن الورد، والمهلhel، ودريد بن الصمة، والمنتحل يشكري الهذلي .

٤- **المذهبات** : وهي القصائد الجيدة التي تستحق أن تكتب بماء الذهب لجودتها وقوتها، وأصحابها حسان بن ثابت، وعبد الله بن

رواحه، ومالك بن عجلان، وقيس بن الخطيم، وأحيحة بن الجلاح، وأبو قيس بن الأسلت، وعمرو بن امرئ القيس .

**٥- المراثي :** وهي قصائد في الرثاء وأصحابها أبو ذؤيب الهذلي، و مُجَّد بن كعب أعشى باهلة، علقمة الحميري، وأبو زيد الطائي، ومتمم بن نويرة، ومالك بن الريب .

**٦- المشوبات :** وهي لشعراء شابهم الكفر والإسلام وأصحابها نابغة بن جعدة، وكعب بن زهير، والقطامي والحطيئة، والشماخ بن ضرار، وعمرو بن أحمر، وتميم بن مقبل العامري .

**٧- الملحومات :** وهي لشعراء إسلاميين وهم الفرزدق، وجريز، والأخطل، وعبيد الراعي، وذو الرمة، والكميت بن زيد الأسدي، والطرماح بن حكيم الطائي .

#### ملحوظات :

تتجلى في هذه المجموعة الشعرية بعض الأمور المنهجية والتصنيفية نذكر منها :

- يظهر من خلال العرض أن المؤلف قد انتقى تسعا وأربعين قصيدة وزعها على سبع مجموعات في كل مجموعة سبعة قصائد، ولعله قد تأثر بالموروث الديني الذي نال فيه العدد سبعة أهمية وحمل دلالات كونية

وتعبدية وروحية وتخييلية أيضا تجلت في الإنتاج الشعري والأدبي بصورة عامة .

ويرى بعض الدارسين ومنهم عز الدين إسماعيل أن القرشي لم يكن بدعا في الاحتفاء بهذا العدد، واستغلال مدلولاته في هذا التقسيم، إذ استلهم ذلك من أساتذته<sup>١٤</sup>، كما أن التراث العربي والإسلامي حافل بنماذج من توظيف هذا العدد في مجالات معرفية وثقافية عديدة.

- لقد سلك أبو زيد القرشي منهجية محكمة في تصنيف القصائد قامت على أساس التسمية المشتهرة بها والتجانس في قصائد كل مجموعة، وهو الحال مع المعلقات التي يجمعها رابط اشتهارها في الجاهلية وتعلق الناس بها، أو لتعليقها على أستار الكعبة، وقد يكون معيار التصنيف وحدة نسب الشعراء كما في المذاهب التي خصصها لشعراء الأوس والخزرج، أو على أساس وحدة الزمن الذي قيلت فيه كما في المشوبات الخاصة بالشعراء المخضرمين، أو أساس وحدة الغرض الشعري كما في المراثي<sup>١٥</sup>.

- ويبدو أن القرشي قد مال في التحديد الزمني للقصائد المنتقاة إلى رأي النحاة، إذ قصر اختياره على الشعراء الجاهليين وشعراء صدر الإسلام، وبعض الشعراء الأمويين المبرزين كالفردق وجريير، وهذا

التقسيم يظهر في تلك الطبقات التي قسمها النحاة للشعراء الذين يستشهد بشعرهم، وهي:

الطبقة الأولى: الشعراء الجاهليون، وهم قبل الإسلام كامرئ القيس والأعشى.

الطبقة الثانية: المخضرمون، وهم الذين أدركوا الجاهلية والإسلام كليد وحسان.

الطبقة الثالثة: المتقدمون، ويقال لهم الإسلاميون، وهم الذين كانوا في صدر الإسلام كجرير والفرزدق.

الطبقة الرابعة: المولدون، ويقال لهم المحدثون كبشار بن برد وأبي نواس.

وقد أجمعوا على الاستشهاد بالطبقتين الأوليين، أما الطبقة الثالثة فقد مالوا إلى صحة الاستشهاد بكلامها، في حين استنكفوا وأعرضوا عن الاستشهاد بالطبقة الرابعة<sup>١٦</sup>، وقد تحكمت في ذلك ظروف العصر، واضطلاع الرواة بخدمة اللغة العربية وتقعيد قواعدها.

ولم يكن التحديد الزمني هو المعيار الوحيد في الاختيار بل إن للجانب الفني أهمية عنده أيضا، فقد انتقى القرشي قصائد تميزت بمتانة اللغة وبديع المعاني والموضوعات أيضا وصرح بذلك في قوله: " قال

المفضل : فهذه التسع والأربعون قصيدة عيون أشعار العرب في الجاهلية والإسلام وأنفس شعر كل رجل منهم<sup>١٧</sup>.

- أغفل القرشي قصائد المولدين المحدثين كأبي نُؤاس وابن برد عمدا وذلك لكون شعراء هذه الطبقة ليسوا من هوية عربية خالصة، بالإضافة إلى الحداثة الشعرية التي انتهجوها ناقدين بذلك الموروث العربي الأصيل، كما لا يخفى على الدارسين أن الفترة عاشوا فيها شاع فيها اللحن لاختلاط الأجناس والثقافات .

وإن هذه النقاط تظهر مدى عناية المؤلف - في انتقاء القصائد - بالهوية العربية الخالصة للشعراء، ونقاء قصائدهم من اللحن والشوائب اللغوية التي تحط من قدرها، وتؤثر على المقصد الذي كانوا يرمون إليه والمتمثل في فهم القراءان الكريم وتقعيد قواعد اللغة العربية ليتمكن بها غير العربي والمبتدئ من التكلم بلغة عربية صحيحة .

### ثالثا : دراسة تحليلية للقضايا اللغوية في مقدمة الجمهرة :

سلف أن بينا أن القرشي قدم لمجموعته الشعرية بمقدمة نقدية تناولت بعض المفاهيم والإشكالات النقدية التي يمكن أن تبلور صورة عن بعض رؤاه وأفكاره اللغوية والأدبية أيضا، ولعل من القضايا اللغوية الجديدة بالوقوف في هذه المقدمة - على وجه الإجمال - ما يأتي :

- جدلية وجود المعرب في القراءان الكريم .
- القراءان الكريم والاحتجاج بالشعر في فهم غريبه .
- جدلية وقوع المجاز في القراءان الكريم .

#### ١- جدلية وجود المعرب في القراءان الكريم :

إن أبا زيد يدافع دفاعاً مستميتاً عن الهوية العربية في كتابه من خلال تعزيره للنص القراءاني في مستهل كتابه الذي يجمع مجموعة من القصائد الشعرية، وإيراده الآيات التي تقر بأن القراءان نزل بلسان عربي مبين، تمهيداً وتأكيدياً على عروبة كالم القراءان الكريم، بل يرى " أن الألفاظ المعربة والدخيلة التي أخذها العرب عن غيرهم واستعملوها وجاءت في القراءان الكريم هي في الأصل عربية"<sup>٨</sup>، ولما أدرك أنه قد يناقش في وجود بعض الكلمات الأعجمية في القراءان ، فقد بين السبب الذي قد يؤدي إلى ذلك الفهم، إذ يقول : "وقد يقارب اللفظ اللفظ أو يوافق، وأحدهما بالعربية والآخر بالفارسية أو غيرها فمن ذلك الإستبرق بالعربية، وهو بالفارسية الإستبره، وهو الغليظ من الديباج، والفرنند، وهو بالفارسية الفكرند، وكور وهو بالعربية حور، وسجين وهو موافق اللغتين جميعاً، وهو الشديد، وقد يداني الشيء الشيء وليس من جنسه، ولا ينسب إليه ليعلم العامة قرب ما بينهما"<sup>٩</sup>، وهذا النص يوضح قناعة راسخة عند القرشي في أنه لا توجد ألفاظ معربة من لغات أخرى في القراءان الكريم ولا

في لغة العرب بصورة عامة، وأن ما قد يتوهم أنه كذلك فإنما هو من قبيل الألفاظ المشتركة والمتقاربة بين اللغات.

ونشير إلى أن قضية وجود المعرب في القراءان الكريم من عدمه كانت محل خلاف بين العلماء القدماء قبل أبي زيد وبعده فمنهم من يقول بعدم وجود المعرب في القراءان على نحو مسلك القرشي، ومن هؤلاء العلماء الذين اقتفى المؤلف أثرهم ومنهم الشافعي الذي شدد "النكير على القائل بذلك"<sup>٢٠</sup>، وأبو عبيدة أيضا الذي بين أن القراءان نزل بلسان عربي مبين، ومن زعم أن أن فيه من غير العربية فقد أعظم القول<sup>٢١</sup>، ولعل القرشي قد تأثر في ما ذهب إليه بأبي عبيدة.

وذهب بعض العلماء إلى وجود المعرب في القراءان ومنهم ابن عباس، ومجاهد، وعكرمة، وعطاء، وأجابوا عن تلك الكلمات وإقرار القراءان بنزوله بلسان عربي مبين بأن الكلمات اليسيرة بغير العربية لا تجعله غير عربي، كما أن القصيدة الفارسية لا يطعن وجود كلمات عربية فيها في فارسيته<sup>٢٢</sup>.

ولعلنا نميل إلى رأي المتوسطين ومنهم أبو عبيدة، إذ يرون أن تلك الكلمات المتنازع في عربيتها هي من أصول أعجمية، ولكنها وقعت للعرب، فعربتها بألسنتها وحولتها عن ألفاظ العجم إلى ألفاظها، فصارت عربية<sup>٢٣</sup>.

وهذا الرأي الأخير له شواهد تاريخية تعززه، كما أنه أبعد عن الميل والذاتية التي قد تحتكم للأصول النسبية، والميل الديني على حساب البحث الموضوعي.

وأما ما ذهب إليه أبو زيد القرشي من أن كل كلم القراءان الكريم عربية خالصة فنظن أن هناك ظروفًا تاريخية أسهمت في تعزيز تلك النظرة القومية، وترسيخ الهوية العربية عنده، وعند من عاصروه، وتمثلت في تعالي أبواق الشعوبية التي تنسب كل فضل للأمم العجم كالفرس والروم واليونان، وتنزل العرب وثقافتهم منزلة التابع الذي ليس له فضل في إنشاء العلوم.

وإن هذه القضية وإن كانت محل خلاف وظهر فيها شيء من التعصب والميل الذاتي فإننا نعدّها من القضايا المؤسسة لاستنادها إلى أدلة نقلية معززة بحجج واجتهادات بعيدة عن التكهن والأساطير.

## ٢- الاستعانة بالشعر في تفسير غريب القراءان الكريم:

عرض القرشي في مطلب - ما جاء في القراءان الكريم من اللفظ المختلف ومجاز المعاني - نماذج من الكلمات التي وافق فيها القراءان الشعر القديم إذ يقول: " ونحن ذاكرون في كتابنا هذا ما جاءت به الأخبار المنقولة، والأشعار المحفوظة عندهم، وما وافق القراءان من ألفاظهم"<sup>٢٤</sup>، وساق أمثلة يورد بيتا أو بيتين من شعر الجاهليين



والمخضرمين ثم يعطف عليها بآية فيها ما يوافقه ويوضح معناها، ومن أمثلة ذلك قول " الشماخ بن ضرار التغلبي:

أَعَايِشُ مَا لِقَوْمِكَ لَا أَرَاهُمْ \* يُضِيعُونَ الْهَجَانَ مَعَ الْمُضِيعِ

لا ههنا زائدة والمعنى ما لقومك أراهم، وقال تعالى : ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ الفاتحة : ٠٧ ، لاههنا زائدة والمعنى غير المغضوب عليهم والضالين<sup>٢٥</sup>.

وإن الأمثلة التي ساقها أبوزيد في هذا المطلب قريبة من مسائل نافع بن الأزرق لابن عباس<sup>٢٦</sup> "حتى يخيل إلى القارئ أن أبا زيد يحاول التقليد، ربما لشهرة مسائل نافع لابن عباس، وربما للمنزلة التي حظيت بها تلك المسائل"<sup>٢٧</sup>.

وعلى الرغم من التقارب بين مسائل ابن الأزرق لابن عباس وما عرضه أبو زيد في جمهرته فإن بينهما اختلافات منها:

- في مسائل ابن الأزرق نجد طرفين : ابن الأزرق هو السائل وابن عباس هو المسئول في صورة من المحاجة، وأما أبوزيد فيفترض شخصا سائلا غير معين وهو المجيب .

- ابتداء مسائل ابن الأزرق بالقرءان الكريم، ثم يعود ابن عباس إلى كلام العرب فيأتي بالشاهد، في حين أن أبا زيد يبدأ بكلام العرب ثم يذكر القرءان الكريم<sup>٢٨</sup>.

ولعل أبا زيد أراد من خلال تلك المخالفة أراد أن يسلك مسلكا يتميز به في عرض المسائل، ويوافق بروز العلوم في عصره، إذ إن معالم النحو وأصوله قد شقت طريقها في الوضوح في عصر أبي زيد فكان يقدم الشعر على القراءان الكريم مراعاة للجانب التاريخي بأسبقية الشعر على القراءان، ولأن مادته ستكون الوسيلة التي يستنجد بها اللغوي والمفسر في فهم آي الكتاب.

وإن ما قام به أبو زيد من موازنة لآيات من القراءان الكريم بشعر الجاهليين والمخضرمين وبيان أوجه الاتفاق بينها، هو توضيح لمسألة الاحتجاج على غريب القراءان بالشعر قد تجدد من يستهجنها، لأن القراءان كتاب مقدس وينبغي أن يكون حكما وأساسا لا فرعا، ولكن هذا المنهج من أبي زيد فيه بيان أن لا غضاضة ما دامت الغاية فهم الكتاب الذي أنزل بلغة العرب، وقد تناول السيوطي هذه المسألة موردا نصا لابن الأنباري يكشف فيه عن وجهة نظر المانعين لهذا المسلك في قوله: " قال أبو بكر بن الأنباري: قد جاء عن الصحابة والتابعين كثيرا الاحتجاج على غريب القراءان ومشكله بالشعر، وأنكر جماعة لا علم لهم على النحويين ذلك، وقالوا إذا فعلتم ذلك جعلتم الشعر أصلا للقرآن، وقالوا: وكيف يجوز أن يحتج بالشعر على القرآن، وهو مذموم في القراءان والحديث<sup>٢٩</sup>، وبعد بيان وجه اعتراض المانعين يرد عليهم مبينا المغزى من

ذلك الاحتجاج ساق نصوصا للصحابي ابن عباس تميز ذلك، والصحابة أكثر ورعا، وأشد تنزها عن كل ما يقدح في القرآن، وتجلي ذلك في قول ابن الأنباري الذي ساقه صاحب الإتيان: "وليس الأمر كما زعموه من أنا جعلنا الشعر أصلا للقرآن، بل أردنا تبيين الحرف الغريب من القرآن بالشعر، لأن اله تعالى قال: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾ الزخرف: ٣٠، وقال: ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾ الشعراء: ١٩٥. وقال ابن عباس: الشعر ديوان العرب، فإذا خفي علينا الحرف من القرآن، الذي أنزله الله بلغة العرب رجعنا إلى ديوانها، فالتمسنا معرفة ذلك منه"<sup>٣٠</sup>.

وإننا نستخلص من تلك المنهجية التي اتبعها أبو زيد في الاستعانة بالشعر في فهم غريب القرآن وكشف ما اتفقا فيه بعض الأمور منها:  
- إن أبا زيد بانتهاج نهج ابن عباس على المخالفة بينهما في العرض يلتمس سندا قويا لا يكون محل شك لئلا يؤاخذ في ما أراد ووجد ذلك متوفرا في ابن عباس بالنظر إلى تاريخه، ولأنه طبق ما اعتقده في الرد على نافع بن الأزرق ولم يُرد عليه في ذلك .

- يشير منهج أبي زيد إلى سعيه في ترسيخ الهوية العربية، والتمس الطريق إلى ذلك بالالتجاء إلى الشعر القديم في تفسير النص المقدس<sup>٣١</sup>.  
- الرغبة في التأصيل للغة القرآن والتأكيد على أنها كانت مستعملة قبل نزول القرآن<sup>٣٢</sup> .

وإن رجوح نهل أبي زيد من معين مسائل نافع لابن عباس، وطريقة عرضه لتلك النماذج مع بعضها من نصوص لابن عباس تجيز الاحتجاج على غريب القراء ومشكله، بالإضافة إلى نصوص العلماء التي عززت نقاش هذه المسألة سواء عاصرت المؤلف أم جاءت بعده تمنح أحقية التأسيس لهذه النقطة النقدية التي عرض لها كتاب الجماهرة.

### ٣ - جدلية المجاز في القراءان الكريم:

لقد صرح أبو زيد القرشي بموقفه من مسألة جدلية عند الدارسين القدماء، وهي جواز وجود المجاز في القراءان من عدمه، وقد نهج سبيل القائلين بوجوده بانبا موقفه ذلك على ما سلف ذكره في القضيتين السابقتين، فهو يرى أن القراءان نزل بلغة العرب، وتكاد تجمع كلمة الدارسين على أن موروثهم ونتاجهم الشعري والنثري قد احتوى نماذج من المجاز، وانطلاقاً من هذا المهد يقر القرشي بأن "في القرآن مثل ما في كلام العرب من اللفظ المختلف ومجاز المعاني"<sup>٣٣</sup>.

ويعزز القرشي موقفه هذا بشاهد من الشعر الجاهلي ويقارن ذلك بشاهد من القراءان الكريم، فقد أورد بيتاً لامرئ القيس بن حجر الكندي وهو قوله:

"قَفَا فَاسْأَلَا الْأَطْلَالَ عَنْ أُمِّ مَالِكٍ \* وَهَلْ تُخْبِرُ الْأَطْلَالَ غَيْرَ التَّهَالِكِ

فقد علم أن الأطلال لا تجيب، إذا سئلت، وإنما معناه قفا فاسألا  
 أهل الأطلال، وقال الله تعالى: ﴿وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا﴾ يوسف:  
 ٨٢ . يعني أهل القرية "٣٤".

فمحل المجاز يكمن في سؤال الجماد وما لا يعقل وهو سؤال  
 الأطلال التي تدل على ما بقي من آثار القوم بعد رحيلهم أو فنائهم في  
 البيت الشعري، وسؤال القرية التي تدل على الجدران والمسكن في الآية،  
 وهذه قرينة معنوية أسهمت في نقل الكلام من الحقيقة إلى المجاز، كما  
 كان لحذف كلمة - الأهل - في الشاهدين دور بارز في ذلك أيضا،  
 ولذلك عد بعض العلماء الحذف عين المجاز ومعظمه، وقال القرافي في  
 هذا السياق: " الحذف أربعة أقسام منها : قسم يتوقف عليه صحة  
 اللفظ ومعناه من حيث الإسناد نحو ﴿وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ﴾ يوسف: ٨٢ أي  
 أهلها، إذ لا يصح إسناد السؤال إليها"٣٥.

وقد نازع الحبار أبا زيد في استدلاله بالشاهد الشعري على إقرار  
 المجاز في الآية، إذ يرى أن امرأ القيس كان يسأل الأطلال حقا لا  
 أهلها، في حين أن الآية توضح أن إخوة يوسف يحتجون بأهل القرية  
 والقافلة لإثبات صحة ما ادعوه على أخيهم"٣٦، وأظن أنه حتى لو  
 سلمنا بأن امرأ القيس كان يسأل الأطلال حقا فإن المجاز لا ينتفي،  
 ويبقى تفسير المجاز في الآية معترفا به في كلا الفهمين.

ويبدو أن القرشي قد تأثر في موقفه هذا من وقوع المجاز في القرآن برأي أبي عبيدة معمر بن المثنى صاحب كتاب مجاز القرآن، إذ يعده ابن تيمية أول كتاب ناقش مسألة المجاز وإن كان يقصد به التأويل والتفسير في نظره<sup>٣٧</sup>، وقد بين الحبار ملامح تأثر القرشي بأبي عبيدة<sup>٣٨</sup>. وقد ناصر جمهور العلماء من المفسرين والأصوليين واللغويين والبلاغيين القول بوقوع المجاز في اللغة والقرآن<sup>٣٩</sup>، لأنه يوافق مقتضيات اللغة ومقاصدها في كثير من المواقف الكلامية.

وتجدر الإشارة إلى أن هناك فريقاً من العلماء وأغلبهم من الفقهاء وعلماء العقيدة من أهل السنة قد قالوا بعدم وقوع المجاز في اللغة والقرآن معاً، ومنهم أبو إسحاق الإسفراييني، وابن تيمية، وابن القيم، وقد كان يسوقهم إلى هذا الرأي سد ذريعة الاستناد إلى المجاز في تعطيل الأسماء والصفات وتأويلها<sup>٤٠</sup>.

وسلك بعض العلماء مسلك المتوسطين فقالوا إن المجاز واقع في اللغة دون القرآن، ومنهم داود الظاهري، وابن خويز منداد، ومحمد الأمين الشنقيطي<sup>٤١</sup>.

ويرجح البحث القول بوقوع المجاز في اللغة والقرآن الكريم معاً، ويبقى التعامل مع الأسماء والصفات على أساس التوقيف لحل محل النزاع، كما أنه لا يستقيم حمل كل الآيات على ظاهر اللفظ، فقد يكون

حملها على المجاز أبلغ، وأقرب إلى المعنى المراد الذي قد تؤيده شواهد من القرءان نفسه، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾ طه: ١٢٥. فلعل عمى البصيرة أقرب من عمى البصر في الآية، لأن الآيات التي تتلو بينت سبب هذه العاقبة، إذ يقول تعالى: ﴿قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيَتْهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى﴾ طه: ١٢٧.

ويرى البحث أن نقاش هذه المسألة عند القرشي كان مؤسسا، لأنه بنى موقفه على سند نقلي تمثل في نزول القرءان بلغة العرب، وذلك يجعل الظواهر اللغوية فيها واقعة فيه، بالإضافة إلى أنه ساق الشاهد الشعري الذي يعزز به موقفه، ولا يضر مع هذه المنطلقات عدم اتفاق كلمة العلماء في المسألة في وصف الطرح بالتأسيس.

#### خاتمة:

في ختام هذا البحث نستخلص بعض النتائج، ومنها:

- يعد كتاب جمهرة أشعار العرب من كتب المختارات الشعرية، وقد تميز على المفضليات والأصمعيات بتناوله لبعض القضايا النقدية.
- إن تقديم القرشي لكتابه المخصص للشعر بالحديث عن بعض الأمور المتعلقة بالقرءان يدل على تلك الأهمية التي يوليها المؤلف لأسس الهوية العربية والإسلامية .

- يشير منهج القرشي في مقدمته النقدية إلى أن جمع المختارات الشعرية ليس مقصودا لذات الجمع فحسب، وإنما لكون تلك المادة مسهمة في فهم القرءان، وتعيد القواعد التي تحفظ اللسان العربي من اللحن .

- إن منهج القرشي في تصنيف القصائد تصنيف محكم في الانتقاء، وتسمية المجموعات، وفي التقسيم السباعي أيضا .

- لم يحفل القرشي بشعر الشعراء المولدين كأبي نواس، لاعتبارات عدة منها الأصل النسبي للمولدين، واحترازا من الصنعة والزيغ اللغوي الذي بدأ يظهر في عصرهم .

- يرى أبو زيد القرشي أن كل كلم اللغة والقرءان عربية، وما قد يظن أنه من المعرب والدخيل إنما مرده لتشابه الألفاظ في اللغات فحسب.

- ناصر القرشي الرأي بالاحتجاج بالشعر في فهم غريب القرءان .  
- يرى القرشي أن المجاز موجود في القرءان كما هو موجود في اللغة العربية على وجه العموم .

#### الهوامش والمراجع :

- ١- مصطفى صادق الرافعي، تاريخ آداب العربية، دار الكتب العلمية ج ١، ٢٠٠٠، ص ٢١٣.



- ٢- علي الجندي، تاريخ الأدب الجاهلي، دار غريب، القاهرة، ١٩٩٨، ص ١١٤.
- ٣- جلال الدين السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، دار الكتاب العربي، لبنان، دط، ٢٠٠٥، ص ٣٠١.
- ٤- أبو الفتح ابن جني، الخصائص، عالم الكتب، لبنان، ط ١، ٢٠٠٦، ص ٦٨.
- ٥- هناك تراوح بين الدارسين في مؤلف الجمهرة فمنهم من ينسبه إلى أبي زيد مُجَدِّ بن أبي الخطاب القرشي، ومنهم من ينسب جمعه إلى المفضل بن عبد الله. ينظر: علي الجندي، تاريخ الأدب الجاهلي، ص ١٦٢.
- ٦- ينظر: ابن رشيق، العمدة في محاسن الشعر وآدابه، تحق مُجَدِّ محي الدين عبد الحميد، دار الجيل، ج ١، ط ٥، ١٩٨١، ص ٩٧.
- ٧- ينظر جلال الدين السيوطي، المزهرة في علوم اللغة وأنواعها، ضبطه مُجَدِّ أبو الفضل إبراهيم وآخرون، مكتبة التراث العربي، القاهرة، ط ٣، ص ٤٨٠.
- ٨- شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي - العصر الجاهلي - دار المعارف، ١٩٩٥، ص ١٧٨.
- ٩- القرشي، جمهرة أشعار العرب في الجاهلية والإسلام، تحق مُجَدِّ علي الهاشمي، لجنة البحوث والتأليف والنشر والترجمة، جامعة بن سعود، السعودية، ط ١، ١٩٧٩، ص ١٥. نقلا عن: سعد عودة

- حسن عدوان ، جمهرة أشعار العرب دراسة أسلوبية ، أطروحة  
دكتوراه ، الجامعة الإسلامية ، غزة ، ٢٠١٧ ، ص ٠٨ .
- ١٠- ينظر : المرجع نفسه ، ص ٢٥ - ٢٨ . نقلا عن : سعد عودة  
حسن عدوان ، جمهرة أشعار العرب دراسة أسلوبية ، ص ٠٨ .
- ١١- ينظر : علي الجندي ، في تاريخ الأدب الجاهلي ، دار غريب ،  
١٩٩٨ ، ص ١٦١ .
- ١٢- ينظر: أبو زيد القرشي، جمهرة أشعار العرب، دار المسيرة، دط، ١٩٨٣.
- ١٣- ينظر : علي الجندي ، في تاريخ الأدب الجاهلي ، ص ١٦٣ .
- ١٤- ينظر : عز الدين إسماعيل ، المصادر الأدبية في التراث الشعري، دار  
غريب ، مصر، دط ، دت ، ص ٨٤ .
- ١٥- ينظر: سعد عودة حسن عدوان، جمهرة أشعار العرب دراسة أسلوبية،  
ص ١٣ .
- ١٦- عبد القادر البغدادي ، خزنة الأدب ، قدم له مُحمَّد نبيل طريفي ، دار  
الكتب العلمية ، لبنان ، ج ١ ، ط ١ ، ١٩٩٨ ، ص ٢٩ - ٣٠ .
- ١٧- أبو زيد القرشي ، جمهرة أشعار العرب ، ص ٣٥ .
- ١٨- أمين لقمان الحبار ، جدل اللغة والهوية - قراءة نقدية في جمهرة  
أشعار العرب لأبي زيد القرشي ، مجلة كلية التربية الأساسية، جامعة  
بابل العراق، ع ١٣ ، ٢٠١٣ ، ص ٥٤ .
- ١٩- أبو زيد القرشي ، جمهرة أشعار العرب ، ص ١٠ .

- ٢٠- جلال الدين السيوطي ، الإِتقان ، ص ٣٣٣ .
- ٢١- ينظر : المرجع نفسه ، ص ٣٣٤- ٣٣٥ .
- ٢٢- ينظر : مُحَمَّد بن إبراهيم الحمد، فقه اللغة - مفهومه - موضوعاته - قضاياها ، دار ابن خزيمة، السعودية ، ط ١ ، ٢٠٠٥ ، ص ١٦٠ .
- ٢٣- جلال الدين السيوطي ، الإِتقان ، ص ٣٣٦ .
- ٢٤- أبو زيد القرشي ، جمهرة أشعار العرب ، ص ٠٩ .
- ٢٥- المرجع نفسه ، ص ١٠ .
- ٢٦- مسائل نافع بن الأزرق لابن عباس هي أسئلة أحد الخوارج لعبد الله ابن عباس، وكان غرضه الحجاج والتشكيك، فقد طلب نافع أن يفسر له آيات من كتاب الله، ويأتي بمصادقه من كلام العرب، وقد انبرى ابن عباس يجيبه عن أسئلته، وقد تناقلتها الكتب والروايات .
- ينظر: السيوطي، الإِتقان ، ص ٣٠١ - ٣٠٢ .
- ٢٧- أمين لقمان الحبار ، جدل اللغة والهوية ، ص ٥٥ .
- ٢٨- ينظر : المرجع نفسه، ص ٥٥ .
- ٢٩- جلال الدين السيوطي ، الإِتقان في علوم القرآن ، ص ٣٠١ .
- ٣٠- المرجع نفسه ، ص ٣٠١ .
- ٣١- ينظر : أمين لقمان الحبار ، لغة العرب ولغة القراءان قراءة نقدية في جمهرة أشعار العرب لأبي زيد القرشي ، مجلة التربية والعلم مج ١٩ ، ع ٤ ، ٢٠١٢ ، ص ٢٧٦ .

- ٣٢- ينظر: لقمان الحبار، جدل اللغة والهوية، ص ٥٧.
- ٣٣- أبو زيد القرشي، جمهرة أشعار العرب، ص ١١.
- ٣٤- المرجع نفسه، ص ١٢.
- ٣٥- جلال الدين السيوطي، الإثقان، ص ٥٦١.
- ٣٦- ينظر: لقمان الحبار، جدل اللغة والهوية ص ٦٠.
- ٣٧- ينظر: ابن تيمية، الإيمان، المكتب الإسلامي، السعودية، ط ٤، ١٩٩٣، ص ٨٤.
- ٣٨- ينظر: أمين لقمان الحبار، لغة العرب ولغة القرآن، ص ٢٨٢ - ٢٨٣.
- ٣٩- ينظر: مُجَّد بن إبراهيم الحمد، فقه اللغة، ص ٢٨٦.
- ٤٠- ينظر: المرجع نفسه، ص ٢٨٦ - ٢٨٧.
- ٤١- ينظر: المرجع نفسه، ص ٢٨٦.

## من مسائل القياس عند ابن جني

إعداد

أحمد بوصبيحات

جامعة زيان عاشور بالجلفة – الجزائر

[bousbiatahmed@gmail.com](mailto:bousbiatahmed@gmail.com)

### Abstract

The measure is great evidence of grammar and it is the most evidences that depend on Arabic grammar lesson. So, it is correct to say that the whole grammar is measure. The measure was passed with many stages until it reached a level especially in the fourth century AH by Alfarissi” who was worked hard with it every time. He was followed in this by his student “IBn Jenni” who talked about it in his book “Alkhassais” where he addressed the most important issues that are related with fundamentals of Arabic grammar in general and the measure’s issues in particular. He also talked about the Arabic language’s problems, and he compared between it and the scientists’ problems and the speakers’ problems. He talked about the measure’s pillars; the origin, the branch, the judgment, the problem and the conditions of each pillar from these pillars. And he talked about the inclusion and the anomaly between the rule and the use, and he also talked about the word and the meaning, and other these from researches, how did Ibn Jenni deal with these issues? And this is what we want to talk about it with details in this research.

### ملخص:

يعد القياس – كدليل من أدلة النحو – أكثر الأدلة اعتمادا وتداولاً في الدرس النحوي العربي، حتى إنه ليصح أن يقال إن النحو كله قياس.

وقد مر القياس بمراحل كثيرة حتى استوى خاصة في القرن الرابع الهجري عند أبي علي الفارسي الذي كان يكثر منه ما وجد إلى ذلك سبيلا. وتبعه في ذلك تلميذه أبو الفتح عثمان بن جني. فقد تناول في كتابه الخصائص أكثر المسائل المتعلقة بأصول النحو العربي عامة ومسائل القياس خاصة. فتكلم عن علل العربية وقارن بينها وبين علل الفقهاء وعلل المتكلمين. وتكلم عن أركان القياس: الأصل والفرع والحكم والعلة وشروط كل ركن من هذه الأركان وتكلم عن الاطراد والشذوذ بين القاعدة والاسعمال وتكلم عن الحمل على اللفظ والحمل على المعنى وغير هذا من المباحث فكيف كان تناول ابن جني لهذه المسائل؟ وهذا ما نود الحديث عنه بشيء من التفصيل في هذا البحث.

**الكلمات المفتاحية:** القياس. ابن جني. العلل النحوية. المقيس عليه. المقيس.

**يعرف السيوطي** أصول النحو بأنه علم يبحث فيه عن أدلة النحو الإجمالية من حيث هي أدلته وكيفية الاستدلال بها وحال المستدل<sup>١</sup> ويشرح في شرح هذا التعريف وبسطه، فيقول عن أدلة النحو: قال ابن جني في الخصائص: أدلة النحو ثلاثة السماع والإجماع والقياس. وقال ابن الأنباري في أصوله: أدلة النحو ثلاثة: نقل وقياس واستصحاب

حال<sup>٢</sup> هكذا نقل السيوطي عن ابن جني وعن ابن الأنباري. وابن جني في حقيقة الأمر لم يذكر هذا هكذا صراحة، وإذا ما رجعنا إلى المصدر " الخصائص " لم نجد هذا القول، وإنما تأول السيوطي معناه مما فهمه من كلام ابن جني. حيث ذكر ذلك ابن جني عند حديثه عن الإجماع في باب: "القول على إجماع أهل العربية متى يكون حجة" قال فيه: " اعلم أن إجماع أهل العربية إنما يكون حجة إذا أعطاك خصمك يده ألا يخالف المنصوص والمقيس على المنصوص. فأما إن لم يعط يده بذلك فلا يكون إجماعهم حجة عليه<sup>٣</sup> فذكر الإجماع بلفظه، وذكر المنصوص وهو ما يعبر عنه بالسماع، وذكر المقيس على المنصوص وهو ما يعبر عنه بالقياس - وهذا هو الذي نبسط القول فيه - ومن هنا كانت أدلة النحو عند ابن جني - كما فهم السيوطي - السماع والإجماع والقياس. وقبل بسط الحديث عن القياس وعن بعض مسائله عند ابن جني نعرج أولاً على تعريفه. ففي اللغة يعني في عمومته التقدير قاس الشيء بقيسه قياساً وقياساً، واقتاسه وقْيَسَه إذا قدره على مثاله. والمقياس المقدار، وقاس الشيء يقوسه قوساً: لغة في قاسه يقيسه. يقال: قِستَه وقُستَه أقوسه قوساً وقياساً، ولا يقال: أقستَه. والمقياس ما قيس بهز والقياس والقاس: القدر، يقال: قيس رمح وقاسه<sup>٤</sup> وفي الاصطلاح يعرفه الرماني بأنه الجمع بين أول وثان يقتضيه في صحة الأول صحة الثاني وفي فساد

الثاني فساد الأول ويعرفه ابن الحاجب بأنه مساواة فرع لأصل في علة حكمه<sup>٥</sup> ويذكر ابن الأنباري في لمعه تعريفات مختلفة الألفاظ متفقة المعاني فقال: وهو في عرف العلماء عبارة عن تقدير الفرع بحكم الأصل. وقيل هو حمل فرع على أصل بعلة تقتضي إجراء حكم الأصل على الفرع. وقيل هو إلحاق الفرع بالأصل بجامع. وقيل هو ربط الأصل بالفرع بجامع. وقيل هم اعتبار الشيء بالشيء بجامع. وهذه الحدود كلها متقاربة.<sup>٦</sup> وقال في الإغراب: وأما القياس فهو حمل غير المنقول على المنقول إذا كان في معناه<sup>٧</sup> ولا بد في كل قياس من أربعة أشياء وهي أركانه: أصل وفرع وعلة وحكم. ويضرب ابن الأنباري مثالا يجمع فيه هذه الأركان مبينا من خلال ذلك تطبيقيا معنى القياس فيقول: وذلك مثل أن تركيب قياسا في الدلالة على رفع ما لم يسم فاعله فتقول: اسم أسند الفعل إليه مقدما عليه، فوجب أن يكون مرفوعا قياسا على الفاعل. فالأصل هو الفاعل، والفرع ما لم يسم فاعله، والعلة الجامعة هي الإسناد، والحكم هو الرفع. والأصل في الرفع أن يكون للأصل الذي هو الفاعل، وإنما أجري على الفرع الذي هو ما لم يسم فاعله بالعلة الجامعة التي هي الإسناد. وعلى هذا النحو تركيب كل قياس من أقيسة النحو<sup>٨</sup> ولولا هذا الأمر أي لولا القياس لما استقام أمر النحو كما يقول النحاة لأننا لم نسمع من العرب كل كلامها منها. كما نقل ابن



جني في باب ما قيس على كلام العرب فهو من كلام العرب. كما نص عليه أبو عثمان المازني حين قال: ألا ترى أنك إذا سمعت قام زيد أجزت أنت ظرف خالد وحقق بشر، وكان ما قسته عربيا كالذي قسته عليه، لأنك لم تسمع من العرب أنت ولا غيرك اسم كل فاعل ومفعول، وإنما سمعت بعضا فجعلته أصلا وقست عليه ما لم تسمع. فهذا أثبت وأقيس<sup>٩</sup>. ويقول ابن الأنباري رادا على من أنكر القياس في النحو: اعلم أن إنكار القياس في النحو لا يتحقق لأن النحو كله قياس. ولهذا قيل في حده النحو علم بالمقاييس المستنبطة من استقراء كلام العرب. فمن أنكر القياس فقد أنكر النحو<sup>١٠</sup> ويقول كذلك مثبتا أنه لا يمكن الاستغناء عن القياس بحال من الأحوال: فإن قيل فنحن لا ننكر أنه - أي النحو - يثبت استعمالا ونقلًا لا قياسا وعقلا. قلنا هذا باطل لأننا أجمعنا على أنه إذا قال العربي: كتب زيد. فإنه يجوز أن يسند هذا الفعل إلى كل اسم مسمى تصح منه الكتابة، سواء كان عربيا أو أعجميا نحو زيد وعمرو وبشير وأردشير إلى ما لا يدخل تحت الحصر. وإثبات ما لا يدخل تحت الحصر بطريق النقل محال<sup>١١</sup>.

ونرجع إلى الحديث عن القياس وأركانه التي ذكرناها سابقا، وهي الأصل والفرع والحكم والعلة، وما ذكره ابن جني من المسائل المتعلقة بهذه الأركان في كتابه الخصائص، والذي كان مبناه على أصول النحو كما

قال هو نفسه في مقدمته عن سبب تأليفه: وذلك أنا لم نر أحدا من علماء البلدين تعرض لعمل أصول النحو على مذهب أصول الكلام والفقهاء<sup>١٢</sup>. وابن جني في حديثه عن هذه المسائل لم يسلك ترتيبا معيناً، بل كان يذكر المسائل حيثما دعا سياق الحديث إلى ذلك. فنجده يكثر من الحديث عن العلل في الكثير من المواضع. ثم يعرج على الاطراد والشذوذ، وينتقل إلى شروط الأصل أو المقيس عليه، والقياس على القليل والقياس على الضرورة... ورغم ذلك يجد المتفحص لكتاب الخصائص أن هذا العالم الفذ يكاد يجمع كل المسائل المتعلقة بأصول النحو خاصة القياس الذي برع فيه أيما براعة، ولا غرابة في ذلك فشيخه في هذا الفن أبو علي الفارسي وهو من هو في العربية، وهو من هو في القياس. فقد أخذ يفكر فيه ليله ونهاره حتى استقام له منه مذهب وسع الشقة بين الجامدين على السماع وأنصار القياس والظاهر - كما يقول الأستاذ سعيد الأفغاني - أن عشق القياس بمره وأخذ على فكره السبل، فصار يمتحن به كل مسألة تعرض له، وعلى رسومه يصدر فتاواه ويعتقد آراءه. وقد كان الخطأ في خمسين مسألة في اللغة أحب إليه من الخطأ في مسألة واحدة من القياس<sup>١٣</sup>. وقال فيه ابن جني: أحسب أن أبا علي قد خطر له وانتزع من علل هذا العلم ثلث ما وقع لجميع أصحابنا<sup>١٤</sup> هذا الشيخ هو من أخذ عنه ابن جني، فأصبح أعلى علماء العربية كعباً في جميع

عصورها، وأغوصهم عامة على أسرار العربية، وأنجحهم في الاهتداء إلى النظريات العامة. وكتابه الخصائص لا يزال محط إعجاب علماء العرب والغرب على السواء... وقلما تقرأ كتابا فيه ولا يكون ابن جني مرجع كثير من مسأله<sup>١٥</sup>. وقد تبع شيخه الفارسي بل وفاقه في طرد القياس ما وجد إلى ذلك سبيلا. وسنذكر شيئا من المسائل التي ناقشها ابن جني في باب القياس وما يتعلق به من أركان وشروط وغيرها على سبيل المثال لا الحصر لنقف على نظرة هذا العالم الفذ في تصرف كلام العرب.

#### الحديث عن العلل:

تطرق ابن جني إلى العلل كثيرا في الخصائص وذهب - من ولعه بها - إلى تشبيهها بالعلل الكلامية. قال في ذلك: اعلم أن علل النحويين وأعني بذلك حذاقهم المتقنين لا ألفافهم المستضعفين أقرب إلى علل المتكلمين منها إلى علل المتفقيين، وذلك أنهم إنما يحيلون على الحس ويحتجون فيه بثقل الحال أو خفتها على النفس. وليس كذلك حديث علل الفقه، وذلك أنها إنما هي أعلام وأمارات لوقوع الأحكام. ووجوه الحكمة فيها خفية عنا غير بادية الصفحة لنا<sup>١٦</sup> ومقصود ابن جني هنا أكثر علل النحو لا جميعها. وقال كذلك: باب في أن العرب أرادت من العلل والأغراض ما نسبناه ليها وحملناه عليها: ألا ترى إلى اطراد رفع الفاعل ونصب المفعول والجر بحروف الجر والنصب بحروفه والجزم بحروفه،

وغير ذلك من حديث التثنية والجمع والإضافة والنسب والتحقيق وما يطول شرحه، فهل يحسن بذي لب أن يعتقد أن هذا كله اتفاق وقع وتوارد اتجه<sup>١٧</sup> وقد قال سيبويه في هذا المعنى: وليس شيء يضطرون إليه إلا وهم يحاولون بها وجهها<sup>١٨</sup> وهذا يعني أن العرب في أكثر أمرها لا تفعل شيئاً في كلامها إلا لعلّة، ولا يمكن أن يكون ما في كلامها على ما فيه من الدقة والضبط والاطراد قد وقع بمحض الاتفاق والصدفة. ويذكر ابن جني هنا مثالا على ذلك بسؤال سأله لأحد الأعراب الذين كان يأخذ عنهم قال في ذلك: وسألت الشجري يوما فقلت: يا أبا عبد الله كيف تقول: ضربت أخاك؟ فقال: كذاك. فقلت: أفتقول: ضربت أخوك؟ فقال لا أقول: أخوك أبدا. قلت: فكيف تقول: ضربني أخوك؟ فقال: كذاك. فقلت: ألسنت زعمت أنك لا تقول: أخوك أبدا؟ فقال: أيش ذا؟ اختلفت جهتا الكلام. فهل هذا في معناه إلا كقولنا نحن: صار المفعول فاعلا، وإن لم يكن بهذا اللفظ البتة فإنه هو لا محالة.<sup>١٩</sup>

### مسألة الاطراد والشذوذ في الكلام بين الاستعمال والقياس:

يقسم ابن جني الكلام المسموع من حيث الاطراد والشذوذ أربعة أقسام<sup>٢٠</sup>:

الأول: المطرد في القياس والاستعمال جميعا: وهو الغاية المطلوبة والذي لا خلاف فيه مثل: قام زيد وضربت عمرا ومررت بسعيد.

الثاني: المطرد في القياس الشاذ في الاستعمال: وذلك نحو الماضي من يذر ويدع وكذلك قولهم: مكان مبقل هذا هو القياس والأكثر في السماع: باقل. والأول مسموع أيضا. ومثله أيضا مما يقوى في القياس ويضعف في الاستعمال مفعول عسى اسما صريحا نحو قولك: عسى زيد قائما أو قياما هذا هو القياس غير أن السماع ورد بحظهه والاقتصار على ترك استعمال الاسم ههنا وذلك قولهم عسى زيد أن يقوم وعسى الله أن يأتي بالفرج وقد جاء عنهم شيء من الأول كالمثل السائر: عسى الغوير أبؤسا.

الثالث: المطرد في الاستعمال الشاذ في القياس: نحو قولهم: أخص الرّمث واستصوبت الأمر، يقال: استصوبت الشيء ولا يقال: استصبت الشيء. ومنه استحوذ وأغيلت المرأة واستنوق الجمل واستتيست الشاة...

الرابع: الشاذ في القياس والاستعمال معا: وهو كتتميم مفعول فيما عينه واو نحو: ثوب مصوون ومسك مدووف، وحكى البغداديون: فرس مقوود ورجل معوود من مرضه، وكل ذلك شاذ في القياس والاستعمال فلا يسوغ القياس عليه ولا رد غيره إليه.

وهذه الأضرب هي التي يكون عليها بناء القياس ككل - كدليل من أدلة النحو - وهو ما يذكر خاصة عند الحديث عن الأركان وعند أول ركن فيه وهو الأصل أو المقيس عليه، فالعبرة فيه بالضرب الأول والثاني،

أي بموافقة المقيس عليه للقياس أو للقاعدة استعمالاً أو تركاً ولا يهم بعد هذا القلة أو الكثرة كما سيأتي.

الحديث عن المقيس عليه أو الأصل: وأهم شرط يوقف عليه فيه هو الاطراد في القياس والاستعمال معاً. فمتى كان الشيء كذلك فقد بلغ الغاية واتخذ أصلاً يقاس عليه غيره، والعبرة فيه بموافقة القاعدة (القياس) قال ابن جني: وإذا فشا الشيء في الاستعمال وقوي في القياس فذلك ما لا غاية وراءه نحو منقاد اللغة من النصب بحروف النصب والجر بحروف الجر والجزم بحروف الجزم وغير ذلك مما هو فاش في الاستعمال قوي في القياس<sup>٢١</sup> هذه هي القاعدة في المقيس عليه سواء تعلق الأمر بالقياس عليه استعمالاً أو تركاً بخلاف عكس ذلك أي أن يكون شاذاً في القياس، فهذا فيه نظر عند ابن جني من جهتين: من جهة القياس عليه ومن جهة استعماله:

١- من جهة القياس عليه: ما كان مخالفاً للقياس أي للقاعدة لا يجوز القياس عليه بحال من الأحوال سواء أكان شاذاً في الاستعمال أم مطرداً.

أ- الشاذ في الاستعمال: قال ابن جني: وأما ضعف الشيء في القياس وقتله في الاستعمال فمرذول مطرح. غير أنه قد يجيء منه الشيء إلا أنه قليل، وذلك نحو ما أنشده أبو زيد من قول الشاعر:

اضربَ عنك الهموم طارقها \* ضربك بالسيف قونس الفرس<sup>٢٢</sup>  
ويعلل ابن جني الضعف الذي ذكر هنا من حيث غرض الشاعر.  
فالبيت مصدر بفعل الأمر "اضرب" والأصل فيه أن يكون بالسكون،  
فمن أين جاءت الفتحة؟ إنها دليل نون التوكيد المحذوفة، فالمراد فيه  
"اضربن" إلا أن النون حذفت وبقيت الفتحة دالة عليها. وهذا فيه  
نقض للغرض، إذ المعلوم أن التوكيد مما يحسن فيه الزيادة والإطناب دون  
الحذف. ومثل هذا أيضا في نقض الغرض بين التوكيد والحذف ما منعه  
أبو الحسن الأخفش من توكيد الضمير المحذوف المنصوب نحو: الذي  
ضربت زيد. منع أن يقال: الذي ضربت نفسه زيد، على أن نفسه  
توكيد للهاء المحذوفة. فلا يستقيم التوكيد مع الحذف كما يقول. ومثل  
هذا من الضعف في القياس والاستعمال بيت الكتاب<sup>٢٣</sup>:

له زجل كأنه صوت حاد \* إذا طلب الوسيقة أو زمير

قال ابن جني: فقوله " كأنه " بحذف الواو وتبقية الضمة ضعيف في  
القياس قليل في الاستعمال. ووجه ضعف قياسه أنه ليس على حد  
الوصل ولا على حد الوقف. وذلك أن الوصل يجب أن تتمكن فيه واوه  
كما تمكنت في قوله في أول البيت " له زجل " والوقف يجب أن تحذف  
الواو والضمة جميعا وتسكن الهاء فيقال " كأنه " فضم الهاء بغير واو  
منزلة بين منزلي الوصل والوقف<sup>٢٤</sup> فمحل الاستشهاد في البيت في قوله

"كأنه" فإن لها حالتين حالة الوصل وفيها تثبت الضمة وتثبت معها الواو فتكون " كَأَنَّهٗ // // . " وحالة الوقف وفيها تحذف الضمة وتحذف معها الواو فتكون " كَأَنَّهٗ // // . " وهي هنا في البيت في حالة الوصل فكان يجب أن تكون على الصورة الأولى من إثبات الضمة والواو. ولكن بهذا تكون التفعيلة الثانية من الشطر الأول من البيت " كَأَنَّهٗ صَوَّ // // . / " والأصل في التفعيلة أن تكون " مفاعلتن " والبيت من الوافر " مفاعلتن مفاعلتن فعول " ولا تكون التفعيلة كذلك إلا إذا حذفت الواو مع الإبقاء على الضمة فتكون " كَأَنَّهٗ صَوَّ // // . " فتصير إذن " مفاعلتن " .

ب- المطرد في الاستعمال: أي الذي يكون شاذًا في القياس مطردًا في الاستعمال. وهذا أيضا لا يقاس عليه ولا يرد غيره إليه ولا يشفع له اطراده في الاستعمال. وقد تكلم ابن جني بدقة عن هذه المسألة في "باب في جواز القياس على ما يقل ورفضه فيما هو أكثر منه" حيث إنه يجوز أن يتخذ الشيء أصلا يقاس عليه حتى وإن كان قليلا في الاستعمال. وعلى خلاف ذلك لا يجوز القياس على الشيء حتى وإن كثر استعماله لأن الأمر منوط بموافقة القاعدة. فالقليل رغم قلته يقاس عليه لأنه هو نفسه جار على قاعدة صحيحة فلا تمنع القلة من ذلك. والكثير رغم كثرته لا يقاس عليه لأنه هو نفسه ليس على قياس صحيح



فلم تغن عنه الكثرة شيئاً. قال ابن جني: هذا باب ظاهره - إلى أن تعرف صورته - ظاهر التناقض إلا أنه مع تأمله صحيح. وذلك أن يقل الشيء وهو قياس، ويكون غيره أكثر منه إلا أنه ليس بقياس. الأول قولهم في النسب إلى شنوءة شنيّ، فلك من بعد أن تقول في الإضافة إلى قنوبة: قنيّ، وإلى ركوبة: ركيّ، وإلى حلوبة: حلبيّ قياساً على شنيّ. وذلك أنهم أجروا فعولة مجرى فعيلة لمشابهتها إياها من عدة أوجه: أحدها أن كل واحدة من فعولة وفعيلة ثلاثي، ثم إن ثالث كل واحدة منهما حرف لين يجري مجرى صاحبه، ألا ترى إلى اجتماع الواو والياء ردفين وامتناع ذلك في الألف، وإلى جواز حركة كل واحدة من الياء والواو مع امتناع ذلك في الألف، إلى غير ذلك. ومنها أن في كل واحدة من فعولة وفعيلة تاء التأنيث. ومنها اصطحاب فعول وفعيل على الموضع الواحد نحو أثيم وأثوم، ورحيم ورحوم، ومشّي ومشوّ، ونهيّ عن الشيء ونهوّ. فلما استمرت حال فعيلة وفعولة هذا الاستمرار، جرت واو شنوءة مجرى ياء حنيفة، فكما قالوا: حنفي قياساً قالوا: شنيّ أيضاً قياساً... وأما ما هو أكثر من باب شنيّ ولا يجوز القياس عليه لأنه لم يكن هو على قياس، فقولهم في ثقيف: ثقفيّ، وفي قریش: قرشيّ، وفي سليم: سلميّ. فهذا وإن كان أكثر من شنيّ فإنه عند سيبويه ضعيف في القياس. فلا يجوز على هذا في سعيد سعديّ، ولا في كريم كرميّ<sup>٢٥</sup>

فشنوءة رغم قلتها اتخذت أصلا قيس عليه فتوبة وركوبة وحلوبة. وثقيف وقريش وسليم رغم كثرة لم يجز القياس عليه لأنه هو نفسه ليس على قياس إذ الأصل فيه أن يقال: ثقيفي وقريشي وسليمي...

٢- من جهة الاستعمال: أي من جهة استعمال هذا الذي شد في القياس والذي لا يجوز أن يتخذ أصلا يقاس عليه هل نستعمله أم لا؟ فنجد ابن جني يعيد الحديث عن هذه المسألة كثيرا، وكأنه يؤكد على ما قرره سابقا في تعريفه للنحو من أنه انتحاء سمت كلام العرب. فلا بد من اتباع العرب في ما تستعمل وفي ما تترك. فإن كان الشيء شادا في القياس مطردا في الاستعمال فلا يقاس عليه عنده، وهذا ما ذكرناه قبل قليل، لأنه هو نفسه على غير قياس. وأما من حيث استعماله فلا مناص من استعماله كما استعملته العرب هو بعينه. قال ابن جني: اعلم أن الشيء إذا طرد في الاستعمال وشد عن القياس فلا بد من اتباع السمع الوارد به فيه نفسه، لكنه لا يتخذ أصلا يقاس عليه غيره. ألا ترى أنك إذا سمعت استحوذ واستصوب أديتهما بحالهما ولم تتجاوز ما ورد به السمع فيهما إلى غيرهما. ألا تراك لا تقول في استقام استقوم ولا في استساغ استسوغ ولا في استباع استبيع...<sup>٢٦</sup> فالقياس في استحوذ أن يقال استحاذ بقلب الواو ألفا. يقول ابن الأنباري: ألا ترى أن الأصل في كل واو تحركت وانفتح ما قبلها أن تقلب ألفا<sup>٢٧</sup>.

فالأصل في الفعل هو " حَوَذَ " كَقَوْلَ تحركت الواو وما قبلها مفتوح فصار " حَاذَ " كَقَالَ ثم تدخل عليه الألف والسين والتاء فيصير قياسه أن يقال " استحاذ " وليس استحوذ. ويقال قياسا عليه في باع استباع لأن الأصل فيه " بَيَعَ " فتقلب الياء ألفا فتصير بَاعَ ثم يقال فيه استباع... لكن مع هذا لم تستعمل العرب " استحاذ " بل استعملت " استحوذ " على شذوذه في القياس وإذن فلا بد من استعماله كما هو ولكنه ما دام شاذا في القياس فلا يقاس عليه لأننا إنما ننطق بما تنطق العرب به، وهذا ما يؤكد ابن جني في باب تعارض السماع والقياس قال: إذا تعارضا نطقت بالمسموع على ما جاء عليه، ولم تقسه في غيره. وذلك نحو قول الله تعالى: " استحوذ عليهم الشيطان " فهذا ليس بقياس، لكنه لا بد من قبوله لأنك إنما تنطق بلغتهم وتحتذي في جميع ذلك أمثلتهم. ثم إنك من بعد لا تقيس عليه غيره. ألا تراك لا تقول في استقام استقوم ولا في استباع استبيع<sup>٢٨</sup> ويحاول ابن جني أن يجد لهذا ولنظائره تفسيرا ويجعله من باب الدلالة على أصل الشيء. فيكون الشاذ المستعمل عند العرب دليلا على ما كان عليه الجاري على القياس. فيدل بـ " استحوذ " أصل استقام. قال في باب الاستحسان: ومن ذلك ما يخرج تنبيها على أصل بابه، نحو استحوذ وأغيلت المرأة وصددت فأطولت الصدود - من قول الشاعر - وقالوا هذا شراب

مَبُولَةٌ وهو مَطْيَبَةٌ للنفس وقالوا: فإنه أهل لأن يؤكرما، ونظائره كثيرة. غير أن ذلك يخرج ليعلم به أن أصل استقام استقوم، وأصل مَقَامَةٌ مَقُومَةٌ، وأصل يحسن يؤحسن. ولا يقاس هذا ولا ما قبله، لأنه لم تستحکم علتہ، وإنما خرج تنبيها وتصرفا واتساعا<sup>٢٩</sup> فكان العرب قد تعمدت استعمال استحوذ ليكون دليلا على أن أمثله مما يجري فيها القياس كان الأصل فيها ما هو عليه. وقال أيضا: ومما ورد شاذا عن القياس ومطرذا في الاستعمال قولهم: الحَوَكَةُ والحَوَنَةُ فهذا من الشذوذ عن القياس على ما ترى، وهو في الاستعمال منقاد غير متأب، ولا تقول على هذا في جمع قائم: قومة ولا في صائم صومة<sup>٣٠</sup> وكان ابن جني هنا يحاول ترسيخ مبدأ التسليم للعرب فيما استعملت حتى وإن كان شاذا في القياس وترك ما تركت حتى وإن كان جاريا على قياس صحيح. قال في ذلك: واعلم أنك إذا أدك القياس إلى شيء ما، ثم سمعت العرب قد نطقت فيه بشيء آخر على قياس غيره فدع ما كنت عليه إلى ما هم عليه. فإن سمعت من آخر مثل ما أجزته فأنت فيه مخير، تستعمل أيهما شئت. فإن صح عندك أن العرب لم تنطق بقياسك أنت كنت على ما أجمعوا عليه البتة وأعددت ما كان قياسك أداك إليه لشاعر مولد أو لساجع أو لضرورة لأنه على قياس كلامهم بذلك وصى أبو الحسن.<sup>٣١</sup>

وأمر الاطراد في القياس جار في الترك كما هو جار في الاستعمال. أي كما أنه إذا كان الشيء موافقا للقياس قست عليه، فكذلك إذا كان ترك الشيء موافقا للقياس قست عليه وتركت كما تركوا. وإن كان شاذا في القياس فلا يقاس عليه. ويترك ما ترك بعينه كما قرر ابن جني. أي إذا كان استعمال العرب موافقا للقاعدة قسنا عليه وإلا فإنه يستعمل بعينه ولا يقاس عليه. وإن كان ترك العرب موافقا للقاعدة قسنا عليه، وإلا فإنه يترك ما تركوا بعينه ولا يقاس عليه. قال ابن جني: فإن كان الشيء شاذا في السماع مطردا في القياس تحاميت ما تحامت العرب من ذلك وجريت في نظيره على الواجب في أمثاله. من ذلك امتناعك من وذر وودع لأنهم لم يقولوها، ولا غرو عليك أن تستعمل نظيرهما نحو وزن وودع لو لم تسمعهما. فأما قول أبي الأسود:

ليت شعري عن خليلي ما الذي \* غاله في الحب حتى ودعه

فشاذ، وكذلك قراءة بعضهم: "ما ودعك ربك وما قلى"<sup>٣٢</sup> أي أن العرب لم تستعمل ودع وودر فهما شاذان في رأيه، وعلى هذا وجب اتباع العرب في هذا الترك لكن لا يقاس عليه. فلا نترك وزن وودع قياسا على ترك العرب لودع وودر لأن تركهم على غير قياس كما كان الأمر في الاستعمال.

### الهوامش والمراجع:

- ١- جلال الدين السيوطي: الاقتراح في علم أصول النحو. تح: أحمد مُجَدَّ قاسم. مطبعة السعادة القاهرة ط ١ ١٩٧٦. ص ٢٧.
- ٢- الاقتراح في علم أصول النحو ص ٢٧.
- ٣- أبو الفتح عثمان بن جني: الخصائص. تح: مُجَدَّ علي النجار. المكتبة العلمية د ط ١٩٥٢. ج ١ ص ١٨٩.
- ٤- لسان العرب مادة ( ق ي س )
- ٥- ابن الحاجب: منتهى الوصول والأمل في علمي الأصول والجدل. دار الكتب العلمية ط ١ ١٩٨٥. ص ١٦٦.
- ٦- أبو البركات عبد الرحمن بن مُجَدَّ الأنباري: لمع الأدلة في أصول النحو. تح: أحمد عبد الباسط. دار السلام القاهرة. ط ١ ٢٠١٨ ص ١٠٧.
- ٧- أبو البركات عبد الرحمن بن مُجَدَّ الأنباري: الإغراب في جدل الإعراب. (ضمن: رسالتان لابن الأنباري) تح: سعيد الأفغاني. دار الفكر بيروت ط ٢ ١٩٧١. ص ٤٥، ٤٦.
- ٨- لمع الأدلة في أصول النحو ص ١٠٧.
- ٩- أبو الفتح عثمان بن جني: المنصف. تح: إبراهيم مصطفى وعبد الله أمين. إدارة إحياء التراث القديم القاهرة. ط ١ ١٩٥٤. ج ١ ص ١٨٠. وينظر: الخصائص ج ١ ص ٣٥٧.
- ١٠- لمع الأدلة في أصول النحو ص ١١٠.

- ١١- لمع الأدلة في أصول النحو ص ١١٤ .
- ١٢- الخصائص ج ١ ص ٠٢ .
- ١٣- سعيد الأفغاني: في أصول النحو. مديرية المطبوعات الجامعية كلية الآداب دمشق ١٩٩٤ ص ٧٦
- ١٤- الخصائص ج ١ ص ٢٠٨ .
- ١٥- في أصول النحو ٨١، ٨٢ .
- ١٦- الخصائص ج ١ ص ٤٨ .
- ١٧- الخصائص ج ١ ص ٢٨٣ .
- ١٨- أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر: كتاب سيويه. تح: عبد السلام مُجَّد هارون. مكتبة الخانجي بالقاهرة. ط ٣ ١٩٨٨ . ج ١ ص ٣٢ .
- ١٩- الخصائص ج ١ ص ٢٥٠ .
- ٢٠- الخصائص ج ١ ص ٩٧، ٩٨ .
- ٢١- الخصائص ج ١ ص ١٢٦ .
- ٢٢- الخصائص ج ١ ص ١٢٦ .
- ٢٣- الكتاب ج ١ ص ٣٠ .
- ٢٤- الخصائص ج ١ ص ١٢٧ .
- ٢٥- الخصائص ج ١ ص ١١٥، ١١٦ .
- ٢٦- الخصائص ج ١ ص ٩٩ .
- ٢٧- لمع الأدلة في أصول النحو ص ١٢٤ .

- ٢٨- الخصائص ج ١ ص ١١٧.
- ٢٩- الخصائص ج ١ ص ١٤٣، ١٤٤.
- ٣٠- الخصائص ج ١ ص ١٢٣.
- ٣١- الخصائص ج ١ ص ١٢٥، ١٢٦.
- ٣٢- الخصائص ج ١ ص ٩٩.



## مفهوم المصطلحيات: اتجاهاتها وأهم نظرياتها

الدكتور الحاج موسى ثالث

وحدة اللغة العربية، قسم اللغات الإفريقية

جامعة القلم، كاتسينا، نيجيريا

[musalisu@auk.edu.ng](mailto:musalisu@auk.edu.ng)

### الملخص:

يهدف هذا البحث إلى عرض ومناقشة بعض القضايا النظرية المتعلقة بمفهوم "المصطلحيات" أو ما يعرف لدى بعض المختصين "بالمصطلحية" في الدرس اللساني الحديث؛ إذ إنَّ ثمة إشكاليات متعددة حول الموضوع بدءاً بتعدد المقابلات العربية الموضوعة عنواناً على المجال، ممَّا أوقع بعض المختصين والمترجمين في الفوضى المصطلحية، وُصولاً إلى الإشكالية المفهومية المتعلقة بتحديد مفهوم المصطلحيات بوصفها حقلاً معرفياً له مجال معرفي ينتمي إليه، ونظريات متعددة. وعلى ذلك يسعى هذا البحث إلى الوقوف على بعض القضايا المحدودة التي تتمثل في الوقوف على الترجمات العربية المتعددة لعنوان المجال، وتوضيح المفهوم، ثمَّ التطرُّق إلى مراحل نشأة المجال وتطوره، مع الوقوف على أهمَّ اتجاهات المصطلحيات ونظرياتها الحديثة، ومناقشتها، ثمَّ التطرُّق إلى مجال انتمائها، ومكوّناتها، ومنهج دراسة المصطلح وإجراءاته التطبيقية،

ثمّ التّعرض -أخيراً- إلى ما وضعه المصطلحيّون من مواصفات يتحتّم على المصطلح الجيّد استيفاءؤها.

### المقدمة:

إنّ قضية المصطلح من أدقّ القضايا التي شغلت العلماء قديماً وحديثاً، فقد حظي المصطلح باهتمام العلماء في القديم، وباهتمام الباحثين والدّارسين في عصرنا الحاضر، ولم يأت هذا الاهتمام من فراغ، ولا من ترفٍ فكريّ أو حضاريّ أو ثقافيّ، وإنّما كان تعبيراً عن أهمية المصطلح بوصفه مفتاحاً للعلوم ومفاهيمها، والحاجة المُستجدة إلى نقل العلوم والمعارف إلى اللّغة العربيّة. ولذلك أضحت الدّراسة المصطلحيّة في العُهود الأخيرة علماً ذا شأنٍ بين الدّراسات اللّغويّة الحديثة؛ إذ استقلت بمنهجها وموضوعها وهدفها ومصطلحاتها الخاصّة، ولم تُعدّ مجرد علمٍ مُتداخل الاختصاصات، أو فرعٍ من اللّسانيّات التّطبيقية كما يرى ذلك بعض الباحثين.

فالنّظريّات المصطلحيّة متعدّدة الاتجاهات والمناهج، فهناك اتّجاه يرى أنّ المصطلحيّات علمٌ متداخل الاختصاصات بما فيها اللّسانيّات، واتّجاه يرى أنّها فرعٌ من اللّسانيّات التّطبيقية، واتّجاه يرى أنّها اختصاصٌ قائم بذاته. وبناءً على اختلاف اتّجاهات المصطلحيّين، اختلفت رؤاهم حول المصطلح واختلفت تبعاً لذلك مناهجهم في تحليل المصطلحات. فقد

طور ي. فوستر (E. Wuster) مثلاً نظرية سماها النظرية العامة للمصطلحات، كما اقترحت ماريّا تريزا كابري (Maria Teresa Cabre) نظرية سمّتها نظرية البوابات، وحددت موقعا لهذه النظرية لتشمل مجال اللسانيات وجوانب مختلفة لنظرية المعرفة وعلوم الاتصال والإعلام. وبناءً على ما سبق، يُعنى هذا البحث بدراسة أهمّ الاتجاهات في تصنيف مجال انتماء المصطلحيات، ومناقشة بعض النظريات المصطلحية الكلاسيكية والحديثة، وإجراءاتها التطبيقية، وذلك بدءاً بذكر المصطلحات العربية الموضوعية عنواناً على هذا الحقل المعرفي، وتباين آراء المختصين والمترجمين في وضع المقابل المناسب لمصطلح (Terminology) الإنجليزي، أو (Terminologie) الفرنسي، وصولاً إلى مناقشة الاتجاهات والنظريات المختلفة وأسسها، وانتهاءً بذكر مواصفات المصطلح الجيد في الدراسة المصطلحية الحديثة.

### (أ) تعريف المصطلحيات

#### ١ - إشكالية المصطلح

أريدُ بالمصطلحيات في هذه الدراسة ما يقابل المصطلح الإنجليزي (Terminology) أو المصطلح الفرنسي (Terminologie). وقد تعددت المقابلات العربية الدالة على هذا الحقل المعرفي، شأنه شأن غيره من المصطلحات اللسانية الوافدة، منها: علم المصطلح،<sup>١</sup> وعلم

المصطلحات،<sup>٢</sup> وعلم الاصطلاح، وعلم الاصطلاح الحديث،<sup>٣</sup> والمصطلحية،<sup>٤</sup> والمصطلحيّات،<sup>٥</sup> واصطلاحية،<sup>٥</sup> ومصطلحاتية،<sup>٦</sup> والمعجمية المختصة النظرية،<sup>٧</sup> ومعجمية خاصة، ومعجمية متخصصة، وغيرها.

وهناك فوضى وتباين في استخدام تلك المقابلات لدى الباحثين العرب للإشارة إلى (Terminology) أو إلى الفرع التطبيقي منه أي (Terminography)، حيث نجد بعضهم مثلاً يستخدم مصطلح المصطلحية مقابلاً لـ (Terminography)، للدلالة على الجانب التطبيقي من هذا الحقل، أي الجانب المعني بقوائم المصطلحات ومعاجمها المتخصصة ووحداتها المصطلحية وضماً واستقراءً ووصفاً، أمّا الجانب النظري فيطلق عليه "علم المصطلح".<sup>٨</sup>

وثمة باحثون آخرون<sup>٩</sup> لا يفرّقون بين المصطلحية وعلم المصطلح من حيث الدلالة، بل يعدّونهما لفظتين مرادفتين لمصطلح (Terminology)؛ وأمّا مصطلح (Terminography)<sup>١٠</sup> فيضعون له مقابلات عربية متعدّدة أيضاً منها: المصطلحاتية،<sup>١١</sup> وصناعة المصطلح،<sup>١٢</sup> والتدوين المصطلحي،<sup>١٣</sup> ورصد المصطلحات،<sup>١٤</sup> والمعجمية المتخصصة التطبيقية،<sup>١٥</sup> وعلم المصطلح التطبيقي، وكذلك المصطلحية<sup>١٦</sup> أيضاً.

إنّ ثمة جانبين أساسيين في هذا الحقل المعرفي هما: (Terminology) و (Terminography)، ويدلّ كلّ منهما على مجال اهتماماته، فالمصطلح

الأول يطلق على الجانب النظري لهذا الحقل، في حين يطلق الثاني على الجانب التطبيقي منه، فالفرق بينهما كالفرق بين (Lexicology) و (Lexicography)، إذ ميّز المعجميون الأمريكيون بين المجالين فخصّصوا الأول للجانب النظري للمعجميات، أو ما يطلق عليه بعضهم المعجمية، وخصّصوا الثاني للجانب التطبيقي منه، أي عملية بناء المعجم، أو ما يسمّيه بعضهم المعجماتية، أو المعجمية التطبيقية، أو علم صناعة المعجم، تفرّيقاً بينه وبين المعجميات.

وقد تفاديتُ في هذه الدراسة استخدام علم المصطلح عنواناً لهذا الحقل المعرفي لسببين: أحدهما أنّ المصطلح المركّب، علم المصطلح، يكثر إطلاقه على المجال المعروف لدى علماء تدوين الأحاديث النبوية، فقد يتبادر إلى الذهن إذا أُطلق خارج سياق الدراسات اللغوية؛ وثانيهما أنّ ترجمة أيّ مصطلح علمي بلفظة مفردة إن أمكن، أولى من ترجمته بلفظتين مركبتين، كتفضيل ترجمة (Linguistics) إلى اللسانيات بدلاً من علم اللغة، لدى جمع غفير من الباحثين بناءً على توصية ندوات علمية متخصصة، وإن كان كثير من المترجمين درجوا على ترجمة اللاحقة (-logy) بـ (علم).

ويؤيد أحمد الخطيب هذه الفكرة<sup>١٧</sup> بقوله: "يُفضّل عند صياغة مرادفٍ عربيٍّ لمصطلحٍ علميٍّ أن يتكوّن هذا المرادف من كلمةٍ واحدةٍ،

بمحيث يمكن أن يُنسب إليها أو يُضاف إليها، كما يُنسب أو يُضاف إلى اللفظ الأجنبي<sup>١٨</sup>. وعلى هذا الأساس سُنُسْتَبَعَد بَقِيَّة المصطلحات المركبة والواصفة، مثل علم الاصطلاح، وعلم الاصطلاح الحديث، ودراسة مصطلحيَّة ومثيلاَتها.

وتميل هذه الدّراسة إلى تبني مصطلح المصطلحيّات مقابلًا لـ(Terminology)، بوصفه حَقْلًا عِلْمِيًّا، قياسًا على اللّسانيّات والرّياضيّات والصّوتيّات وما شابهها. وهذا وفق القاعدة القياسيّة، إذ يقول عبد الرّحمن الحاج صالح في ذلك: "تُفَضَّل الكلمة المولّدة الّتي اعتمد في وضعها على سنن كلام العرب في اشتقاقهم وطرق توليدهم، ونترك الطّرق الّتي لم يعرفها العرب واستعمال وزن أو بناء لم تستعمله إطلاقًا أو استعملته في الأصل لمعنى بعيد كلّ البعد عن المقصود. وذلك مثل "صوتم" و"أسلوبية" و"السنية" و"معلوماتية" وغيرها. ولهذا يتجنّب الاقتباس للأبنية الأجنبيّة أو الّتي لها مؤدّى بعيد عمّا هو مقصود (لم يستعمل المصدر الصناعي المختوم بـ "ية" أصلا للدلالة على الصّناعة أو العلم بل على الصّفة وكون الشّيء على هيئة وكيفيّة مدلولًا عليها باسم جنسٍ هو هذا المصدر. أمّا العلوم فإنّ العلماء تعودوا أن يضيفوا لفظة (علم) إلى الموضوع الخاص واختصروا ذلك بأن استعملوا بياء النّسب وصيغة الجمع المؤنّث السّالم مثل علم الطّبيعة = الطّبيعيّات، علم

الرياضة = الرياضيات، أو على صيغة جمع التّكسير، المناظر =  
البصريّات" ١٩.

## ٢- تعريف المفهوم

لقد وضعت المنظمة الدوليّة للتّقييس،<sup>٢٠</sup> أيزو (ISO) تعريفا مختصرا  
للمصطلحيّات وعزّفتها بأنّها دراسة علميّة للمفاهيم والمصطلحات  
المستعملة في اللّغات الخاصّة.<sup>٢١</sup>

وهناك من يقدّم تعريفاً شاملاً، يغطّي بذلك الجانبين النظريّ  
والتّطبيقيّ من هذا الحقل، فيعرّفه بأنّه "العلم الذي يُعنى بمنهجيات جمع  
المصطلحات وتصنيفها، ووضع الألفاظ الحديثة وتوليدها، وتقييس  
المصطلحات ونشرها".<sup>٢٢</sup> ويعرّف خوان ساچر (Juan C. Sager)  
المصطلحيّات بأنّها "دراسة وحقلٍ نشاطٍ يُعنى بجمع المصطلحات،  
ووصفها، ومعالجتها، وتقديمها؛ أي المفردات المعجميّة المنتمية إلى  
مجالات استعمال متخصّصة في لغة واحدةٍ أو أكثر".<sup>٢٣</sup>

فمجال اهتمام المصطلحيّات يكمن في "دراسة المصطلحات  
والبحث في طرق صياغتها (Term Formation)، واستعمالاتها،  
ودلالاتها، وتطوّر أنساقها، وعلاقتها بالعالم المدرك المحسوس".<sup>٢٤</sup> كما أنّ  
وظيفتها الأساسيّة تتمثّل في "دراسة الأنظمة المفاهيميّة (Systems of  
concepts) والعلائق التي تربطها داخل حقلٍ معرفيٍّ معيّن، بضبطٍ دقيقٍ

للمفاهيم والدلالات، وجرّد مستفيضٍ للألفاظ الحاملة، قصد إيجاد المقابلات الملائمة لها من حيث الشكل والمضمون، باحترام صارم للمقاييس اللغوية المتعارف عليها والمعمول بها".<sup>٢٥</sup>

ويمكن تقسيم **المصطلحيّات** بالنّظر إلى مجالها قسمين: مصطلحيّات عامة ومصطلحيّات خاصّة؛ فالمصطلحيّات العامّة هي ما يسمّيه المصطلحيّون النّظرية العامّة للمصطلحيّات (General theory of terminology)، وهي التي تُدعى حالياً بالنّظرية المصطلحيّة الكلاسيكيّة،<sup>٢٦</sup> وهي، كما ينقلُ محمود حجازي<sup>٢٧</sup> عن يوجن فوستر (Eugen Wuster)، تتناول طبيعة المفاهيم، وخصائصها، وعلاقتها، ونظمها، كما أنّها معنيّة بوصف المفاهيم تعريفاً وشرحاً، كما تتناول طبيعة المصطلحات ومكوّناتها، وعلاقتها الممكنة، واختصارات المصطلحات، والعلامات والرّموز، وأنماط الكلمات والمصطلحات. وتُعنى كذلك بتوحيد المفاهيم والمصطلحات، ومفاتيح المصطلحات الدّوليّة، وعمليّة تدوين المصطلحات، والمداخل الفكريّة ومداخل الكلمات، وتتابع المداخل وتوسيعها، وعناصر معطيات المفردات، ومناهج إعداد معجمات المصطلحات، وهذه كلّها قضايا منهجيّة عامّة لا ترتبط بلُغة معيّنة.

أمّا النّظرية الخاصّة للمصطلحيّات فتشمل القواعد الخاصّة بالمصطلحات في لغةٍ مفردةٍ، كالعربيّة، والفرنسيّة، والإنجليزيّة، والألمانيّة



وغيرها من اللغات، كما تُعنى بوصف المبادئ التي تحكم وضع المصطلح في حقول المعرفة المتخصصة، كالأحياء، والكيمياء والطب وغيرها؛ إذ إنّ لمثل هذه المصطلحات في مجالاتها المتخصصة (Subject field) سماتها وقضاياها الخاصة بها. فالنظرية الخاصة للمصطلحيات، إذن، تخدم النظرية العامة للمصطلحيات بما تمدها به من نظريات وتطبيقات تُثري البحث والتطبيق على مستوى عالمي.<sup>٢٨</sup> ويسهم عدد من المنظّمات الدوليّة المتخصصة في تطوير هذه النظريات الخاصّة.

ويعدّ مصطلح (Terminology) في اللّغة الإنجليزيّة، أو (Terminologie) في اللّغة الفرنسيّة من المصطلحات المتجانسة (Homonymous terms)؛ إذ إنّّه يستخدم عنواناً لهذا الحقل المعرفيّ بأكملة كما أسلفت، كما يستخدم في الوقت نفسه للدلالة على مجموعة مصطلحات مجال بعينه. وترى الباحثة ماريّا تريزا كابرّي (Maria Teresa Cabre) أنّ مصطلح (Terminology) لا يدلّ في هذا السّياق على مفهومين فقط، بل يشير في الأقلّ إلى ثلاثة مفاهيم مختلفة، هي:<sup>٢٩</sup>

أ- القواعد والأسس المفاهيميّة التي تحكم دراسة المصطلحات.

ب- الإرشادات المستخدمة في التّدوين المصطلحي (Terminographic work).

ج- مجموعة مصطلحات حقل معيّن.

فالمفهوم الأوّل يشير إلى مجال العلم بأكمله، والثاني يشير إلى منهج التطبيق وأساليبه، في حين يشير الثالث إلى مجموعة المصطلحات التي تمثّل منظومة من التصورات داخل حقل اختصاص (Subject Field) محدّد.

وتتناول المصطلحيّات ثلاثة جوانب متّصلة من البحث العلميّ والدراسة الموضوعيّة وهي:<sup>٣٠</sup>

أوّلاً، أنّها تبحث في العلاقات بين المفاهيم المتداخلة، مثل علاقات الجنس-النوع، والكلّ - والجزء، التي تتجلى في صورة منظومات مفهوميّة تشكّل الأساس في وضع المصطلحات المصنّفة التي تعبّر عن تلك المفاهيم. وبهذا المعنى، تكون المصطلحيّات فرعاً من علم المنطق، (Logic) وعلم الوجود (Ontology).

ثانياً، تبحث المصطلحيّات في المصطلحات اللّغويّة، والعلاقات بينها، ووسائل وضعها، وأنظمة تمثيلها في بنية علم من العلوم. وبهذا المعنى تكون المصطلحيّات فرعاً خاصّاً من فروع المعجميّات (Lexicology)، وعلم تطوّر دلالات الألفاظ (Semasiology).

ثالثاً، تبحث المصطلحيّات في الطّرق العامّة المؤدّيّة إلى إيجاد اللّغة العلميّة، بصرف النّظر عن التّطبيقات العمليّة في لغة طبيعيّة بذاتها.

ويُجْمَل آلن راي (Alain Rey) هذه النظرة في نقاط، مشيراً إلى أنّ المصطلحيّات تقيم أعمدهما على الدلالة، وعلى ذلك يمكن دراستها من ثلاث زوايا مختلفة ولكنها متكاملة هي:

أ- زاوية الإحالة.

ب- زاوية التسمية المعطاة للإحالة.

ج- زاوية معادلة التسمية والإحالة.<sup>٣١</sup>

وتأسيساً على هذا يرى أننا نحصلُ على ثلاثة أبعاد في النظرية المصطلحيّة هي:

١- بُعدٌ معرفيٌّ يربط الصيغ اللغويّة والمحتوى المفهوميّ.

٢- بُعدٌ لغويّ يفحص الصيغ اللغويّة الفعلية والكامنة لتمثيل المصطلحات.

٣- بُعدٌ تواصلّي ينظر في استعمال المصطلحات.<sup>٣٢</sup>

فموضوع المصطلحيّات ومجال بحثها، بناءً على جميع ما ورد أعلاه، هو المصطلح (Term) وكلّ ما يمتّ إليه بصلة، وله عدّة تعريفات في الدّراسات المصطلحيّة الحديثة، منها تعريف مؤسّسة "أيزو"، وتعرّفه بأنّه "تعيين (designation) عن طريق وحدة لغويّة لمفهوم معرّف في لغة

اختصاص<sup>٣٣</sup>. وقد تكون هذه الوحدة اللغوية كلمة مفردة أو مجموع كلمات تدلّ على هذا المفهوم المعين. ويسوق باحث مصطلحيّ آخر،<sup>٣٤</sup> تعريفاتٍ أخرى للمصطلح استقاها من مصادر فرنسيّة مختلفة، منها أنّ المصطلح "عبارةٌ تُستعمل للتعبير عن المفاهيم الخاصّة"؛ ويعرّفه دانيال كُواداك (Daniel Gouadec) بأنّه "وحدة لغويّة تعيّن مفهوماً، أو موضوعاً، أو عمليّة محدّدة"<sup>٣٥</sup>. ويعرّفه هلموت فيلبر (Helmut Felber) بأنّه "الرّمز اللغويّ المحدّد لمفهوم واحد"<sup>٣٦</sup>. وهو عند بيير ليرا (Pierre Lerat) "كلمةٌ بسيطةٌ أو مركّبة، فيزيائياً، تنتمي إلى لغةٍ طبيعيّة، كما يعدّ سيميائياً تسمية اصطلاحية لمفهوم تقني في وسطٍ علمي"<sup>٣٧</sup>.

ونخلصُ من جملة هذه التعريفات، على ما فيها من تشابه، إلى أنّ المصطلح رمزٌ لغويّ، قد يكون كلمةً مفردةً، أي مصطلحاً بسيطاً (Simple Term)؛ أو مركّبة، أي مصطلحاً مركّباً (Compound Term)، أو مصطلحاً معقّداً (Complex Term)، وقد يتكوّن المصطلح من رُموزٍ، وكلّها تُصاغُ للدلالة على مفهومٍ علميٍّ محدّدٍ، في حقلٍ علميٍّ معيّن. ففي حين تدلّ الكلمة المعجميّة على المعنى (meaning)، نجد المصطلح يشير إلى مفهوم (concept) ينتمي إلى حقلٍ معرفيٍّ محدّد. وبعبارةٍ أخرى، إنّ الكلمة تنتمي إلى اللغة العامّة، في حين ينتمي المصطلح إلى اللغة المتخصّصة، ويُوظّف لتسمية المفاهيم.

## شروط المصطلح الجيد:

يتحتم على المصطلح المثالي (Ideal term)، كما يقول پيشت ودراسكاو، أن يفي بكلّ الشروط التالية، إذ يتعدّر توقّرها كلّها في المصطلح الواحد، وهي: وجود حافزٍ واضحٍ على وضعه، وأن يكون منطقيًا ومستغنيًا، إلى حدّ بعيدٍ، عن الشرح، ومتفقًا، وُجوبًا، مع القواعد التركيبيّة للغة، كما يجب أن يكون قابلاً للاشتقاق، وبعيدًا عن الإبهام والحشو، وموجزًا إيجازًا غير مخلّ بوضوحه؛ ويفضّل أن يستغني عن التّرادف المصطلحيّ، والتّعدديّة المعنويّة، والاشتراك اللفظي،<sup>٣٨</sup> وأن يتّسم، كما يقول الخطيب، بدرجة العالميّة، بالإضافة إلى اتّسامه بالدقة المتناهية، والوحدة، وأن يحمل المصطلح مفهوم مدلوله، ويوافقه في المعنى والبنية.<sup>٣٩</sup>

ومن القضايا المهمّة المتعلّقة بالمصطلح، الكشف عن أنواع العلاقات بين المصطلحات والمفاهيم، كعلاقة التّرادف (Synonymy)،<sup>٤٠</sup> وعلاقة الاشتراك اللفظي (Polysemy)،<sup>٤١</sup> وأحاديّة المفهوم (Monosemy)،<sup>٤٢</sup> وأحاديّة التّسمية (Mononymy)،<sup>٤٣</sup> وعلاقة التّجانس (Homonymy)،<sup>٤٤</sup> وعلاقة التّقابل (Equivalence)،<sup>٤٥</sup> كما أنّ هناك أنواعًا من العلاقات بين المفاهيم بعضها ببعض، كالعلاقات المنطقيّة (Logical Relations)، والعلاقات الوجوديّة (Ontological Relations)، والعلاقات الزّمنيّة (Temporal Relations).

## (ب) نشأة المصطلحيّات وتطوّرها

لقد كان التّقدم في مجال العلوم الطّبيعيّة وراء الحاجة إلى الحديث والكتابة عن المفاهيم (Concepts) والظواهر (Phenomena) بدرجة من الاختصاص، بغية تسهيل سبل التّواصل بين المختصين في مجال تخصصاتهم. وعلى الرّغم من قولهم إنّ ظهور المصطلحيّات بوصفها مجالاً تخصصياً ظاهرة حديثة نسبياً، فمن غير المنازع عليه أنّ العلماء على مرّ العصور دأبوا على تهذيب المعلومات وتقديمها بطريقة منظّمة في المعاجم، سواء في معاجم عامة أو في معاجم خاصّة.<sup>٤٦</sup>

وقد تحدّث المصطلحيّ الفرنسيّ آلن راي (Alain Rey) بشيء من التّفصيل عن جذور الدّرس المصطلحيّ وبدايته، وعزا ذلك إلى عصر أفلاطون، ومن عصر أفلاطون إلى القرن السّادس عشر الميلادي وما بعده؛ كما أشار إلى أنّ الفلاسفة العرب، واللّغويّين، والمعجميّين قد كتبوا عنه منذ القديم. فقد كان العرب القدامى، كما يشير جواد سماعنة أيضاً، "على وِعْيٍ بأهميّة المعجم المصطلحيّ المختصّ عندما ألفوا المعاجم المختصّة وأعطوها من العناية ما جعلها تبدو قرين المعجميّة العامّة أحياناً، كمعاجم الموضوعات العامّة، وأحياناً أخرى ذات نزعة واضحة نحو الاستقلال كما في المعاجم العلميّة والفنيّة".<sup>٤٧</sup> وقد مرّ الدّرس المصطلحيّ الكلاسيكيّ في أوروبا بعدّة أطوار متتابعة منذ القرنين السّابع

عشر والثامن عشر الميلاديين، وُصُولًا إلى القرن العشرين، لا أرى داعيًا للحديث عن تفاصيلها هنا، بل يمكن الرجوع إليها في مظاهرها.<sup>٤٨</sup>

أما المصطلحيات الحديثة بمجالها التطبيقي والنظري، فقد ظهرت في الثلاثينيات من القرن العشرين على يد المهندس النمساوي يوجين فوستر (Eugen Wuster). أما الجانب التطبيقي ففي أطروحته للدكتوراه التي طبعت عام ١٩٣١م، بعنوان: التوحيد الدولي للغة التقنية (Internationale sprachnormung in der Technik, besondesin der Elektrotechnik)، وكان الهدف من ورائها وضع قاموس يُعنى بلغة التقنية ومصطلحاتها، بعد إدراك فوستر ما في التقنية من مشكلات لغوية تعدّ تحديًا للمهندس المبتدئ. وكان اتجاهه في العمل تطبيقيًا؛ لأنّ الدّراسة المصطلحية ممارسة وتطبيق أكثر منها نظرية فقط، فلم تكن النظريات والمبادئ التي يُعتمد عليها في الدرس المصطلحي الحديث قد تشكلت وتبلورت آنذاك، وإنما سعى فوستر إلى استنتاجها لاحقًا في مؤلف آخر ألفه بعد حوالي ثلاثين عامًا من تقديم تلك الأطروحة، فأولى المصطلحيات فيه حقها من التنظير الساعي إلى حلّ مشكلات التبليغ اللغوي في الدرجة الأولى.<sup>٤٩</sup>

ويمكن القول، إجمالًا، إنّ المصطلحيات الحديثة مرّت بأربع مراحل رئيسة هي:<sup>٥٠</sup>

- مرحلة النشأة (The Origins) من ١٩٣٠م إلى ١٩٦٠م.
- مرحلة تشكّل المجال وتكوّنه (structuring of the field)، من ١٩٦٠م إلى ١٩٧٥م.
- مرحلة الازدهار (The Boom) من ١٩٧٥م إلى ١٩٨٥م.
- مرحلة التوسّع والامتداد (Expansion) من ١٩٨٥م إلى الوقت الحاضر.

أمّا مرحلة النشأة (١٩٣٠م-١٩٦٠م) فتميّزت باهتمامها بوضع مناهج تساعد على صياغة منهجية وعلمية للمصطلحات. وقد ظهرت النصوص النظرية الأولى لكلّ من فوستر (Wuster) ولوط (Lott) في هذه الفترة. وأمّا المرحلة الثانية (١٩٦٠م-١٩٧٥م)، فأبرزت تطوّر لحقّ المصطلحيّات خلالها جاء نتيجةً لتطوّر أجهزة الحواسيب الكبيرة، وتقنيات توثيق المعلومات (Documentation) وحفظها. ففي هذه المرحلة ظهرت بُنوك المعلومات (Data Banks) الأولى، كما بُدئ في التنسيق الدوليّ لمبادئ معالجة المصطلحات ( Terminology processing)، فبدأت المحاولات الأولى لتقييس المصطلحات داخل لغات معينة. أمّا المرحلة الثالثة، وهي مرحلة الازدهار بين ١٩٧٥م-١٩٨٥م، فاتّسمت بانثاق التخطيط اللغويّ والمشاريع المصطلحية. وقد برزت في هذه الفترة، وبشكل ملحوظ، أهمية دور المصطلحيّات في



عَصْرَنَةُ اللّغَةِ وتحديثها، حيث أدّى انتشار الحواسيب الشّخصيّة إلى تغيير جوهريّ في أوضاع معالجة البيانات المصطلحيّة ( Terminological (data).<sup>٥١</sup>

وأما في المرحلة الأخيرة لتطوّر المصطلحيّات، مرحلة التّوسّع والامتداد (١٩٨٥م- إلى الوقت الراهن)، فتعدُّ علوم الحاسب واحدة من أهمّ العوامل التي أسهمت خلالها في تقدّم المصطلحيّات، حيث أصبح بحوزة المصطلحيين الأدوات والموارد التي يتمّ تكييفها وتوظيفها بشكل أفضل لتلبية احتياجاتهم، علاوةً على كونها سهلة الاستعمال، وأكثر فعالية. كما وُسّع نطاق التّعاون الدّولي وتعزيزه، وذلك بإنشاء شبكات دولية للربط بين المؤسّسات والدّول التي تجمعها سمات مشتركة، أو ترغب في التّعاون فيما بينها. كما شهدت المرحلة حركة تبادل للمعلومات، وتعاوناً دولياً في تدريب المصطلحيين.<sup>٥٢</sup>

### (ج) مكّونات المصطلحيّات

تتكوّن النظريّة العامّة للمصطلحيّات حسب ما يورد كلّ من پيشت ودراسكاو (H. Picht and J. Draskau) من بعض الفروع التّقليديّة للسانيات ومنها: علم الدّلالة، والمعجميّات (Lexicology)، وصناعة المعجم (Lexicography)، وكذلك المنطق، والفلسفة بمعناها الواسع لعلاقتها الوطيدة بمباحث دراسة المفاهيم وتكوينها وصياغتها.

فالدراستات المصطلحيّة الحديثة، علاوةً على ما سبق، تتبادل التأثير مع كثيرٍ من حُقول المعرفة، كالمعلوماتيّة (Information Science)، وعلم الوجود (Ontology)، والتوثيقية (Documentation)، وعلوم الحاسب، ونظرية الاتصال، واللسانيّات. "فكلّ هذه العلوم تتناول، في جانبٍ من جوانبها، التنظيم الشكليّ للعلاقة المعقّدة بين المفهوم والمصطلح".<sup>٥٣</sup> ولهذا السبب وغيره اختلف الباحثون في تعيين مجال الانتماء الحقيقيّ للدّرس المصطلحيّ الحديث لتقاطعه مع تخصّصات أخرى في النظرية والتّطبيق على حدّ سواء، كما سيّضح أدناه.

#### (د) تصنيف المصطلحيّات ومجال انتمائها

هناك سؤالٌ منهجيّ يقتضيه السّعي إلى تحديد دقيق لمجال المصطلحيّات بناءً على ما تمّت الإشارة إليه أعلاه، وهو: إلى أيّ مجالٍ من مجالات المعرفة ينتمي الدّرس المصطلحيّ الحديث؟ أو بعبارةٍ أخرى، تحت أيّ صنف من العلوم يمكن تصنيف المصطلحيّات الحديثة نظرًا إلى تعدّد الحُقول المعرفيّة التي تستمدّ منها بعض معطياتها في بناء نظريّاتها، وتحليل بياناتها المصطلحيّة (Terminological data)، وتصنيفها، ومن ثمّ تدوينها وحفظها، سواء في بنوك المصطلحات أو في معاجم مختصّة.

وهناك ثلاثة اتجاهات متباينة في هذا الصّدّد.<sup>٥٤</sup> فالأبجاء الأوّل يرى أنّ المصطلحيّات فرعٌ من فروع اللسانيّات التّطبيقية،<sup>٥٥</sup> باعتبارها نَوْامًا

للمعجميات. والفرق الجوهرى بينهما أنّ المعجميات تُعنى باللّغة العامّة بالتركيز على مفردات اللّغة، والانطلاق من المفردات نفسها لتحديد معانيها، في حين تُعنى المصطلحيات باللّغة الخاصّة؛ أي لغة الاختصاص (special language) وتركز على المفاهيم وتنطلق منها إلى صياغة المصطلحات التي تدلّ عليها. كما أنّهما يختلفان في أهدافهما ومناهجهما في التعامل مع مادّتهما. فمجال المعجميات، إذن، أوسع من مجال المصطلحيات لاشتماله عليها، وعلى هذا الأساس أخّص إلى أنّ المصطلحيات فرعٌ من المعجميات.

ويميل الاتجاه الثّاني إلى أنّها حقلٌ متداخل الاختصاصات (Interdisciplinary Field)،<sup>٥٦</sup> من غير حصره في مجال اللّسانيّات التطبيقية. ويتجلّى تشابك المصطلحيات بغيرها من حقول المعرفة، وعدم استقلاليتها بنظرية خاصّة، في استعانتها بمباحث المنطق والفلسفة في تناول المفاهيم ودراسة أنواع العلاقات بين أنظمة المفاهيم، وقضية التعريف، وكذلك اعتمادها على مباحث اللّسانيّات فيما يتعلّق ببناء المصطلح وصياغته ودلالة كلماته، كما لا يخفى دور علم التصنيف، والتوثيق، وعلوم الحاسب، في عمل التدوين المصطلحيّ بمراحله المختلفة التي يمرّ عبرها إلى أن يتمّ وضع معاجم متخصصة، أو إنشاء بنوك المصطلحات.

أمّا الاتجاه الثالث، فيذهب إلى أنّها علمٌ مستقلّ قائم بذاته،<sup>٥٧</sup> وله نظريته الخاصة. لكنّ هذا الادّعاء لا يستقيم، خصوصاً إذا عرفنا أنّ المصطلحيّات ليست غايةً في حدّ ذاتها، كما أنّ مهمتها لا تقتصر فقط على جمع مجموعة من المفاهيم وتسميتها، وإنّما وُجدت المصطلحيّات أساساً لخدمة العلوم، والتكنولوجيا، والاتّصال، وعليه يكون دورها في حدود تقديم خدماتٍ لتخصّصاتٍ أخرى، بحيث يتعاون كلٌّ من المصطلحيّين والمختصّين في مجالاتٍ معرفيةٍ معينةٍ لتقيس المصطلحات (Standardization of Terminology) والمفاهيم في كلّ مجالٍ بعينه. وتجدر الإشارة هنا إلى أنّ المدارس المصطلحيّة الكلاسيكيّة<sup>٥٨</sup> كلّها مبنية على النّظرية العامّة للمصطلحيّات، على ما بينها من اختلافات بسيطة في الرّؤى والتّناول لبعض الجزئيّات.

#### (هـ) أهمّ النّظريّات في المصطلحيّات الحديثة

سبقت الإشارة إلى أنّ يوجين فوستر (Wuster Eugen) هو من أرسى كثيراً من أصول ما يُعرف بالنّظرية المصطلحيّة الحديثة بشقيها النّظريّ والتّطبيقيّ، وتسمّى نظريته النّظرية العامّة للمصطلحيّات (General theory of terminology)، وعلى أساس مبادئ هذه النّظرية تعتمد المنظّمة الدوليّة للتّقييس (ISO) في تقييس المصطلحات عن طريق لجنّتها المتخصّصة؛ لجنة التّقنية ٣٧، المكوّنة خصّيصاً لهذا الغرض. كما

أنّ المدارس المصطلحيّة الكلاسيكيّة، على ما بينها من اختلافات يسيرة، نشأت على أساس هذه النظريّة، التي تقوم على المبادئ الآتية:

١- موضوعات الدّراسة لهذه النظريّة هي المفاهيم، وهي منقولة إمّا عن طريق وحدات لغويّة، أو بتحديدات إشاريّة غير لغويّة. وغالبا ما تكون هذه الوحدات خاصة بميادين اختصاصيّة معيّنة وذات استعمالات نوعيّة ومحصورة.<sup>٥٩</sup>

٢- تنطلق المصطلحيّات من المفاهيم، للوصول إلى المصطلحات التي تعبّر عنها، فالمفهوم أسبق وجودًا من التّسميّة.

٣- تنتهج المصطلحيّات منهجا وصفيّا.

٤- تمهّدُ المصطلحيّات إلى التّخطيط اللّغويّ، وتدعو إلى التّقييس (standardization) والتّنميط (Normalisation). ويكون هذا التّقييس إمّا في إطار أحاديّ اللّغة، في حالة التّواصل المهنيّ الوطنيّ، أو في ظلّ متعدّد اللغات في حالة التّواصل الدّوليّ.

٥- المصطلحيّات علمٌ متداخل بين اللّغات (Interlingual).

٦- تختصّ المصطلحيّات غالبًا باللّغة المكتوبة.<sup>٦٠</sup>

تلك هي السّمات الأساسيّة للمصطلحيّات كما حدّدها فوستر (Wuster)، وعليها قامت نظريّته للمصطلحيّات. وعلى الرّغم من اعتماد المؤسّسة الدّوليّة للتّقييس على مبادئ هذه النظريّة لأهمّيّتها، بعد تطويرها

وإجراء بعض التعديلات عليها، فإنها، كما يقول يوسف مقران، "تشهد حالياً قصوراً جعل الذين تعاملوا كثيراً معها يطلقون عليها تسمية: النظرية الكلاسيكية للمصطلحيات"،<sup>٦١</sup> فلم تسلم من انتقادات لبعض مبادئها من قبل مصطلحيين آخرين. فقد اقترحت الباحثة المصطلحية ماريا تريزا كابرّي، مثلاً، نظرية سمّتها "نظرية البوابات" (Ports Theory)، وتؤكد أنه ليس هناك اتجاه علمي واحد لدراسة المصطلحات، وإنما عدّة اتجاهات يمكن الانطلاق منها لدراسة المصطلحات وتحليلها، وسمّت هذه المنطلقات بالبوابات (Ports)، وأهمّها تتجلى في الاتجاهات التالية:<sup>٦٢</sup>

١- تمثّل المصطلحيات في نظر اللسانيين جزءاً من المعجم الخاص، الذي يتحدّد بالموضوع وبالاستعمال التداولي.

٢- أمّا عند المختصّين في مجال ما، فهي انعكاس شكلي للمنظومة المفهومية لموضوع خاص، ووسيلة ضرورية للتعبير والتواصل بين المختصّين.

٣- وأمّا لدى مستعمليها، بطريقة مباشرة أو غير مباشرة، فالمصطلحيات مجموعة وحدات تواصلية عملية ومفيدة، يتمّ تقييمها من وجهة نظر الاقتصاد، والدقّة، (precision) ومدى الملاءمة للتعبير.

٤- وأمّا عند خبراء التخطيط اللغويّ (Language Planners)، فالمصطلحيات مجال لغويّ يتطلّب تدخلاً من خبراء التخطيط أنفسهم،

لتأكيد فائدته والعمل على بقاءه، وضمان استمراره بوصفه وسيلة للتعبير عن مستجدات العصر.

ويستخلص مما سبق أنّ المصطلحيّات، كما ترى كابري، تعني شيئاً مختلفاً لفئاتٍ مختلفةٍ من المختصّين، وبناءً عليه اختلفت رؤاهم حولها، وتبعاً لذلك اختلفت أهدافهم، وغاياتهم، ومناهج تطبيقاتهم للدرس المصطلحيّ.

وكما فعلتُ كابري وغيرها، تنتقد ريتا تيمرمن (Rita Temmerman)، مبادئ النظرية العامة للمصطلحيّات، في كتاب لها بعنوان: "نحو طرق جديدة لوصف المصطلحات"،<sup>٦٣</sup> واقترحتُ منهجاً وصفيّاً جديداً لدراسة المصطلحات ووصفها، سمّته الاتجاه المعرفي الاجتماعيّ (Socio-cognitive approach) وانتقدتُ فيه نظرية فوستر بأحما غير واقعية؛ إذ إنّ جلّ اهتمامها كان منصباً في التّقييس المصطلحيّ والسّبل المؤدّية إليه، عن طريق توحيد المسمّيات من قبل الهيئات الوطنيّة والدّوليّة بالتعاون مع المختصّين، والاتّفاق على تسميات محدّدة لمفاهيم معيّنة. وعلى الرّغم من أهميّة التّقييس في العمل المصطلحيّ، فإنّه - كما تقول تيمرمن - يمثّل جانباً واحداً فقط من جوانب أخرى متعدّدة يجب على النّظرية المصطلحيّة الاهتمام بها. وهذا، كما ترى تيمرمن، هو الخطأ الذي وقعت فيه النّظرية الكلاسيكيّة، حيث تنشر مبادئ التّقييس على أحما

النّظريّة العامّة للمصطلحيّات. فللمصطلحيّات، على حدّ قولها، دورٌ في كثيرٍ من المواقف الاتّصاليّة والمعرفيّة الأخرى، ولكنّ المبادئ والمناهج في المصطلحيّات الكلاسيكيّة لم تأخذ ذلك في الحسبان.<sup>٦٤</sup>

وتقترح تيمرمن، من جملة ما تقترح من مبادئ، دراسة المصطلحات من خلال النّصوص، مجردها وفحص أبعادها المعرفيّة (Cognitive) والاجتماعيّة، والانطلاق ممّا أسمته وحدات تفاهم (units of understanding) لا من المفاهيم (Concepts) كما هو الشأن في النّظريّة الكلاسيكيّة.<sup>٦٥</sup>

#### (و) مناهج دراسة المصطلح

هناك عدّة مناهج لتحليل المصطلحات في الدّراسات المصطلحيّة الحديثة، وأكثر تلك المناهج إجرائيّة هي:<sup>٦٦</sup>

المنهج الوصفيّ: ويستخدم في وصف المصطلحات عن طريق جمع الحقائق المتعلّقة بها، ومقارنتها، وتحليلها، وتفسيرها.<sup>٦٧</sup>

المنهج التّاريخي: ويستخدم للبحث في دراسة المصطلحات العلميّة بتحديد منشئها، وسمات تطوّرها، ويحين أوانه بعد المرحلة الوصفيّة للمنظومات المصطلحيّة القديمة والحديثة.

المنهج الوصفيّ التّاريخي: ويهدّف إلى الجمع التّطبيقيّ بين المنهجين السّالفيّ الذّكر في دراسة المصطلح وتحليله، والإعمال التّزامني لأصولهما وقواعدهما.



المنهج المعياري: الذي يمكن اعتماده في تشييد المعجم الأساسي، نظراً إلى اتصاله بتشبيد المعاجم اللغوية العامة.

المنهج المقارن: ويستخدم في المقابلة بين منظومات مصطلحية في مجال معرفي واحد، أو في مجالات معرفية مختلفة تنتمي إلى لغتين أو لغات متعدّدة. أمّا خطوات تحليل المصطلح، فتختلف باختلاف المنهج المعتمد في دراسة بعينها.

#### الخاتمة:

سعيّت في هذه الدّراسة إلى الوقوف على أهمّ المقابلات العربية الموضوعية عنواناً على هذا الحقل المعرفي، واتّضح أنّ اللّسانيّين العرب والمترجمين، لم يتفقوا على مصطلح عربيّ واحد يصلح مقابلاً لمصطلح (Terminology) الإنجليزي، بل تعدّدت ترجماتهم إلى أكثر من عشرة مصطلحات مختلفة، كما وقفنا على الآراء المتباينة حول النّظرية المصطلحية والمقصود بها، وما تعرّضت له النّظرية الكلاسيكية للنّظرية المصطلحية من انتقادات من بعض المختصّين على الرّغم من اعتمادها من المنظمة الدّولية للتّقييس في عمليّة التّقييس المصطلحيّ. وخلصت هذه الدّراسة إلى بعض النّتائج منها:

١- كثرة المصطلحات العربية الموضوعية مقابلات للمصطلح الإنجليزي (Terminology)، ممّا يعني عدم اعتماد مصطلح واحد ليكون عنواناً لهذا الحقل المعرفي.

٢- ليس كل مصطلح شائع ينطبق عليه شروط المصطلح الجيد، بل لا بدّ للمصطلح الجيد أن يفي ببعض الشروط التي وضعها المصطلحيون.

٣- وجود بعض الباحثين الذين يرون أنّ المصطلحيات علم متداخل الاختصاصات بما فيها اللسانيات؛ إذ إنّها -على رأيهم- تستمدّ بعض أدواتها الإجرائية والتطبيقية من اللسانيات وغيرها من حقول المعرفة المختلفة، لوضع الأسس النظرية والخطوات التطبيقية التي تساعد المختصين على صياغة المصطلحات التي تعبّر بدقّة عن مفاهيم المجالات التي تنتمي إليها تلك المصطلحات.

٤- ظهور بعض النظريات المصطلحية بقوة في الآونة الأخيرة، خصوصاً من كابري وتيمرمن، ورواج بعض نظريّاتهما لدى المختصين على الرّغم من اعتماد نظرية فوستر الكلاسيكية لدى المنظمة الدولية للتقييس في عملية التقييس المصطلحي.

#### الهوامش والمراجع:

- ١- محمود فهمي حجازي، الأسس اللغوية لعلم المصطلح، (مكتبة غريب، القاهرة، ١٩٩٣م)، ص ٧، وعلي القاسمي، علم المصطلح: أسسه النظرية وتطبيقاتها العملية، (مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، لبنان، ط ١، ٢٠٠٨م)، ص ٩

- ٢- جواد حسني سماعنة، "نظرية المفاهيم في علم المصطلحات"، اللسان العربي، ع ٤٧، ١٩٩٨م، ص ١٨٧، وعبد السلام أرخصيص، "إشكالات تأسيس علم المصطلحات في الثقافة العربية المعاصرة"، اللسان العربي، ع ٤٦، ١٩٩٨م، ص ١٢٠
- ٣- إيناس كمال الحديدي، المصطلحات النحوية في التراث النحوي في ضوء علم الاصطلاح الحديث، (دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، ط ١، ٢٠٠٦م)، ص ١٧، و ٣١
- ٤- هلموت فيلبر، "المصطلحية في عالم اليوم"، ترجمة: محمد حلمي هليل، اللسان العربي، ع ٣٠، ١٩٨٨م، ص ٢٠١، ومحمد رشاد الحمزاوي، "في سبيل نظرية مصطلحية عربية ممكنة"، مجلة المعجمية، تونس، ع ٨٤، ١٩٩٢م، ص ٢٧، وعبد السلام المسدي، قاموس اللسانيات، ومقدمة في علم المصطلح (الدار العربية للكتاب، ١٩٨٤م)، ص ٢٢
- ٥- محمد حلمي خليل، "نحو تعليم المصطلحيات والتدريب عليها"، اللسان العربي، ع ٣٢، ١٩٨٩م، ص ١٠١، ويوسف مقران، المصطلح اللساني المترجم: مدخل نظري إلى المصطلحيات، (دار ومؤسسة رسلان للطباعة والنشر، دمشق، ط ١، ٢٠٠٩م)، ص ٩، و ١٧
- ٦- حلام الجيلالي، "المصطلحية: دراسة في المفهوم والتعريف"، مجلة الحضارة الإسلامية ع ٣ (خاص بالملتقى الدولي حول المصطلح

العلمي في التراث الإسلامي، العلوم الشرعية والإنسانية) المعهد الوطني للتعليم العالي للحضارة الإسلامية، وهران، نوفمبر، ١٩٩٧م، ص ٢٢٢

٧- إبراهيم بن مراد، مقدمة لنظرية المعجم، (دار الغرب الإسلامي،

بيروت، ط ١، ١٩٩٧م) ص ١٠١

٨- جواد حسني عبد الرحيم سماعة، "المصطلحية العربية المعاصرة: التباين

المنهجي وإشكالية التوحيد"، اللسان العربي، ع ٣٧، ١٩٩٣م، ص

١٦١

٩- انظر: علي القاسمي، المصطلحية: مقدمة في علم المصطلح، (دائرة

الشؤون الثقافية، بغداد، ١٩٨٥م)، ص ١٢، وانظر: "معجم

مفردات علم المصطلح"، اللسان العربي، ع ٢١، ١٩٨٢م، ص ٢٠٧

١٠- أول ما اقترح هذا المصطلح على حد قول ألين راي، كان بالفرنسية

عام ١٩٥٧م. اقترحه المصطلحي الروسي (E. Natanson) انظر:

Alain Ray, Essays on Terminology, John Benjamin Publishing Company, Amsterdam/Philadelphia, 1995. p 190

١١- حلام الجيلالي، "التعريف المصطلحي"، اللسان العربي، ع ٤٢،

١٩٩٦م، ص ١٨٥

١٢- علي القاسمي، علم المصطلح، مرجع سابق، ص ٢٦٤

١٣- هلموت فيلبر، "المصطلحية في عالم اليوم"، ترجمة: محمد حلمي هليل،

اللسان العربي، ع ٣٠، ١٩٨٨م، ص ٢١٣

- ١٤- محمد حلمي هليل، "نحو تعليم المصطلحيات والتدريب عليها"،  
اللسان العربي، ع ٣٢، ١٩٨٩م، ص ١٠١
- ١٥- إيناس الحديدي، المصطلحات النحوية في التراث اللغوي، مرجع  
سابق، ص ٣٠
- ١٦- إبراهيم كايد محمد، "المصطلح ومشكلات تحقيقه"، اللسان العربي،  
عدد مزدوج ٥٦ و ٥٥، ٢٠٠٣م، ص ١١
- ١٧- وهي مبنية على قرار مجمع اللغة العربية بالقاهرة.
- ١٨- أحمد شفيق الخطيب، "منهجية وضع المصطلحات العلمية الجديدة"،  
مع ترجمة للسوابق واللواحق الشائعة، اللسان العربي، مج ١٩، الجزء  
الأول، الرباط، ١٩٨٢م، ص ٣٨، وانظر: توصيات ندوة توحيد  
منهجيّات وضع المصطلح العلمي العربي التي أقيمت في الرباط،  
اللسان العربي، المجلد (١٨) الجزء (١)، ١٩٨٠م، ص ١٧٥
- ١٩- عبد الرحمن الحاج صالح، "كلمات الوفود المشاركة في المؤتمر الخامس  
للتعريب المنعقد في عمان، اللسان العربي، ع ٢٧، ص ٦٩-٧٠
- ٢٠- International Organization For Standardization (ISO)
- ٢١- ISO, 1087, Terminology Work\_ Vocabulary, Part 1, Theory  
and Application,( British Standard, 2000) 54pp
- ٢٢- جواد حسني سماعنة، "المصطلحية العربية بين القديم والحديث"،  
اللسان العربي، ع ٤٩، يونيو ٢٠٠٠م، ص ٩٤

- ٢٣- C. J. Sager, A Practical Course in Terminology Processing, John Benjamins Publishing Company, Amsterdam/Philadelphia, 1990. p 2
- ٢٤- Gouadec Daniel, Terminology Constitution des donnees; afnor gestion, paris, p 12
- ٢٥- ليلي المسعودي، "علم المصطلحات وبنوك المعطيات"، اللسان العربي، ٢٨٤، ١٩٧٨م، ص ٨٥
- ٢٦- يوسف مقران، المصطلح اللساني المترجم: مدخل نظري إلى المصطلحيّات، مرجع سابق، ص ٤٤
- ٢٧- محمود فهمي حجازي، الأسس اللغويّة لعلم المصطلح، مرجع سابق، ص ١٩-٢٠، وانظر: علي القاسمي، علم المصطلح: أسسه النظرية وتطبيقاته العملية، مرجع سابق، ص ٢٧٣
- ٢٨- محمود حجازي، مرجع سابق، ص ٢٠، وعلي القاسمي، علم المصطلح، مرجع سابق، ص ٢٧٣-٢٧٤
- ٢٩- Maria Teresa Cabre, Terminology: Theory, Methods and Application, John Benjamins Publishing Company, Amsterdam/ Philadelphia, 1999. P 32
- ٣٠- علي القاسمي، علم المصطلح، مرجع سابق، ص ٢٧٠، وانظر أيضاً: Maria T. Cabre, Terminology, Ibid, p. 8
- ٣١- Alain Rey, A practical course in Terminology processing, op.cit, p 8 وانظر: محمد خطابي، مقال بعنوان: ما المصطلحيّة؟ مأخوذ من الإنترنت <http://www.atida.org/makal.php?id=174>

Alain Rey, A Practical Course in Terminology Processing, -٣٢  
op.cit, p 8 وانظر: محمد خطابي، مقال بعنوان: ما المصطلحية؟

مأخوذ من الإنترنت <http://www.atida.org/makal.php?id=174>

ISO, 1087, Terminology\_ Vocabulary,( British Standard -٣٣  
ed,2000), p 6

-٣٤ خالد اليعبودي، آليات توليد المصطلح بناء المعاجم اللسانية الثنائية  
والمتعددة اللغات، (دار ما بعد الحداثة، فاس، ٢٠٠٦م)، ص ١٤

Daniel Gouadec (1990), Terminologie: op. cit, pp 3-19 -٣٥

Helmut Felbert, (1987), Manuel de Terminologie, Paris, -٣٦  
Unesco et infoterm

Pierre Lerat, (1994), Derivation Lexicale et Derive -٣٧  
Terminologique, Meta Vol 39, No. 4, December, p 581-588

H. Picht and J. Draskau, Terminology: An Introduction, -٣٨  
University of Surrey, Guildford, England, 1985. pp 114-116

-٣٩ أحمد شفيق الخطيب، "منهجية بناء المصطلحات وتطبيقاتها"، مجلة  
مجمع اللغة العربية بدمشق مج ٧٥، ج ٣، ٢٠٠٠م، ص ٥٣٠،  
وستعرض لذكر شروط صياغة المصطلح ومبادئه بشيء من التفصيل  
في مبحثٍ لاحق.

٤٠- ويعرّف التّرادف في الدّراسة المصطلحيةّ بأنه: علاقة بين مصطلحات  
تنتمي إلى لغةٍ واحدةٍ تمثّل المفهوم نفسه.

٤١- وهي علاقة بين التّسميات والمفاهيم في لغةٍ واحدةٍ، يمثّل فيها  
مصطلحٌ واحدٌ مفهوميّن أو أكثر يجمع بينها بعض الخصائص  
المشتركة.

٤٢- وهي: علاقة بين التسميات والمفاهيم في لغة معينة، بحيث تمثل فيها التسمية مفهوماً واحداً فقط.

٤٣- وهي: علاقة بين التسمية والمفهوم ليس فيها للمفهوم إلا تسمية واحدة.

٤٤- وهي: علاقة بين التسمية والمفهوم ليس فيها للمفهوم إلا تسمية واحدة.

٤٥- وهي: علاقة بين التسمية والمفهوم ليس فيها للمفهوم إلا تسمية واحدة.

٤٦- H. Picht and J. Draskau, Terminology: An Introduction, op. cit. p 23

٤٧- جواد حسني سماعة، "المصطلحية العربية بين القديم والحديث: مشروع قراءة"، اللسان العربي، ع ٤٩، يونيو ٢٠٠٠م، ص ١٠٣

٤٨- Alain Rey, Essays on Terminology, Op.cit., للاستزادة ينظر: pp 11-22

٤٩- H. Picht and J. Draskau, op. Cit, pp 27-28, and M. T. Cabre, Terminology, op. Cit. p 5

M. Cabre, Ibid. p 5 - ٥٠

M. Cabre, op. cit, p. 5 - ٥١

Ibid, pp. 5-6 - ٥٢

٥٣- علي القاسمي، علم المصطلح، مرجع سابق، ص ٢٧٠

M. T. Cabre, Op.cit. pp. 25-35 - ٥٤



- ٥٥- وممن يرى هذا الرأي من المصطلحيين ر.غوفان (R. Goffin) و ب. لوراه (Pierre. Lerat).
- ٥٦- وممن يذهب هذا المذهب، خوان. ساجر (J. Sager)، و ج. رندو (G. Rondeau)، و ج. ك. كوريبي (J.C Corbeil) وغيرهم.
- ٥٧- وهذا رأي يوجن فوستر، وإن كان يرى في الوقت ذاته أنها تستفيد من مجالات معرفية أخرى كاللسانيات، والمنطق، وعلم الوجود، وعلوم الحاسب.
- ٥٨- هذه المدارس هي: مدرسة فيينا النمساوية، وهي أقدمها، ومدرسة براغ التشيكية، ومدرسة موسكو الروسية. انظر: M.T. Cabre, Terminology, op. cit. p 11- 12, and H. Picht and J. Draskau, Introduction to Terminology, op. Cit. P 31-32
- ٥٩- Helmut Felber: Terminology Manual, Infoterm, UNESCO, Paris, 1984, p. 103 نقلاً عن: يوسف مقران، المصطلح اللساني المترجم، مرجع سابق، ص ٨٤
- ٦٠- ج. س. ساجر، "المصطلحية والمعجم التقني"، ترجمة حمد حسن عبد العزيز، اللسان العربي، ع ٤٢، ١٩٩٦م، ص ١٧٠-١٨٣،
- ٦١- يوسف مقران، المصطلح اللساني المترجم، المرجع السابق، ص ٨٥
- ٦٢- M. T. Cabre, Op. cit. p 11, 33
- ٦٣- Temmerman, Rita. Towards new ways of Terminology Description : A Socio-cognitive Approach, John Benjamins Publishing Company, Amsterdam/Philadelphia, 2000, p 276

٦٤ - Rita Temmerman: Towards New Ways In Terminology  
Description, Op. cit. p 210-220

Ibid, p 223 - ٦٥

٦٦ - خالد اليعبودي، طبيعة البحث المصطلحيّ بالعالم العربي: الحدود والآفاق، ص ٢، ١٢. وانظر كذلك: الشاهد البوشيخي، نظرات في المصطلح والمنهج، مقال ألقى في الدورة العلمية التدريبية الأولى التي نظمتها جمعية خريجي الدراسات الإسلامية العليا، والمعهد العالمي للفكر الإسلامي بواشنطن، والمنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (إيسيسكو)، وكلية الآداب بجامعة محمد الخامس بالرباط، أبريل،

١٩٩٥م، ص ٢٢-٢٥

٦٧ - ومن الدراسات التي اعتمدت هذا المنهج على سبيل المثال، دراسة إيناس الحديدي الموسومة ب: المصطلحات النحوية في التراث النحوي في ضوء علم الاصطلاح الحديث، ودراسة سلطان بن ناصر المجلول بعنوان: نقل مصطلحات اللسانيات الاجتماعية إلى العربية، مركز حمد الجاسر الثقافي، الرياض، الطبعة الأولى، ٢٠٠٨م.

**البنية المقطعية: دراسة تقابلية بين اللسان العربي والفرنسي**

إعداد:

الدكتور عبد القادر بن زيان

جامعة الجلفة - الجزائر

[abbenzian@gmail.com](mailto:abbenzian@gmail.com)**ملخص:**

ينبغي هذا البحث على دراسة مفهوم البنية المقطعية التي هي إحدى المفاهيم التي تتعلق بالدرس الصوتي وفي هذا الصدد نسعى إلى دراسة الملامح المقطعية، وذلك بعقد مقارنة تكشف أهم ملامح الاشتراك والاختلاف بين اللسانين العربي والفرنسي. إن هذا البحث يقودنا إلى القول إن لكل لسان خصائصه المقطعية أي أن كل لسان موسوم بنظام مقطعي يختلف عن صاحبة من جهة ويتفق معه في نواح أخرى، إذ يسمح لنا هذا الافتراض بوصف وتحليل النسخ المقطعية في كل لسان.

**الكلمات المفتاحية:** البنية ، المقطع، التقابل اللسان العربي، اللسان

الفرنسي

**تمهيد:**

يتواصل الإنسان مع بني جنسه بوسائل مختلفة، كأن يستخدم في العملية التواصلية الحركات والإيماءات والرسوم أو الرموز ونحو ذلك مما

يتوسل به إلى إدراك قصد أو غرض يدرك عبر فعل من أفعال التواصل، كأن يسمع صوت جرس يرشده إلى بداية العمل أو نهايته، وتعد اللغة أكثر وسائل التواصل غنى وأكثرها فاعلية في التعبير عن الأغراض والمقاصد المراد تبليغها إلى المتلقي، وقد عبر عن هذا المعنى ابن جني حين حدّد اللغة بقوله: "اللغة أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم".<sup>١</sup> وفي هذا السياق نلفي اللسانيين يشيرون إلى المستويات اللغوية التي تأتلف منها اللغة، وهي على النحو الآتي<sup>٢</sup>:

**المستوى الفونتيكي والفونولوجي (La phonétique et la phonologie)**، إذ يهتم الأول بدراسة الصوت اللغوي (les sons) في الجهاز الصوتي، أي دراسته معزولا عن سياقه اللغوي، أما الثاني فيهتم بدراسة الصوت داخل السياق اللغوي، أي يهتم بدراسة الفونيم (les phonèmes).

**المستوى الصرفي (La morphologie)**: ويهتم بدراسة الوحدات اللسانية، وذلك من خلال ما يعرض لها من قضايا صرفية تمس بنية الكلمة نحو الاشتقاق، والإعلال، والإبدال، والحذف، والزيادة، والإدغام والتضعيف وكذلك ما يترتب عن هذه القضايا الصرفية من معان تتجلى في بناء صرفي دون سواه.

**المستوى التركيبي (La syntaxe)**: ويتناول دراسة العلاقات التي تحكم الوحدات اللسانية داخل الجملة أو النص نحو التقديم والتأخير،

والإطلاق والتقييد، والوصل والفصل، والتوكيد والاستفهام، والنفي، ونحو ذلك مما يكون له الأثر الواضح في بيان أغراض ومقاصد المتكلم. يرتبط بحثنا هذا بالنظر في المستوى الأول، أي المستوى الصوتي الذي من خلاله سنحاول دراسة البنية المقطعية وتحليلاتها في اللسان العربي واللسان الفرنسي محاولين عقد مقارنة وبيان أوجه التشابه والاختلاف بينهما، ذلك أن الصوت في السلسلة اللغوية لا يظهر معزولا عن غيره من الأصوات مما يفضي إلى تشكل بني مقطعية ذات خصائص تتجلى في كل لسان، هذه الأصوات تأتلف فيما بينها لتعطي بنيات مقطعية مختلفة، يترشح عن هذه التوليفات من الأصوات تغييرات وتعديلات تمس الأصوات اللغوية بطرف.

ينبني هذا البحث على دراسة مفهوم البنية المقطعية التي هي إحدى المفاهيم التي تتعلق بالدرس الصوتي، وفي هذا الصدد نسعى إلى دراسة الملامح المقطعية وذلك بعقد مقارنة تكشف أهم ملامح الاشتراك والاختلاف بين اللسانين العربي والفرنسي. إن هذا البحث يقودنا إلى القول إن لكل لسان خصائصه المقطعية، أي أن كل لسان موسوم بنظام مقطعي يختلف عن صاحبة من جهة ويتفق معه في نواح أخرى، إذ يسمح لنا هذا الافتراض بوصف وتحليل النسيج المقطعية في كل لسان.

يعد اللسان الفرنسي كغيره من الألسن البشرية، إذ يستخدم من الأصوات اللغوية ما يكفيه في توصيل الأغراض والمقاصد، فهو يشتمل على جملة من الأصوات المعدودة، منها الصوامت والصوائت وأنصاف الصوائت، كل ذلك يكشف طبيعة اللغة التي تعرف بأنها نظام من العلامات الصوتية الخاصة بمجتمع ما<sup>٣</sup>، أو هي كما وصفها جورج مونان: " نظام من العلامات الصوتية ذو تقطيع مزدوج خاص بمجتمع إنساني ما"<sup>٤</sup>.

الذي يعنينا ههنا من دراستنا هو المستوى الصوتي الذي تتجلى من خلاله الأصوات تتفاعل مع بعضها مؤلفة بنيات مقطعية مختلفة، ذلك أن الأصوات لا تظهر منفردة في السلسلة الكلامية، وإنما تأخذ سلسلة خطية لتشكل بنيات مقطعية مختلفة، ومن ثم فإن التوليفات المقطعية تتجلى على أنحاء مختلفة، هذه التوليفات بين الصوامت والصوائت تشكل في لسان ما نسجا مقطعية مختلفة ذات خصائص معينة.

**١- النظام المقطعي في اللسان الفرنسي:** يعد اللسان الفرنسي كغيره من الألسنة، إذ يستغل من الإمكانيات المقطعية ما يكفيه في التواصل ولا يعتد بالإمكانيات المقطعية الأخرى التي يمكن إنجازها، إذ نجد اللغة الفرنسية تستخدم البنيات المقطعة على هذا النحو: CV, VC, °CVC, CCV, ولا تسمح بظهور بنيات مقطعية نجدها مثلا في اللسان

العربي نحو: CVV, CVVC, CVCC، وعليه فإن هذه النسخ المقطعية موسومة بخصائص تسمح للقارئ لمعرفة ما إذا كانت هذه الكلمات تنتمي إلى اللسان الفرنسي أم لا .

**١.١ المقطع في اللسان الفرنسي:** يعرف المقطع بأنه " البنية الأساسية التي تشكل قاعدة لكل توليفات لفونيمات ( صوتية) في السلسلة الكلامية " ، ومن خلال التعريف نلاحظ أن المقطع هو بنية صوتية تبني على عنصرين أساسين هما الصائت (voyelle) والصامت (consonne) ، أي أن اللغة أيا كانت إمكاناتها الصوتية فإنها تملك من الكفاية اللغوية ما يسمح لها بتوليد عدد من البنى المقطعية المختلفة، وعليه فإن هذا يقودنا إلى القول بأن البنية الصوتية للمقطع في اللسان الفرنسي تحدد بمجموعة من القواعد والضوابط التي تختلف من لسان إلى آخر.

**٢.١ الخصائص المقطعية في اللسان الفرنسي:** يتميز المقطع في اللسان الفرنسي بخصائص تسمح للقارئ بإدراك الفروق بين النسخ المقطعية فيما بينها، ذلك أن كل بنية مقطعية تتشكل ضمن نظام مقطعي معين سواء من جهة الانفتاح أو الانغلاق أو الطول أو القصر أو من حيث طبيعة الأصوات اللغوية(الصوامت، الصوائت أنصاف الصوائت) التي يمكن أن تكون قاعدة البناء المقطعي في اللسان

الفرنسي، وعليه فإنه يمكن إجمال خصائص المقطع في اللسان الفرنسي على هذا النحو:

أ/ يمكن أن نشير إجمالاً إلى أن المقطع في اللسان الفرنسي يتأسس على صوتيين لغويين أو أكثر، أساس هذه البنية المقطعية صائت (voyelle)، أي أنه لا يمكن أن نجد بنية مقطعية تنبني على عنصر صوتي واحد إلا استثناء، فلو أخذنا على سبيل المثال الكلمة الآتية: (respecter) [rɛs/pɛk/te/] لوجدناها تتألف من ثلاث بنيات مقطعية مختلفة الأولى والثانية مغلقة والثالثة مفتوحة.

ب/ يمكن للمقطع أن ينتهي بصامتين، كالذي نجده في الأمثلة الآتية: (prêtre) [pʁɛkʁ/ ] ، (craindre) [kʁɛ̃dʁ/ ] ، وقد ينتهي بثلاثة صوامت، نحو: (spectre) [spɛktrʁ/]

ج/ لا تتجاوز البنية المقطعية الواحدة أكثر من ست عناصر صوتية مؤلفة من صوامت وصوائت أو أنصاف الصوائت ، كالذي نجده في الكلمة الآتية: (spectre) [spɛktrʁ/]

### ٣.١ النسخ المقطعية في اللسان الفرنسي: بناء على ما تقدم ذكره

من الخصائص العامة للمقطع في اللسان الفرنسي نلاحظ أن الفرنسية تستغل الإمكانيات المقطعية الآتية:



أ/ **المقطع المفتوح**: (La syllabe ouverte) هو بنية مقطعية تتأسس على صوتيين لغويين أحدهما صائت والآخر صامت (consonne)، ومعنى انفتاح المقطع انتهاءه بصوت صائت (voyelle)، نحو الفعل (aller) في الفرنسية يشتمل على مقطعين من النوع المفتوح [a/le/]

ب/ **المقطع المغلق**: (La syllabe fermé) هو بنية مقطعية تتأسس على صوتيين لغويين أو أكثر (CVC) وعليه فإن انغلاق المقطع يكون بالنظر إلى نهايته، أي أنه ينتهي بصامت (consonne) نحو الذي نجده في كلمة: (règle) فإنها تشتمل على مقطع واحد مغلق منه بصامتين [rɛgl/].

### ٣.١ البنية المقطعية وحدودها (التقطيع) La coupe syllabique et la

syllabation: يراد بمفهوم التقطيع (la syllabation) في اللسان الفرنسي بيان المواطن التي ينتهي عندها المقطع، أي الحدود الفاصلة بين مقطعين داخل كلمة ما، ويوضع الحد المقطعي غالبا داخل الكلمة بين صائت (voyelle) وصامت انفجاري (consonne implosive) <sup>^</sup>، وعليه فإنه يتعين في الفرنسية وضع الحد الفاصل بعد الصائت (voyelle) الذي يكون متبوعا بصامت نحو تقطيع الكلمة الآتية: [pa/pa/].

وتسلك الفرنسية في تقطيعها الكلمات مسلكا تضع فيه الحد الفاصل بين صامتين متجاورين، كالذي نجده في الكلمة الآتية (rester)، إذ يكون التقطيع بوضع الفاصل بين الصامتين المتتاليين على

النحو الآتي: [rɛs/te/] ويستثنى من هذه القاعدة حالتان صوتيتان يكون فيهما تجاور الصوامت الأخرى مع صوتين هما: [L] [R]، وبهذا المعنى فإنه لا يجب وضع الحد الفاصل بين الصامتين في الأمثلة الآتية: [ta/kle/] (tacler) (lacrymogène) [la/crɪ/mo/gen/].

٢ / النظام المقطعي في اللسان العربي: تستغل اللغة العربية كغيرها من اللغات الأصوات اللغوية في التعبير عن المقاصد والأغراض، فهي إذ ذاك تنتقي من الإمكانيات الصوتية ما يسمح لها بتحقيق التواصل مع الآخر و التعبير عن الأغراض والمقاصد، وإلى هذا المعنى أشار ابن جني إلى الحقيقة الصوتية للغة، وذلك من خلال حده للغة بقوله: "أما حد اللغة "أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم"<sup>٩</sup>.

وفي اللغة العربية نميز كذلك بين المستويات اللغوية التي تتداخل لتشكيل هذا المنطوق الذي به يحصل التواصل، ففي العربية نلفي المستوى الصوتي والصرفي والتركيب (النحوي):

أ / المستوى الصوتي: ويراد به دراسة الأصوات اللغوية من جهتين مختلفتين، أولاهما: دراسة الصوت اللغوي معزولا عن سياقه اللغوي أي بالنظر إلى حقيقته الفيزيولوجية، أي دراسته بالنظر إلى مخرج الصوت وصفاته، ثانيهما: دراسة الصوت ضمن سياقه اللغوي وما يحدث للصوت من تغيرات داخل السلسلة الكلامية.

ب/ **المستوى الصرفي**: ويهتم بدراسة الكلمة من جهة ما يحدث لبنية الكلمة من تغيرات نتيجة تجاور بعض الأصوات لبعضها الآخر، كالإعلال والإبدال والحذف، والزيادة، ونحو ذلك<sup>١٠</sup>.

ج/ **المستوى التركيبي**: يقوم على دراسة العلاقات بين الوحدات اللسانية وما يترتب عليها من تغيرات كالتقديم والتأخير والحذف والزيادة، والوصل و الفصل، والتقييد والإطلاق، ونحو ذلك<sup>١١</sup>.

الذي يعنينا من بين هذه المستويات اللسانية هو المستوي الصوتي الذي تتجلى فيه التشكلات المقطعية في اللسان العربي ذلك أنه في السلسلة الكلامية المنطوقة، لا تتجلى الصوامت أو الصوائت معزولة، وإنما تتشكل ضمن توليفات مقطعية ذات خصائص ترتد إلى طبيعة اللسان العربي، هذه التوليفات بين الأصوات يتولد عنها بنيات مقطعية مختلفة وتغيرات تظهر في كل بنية مقطعية، وعليه فإن هذا الكلام يقودنا إلى القول إن اللغة العربية كغيرها من اللغات تستغل من الإمكانيات المقطعية ما يسمح لها بالتعبير عن مقاصد المتكلمين، ولا تستعمل الإمكانيات المقطعية الأخرى، فعلى سبيل المثال نجد العربية تشتمل على البنى المقطعية الآتية<sup>١٢</sup>: (CV), (CVV), (CVC), (CVVC), (CVCC) ولا تعدد بالبنى المقطعية الآتية: (CCV), (CCCV), (CVCCC).

١.٢ **البنية المقطعية في العربية**: كنا أشرنا إلى أن اللغة العربية توظف من الإمكانيات المقطعية ما يسمح للمتكلمين بالتعبير عن أغراضهم،

لذلك عند النظر في الاستعمال العربي نجد توافر العربية على بعض النسخ المقطعية ولا نلفي البعض الآخر، وبهذا المعنى فإن المتأمل في النسخ المقطعية يجدها تتميز بخصائص صوتية تحيل السامع أن هذا البناء المقطعي ينتمي إلى الاستعمال العربي أو لا.

**المقطع في العربية:** بالنظر في مصادر العربية نلفي أن المقطع ( La syllabe) لا يقصد به إلا دلالاته اللغوية الصرفية أي: يراد بالمقطع المكان الذي يقطع فيه النفس المتسرب عبر المسارب التي يسلكها الهواء المندفع من الرئتين كمروره عبر التجويف الفموي (le canal buccale) أو الأنفي، (les fosses nasales) وبهذا المعنى فإننا نجد في الجهاز الصوتي مقاطع مختلفة، نحو الحنجرة، والشفيتين، واللسان مع الحنك الأعلى وغير ذلك، كل هذه المقاطع ونحوها تتدخل في قطع (حبس) النفس حسباً كلياً أو جزئياً مما يحدث معه أحد أصوات العربية، ولقد أشار ابن جني إلى هذا المعنى الذي يراد به مواضع النطق في الجهاز الصوتي، يقول: " اعلم أن الصوت عرض يخرج مع النفس مستطيلاً متصلاً حتى يعرض له في الفم والحلق والشفيتين **مقاطع** تشبه عن امتداده واستطالته، فيسمى **المقطع** أينما عرض له حرفاً، وتختلف أجراس الحروف بحسب اختلاف **مقاطعها**<sup>٣</sup>، وفي هذا السياق نلفي تعريفاً اصطلاحياً للمقطع يتقارب فيه مع تعريفات المحدثين من علماء الأصوات، وقد أورد هذا التعريف

كمال بشر في كتابه علم الأصوات: " وكل حرف غير مصوت (أي صامت) أتبع بمصوت قصير (حركة قصيرة) قرن به فإنه يسمى المقطع القصير والعرب يسمونه الحرف المتحرك من قبل أنهم يسمون المصوتات القصيرة حركات، كل حرف لم يتبع بمصوت طويل فإننا نسميه المقطع الطويل" <sup>١٤</sup>.

وفي هذا السياق نشير إلى أن القدماء لم يتناولوا الدراسة المقطعية بالتفصيل على النحو الذي جاء في كتب المحدثين، وبهذا المعنى فإننا نلغي الدراسة المقطعية عند المحدثين مفصلة تفصيلاً تكشف المناحي المختلفة للبنية المقطعية في اللسان العربي، ومن ثم فقد تحدثوا عن المقطع من جهة التعريف والخصائص، كحديثهم عن أنواع المقاطع في العربية وخصائصها المقطعية من حيث الطول والقصر والانفتاح والانغلاق ونحو ذلك <sup>١٥</sup>.

نستطيع توصيف البنية المقطعية في اللغة العربية آخذين بعين الاعتبار البحث الفونولوجي الذي يتأسس على تتابع الوحدات الصوتية وتشكلاتها داخل السلسلة الكلامية، وعند النظر في الاستعمال اللغوي نلاحظ أن البناء المقطعي في اللغة العربية يتجلى من خلال الوقوف على المسائل الآتية:

١ / الخصائص المقطعية في العربية: إن إنتاج أي جملة أو كلمة يبني على تتابع من الأصوات مما يترتب عليه مجموعة من الحركات في

الآلة المصوتة، نحو الانغلاق والانفتاح، وحركة اللسان والشففتين، وعليه فإن المدى الفاصل بين الانفتاح الكلي أو الجزئي يتشكل البناء المقطعي. وفي هذا السياق يمكننا الإشارة إلى طبيعة البنية المقطعية في العربية من خلال النقاط الآتية:

يبتدئ المقطع في العربية بصامت واحد فقط، أي أن التقطيع ( la syllabation) داخل السلسلة الكلامية يكون على النحو الذي نجده في الفعل: (كتب)، فهو يتألف من ثلاث بنيات مقطعية من النوع القصير المفتوح، ويكون ابتداء المقطع بصامت، ويظهر ذلك على النحو الآتي: [ك/ت/ب/] [ka/ta/ba/] ، أما في حال التقاء صامتين فإنه يكون التقطيع بين الصامتين المتجاورين السابق واللاحق، نحو الذي نجده في المثال الآتي: [قَطْرَؤ] ، [qat/ra/tu/] ومن الظواهر الصوتية في اللغة العربية نجد التقاء صامتين داخل السلسلة الكلامية إذ يلجأ إلى تعديل الظاهرة الصوتية إلى ظاهرة صوتية أخرى، وذلك بتحريك الصامت الأخير، فينتج لدينا ستة مقاطع نحو: "قامتُ القرية" تصير إلى الوضع الصوتي الآتي: [قامتُ القرية] " [qaa/ma/til/gar/ya/tu/].<sup>١٦</sup>

تنتهي البنية المقطعية في العربية بصائت قصير أو صائت طويل نحو الفعل: "قال" الذي يتألف من بنيتين مقطعتين الأولى طويلة مفتوحة [قا/] والثانية قصيرة مفتوحة [ل/] أو ينتهي بصامت ويوصف المقطع

إذ ذاك بالمقطع المغلق، نحو: [kam / كم /] [man / من /]، وهنا نشير اللغة العربية والفرنسية تتقاطعان من هذه الجهة، أي أن هذه الخاصية المقطعية موجودة في كل منهما، ذلك أن النهاية المقطعية تكاد تكون متطابقة، وعليه فإننا نلفي هذه النهايات المقطعية المفتوحة في الفرنسية نحو: [duper /dype/]: [aller /ale/] وكذلك النهايات المقطعية المغلقة نحو: [pêche /pɛʃ/], [vache /vaʃ/], prêtre: [pʁɛtʁ/].

**الخصائص المقطعية في العربية:** يتميز المقطع في العربية كما ألقنا إلى ذلك سابقا بخصائص تسمح للقارئ بتمييز بعضها عن بعض، وعليه فإن المتأمل في الاستعمال العربي يدرك من خلال هذه الخصائص المقطعية انتماءها إلى العربية أو عدم انتمائها.

أ/ تشتمل البنية المقطعية في العربية على عنصرين صوتيين أو أكثر أحدهما صائت (voyelle) والآخر صامت (consonne)، وبهذا المعنى فإنه لا يمكن أن نلفي في العربية بنية مقطعية مؤلفة من عنصر صوتي واحد، فإذا قطعنا الفعل "كتب" وجدناه يتألف من ثلاث بنيات مقطعية قصيرة مفتوحة [ك/ /]، [ت/ /]، [ب/ /]، [ka/ta/ba/] ولو أردنا أن نقارن البناء المقطعي في العربية والفرنسية لوجدنا أن الفرنسية تستغل الإمكانيات المقطعية التي تتأسس على عنصر صوتي واحد وذلك بخلاف العربية نحو. il a: [il/a], il est: [il/ɛ].

ب/ لا تبتدئ البنية المقطعية في العربية بصائت (voyelle) أو صامتين (deux consonnes)، ولو أردنا أن نجري مقارنة بين بنيتين مقطعتين في الفرنسية والعربية لتجلى لنا أن العربية تختلف في بنائها المقطعي، أي أن الفرنسية تستغل الإمكانيات المقطعية الآتية بخلاف العربية التي تتأسس على هذا الشكل المقطعي: (VC) كالذي نجده في الأمثلة الآتية: admirer: [ad/mi/re/] orthographe: [ɔʁ/tɔg/kaf/] escarpolette: [ɛs/kav/pɔlɛt/] بصامتين (cc) نحو: sport: [spɔʁ/] procurer: [pʁɔ/ky/ʁe/] . dresser: [/dʁe/se/]

ت/ لا تنتهي البنية المقطعية في العربية بصامتين (cc) إلا في سياق الوقف أو في حال إهمال العلامة الإعرابية، فإذا تناولنا كلمة (بحرّ) وفقاً فإنها تكون إذا ذاك مشتملة على بنية مقطعية واحدة مضاعفة الإغلاق، وهي من الشكل المقطعي الآتي (cvcc)، وعليه فإن الاختلاف بين العربية والفرنسية يكون واضحاً من هذه الجهة، ذلك أن اللغة الفرنسية تستغل هذه الإمكانيات المقطعية كثيراً بخلاف العربية فإنها لا تستغل هذا الشكل المقطعي إلا في حال الوقف، ويتجلى هذا الشكل المقطعي في (cvcc) الأمثلة الآتية: perdre: [pɛʁ dʁ/], coudre: [kudʁ/], gorge: [gɔʁʒ/ ] وكذلك نجد أن الفرنسية تستغل الإمكانيات



المقطعية المنتهية بثلاثة صوامت من الشكل (cvccc) كالذي نجده  
الأمثلة الآتية: [spɛktɔ/], [filtɔ/], philtre .

ث/ لا تتجاوز البنية المقطعية في اللغة العربية أربع وحدات صوتية  
وذلك بعد الحركة الطويلة وحدة صوتية واحدة<sup>١٧</sup>. أما الفرنسية فهي  
تتمتع بتجاوز بنيتها المقطعية خمس وحدات صوتية، كالذي نجده في  
كلمة: [spɛkɔ/].

النسج المقطعية في العربية: عند النظر في السلسلة الكلامية نلفي  
أنواعا مقطعية يختلف بعضها عن البعض الآخر، وذلك باعتبار  
مختلفة، كالقصر والطول والانفتاح والانغلاق.

أ/ المقطع القصير المفتوح: وهو نسيج مقطعي يتألف من وحدتين  
صوتيتين صامت وصائت قصير (cv) فإذا قطعنا الفعل "كتب"  
وجدناه يتألف من ثلاث بنيات مقطعية قصيرة مفتوحة [ك/ـ/]  
، [ت/ـ/ب/ـ/] [ka/ta/ba/] ، وإذا أردنا أن نعقد المقارنة بين الفرنسية  
والعربية وجدنا كلا منهما يستغل هذه الإمكانية المقطعية التي تتجلى في  
هذا الشكل المقطعي (cv)، ففي الفرنسية نلفي هذا الشكل المقطعي  
مستعملا كثيرا، نحو الأمثلة الآتية التي تشتمل على بنيات مقطعية قصيرة  
مفتوحة: (inviter, passer, assaisonner) فهذه الأمثلة تتجلى فيها  
التقطيع على هذا النحو: [a/sɛ/zɔ/ne/], [pa/se/], [ɛ/vi/te/].

ب/المقطع المتوسط: يشتمل هذا النوع من المقاطع على شكلين مقطعيين هما:

أولهما: شكل مقطعي يتألف من ثلاث وحدات صوتية، وهو من الشكل (cvc)، وهو شكل مقطعي متوسط مغلق أي أنه ينتهي بصامت نحو كلمة "كتبتُ" [ka/tab/tu] و "يكتب" [yak/tu/bu]، فهما تشملان ثلاث بنيات مقطعية على النحو الآتي: (CV+CVC+CV) et (CVC+CV+CV)<sup>١</sup>، وإذا نظرنا في الفرنسية وجدنا هذا النوع المقطعي يشبه صاحبه في العربية، من ذلك ما نجده في الأمثلة الآتية التي تشتمل على ثلاث بنيات مقطعية كل بنية منها تتأسس على عنصر صوتي واحد: (interface, sardine) ويظهر التقطيع على هذا النحو [sardine: /sɑʁ/din/], [interface: /ɛ̃/tɛʁ/fas/].

ثانيهما: وهو شكل مقطعي يتأسس على وحدتين صوتيتين إحداهما صوت صائت طويل (cvv)، وهو شكل مقطعي متوسط مفتوح، أي أنه ينتهي بصائت طويل، نحو (ما، كاتب، قال)، فهذه الأمثلة تتألف من بنيات مقطعية [maa/; CVV] [kaa/ti/bun/; CVV+CV+CVC] [kaa/la/; CVV+CV] وعند النظر نلفي أن العربية تختلف عن الفرنسية من حيث استغلالها لهذه الإمكانية المقطعية (cvv)، ومن ثم نلفي تمثيلات مقطعية في الكلام العربي (قال، يقول، قيل) إذ تتجلي

في التقطيع على النحو الآتي: [ق+ل+ / ل+ /] [ي+ / / ق+و+ / +  
ل+ /] [ق+ / + / ل+ /].

ت / المقطع الطويل: ينقسم هذا الشكل المقطعي إلى قسمين:

أولهما: شكل مقطعي ينبنى على أربع وحدات صوتية وهو من الشكل (cvcc)، وهو بنية مقطعية طويلة مضاعفة الإغلاق، أي أنها مقفلة بصامتين، وهذا النوع لا يكون إلا في حال الوقف أو في حال إهمال العلامة الإعرابية، ومن الأمثلة على ذلك كلمة (بحر)، إذ يظهر تقطيعها على النحو الآتي: [ب / ب / ح / ز+ /]، ونجد اللغة الفرنسية تسلك مسلكا متشابه فيه مع العربية في هذا النوع المقطعي، فهي إذ ذاك تستغل هذه الإمكانية المقطعية، من ذلك ما نجده في الأمثلة الآتية: (simple, feutre, cintre) فهذه الكلمات تتجلى مقطعا على هذا النحو: [sɛpl /] [fœtr /] [sɛtr /]، لكننا نجد الفرنسية تختلف عن العربية باستغلالها للإمكانية المقطعية الآتية: (CVCCC)، إذ نجد هذه البنية المقطعية تتجلى مقطعا في الكلمات الآتية على هذا النحو: philtre [filtʁ /]. spectre: [spɛktr /].

ثانيهما: وهو شكل مقطعي (cvvc) يتأسس على ثلاث وحدات صوتية، وذلك باعتبار الصائت الطويل وحدة صوتية واحدة، وهذا النوع لا يتجلى إلا في حال الوقف أو حال إهمال العلامة العربية كذلك، فلو

نظرنا إلى الفعل "قال" لوجدناه يتجلى مقطعيًا على هذا النحو: [قَ+  
 +ما+ :+ل] ومن ثم فإن هذا الفعل يأتلف من بنية مقطعية واحدة هي  
 من الشكل (cvvc) [kaal]<sup>٩</sup> وفي هذه المسألة نلفي العربية تختلف عن  
 الفرنسية من جهة استغلال العربية لهذه الإمكانية المقطعية التي يمكن  
 بيانها من خلال الأمثلة الآتية: [قال: /ق+/كال/] [يُحْسِرُونَ:  
 /ي+/ح+/س+/ر+/ون/] [فاكهين: /ف+/ل+/ك+/ه+/ين/] .

**التقطيع في العربية (la syllabation):** يقوم التقطيع على تقطيع  
 المقاطع داخل السلسلة الكلامية أي وضع الحدود الفاصلة بين مختلف  
 المقاطع، ويضع الحد الفاصل عادة بين صائت وصامت انفجاري  
 (implosive)<sup>٢٠</sup> أما في العربية فإن الحد الفصل بين مقطع وآخر يكون  
 عادة بعد صائت متبوع بصامت، نحو تقطيع الفعل "كتب" فإنه تقطيعه  
 يتم بوضع الفاصل المقطعي بين كل صائت متبوع بصامت (ka/ta/ba/  
 [ك+ :+ت+ /ب+ :+ل] ففي هذه النقطة نلفي اللغتين الفرنسية  
 والعربية تسلكان مسلكًا واحدًا، وذلك بوضع الحدود المقطعية التي أشرنا  
 إليها سابقًا، إذ نجد مثلًا تقطيع الفرنسية للكلمات الآتية على هذا  
 النحو: [ma/ga/zɛ/] [de/vi/ve/] [pa/va/di/] paradis dériver .

ومن مبادئ التقطيع في العربية أن يوضع الحد المقطعي بين صامتين  
 متجاورين، فإذا تناولنا الفعل "يكتب" بالتقطيع فإنه يظهر على الشكل

الآتي، وذلك بوضع الحد الفاصل بين الصامتين المتجاورين: [ي+ـ: +كُ/ +ت +ـ:/ +ب +ـ:/] ومن ثم لا يمكن أن يوضع الحد الفاصل في موضع آخر، نحو: [ي+ـ: /+كُ +ت +ـ:/ +ب +ـ:/] (/ya/ktu/bu/)، وفي هذه المسألة نلفي أن اللغتين تملكان نفس التقطيع، وذلك بوضع الحد المقطعي بين الصامتين المتجاورين باستثناء بعض الحالات في اللغة الفرنسية التي كنا أشرنا إليها سابقا. وإذا نظرنا في الأمثلة الآتية في اللغة الفرنسية (prestation, exagérer, administrer) وجدنا تقطيعها يتشكل على هذا النحو [pʁɛ/ta/sj ɔ̃/] [ɛg/za/ zɛ/vɛ/] [ad/mi/nis/tʁe/].

ومن مبادئ التقطيع في العربية ما نجده في آخر المقطع، ذلك أن المقطع المنتهي بصائت يتحول وقفا إلى صامت مما يترتب عليه أثر في البنية المقطعية من حيث الكم المقطعي، ومن حيث التقطيع، فلو أخذنا تقطيع الفعل "كتب" وقفا ووصلا لتبين الفرق بينهما، ذلك أن تقطيع "كتب" وصلا يشمل ثلاثة مقاطع قصيرة مفتوحة كما أشرنا إلى ذلك، أما في حال الوقف فإنها تكون مؤلفة من مقطعين مختلفين، أولهما مقطع قصير مفتوح، وثانيهما مقطع متوسط مقفل بصامت: [ك+ـ:/ +ت+ـ:/ +ب+ـ:/] ، وإذا أردنا نقارن بين اللغتين فإننا نلفي أن العربية تختلف عن الفرنسية من هذه الجهة، ذلك أن العربية يمس بنيتها المقطعية تغيير في حال الوقف، كالذي نلاحظه في الأمثلة الآتية: (شجرة، سميع)،

هاتان الكلمتان مختلفان مقطعيًا وقفًا ووصلًا، حيث يظهر تقطيعها وصلًا على هذا النحو [ش/+/ـ/ج/+/ـ/ر/+/ـ/ت/+/ـ/ن/] أما وقفًا فتكون [ش/+/ـ/ج/+/ـ/ر/+/ـ/ه/] وأما كلمة "سميع" فيظهر تقطيعها وصلًا على هذا الشكل [س/+/ـ/م/+/ـ/ي/+/ـ/ع/+/ـ/ن/] وأما وقفًا فتتغير بنيتها المقطعية [س/+/ـ/م/+/ـ/ي/+/ـ/ع/].

**البنى المقطعية الممنوعة في العربية:** كنا أشرنا إلى أن العربية تنتقي من الأصوات ما يسمح لها بالتخاطب، كذلك تستغل بعض الإمكانات المقطعية وتحمل بعضها الآخر، ومن ثم تسمح للقارئ التمييز الأشكال المقطعية التي تنتمي إلى الاستعمال العربي أو لا، وعليه فقد أشار العلماء إلى مجموعة من الضوابط التي تكشف طبيعة البنية المقطعية في العربية:

لا يمكن أن نجد كلمة عربية يزيد عددها تسعة مقاطع، فإذا وجدت فهي كلمة أعجمية<sup>١</sup>.

لا يمكن أن يوجد في العربية كلمات في أولها أو أوسطها الشكل المقطعي الآتي (CVCC).

لا يمكن أن نجد كلمة عربية عدد مقاطعها أربعة كلها من الشكل (cv)، أي أنه لا يمكن أن نجد كلمة مؤلفة من أربعة مقاطع على هذا النحو: (cv+cv+cv+cv).

لا تتوفر كلمة عربية على ثلاثة مقاطع كلها من الشكل (cvv)، وإذا وجدت فهي كلمة أعجمية، نحو كلمة قاديشا التي تأتلف من ثلاث مقاطع من الشكل (cvv).

لا تتوفر العربية على كلمات مؤلفة من مقطعين الأول من الشكل (cvv)، والثاني من الشكل (CVCC). فإذا وجدت فهي أعجمية نحو كلمة (جومرت) مؤلفة (cvv+cvcc).

لا تتوفر العربية على كلمات مؤلفة من ثلاث مقاطع الأول من الشكل (CVC) والثاني والثالث من الشكل المقطعي (cvv) وإذا وجدت فهي كلمة لا تنتمي إلى الاستعمال العربي نحو كلمة "سرغايا" فهي مؤلفة من ثلاث بنيات مقطعية (CVC+ cvv+ cvv).

لا تتوفر العربية على كلمات مؤلفة من ثلاثة مقاطع الأول من الشكل (cvv) والثاني والثالث من الشكل (CVC) وإذا وجدت فهي كلمة لا تنتمي إلى الاستعمال العربي نحو كلمة "شابندر" التي تتألف من المقاطع الثلاثة الآتية (cvv+ CVC+ CVC).

#### خاتمة:

في خاتمة هذا البحث نخلص إلى أن كل لغة تسلك مسلكا في التعبير عن أغراضها متوسلة إلى ذلك باختيار أصوات لغوية ذات خصائص معينة، ومن هذه الأصوات تأتلف المقاطع التي هي كذلك اختيار صوتي

في كل لغة، وهذا الاختيار المقطعي تتشابه في بعض جوانبه اللغة العربية والفرنسية، وتختلف في البعض الآخر، نحو بداية المقطع ونهايته وشكله وطرائق تقطيعه وطوله ومداه وقصره.

### هوامش ومراجع:

- ١- ابن جني (أبو الفتح عثمان)، الخصائص، ج ١، تحقيق: محمد علي النجار، عالم الكتب، بيروت، ط ١، ٢٠٠٦، ج ١، ص ٦٧.
- ٢- Voir :Grevisse. Goose , nouvelle grammaire française,3<sup>e</sup> édition, De Boeck, Bruxelles, 2005,p10
- ٣- Jean Dubois, dictionnaire de linguistique et des sciences du langage, Larousse, Paris, p266.
- ٤- Georges Mounin, dictionnaire de la linguistique, Quadrige, 2004, janvier, Paris, p196
- ٥- يستخدم الرمز ( C ) للدلالة على الصامت، ويستخدم الرمز (V) للدلالة على الصائت القصير، ويستخدم الرمز (VV) للدلالة على الصائت الطويل.
- ٦- Jean Dubois, dictionnaire de linguistique et des sciences du langage, p459
- ٧- يعرف الصامت بالنظر إلى وضع اللسان مع أعضاء النطق الأخرى، إذ يكون حبس الهواء عند تأدية الصوامت حبسا كلياً، نحو ( b, d,g,s,f,j,k... ) أو جزئياً أما الصائت فيكون معه انفتاح مما يسمح بمرور النفس مروراً لا يكون معه اعتراض للنفس نحو (a,e,io,u)



- ٨- Voir Jean Dubois, dictionnaire de linguistique et des sciences du langage, p125/459
- ٩- ابن جني (أبو الفتح عثمان)، الخصائص، ج ١، تحقيق: مُجد علي النجار، عالم الكتب، بيروت، ط ١، ٢٠٠٦، ج ١، ص ٦٧
- ١٠- ينظر: عبد الصبور شاهين، المنهج الصوتي للبنية العربية رؤية في الصرف العربي، مؤسسة الرسالة، بيروت، (دون ط)، ص ٢٥/٢٥.
- ١١- ينظر: خليل أحمد عمارة، في نحو اللغة وتراكيبها، عالم المعرفة، جدة، المملكة العربية السعودية، ط ١، ١٩٨٤، ص ٢٦
- ١٢- مُجد الأنطاكي، المحيط في أصوات العربية ونحوها وصرفها، دار الشرق العربي، بيروت، ط ٤، ج ١، ص ٥١/٥٠
- ١٣- ابن جني، سر صناعة الإعراب، تحقيق: مُجد حسن إسماعيل، دار الكتب العلمية بيروت، ط ٢٠٠٠، ج ١، ص ١٩
- ١٤- كمال بشر، علم الأصوات، دار غريب، القاهرة، ٢٠٠٠ (دون رقم ط)، ص ٥٠٧.
- ١٥- ينظر في ذلك: كمال بشر، علم الأصوات، تمام حسان، مناهج البحث اللغوي، أحمد عمر مختار عمر، دراسة الصوت اللغوي، إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية.
- ١٦- Voir: Jean Cantineau, cours de phonétique arabe, Paris, librairie C.KLINCSIECK, 1960, p118
- ١٧- ينظر: كمال بشر، علم الأصوات، ص ٥١٠/٥٠٩
- ١٨- ينظر: كمال بشر، علم الأصوات، ص ٥١١/٥١٠.

مجلة دراسات عربية، العدد ١٥، الرقم ١، من السلسلة الجديدة أكتوبر ٢٠٢٠م

١٩- ينظر: بسام بركة، علم الأصوات العام، أصوات اللغة العربية، مركز الإنماء القومي، (دون رقم) ص ٩٨

٢٠- Voir : Jean Dubois, dictionnaire de linguistique et des sciences du langage, p125/459

٢١- ينظر: مُجَدَّ الأنطاكبي، المحيط في أصوات العربية ونحوها وصرفها، دار الشروق العربي، بيروت، ط٤، ج١، ص ٤٩ وما بعدها

**نظام مدرسة مازونة التعليمية خلال العهد العثماني للجزائر**

إعداد:

**الدكتور جلول دواجي عبد القادر**

قسم الأدب العربي، جامعة حسيبة بن بوعلي،

الشلف - الجزائر

[dawajiaek@gmail.com](mailto:dawajiaek@gmail.com)**الملخص:**

إن النظام التعليمي جزء وركيزة من البناء الاجتماعي، يتفاعل معه متأثرا به ومؤثرا فيه، ويدور حول الأهداف المشتركة للمجتمع، ولذا فإن المناهج التربوية لا تنشأ من عدم بل تتشكل وتتماثل مع الثقافة التي تعيش فيها والنظم الاجتماعية والدينية والسياسية التي تسود المجتمع. فالمدرسة مؤسسة اجتماعية تعكس الثقافة وتنقلها إلى المتعلمين، بوصفها نظاما اجتماعيا مصغرا، يتعلم فيه الأطفال القواعد الأخلاقية والعادات الاجتماعية وطرق بناء العلاقات مع الآخرين، كما تلعب دورا أساسيا في إعداد الفرد وتعزيز هويته، وربطه بمجتمعه وثقافته، ومن ثم فهي تعمل على تشكيل الجماعة وترسيخ قيمها، وتحديد اتجاهاتها بكونها أحد أهم القنوات لإيصال القيم عبر الأجيال وتعزيزها. ومن هنا فإن أي سعي للنهوض بالمجتمع لا بد أن يمر عبر إصلاح عميق في ميدان التربية والتعليم، بل إن الإمام عبد الحميد بن باديس -رحمه

الله- يرهن صلاح المسلمين وصلاح علمائهم بصلاح التعليم، فيقول: "لن يصلح المسلمون حتى يصلح علماؤهم، فإنما العلماء من الامة بمثابة القلب إذا صلح صلح الجسد كله وإذا فسد فسد الجسد كله...، ولن يصلح العلماء إلا إذا صلح تعليمهم، فالتعليم هو الذي يصبغ المتعلم بالطابع الذي يكون عليه في مستقبل حياته وما يستقبل من عمله لنفسه وغيره".

ولقد كانت مدن: تلمسان وبجاية ومازونة قلاعا من قلاع العلم ومراكز لأكبر المعاهد العلمية والتربوية في الجزائر في العهد العثمانية تخرج منها علماء عظام في اللغة والنحو والفقه والعلم.

وتتناول ورقتنا البحثية هذه الدور العلمي والتعليمي الذي عرفته مدرسة مازونة الشهيرة والتي كان يضرب بها المثل في العلم ومنهج الأخذ والتعليم وكانت أتمودجا يحتذى به في الشق الآخر من المشرق العربي إلى درجة أن الذي يذهب لطلب العلم في الشام أو مصر أو العراق يقال له: "هل درست بمازونة؟؟".

ومما يبرهن عن أهمية مدرسة مازونة الفقهية ما جاء على لسان أبي راس الناصر قال: سألني الشيخ محمد بن لبنة عن وجهتي، فقلت له ذاهب إلى مازونة، قال لم؟ قلت: لقراءة الفقه، فقال: والقرآن؟ فقلت له: نعرفه بأحكامه وأنصاه وما يتعلق به، فحفظت في مازونة مختصر خليل وفهمته معني ولفظاً في عامي الأول، ثم قرأت للطلبة الفرائض...

تجيب الورقة البحثية هذه عن مجموعة من التساؤلات التي لها آصرة بالعنوان، وتتمثل في التعريف بالمدرسة وعلمائها وشيوخها وتلامذتها والطرق والمناهج التعليمية التي كانت تعتمدها المدرسة آنذ مما جعلها تتبوأ مكانة عالية في العلم وتستحق فعلا لقب بلدة العلم والعلماء بامتياز ولقب أم الأحكام المكنونة.

الكلمات المفتاحية: المنهج-مدرسة مازونة- الفرائض- الفقه-علوم اللغة.

### أولا- التعليم في العهد العثماني:

المطلع لتاريخ الجزائر العثماني يتبدى له أن الجزائر وبالضبط في النصف الثاني من القرن السادس عشر كانت مقسمة إلى أربعة أقاليم إدارية أو بايلكات وهي على التوالي: ١- دار السلطان: وتمتد من دلس شرقا إلى شرشال غربا ومن ساحل البحر شمالا إلى سفوح الأطلس البلدي جنوبا. ٢- بايلك الشرق: كان مركزه قسنطينة. ٣- بايلك الغرب: و قد استقر مركزه بوهران بعد انتقاله من مازونة ثم معسكر. ٤- بايلك التيطري: ومركزه المدية ويعتبر أصغر البايلكات وأفقرها وأكثرها ارتباطا بالسلطة المركزية<sup>١</sup>.

إن بايلك الغرب لم تكن عاصمته مستقرة بمكان واحد، مقارنة مع البايلكات الأخرى، فقد كانت منطقة مازونة في البداية عاصمة له عام

١٥٦٣م إلى غاية ١٧٠٠م ثم تحولت العاصمة إلى معسكر سنة ١٧٠١م ثم إلى وهران في الفتح الأول سنة ١٧٠٨م، ثم مستغانم سنة ١٧٣٢م بعد ذلك عاد المقر إلى معسكر ثانية سنة ١٧٣٧م، و أخيرا انتقل إلى وهران بعد الفتح الثاني سنة ١٧٩٢م، وإذا كانت البايلكات الأربعة محدودة بمحدودها الجغرافية ، فإنه كان على رأس كل بايلىك بايا يعينه السلطان " لقد كان الباي صاحب السلطة السياسية الأولى على المنطقة و هو المسؤول الأول أمام الحكم المركزي ، حيث إن هذا الأخير هو الذي يقوم بتعيين البايات وتنصيبهم"<sup>٢</sup>.

لقد شجع العثمانيون انتشار حركة التعليم وتركوا الميدان مفتوحا للأفراد والجماعات يقيمون ما يشاءون من مؤسسات دينية أو تعليمية. لأن الجزائريين والعثمانيين أصبحوا تحت راية الإسلام، واستنجدوا الجزائريين بإخوانهم العثمانيين كان عن قصد، فكان لهم "ذلك الدور البطولي الذي قاموا به - أي العثمانيون - خلال عصر الانحلال والتدهور والغزو المسيحي في قيادة الشعب، وشد أزره ضد العدو المهاجم، وما اضطلعوا به تحقيقا لرغبة الشعب من تأسيس الدولة، ومقاومة المهاجم إلى أن أبعد نهائيا عن أرض الوطن، وجمع الوحدة الوطنية الجزائرية الإسلامية ضمن دولة واحدة وحول عاصمة واحدة وتحت راية واحدة رغم أنف الإقطاعية الطاغية ... و إذا ما ذكرنا الدولة

الجزائرية، والوطن الجزائري، فقد ذكرنا الأتراك العثمانيين سواء أكانا من المعترفين أو من الجاحدين<sup>٣</sup>.

ولكن ما يميز هذا العهد هو أن بعض الحكام العثمانيين كانت لهم إسهامات في تشجيع بناء المدارس، وتكريم العلماء وتقريبهم بسبب مساهماتهم المختلفة، ومن بين الذين شجعوا ازدهار التعليم الداي محمد عثمان باشا (١٧٦٦م-١٧٩١م)، وصالح باي باي قسنطينة (١٧٢٥-١٧٩٥)، ومحمد الكبير باي إقليم الغرب (١٧٧٩-١٧٩٦)، حيث أنشأ صالح باي مدرسة الكتانية، وألحق بالجامع الأخضر مدرسة، وأمر محمد الكبير بتوسيع رقعة التعليم ومنح جوائز للبعض من أهل الفكر<sup>٤</sup>.

وإذا كانت الأقلية التركية تتكلم اللغة التركية فإن ذلك لم يفقد من أهمية اللغة العربية كلغة وطنية ورسمية ولا ذهبت العادات والتقاليد وبقي المجتمع محافظا على ثقافته ونسيجه الاجتماعي "فبالرغم من كون الأتراك كانوا يتكلمون لغة تركية ولهم ثقافتهم الخاصة، فإن الثقافة العربية لم تفقد وظيفتها في الإدارة التركية سواء في المحاكم الشرعية أو التعليم وغيرها من المرافق التي لها صلة بحياة المواطنين وخلال ثلاثة قرون لم يحاول الأتراك فرض اللغة التركية على الأهالي كما أنهم لم يكونوا مدارس خاصة بأبناء الأتراك لتعليم اللغة التركية، بل إن أحمد باي كاتب السلطان باللغة العربية"<sup>٥</sup>.

ومن هنا فإن العهد العثماني امتاز بازدهار ورقي الحركة العلمية والتعليمية والتي ارتبطت بالتعليم الديني أساسا، لأن العثمانيين لما جاءوا وجدوا حواضر علمية مزدهرة ببجاية وتلمسان وقسنطينة ومازونة والجزائر وغيرها، إلا أنه نظرا لظروف سياسية ومخاوف عسكرية نقلت كثير من هذه المراكز من المدن إلى الأرياف.

يقول البوعبدلي: (إن العصر العثماني امتاز في الجزائر بانتقال المراكز الثقافية من المدن إلى القرى، واشتهرت عدة معاهد إذ ذاك في كامل القطر، كمعاهد بني يعلى العجيسي، عبد الرحمن اليالولي ... وبني خليل، والمدية ومعاهد الراشدية ومازونة ...).<sup>٦</sup>

وبتعدد هذه المراكز الثقافية والمؤسسات التعليمية على اختلافها وتنوعها في المدن والأرياف نقصت الأمية من أوساط المجتمع إلى نسبة قليلة، وساهمت في تكوين أجيال مثقفة، ويشير المؤرخ أحمد توفيق المدني إلى أن "الأمية كانت في القطر الجزائري أثناء تلك الفترة (الفترة العثمانية) أقل مما هي عليه الآن، فهم يقولون إن الأمة الجزائرية لم يكن عددها يومئذ إلا نحو ثلاثة ملايين من الأنفس، ويقولون إن القطر الجزائري كان يشمل نحو من ثلاثة آلاف كتاب ومسجد ومدرسة وزاوية لتعليم القرآن الكريم والقراءة والكتابة، فلو فرضنا أن كل كتاب ومدرسة



وزاوية لم يكن يشمل إلا عشرين فقط من الطلاب، وجدنا عدد الطلبة يومئذ ستين ألفا...<sup>٧</sup>.

وفي هذه الظروف و التحولات السياسية التي عرفت الجزائر خلال القرون الثلاثة من الحكم العثماني لم تخدم حركة التأليف والكتابة والتدوين، رغم انعدام وسائل الطبع ودور النشر وآلات الكتابة والنسخ، ولقد خلد علماء وكتاب ومعاصرو الفترة العثمانية كتباً ومخطوطات ومحفوظات ضاع جزء منها، وظهر الجزء الآخر الذي كان مغموراً في خزائن المهتمين، ولا يزال الجزء الكبير في حقائب وخزائن الكثيرين من محتكري العلم، وهو يتدهور يوماً بعد يوم بسبب مفسدات الإنسان والطبيعة والزمن.

ومن جملة ما وصلنا من المؤلفات العلمية والثقافية والدينية في الجزائر العثمانية نذكر على سبيل المثال لا الحصر ما يلي: "لقد ألف بن ميمون للفتح الأول كتابه (التحفة المرضية في الدولة البكطاشية)...، وكتب محمد المصطفى بن عبد المعروف بابن زرقة مؤلفه ( الرحلة القمرية في السيرة الحمديّة)...، وكتب ابن سحنون الراشدي مؤلفه الجماني (في ابتسام الشجر الوهراني)، وكتب بن هطال التلمساني مؤلفه (رحلة محمد الكبير إلى الجنوب الوهراني)<sup>٨</sup>، كما كتب "عبد القادر بن عبد الله المشرفي الغريسي (بهدجة الناظر في أخبار الداخلين تحت ولاية الإيبانيين بوهران من الأعراب كني عامر"<sup>٩</sup>، وكتب أبو عمران موسى أبو عيسى المغيلي

مؤلفات عديدة أشهرها "ديباجة الافتخار في مناقب أولياء الله الأخير" و(الرائق في تدريب النشء من القضاة و أهل الوثائق) و(حلية المسافر) <sup>١٠</sup>، وكتب أبو زكريا بن يحيى بن أبي عمران المغيلي "الدرر المكنونة في نوازل مازونة" <sup>١١</sup>، وكتب أبو العباس الونشريسي "المعيار المغرب عن فتاوى علماء إفريقيا و الأندلس و المغرب" <sup>١٢</sup>، دون أن ننسى ما كتبه مُحمَّد أبو راس الناصري.

وقد قسّم الدكتور سعد الله العلماء خلال العهد العثماني إلى ثلاثة أصناف: "العلماء الموظفون (كتاب الإنشاء أو الخوجات)، والفقهاء المستقلون (المتقفون الأحرار) الذين لا صلة لهم بالتصوف ولا بالسلطة، ثم العلماء المتصوفة، أو المتصوفة دعاة العلم والولاية (المرابطون) <sup>١٣</sup>.

#### ثانيا: مازونة: تاريخها وأعلامها <sup>١٤</sup>:

مدينة مازونة مدينة عريقة تعتبر قاعدة تاريخية هامة في قلب جبال الظهرة، كانت ملتقى لعناصر مختلفة وحضارات متعددة، وصفت منذ القدم بمدينة العلم والثقافة، وسميت بأهم الأحكام المكنونة، لقد امتدت بتاريخها إلى جذور الحضارات القديمة فكانت منارة العلم ومنهل الحضارة. <sup>١٥</sup>

إن الباحث في تاريخ المدينة يصطدم بشح المادة التاريخية والمصادر حولها، فكل الذين كتبوا في هذا الموضوع ما هو سوى إعادة وتكرار لما

جاء في كتابات مولاي بلحميسي ويوسف لوكيل، وهما ابني المدينة ومختصين في التاريخ الإسلامي، فالأول كتب باللغتين الفرنسية والعربية، وهو مؤرخ حصيف، تخرج على يديه علماء كثر في المجال، وأثرى المكتبة بمادة تاريخية ثرية حول الفترة العثمانية من تاريخ الجزائر، خصوصا كتابه المعنون بـ: (مازونة مدينة صغيرة وتاريخ كبير)، وأما يوسف لوكيل فكتب بالفرنسية كتابا قيما مجبر كل من يتحدث عن تاريخ المدينة العودة إليه، رغم صغر حجمه سماه: (مازونة عاصمة الظهرة القديمة)، أما من كتب عن المدينة من كتب ومقالات وأبحاث ورسائل أكاديمية فما هو في الحقيقة سوى اجترار لما كتبه الرجال.

هناك عدة روايات حول تسميتها وهذه أهمها:

مازونة تعني أرض الرجال الأقوياء<sup>٦</sup>، ومازونة اسم قبيلة من زناتة لأن اسم أبيهم مازون<sup>٧</sup>، وقيل مشتقة من كلمة "ماسونة" بلدة رومانية فتحول الاسم اللاتيني ماسونة إلى البربري مازونة<sup>٨</sup>.

ويروى أن مازونة كانت تحكمها ملكة لها كنز من قطع نقدية من الذهب تسمى "موزونة"، وأنه كان راع يدعى "ماتع" يرعى بغنمه في المكان الذي تأسست فيه المدينة؛ فرجع إلى أهله يصف مزاي المرعى، ويقارنه بتلك القطع النقدية التي تسمى موزونة فلقب المكان بمازونة<sup>٩</sup>، ويروى أن ملكا حظ رحاله بجبال المنطقة وكانت ترافقه ابنته "زونة"؛ فطلب من رجاله

أن يحضروا لها الماء، وعندما وجدوا المنبع حرموه على الغير وجعلوه لها، وقالوا هذا ماء زونة، ومنه أخذ اسم المنطقة مازونة<sup>٢٠</sup>، وكلها تبقى مجرد روايات.

تقع مازونة في قلب جبال الظهرة، فنالت إعجاب كثير من الرحالة والجغرافيين القدماء حيث يصفها الشريف الإدريسي بقوله: "هي مدينة بين جبل في أسفل، ولها أنهار ومزارع وبساتين وأسواق عامرة ومساكن موفقة ولسوقها يوم معلوم وهي من أحسن البلاد صفة وأكثرها فواكه وخصب"<sup>٢١</sup>، وأما الحسن بن محمد الوزان الفاسي المعروف في الدراسات اللاتينية بليون الأفريقي فيقول عن مازونة في رحلته ومعجمه وصف إفريقيًا: "مدينة أزلية بناها الأفارقة - حسب قول بعضهم - على بعد نحو أربعين ميلاً من البحر، تمتد على مساحة شاسعة وتحيط بها أسوار متينة، ... وفيها جامع وبعض مساجد أخرى، لقد كانت مدينة متحضرة جداً في القديم ....، حتى أصبحت اليوم (القرن السادس عشر) قليلة السكان، ... والأراضي المزروعة جيدة تعطي غلة حسنة"<sup>٢٢</sup>.

أما ابن بطوطة فذكرها من دون وصف حيث قال: "فوصلنا ... إلى مدينة تنس ثم إلى مازونة ثم إلى مستغانم ثم إلى تلمسان"<sup>٢٣</sup>، كما ذكرها العبدري في رحلته قائلاً: "ثم رحلنا على طريقنا الأول إلى مليانة فتيمننا منها على طريق مازونة، مثنى خطوب الزمان ومناخ ركاب الحدثان، وهي بليدة

مجموعة مقطوعة من بعض جهاتها بجرف واد منقطع شبه قلعة، وواهية  
حسا ومعنى.<sup>٢٤</sup>

### ثالثا- مدرسة مازونة العلمية:

١- **النشأة والتأسيس:** الداخلة للمدرسة تصادفه لوحة<sup>٢٥</sup> تؤكد صحة ما ورد في الوثائق التي اطلعنا عليها والروايات التي استمعنا إليها أي أن تأسيس المدرسة كان خلال القرن الحادي عشر الهجري نحو سنة ١٠٢٩ هـ القرن السادس عشر الميلادي على يد الشيخ محمد بن الشارف وقد أسسها وأقامها من ماله الخاص ودرّس بها حوالي ٦٤ سنة وقبره موجود بها عليه قبة تسمى باسمه.

تقول الرواية الشفوية لأفراد عائلة المؤسس<sup>٢٦</sup> بأنه كان في ملك محمد بن الشارف قطعة أرض باعها لأنها غير صالحة للبناء واشترى بالمقابل قطعة أرض أخرى، وقد اشتراها من ثلاث نساء اللواتي رفضن أخذ ثمنها بعد علمهن بنيتها في تأسيس زاوية للتعليم غير أنه أصر على دفع الثمن. اكتسبت مدرسة مازونة شهرة علمية منذ تأسيسها ولعبت دورا رئيسيا في المحافظة على الثقافة العربية الإسلامية ليس على الصعيد المحلي فحسب بل على نطاق واسع من القطاع الوهراني وأحوازه حيث إنها استقطبت لمدة طويلة عددا كبيرا من الطلبة الذين جاؤوا من مختلف قرى ومدن الغرب الجزائري وحتى من المغرب الأقصى طلبا للعلم وهو ما كان

معروفا عن هؤلاء الطلبة أنهم كانوا يأخذون العلم حيث ما وجدوه وقد كان بعضهم في حركة مستمرة لطلب العلم.

يقول مُجَّد أبو راس الجزائري: "لما ذكر لي الطلبة مازونة وكثرة مجالسها ونجابتها طلبتها وقريحة أشياخها... سافرت إليها فلقيت في المشي على صغري مشقة لكن ذلك شأن السفر للعلم<sup>٢٧</sup>، وكل ذلك أكسب مدينة مازونة ومدرستها العلمية رمزية فكرية وثقافية إذ اعتبرت حاضرة العلم ولقبت بمدينة العلم والعلماء.

وأسس الفقيه العارف مُجَّد بن علي الشارف المازوني مدرسة تربوية بـمازونة في بداية القرن الحادي عشر الهجري، وقام بالتدريس فيها إلى أن لقي ربه، ثم تجدد ازدهار المدرسة على يد الشيخ أبو طالب مُجَّد بن علي، في بداية القرن الثاني عشر الهجري، وخلفه على المدرسة أخوان من أبرز تلامذة المدرسة هما: الشيخ مُجَّد بن هني وشقيقه الشيخ عبد الرحمن بن هني<sup>٢٨</sup>.

٢- علماء مازونة<sup>٢٩</sup>: كثر هم الذين تخرجوا من مدرسة مازونة، لا تكفي هذه الصفحات للإحاطة بهم والإمام بسيرتهم جميعا، ولكن سأقتصر على التعريف بأبرزهم وأشهرهم، أولئك الذين ملأت شهرتهم الآفاق، وخلدوا أسماءهم بمصنّفاتهم وكتبهم وأسفارهم، وكوّنوا من التلاميذ من حمل علمهم ونشر ذكرهم، منهم على سبيل المثال لا الحصر ما يلي:

١. عبد الرحمن بن مُجَّد بن الشارف: هو مؤسس المدرسة الفقهية بمازونة، توفي بمدينة مازونة، وبالضبط لا نعرف تاريخ وفاته.
٢. الشيخ علي بن عبد الرحمن بن مُجَّد بن علي ابن الشارف: وهو ابن الشيخ عبد الرحمن مؤسس المدرسة، وتوفي سنة ١١٨٩هـ بمدينة مازونة<sup>٣٠</sup>.
٣. الشيخ مُجَّد بن علي بن عبد الرحمن بن مُجَّد بن علي بن الشارف: المعروف بأبي طالب المازوني، وهو حفيد الشيخ المؤسس للمدرسة، توفي الشيخ أبو طالب سنة ١٢٣٣هـ / ١٨١٨م، بمدينة مازونة عن عمر يناهز مائة وثلاثين (١٣٠) سنة، ودامت مدة تدرسه أربعاً وأربعين ٤٤ سنة<sup>٣١</sup>.
٤. الشيخ أبو العباس أحمد بن هني بن مُجَّد بن علي: وهو حفيد الشيخ أبي طالب المازوني السابق ذكره.
٥. الشيخ مُجَّد الصادق بن فغول: كان من العلماء الأجلاء بارعا في الفنون، مقدما في معرفة الحديث على أقرانه، كما كان خبيرا بعلم الشريعة يجمع بين العلم والدين.
٦. يحيى بن موسى أبو عمران ابن عيسى بن يحيى، أبو زكريا المغيلي المازوني: وهو فقيه مالكي من أهل مازونة من أعمال وهران، ولي قضاء بلده، توفي بتلمسان سنة ٨٨٣هـ / ١٤٧٨م، له ( الدرر المكنونة

في نوازل مازونة)، قال عنه أحمد بن يحيى الونشريسي صاحب المعيار تلميذ المازوني: "الصدر الأوحده العلامة العلم الفضال ذي الخلال السنية، سني الخصال شيخنا ومفيدنا وملاذنا وسيدنا، ومولانا وبركة بلادنا أبي زكريا سيدي يحيى، وهو من العلماء الكبار الذين تناولوا الفتوى، وأصبحوا مرجعية فقهية، ولم يتوظف بعلمه عند السلطة، وكانت فتاوى المعيار والمازوني دائرة على فقه مالك بن أنس، لأنه المذهب الذي كان يتبعه جميع السكان باستثناء أتباع المذهب الإباضي"<sup>٣٢</sup>.

٧. أبو عمران موسى بن عيسى المازوني: اشتغل قاضيا بمازونة<sup>٣٣</sup>، ويصفه الحفناوي "بالفقيه الأجل المدرس المحقق، القاضي الأكمل، وهو والد صاحب النوازل، ولصاحب الترجمة تأليف في الوثائق سماه: "الرائق في تدريب الناشئ من القضاة وأهل الوثائق"<sup>٣٤</sup>.

٨. الحسن بن محمد بن محمد بن مصطفى المازوني: ويعرف بابن منزل آغا، من كبار علماء مازونة في وقته، ولم يعرف تاريخ مولده ولا وفاته<sup>٣٥</sup>.

٩. الصادق بن علي المغيلي المازوني: عالم من فقهاء المالكية، من أهل مازونة التي تعلم بها ثم رحل إلى معسكر، وبعدها رحل إلى المشرق فتعلم بالأزهر الشريف، وبعد عودته تولى القضاء بمازونة، ثم بوهران، لم يعرف تاريخ ميلاده ولا وفاته، غير أنه كان حيا سنة ١٢٤٧هـ / ١٨٣٨م.



### ٣- العلماء الذين درسوا في مازونة:

ومن العلماء الذين درسوا بـمازونة، نذكر ما يلي:

١. الشيخ مصطفى الرماصي (ت ١١٣٦هـ / ١٧٢٤م): نسبة إلى قرية قرب مدينة مازونة، عالم من فقهاء المالكية، تعلم بالمدرسة الفقهية بـمازونة، على يد شيوخها وخاصة مؤسسها محمد بن الشارف المازوني، الذي أخذ عنه علم الحديث والفقہ المالكي، وأجازه الشيخ في ذلك، ثم رحل إلى القاهرة، حيث أخذ عن علمائها.

وصفه عبد الرحمن الجامعي الفاسي بقوله: "حامل راية الفقہ المالكي في عصره ومصره"<sup>٣٦</sup>، من آثاره: ترك لنا الشيخ الرماصي مجموعة من المؤلفات في جميع فنون العلم<sup>٣٧</sup>.

٢. الشيخ محمد السنوسي الخطابي الحسيني الإدريسي مؤسس الطريقة السنوسية، ولد في مستغانم، درس علوماً مختلفة بالمدرسة الفقهية بـمازونة على يد شيخه أبي طالب المازوني، وحفيده الشيخ أبي العباس أحمد بن هني<sup>٣٨</sup>.

٣. الشيخ محمد ابن القندوز (ت ١٢٢٢هـ): درس في المدرسة الفقهية بـمازونة سنين عديدة، ثم رحل إلى مصر، توفي عن سن عالية سنة ١٢٢٢هـ<sup>٣٩</sup>.

٤. والشيخ عدة بن غلام الله ( ١٢٠٨ - ١٢٨٣ هـ / ١٧٤٧ - ١٨٦٦ م): هو عدة بن مُجَّد الميسوم بن غلام الله بن عبد الرحمن بن أبي القاسم بن مُجَّد الخياطي، درس على يد الشيخ أبي طالب مُجَّد المازوني الفقه بالمدرسة الفقهية بمازونة، تولى القضاء في عهد الأمير عبد القادر<sup>٤٠</sup>.
٥. والشيخ مُجَّد أبو راس: هو الشيخ الفقيه الحافظ المؤرخ، مُجَّد بن أحمد بن عبد القادر بن مُجَّد بن أحمد الناصر ابن علي ابن عبد العظيم بن معروف بن عبد الله بن عبد الجليل، الراشدي المعسكري الجزائري، صاحب المؤلفات الكثيرة المختلفة، منها: عجائب الأسفار ولطائف الأخبار، والحلل السندسية، والخبر المعرب وغيرها، أخذ الفقه المالكي وأصوله عن الشيخ أبي طالب المازوني<sup>٤١</sup>.
٦. والشيخ العلامة الفقيه عبد القادر بن المختار الخطابي المجاهري: خريج المدرسة الفقهية بمازونة، صاحب كتاب: (الكوكب الثاقب في أسانيد الشيخ أبي طالب)، قرأ بمازونة على عاملها الشيخ أبي راس المازوني، ولعل وفاته كانت سنة ١٣٣٦ هـ بمصر<sup>٤٢</sup>.
٧. السيد مُجَّد بن عبد الله الخالدي المالكي الجزائري: توجه إلى مازونة سنة ألف ومائتين وخمس وأربعين، واشتغل بالعلوم الشرعية، وحفظ متن الشيخ خليل في مذهب الإمام مالك، وقرأ بعض شروحه، وبعدها توجه إلى قسنطينة سنة ألف ومائتين واثنين وأربعين<sup>٤٣</sup>.

ومن خلال هؤلاء النخبة من العلماء والفقهاء، الذين تعلّموا ودرسوا وتفقهوا بالمدرسة الفقهية مازونة، اكتسبت بهم شهرتها العلمية والثقافية، منذ السنوات الأولى لتأسيسها، وأنها لعبت دورا كبيرا وهاما في المحافظة على الشخصية العربية الإسلامية بالقطاع الغربي خاصة، وبالقطر الجزائري عامة<sup>٤٤</sup>.

وكثير من هؤلاء وغيرهم منهم من قبل المكوث بالمدينة ومدرستها والتعليم فيها ومنهم من اختار طريق بلدته أو حضرته أو غيرها بالمشرق أو بالمغرب وعلا شأنه واشتهر بها.

#### رابعا- المنهج التعليمي لمدرسة مازونة إبان الفترة العثمانية:

أ- الجهود التعليمية للمدرسة: اعتنى أهل مازونة كغيرهم في ناحية المغرب الأوسط خاصة والمغرب الإسلامي عامة بالعلوم الدينية بمختلف فروعها، إذ كان الفقه الإسلامي أساس هذه العلوم المعنى بها، فقد جرى الاعتناء به والعمل على الإفتاء في المسائل اليومية، كما زاد الاهتمام بحفظ القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة، والبحث في مسائل الأصول، كما اهتم علماء حاضرة مازونة بتفسير القرآن الكريم، وبعض علوم القرآن وفي مقدمتها القراءات، وبرزت التأليف المتعددة حول مناقب أولياء الصالحين، وكتب التدريب على القضاء وآداب المسافر منذ القرن الخامس عشر<sup>٤٥</sup>.

رغم خطورة هذه الحوادث التي عصفت بالمنطقة فهزت استقرارها وأضنت سكانها، بقيت الجزائر تحت راية الحكم العثماني قبلة للعلم، ومقصد العلماء والطلبة وقطبا لكل راغب في التعلم والتضلع في العلوم الدينية على اختلاف أجناسها من فقه و تفسير و نحو وعقيدة و شعر. فلقد كانت الجزائر بمدارسها و مساجدها و كتاتيبها و زواياها رائدة في تنشيط الحركة العلمية و الثقافية والدينية تضاهي نشاط كل من جامع الزيتونة وجامع الأزهر و جامع القرويين.

لقد عرف التعليم بصفة عامة في الجزائر العثمانية مستويين "المستوى الأول وهو ما يعادل الابتدائي، وكان يتم عبر المدارس الصغيرة أي ما يسمى بالكتاتيب، والمستوى الثاني تشرف عليه المدارس على المستوى الحضري و الزوايا في الأوساط الريفية"<sup>٤٦</sup>، وكان تعليما ذا طابع ديني بحت مرتبط بالحركة الدينية هذه الأخيرة كانت عاملا أساسيا في ثقافة العصر العثماني إذ كان يتخرج من المدارس والزوايا الأئمة والقضاة، والعدول والموثقون إضافة إلى العلماء والشيوخ والفقهاء، فاشتهرت مدرستي المسجد الكبير و ابني الإمام بتلمسان، ومدرسة مازونة شرق مستغانم ، وعرفت معسكر التعليم من خلال مدارسها و مساجدها خاصة في عهد الباي مُجَّد الكبير الذي شيد المدرسة الحمديدية فأصبحت من أهم المدارس الكبرى، أما مدينتي ندرومة ومستغانم فلم تكن بهما

مدارس مشهورة، لكن لعبت المساجد وملاحقها دورا هاما في الحياة الثقافية على المستوى المحلي.

واشتهرت مدينة مازونة بمدرستها العريقة والمتجذرة عبر العصور التي أسسها أحد النازحين من الأندلس وهو "الشيخ محمد بن شارف الأندلسي في نهاية القرن السادس عشر"<sup>٧٧</sup>، وتعدت شهرتها المستوى المحلي إلى المستوى المغاربي، فشددت إليها الرحال وقصدها الطلبة من كل حذب وصبوب، لا سيما من مستغانم وتلمسان وندرومة وتنس ومعسكر، وحتى من المغرب الأقصى ودول المغرب العربي والإسلامي وتخرج منها علماء وفقهاء ومفتون مشهورون وبارزون أبرزهم أبوراس الناصري والمغيليان "الأول: أبو عمران موسى بن عيسى المغيلي المازوني صاحب مؤلفات عديدة أشهرها، ديباجة الافتخار في مناقب أولياء الله الأخيار و الرائق في تدريب النشء من القضاة و أهل الوثائق و حلية المسافر، أما الثاني فهو أبو زكريا يحيى بن أبي عمران المغيلي (ت ٤٧٨ م) صاحب كتاب (الدرر المكنونة في نوازل مازونة) ...، وفي الدرر نجد تلك الحكمة الخالدة الصالحة لكل زمان و مكان : فساد الملوك بفساد العلماء، وفساد الرعية بفساد الملوك"<sup>٧٨</sup>.

ولقد أثنى أبوراس الناصري على الدور العلمي و الثقافي للمدرسة، في كتابه ( فتح الإله ومنتته في التحدث بفضل ربي و نعمته)، وهو سيرة

تفصيلية لحياته الذاتية و العلمية إذ يقول في هذا الصدد " ثم سافرت أول صومي ل ( مازونة ) مدينة مغراوة ، بناها منديل بن عبد الرحمن منهم أول القرن السادس، فلقيت - على صغري- مشقة المشي لكن ذلك شأن أهل السفر للعلم ... فحفظت المختصر حفظا، وفهمته معنى ولفظا...وقد طار صيتي بمعرفتي المصنف و تحقيقه ، في المشارق والمغرب ، ووعدي كل طالب إلى الفقه راغب ، ثم انصرفت من (مازونة) وقدمت إلى ( أم عسكر ) من مال ولا غيره سوى معرفة الفقه وحده"<sup>٤٩</sup>.

كما ساهمت مازونة أيضا مثل تلمسان في تكوين جيل مثقف ونخبة مثقفة و تجدر الإشارة "إلى أن مدرسة مازونة كانت منطلق الحركة السنوسية"<sup>٥٠</sup>، واشتهرت المدرسة بتدريس الفقه و الحديث و علم الكلام، وقد كانت المدرسة ملتقى العلماء و الطلبة ، ومقر مبادرات فكرية وسياسية ولا سيما عندما كانت عاصمة ومقرا لبابلك الغرب للمرة الأولى (١٥٦٣ م - ١٧٠٠م) ، ثم "جدد الأتراك بناءها أكثر من مرة - يعني المدرسة - تكريما لشيخها الذين ساهموا في الجهاد ضد الإسبان، وكان الرباط أمام وهران متواصلا لمضايقة العدو الذي احتل المرسي الكبير ١٥٠٥ م و وهران ١٥٠٩ م، و شارك فيه عدد من المازونيين من طلبة ومشايخ ... لقد كانت المدرسة كالزهرة بين الشوك

دائمة العطر و الحيوية يستنشقتها محبوا العلم و المعرفة ... عاصرت مدرسة مازونة ملوكا وأمراء وبايات ودايات وباشوات، وقدموا لها لحسن الحظ الدعم على مختلف الأشكال<sup>٥١</sup>.

إن منطقة مازونة كانت في العهد العثماني قبلة للملوك و الأمراء والرحالين والعلماء والطلبة باعتبارها كانت عاصمة قرابة قرن وخمسين سنة إضافة إلى أن الكثير من العلماء و القضاة والمفتين والأئمة تخرجوا من مدرستها التي كانت تضاهي الأزهر والزيتونة والقرويين في المكانة والأهمية، حتى إنهم إذا أرادوا أن يفتخروا بطالب علم، عظموه ورفعوا من قدره و شأنه بقولهم "لقد درس بـمازونة"<sup>٥٢</sup>.

عرفت المدرسة منذ تأسيسها ازدهارا حيث قامت بتأدية دورها التعليمي على أكمل وجه من خلال ما كانت تقدمه من مضمون علمي وأيضا من خلال ما توافد عليها وما تخرج منها من طلبة ينتمون إلى جهات مختلفة من الوطن وخارجه.

**ب- فنون العلم بالمدرسة:** اختصت مدرسة مازونة بتدريس علوم الدين وعلوم اللغة<sup>٥٣</sup>.

**أ- العلوم الدينية:** تتمثل في:

١- **الفقه المالكي:** اعتمادا على مصنف خليل المختصر لذلك لقب شيوخ مدرسة مازونة بالخلييين<sup>٥٤</sup>، وتيسيرا لعملية التدريس استند

شيخ المدرسة على بعض الشروح الموضوعية حوله، ومنها شرح مُجَدَّ الحُرشي ورسالة ابن زيد القيرواني إضافته إلى تأليف بعض شيخ المدرسة السابقين<sup>٥٥</sup>.

ونشير هنا إلى أن هذا الدرس الوحيد الذي استمر الشيخ في تدريسه إلى غاية اندثار المدرسة وقد عرفت عملية تلقينه خلال هذه المرحلة خضوعاً عملياً أدى إلى حظر التعرض لبعض الدواوين التي يؤثر تدريسها على مصالح الاستعمار والاقتصار على تلقين بعض الدواوين التي تتعلق بالعبادات والمعاملات التي تضمن فكرة الخضوع والاعتقاد الديني في سلطة عليا.

ومن هنا اتخذ مصنف خليل بانتمائه إلى الدين وارتباطه بالجد المؤسس للمدرسة والعائلة طابع القداسة حتى أنه مثل عنصراً هاماً من عناصر الرأسمال الثقافي والتعليمي.

وقد قسم مختصر خليل إلى أربعة كتب قسم كل منها إلى أجزاء<sup>٥٦</sup>، وهي:- كتاب الصلاة قسم إلى خمسة أجزاء- كتاب الزكاة قسم إلى أربعة أجزاء- كتاب البيوع قسم إلى تسعة عشر جزءاً- كتاب الإجازات قسم إلى اثنتي عشر جزءاً.

أما تدريسه فكان كل شيخ يتناول كتاباً معيناً وقد يتناول شيخ كتابين أو أكثر ومن هنا بدأت ظاهرة التخصص في التدريس تدريجياً



ومن شدة اهتمام مشايخ المدرسة الفقهية كان من المهم أن يدرس هذا العلم لوحدة خلال السنتين الأوليتين للطالب، وتتم عملية استيعابه عن طريق الحفظ والاستظهار التي يتبعون فيها القراءة الجماعية بعد كتابة النص على اللوح<sup>٥٧</sup>.

ومن أسباب عناية أهل المغرب بالمذهب المالكي وانتشاره في المغرب الأوسط: سببين اثنين: أحدهما: ناتج عن ظاهرة اجتماعية وهي أن إفريقية وبلاد المغرب في هذا العهد كانتا في حاجة ماسة إلى مباحث فقهية دينية تنظم شؤون البلاد الاجتماعية تنظيمًا محكمًا، وتربط بين مختلف طبقاتها المتفككة منذ العهد الجاهلي إلى ما بعد الإسلام، فكان مدعاة إلى تعاطي هذه العلوم الدينية أكثر من غيرها.

ثانيهما: الظاهرة النفسية الملحوظة وهي أن الأمازيغ لما اعتنقوا الإسلام ووجدوا فيه ما يكتنف المسلم في مختلف مجالاته منذ صغره إلى كبره، وما يواجهه في سلوكه الأخلاقي ويصحح علاقته بالإله والكون وبالعالم الآخر وما يواجهه في شؤونه المدنية والقضائية والدولية وغيرها آمنوا بأن العكوف على دراسة القرآن والسنة أو ما يندرج تحت مفهوم العلوم الدينية هو الأساس وهو الجدير بالعناية.

وكان لهذا الاتجاه الفقهي النشط وللحماسة التي تحلى بها الفقهاء نتائج باهرة في كثرة المتفقيين، وفي وفرة التأليف الفقهية وتأثير الفقهاء على

المجتمع ومختلف طبقاته حتى كان الفقيه رجل قانون وإماما وواليا يحترمه الخاصة والعامة، ويستفتونه في أحكامهم، ويستعينون به على حل مشاكلهم.

ويقول القاضي عياض: "واختلف الناس في السبب الذي انتقل به أهل المغرب عن مذهب أبي حنيفة وغيره إلى مذهب مالك السلفي، فقال ابن خلكان: إن المعز بن باديس هو الذي حمل أهل المغرب على مذهب مالك وحسم مادة الخلاف في المذاهب، واستمر الحال من ذلك الوقت إلى الآن." وبذلك بقي المذهب المالكي صامدا ولم يستطع أحد أن يحويه من المغرب العربي عامة والمغرب الأوسط خاصة، رغم ما قصده البعض منهم من السعي إلى محوه وإزالته من المغرب مرة واحدة، حتى أنه سئل أحدهم وقد ترك مذهبه وتمذهب بمذهب مالك فلما قيل له: أنت رجل عالم وفقه قدير متمكن في الفقه ضليع فيه، لم تركت مذهبك، ولجأت إلى فقه مالك مع أن المذاهب كلها من نور النبوة تلتمس؟ فقال: ما قلته صحيح إلا أنني أقول لك: إني درست المذاهب كلها فوجدت أقربها إلى الفطرة السليمة، وإلى السنة الصحيحة وروحها هو فقه مالك بن أنس؛ لأنه نشأ في دار الهجرة.<sup>٥٨</sup>

لقد كانت لشخصية مالك بن أنس صاحب المذهب المتميز أبلغ تأثير في تحبيب مذهبه إلى الناس عامة والمغاربة خاصة، فبالإضافة إلى كرم أخلاقه ومحبتة للناس والتواضع لهم، وتهيبه الشديد من الفتوى وتحريه لما ينقل

ويرويه من حديث النبي صلى الله عليه وسلم، كانت لعنايته بالطلبة المغاربة أبلغ تأثير على انتشار هذا المذهب بالمغرب الإسلامي، وليس أدل على ذلك من تلك الواقعة التاريخية التي نقلت عنه عندما جاءه كتاب ابن غانم يوصيه بعبد الله بن أبي حسان، فأكرمه حتى قال عبد الله: "فلم أزل عنده مكرما"، وأما الطلبة المغاربة فلم يكن يزدريهم كما فعل زفر بن الهذيل تلميذ أبي حنيفة الذي كان يزدري عبد الله بن فروخ، بل كان يثني عليهم، ويقول: "إن أهل الأمن والذكاء والعقول من أهل الأمصار الثلاثة: المدينة ثم الكوفة ثم القيروان"؛ فكان لسلوكه هذا الأثر الحسن في نفوس المغاربة<sup>٥٩</sup>.

وأیضا التشابه بين بيئتي الحجاز والمغرب من الناحية الاجتماعية، وهذا ما عبر عنه ابن خلدون عند الكلام عن بداوة أهل الحجاز ونظرائهم من أهل المغرب، حيث قال: "وأیضا فالبداوة التي كانت غالبية على أهل المغرب والأندلس، ولم يكونوا يعانون الحضارة التي لأهل العراق فكانوا إلى الحجاز أميل لمناسبة البداوة، ولهذا لم يزل المذهب المالكي غضا عندهم، ولم يأخذه تنقيح الحضارة وتهذيبها كما وقع في غيره من المذاهب<sup>٦٠</sup>.<sup>٦١</sup>

**٢- علم التوحيد:** عمد الاستعمار إلى إلغاء مادة التوحيد من المحتوى التعليمي للمدرسة وكان الهدف من ذلك القضاء على التعليم الإسلامي، وبالتالي ضرب الهوية الدينية إضافة إلى أن التوحيد كعلم ديني يتضمن في محتواه المعرفي وحدة الخالق كما أنه عامل جوهري في الثقافة

العربية، ومصدر من مصادر القوة والمقاومة وفي ذلك يقول أرنست رينان "إن الصفة الأساسية التي تميز العرب عن غيرهم هي الإيمان بالتوحيد وكان التوحيد منطلقاً للثقافة العربية وإلى الوحدة، وحدة اللغة ووحدة التاريخ".<sup>٦٢</sup>

لكن ورغم ذلك الإجراء الإلغائي لعلم التوحيد من حركة التعليم بالمدرسة إلا أن الشيوخ استمروا في تدريسه لكن دون أن تعقد له الحلقات العلمية بل كان يلقي أيام العطل.

**٣- علم الحديث:** باعتماد صحيح البخاري ومسلم وموطأ الإمام مالك ويؤكد ذلك محمد بن علي السنوسي بقوله: (قرأت على ابن العباس بن أحمد بن هني وسمعت عليه مجالس عن البخاري ومثلها من مسلم والموطأ)<sup>٦٣</sup>.

**ب- العلوم اللغوية:** أهمها النحو العربي وحفظ المنظومات وشرحها: عكف شيوخ المدرسة على تدريس وتحفيظ منظومة ألفية بن مالك والأجرومية على غرار الزوايا الفقهية المنتشرة لما لهما دور في عملية التعلم وعلاقة النحو بالعلوم الدينية الأخرى كالتفسير والبلاغة والفقه والحديث.

ويُعَدُّ ابتداء العلماء والشيوخ في النظم النحوي ارتيادا لطريق نحو أسلوب جديد لتعليم النحو كان له آثار بعيدة المدى فيه أهمها تنشيط

الحركة العلمية؛ إذ أكثر إقبال طلاب العلم على حفظه؛ لأن النظم أسهل حفظاً وأيسر استحضاراً وأكثر رواجاً من النثر؛ لما فيه من الأوزان المستحبة والموسيقى المستعذبة، وهذا يدل على مدى الجهد الكبير الذي بذله هؤلاء العلماء في سبيل خدمة لغة القرآن، وذلك بتيسير معرفة القواعد النحوية وتسهيل تعلمها للطلبة في مدرسة مازونة الفقهية.

إن حفظ وفهم وتعلم المنظومات التعليمية مهم للطالب المتعلم لأنها وسيلة تُسهِّل على المتعلم حفظ ما يتعلَّمه، فتمكِّنُه المنظومة من الإمام بالقواعد، وتيسِّر له فهم نصوص الفصحى، وتعودِّ لسانه التحدث بها، فالنظم طريقة مثلى لتدريس العلوم وبخاصة علوم العربية وما يتعلق بها، لأن حفظ القاعدة هي الوسيلة المُثَلَّى للابتعاد عن اللحن والخطأ والتعبير بلغة فصحي سليمة.

### ج- طرائق التدريس ووسائلها بالمدرسة:

١- الطريقة الإلقائية: كانت تعقد الحلقة العلمية في قاعة الصلاة بالمسجد التابع للمدرسة حيث يجلس الشيخ على كرسيه الخشبي المرتفع وذلك حتى ينظر جميع الطلبة وينظرون إليه كدلالة رمزية على التحكم في نظام الحلقة، ومراقبة سلوكيات جميع الطلبة ولفت انتباههم وكان الطلبة يتحلقون حوله متربعين في جلستهم على الحصر وتبدأ العملية التعليمية بأن يأمر الشيخ أحد طلبته بقراءة نص من الكتاب الذي هم

بصدد دراسته، وهذا النص هو ما سيشكل موضوع الحلقة العلمية يسمى الطالب الذي يقرأ النص بالدوان<sup>٦٤</sup>، وكان لكل شيخ دوان خاص به وبعد أن يتم الدوان قراءة النص يبدأ الشيخ في شرحه والإجابة والتفسير معتمداً في تلقيه ذلك على محفوظه من الشروح والحواشي الموضوعية حول النص دون أن يبدي رأيه حول الموضوع<sup>٦٥</sup>.

هذه هي الطريقة الإلقائية التقليدية التي يلجأ إليها الشيخ لإثارة دافعية الطلبة وتشويقهم إلى الدرس، إضافة إلى أنها تكسبهم معلومات ومعارف كثيرة في وقت قصير.

عند انتهاء الشيخ من الشرح يتدخل الطلبة الذين أشكل عليهم الدرس طالبين تفسيرات حول بعض المسائل وتبدأ بذلك الطريقة الجدلية القائمة على النقاش وقد انتهج الشيخ لإنجاح هذه الطريقة أسلوب الجد والهزل للترويح عن النفس وترسيخ الفهم<sup>٦٦</sup>.

ساهمت هذه الطريقة في إيجاد عملية التفاعل بين الشيوخ والطلبة وبين الطلبة فيما بينهم وأصبح بذلك الطالب عنصراً إيجابياً في المشاركة في سير العملية التعليمية.

٢- طريقة المراجعة: ترسيخاً لموضوع الحلقة العلمية اعتمدت المدرسة على طريقة المراجعة أو المذاكرة الجماعية وذلك بأن يقوم الطلبة

المتقدمون في الدراسة بإعادة شرح النص وتدارسه مع الطلبة الجدد الذين هم بصدد قراءة هذا النص<sup>٦٧</sup>.

تعتبر هذه الطريقة من أكثر الطرق كفاءة خصوصا عندما يتمكن الطلبة من مساعدة بعضهم البعض، وقد وفرت هذه الطريقة أيضا فرصا للطلبة المتفوقين لتدعيم تعلمهم عن طريق مساعدة غيرهم ولذلك أطلق عليها التعليم المتبادل.

#### د- وسائل التدريس:

أ- الأدوات: اعتمدت المدرسة الوسائل التقليدية فقد كان الطلبة يسجلون دروسهم على لوحاتهم الخشبية التي هي وسيلة ضرورية في عملية التعلم يجب توفرها لدى كل متعلم من أجل كتابة النصوص ومراجعتها لحفظها.

ب- أوقات التدريس: أما فيما يخص أوقات التدريس فقد ارتبطت بالواجبات الدينية أي حسب مواقيت الصلاة اليومية وذلك على النحو التالي:

- بعد صلاة الصبح قراءة الأوراد للطريقة التيجانية وتبدأ بعد ذلك مباشرة عملية التدريس حتى وقت الضحى ونلمس هنا نوعا من التركيز على الإبداع في العملية التعليمية وذلك لما لها من فاعلية في ترسيخ الأفكار وتهيئة الأذهان لقبولها واستيعابها إضافة إلى قدسيته الدينية وذلك لخبر بورك لأمتي في بكورها<sup>٦٨</sup>.

- الدرس الثاني إلى غاية الظهرية<sup>٦٩</sup>، بعد صلاة الظهر قراءة الراتب وذلك ترسيخا لحفظ القرآن الكريم.
- الدرس الثالث بعد صلاة العصر.
- بعد صلاة المغرب المذاكرة الجماعية.

**ج- العطل:** لم يكن الموسم الدراسي للمدرسة محددًا بزمن معين وإنما كان يتم في العادة في مستهل فصل الشتاء ويستمر حتى بداية فصل الصيف مع إمكانية بقاء الطلبة المسافرين (الداخليون) في بيوتهم بالمدرسة أيام العطل يتدارسون فيما بينهم دروسا في علم التوحيد والنحو العربي وتعليم بعض العائلات في ضواحي مدينة مازونة، وكانت العطل موزعة كالآتي:

- العطلة الأسبوعية يومي الخميس والجمعة وهذا ما يعني أن أيام التدريس تستغرق خمسة أيام.

- العطل الموسمية خاضعة لتحديات الشيخ المشرف على عملية التدريس<sup>٧٠</sup>.

- العطل السنوية تتمثل خاصة في عطلة الصيف التي تستمر إلى الخريف.

- العطل الدينية وهي العطل التي تتعلق بالأعياد الدينية كعيد الفطر وعيد الأضحى وعاشوراء وأول محرم والمولد النبوي.

**د- شروط الالتحاق بالمدرسة:** كان للمدرسة نظام داخلي وقانون يحدد شروط القبول في المدرسة، تكاد تكون هي نفسها الشروط



المعتمدة في المدرسة النظامية الجزائرية الحديثة، وكذا معاهد التعليم القرآني الجزائري، ومن هذه الشروط:

- أن يكون الطالب قد تمكن من حفظ القرآن الكريم وما يتطلبه من تعلم القرآن والكتابة وقواعد الدين وهو ما يعني أن الطالب الذي يلتحق بالمدرسة يكون قد مر على المرحلة الابتدائية في الكتاتيب وبالتالي كانت مدرسة مازونة تمثل مرحلة للتعليم الثانوي وعليه كانت أعمار الطلبة بين الخامسة عشر والثلاثين.
- أن يهتم الطالب بنظافة جسمه وثوبه فلا يدخل على شيخه إلا بأحسن الهيئات وكامل الطهارات وبهندام موحد ولائق، فمثلا لا يسمح لأي طالب حضور حلقة الدرس دون عمامة.
- ألا يتأخر الطالب عن الدرس ولا يدخل دون استئذان من الشيخ وألا يتكلم في حضرته إلا بإذنه.
- أن يراجع الطلبة بعضهم بعضا تطبيقا لطريقة التعليم المتبادل السالفة الذكر.
- أن يمنح الطالب على اجتهاده في دروسه إجازة بالعلوم التي اجتاز بها مرحلة معينة تؤهله الجلوس للتدريس، وهو ما يعرف في المدارس النظامية اليوم بشهادات النجاح.

#### هـ- مكتبة المدرسة:

شكلت المكتبة في وجودها أحد عوامل نجاح العملية التعليمية بالمدرسة فقد وجدت منذ البدايات الأولى لمباشرة وظيفتها التعليمية.

يقول G.H Bousquet في دراسة الوضعية الفقهية للمدرسة: "إنها (المدرسة) قد احتوت على مكتبة هامة شملت مخطوطات رائعة منها ما هو موقوف وبعضها هبات من البايات أثناء العهد العثماني بالإضافة إلى بعض التأليف الخاصة بالمشايخ"<sup>٧١</sup>.

**خامسا- مدى مساهمة مدرسة مازونة في عملية التكوين ونشر التعليم بالمنطقة:**

تخرج من مدرسة مازونة خلال مرحلة الدراسة وخاصة في الفترة الممتدة بين ١٩٣٠- ١٩٤٢ التي اعتبرناها امتداد لنشاطها وازدهارها وهي كذلك آخر محطة من محطات ازدهار المدرسة قبل أن يأفل نجمها عدد كبير من الطلبة تحولوا بدورهم إلى شيوخ فتحو مدارس قرآنية في مدتهم وبين أهاليهم عبر مناطق مختلفة من الوطن وفي منطقة حوض الشلف مساهمين بذلك في نشر التعليم العربي الحر.

هكذا ومن خلال خريجها تمكنت مدرسة مازونة من أن تضع لوجودها أسلوبا آخر في عملية الاستمرار، وأكثر من ذلك شكل هذا النوع من الإنتاج امتدادا جغرافيا وزمنيا عبر بطريقة أو بأخرى عن مدى فاعلية العملية التعليمية للمدرسة، وبالتالي المساهمة في نشر التعليم العربي الحر كما ساهمت بشكل آخر في إيجاد قوى أخرى من قوى المعارضة للاستعمار بالإضافة إلى المحافظة على الإرث الثقافي ومن خلاله الهوية الدينية والشخصية الوطنية.

**خاتمة:**

رغم الهزات والحوادث والعوائق التي تعرضت لها المدينة عبر العصور إلا أن المدرسة بقيت تستقطب جموع العلماء والطلبة من أنحاء الوطن وحتى خارجه، فلقد اعتنى أهل مازونة كغيرهم في ناحية المغرب الأوسط خاصة والمغرب الإسلامي عامة بالعلوم الدينية بمختلف فروعها، إذ كان الفقه الإسلامي أساس هذه العلوم المعنى لها، فقد جرى الاعتناء به والعمل على الإفتاء في المسائل اليومية، كما زاد الاهتمام بحفظ القرآن الكريم وفهمه وتدارس أحكامه ومعانيه والأحاديث النبوية الشريفة، والبحث في مسائل الأصول، كما اهتم علماء حاضرة مازونة بتفسير القرآن الكريم، وبعض علوم القرآن وفي مقدمتها القراءات، وبرزت التأليف المتعددة حول مناقب أولياء الله الصالحين وأحوال العارفين وأضحت المدرسة فضاء للتصوف ومنها كان انطلاق ومبتدأ بعض الطرق الصوفية واشتهرت بالفقه المالكي والتأليف في فقه النوازل.

تعتبر الحواضر الثقافية في حوض الشلف من أشهر الحواضر العلمية في القطر الجزائري، وهي ذات شهرة مغربية باعتبارها من أهم المؤسسات التعليمية في تحصيل المعارف ونيلها، وتخرج أفضل العلماء وحاملي الفكر والأدب في الجزائر والمغرب الأقصى، نالت بذلك مرتبة عالية نظرا لعطائها ودورها في نشر العلوم العقلية والنقلية على اختلاف تخصصاتها.

وقد أعطت هذه الحواضر الثقافية مجاعة، مليانة، مازونة" دفعا جديدا للحركة العلمية والثقافية في المغرب الإسلامي قاطبة، فأصبحت بذلك إشعاعا ثقافيا ومعلما حضاريا ساهم في غرس القيم والأخلاق، وتكوين أجيال من أفراد المجتمع الجزائري، تكويننا روحيا وثقافيا وأيديولوجيا، حيث تخرج منها كبار العلماء والفقهاء والأدباء الذين كرسوا حياتهم للعلم تعلمًا وتعليمًا حتى بلغت شهرتهم عنان السماء، وذاع صيتهم في مشارق البلاد ومغاربها أمثال الشيخ العلامة محمد بن علي المجاجي، والشيخ أحمد بن يوسف الملياني، والشيخ أبو طالب المازوني... وغيرهم من الأعلام.

فمازونة تعتبر من الحواضر العلمية التي كان لها وقعها وأثرها الإيجابي على الحياة الثقافية والعلمية داخليا وإسلاميا وعربيا، حيث شهدت إقبالا طلابيا منقطع النظير من مختلف البقاع، وكان لها الدور الفعال في القضاء على الأمية ونشر العلم والثقافة في كامل أرجاء الوطن، ويشهد لهذا ما قاله الرحالة الألماني "فيلهلم شيمبرا" أثناء زيارته الجزائر في ديسمبر ١٨٣١، يقول: "بجئت قصدا عن عربي واحد في الجزائر يجهل القراءة والكتابة غير أنني لم أعثر عليه، في حين أنني وجدته في بلدان جنوب أوروبا، فقلما يصادف المرء هناك من يستطيع القراءة من بين أفراد المجتمع"<sup>٧٢</sup>، فكانت هذه شهادة من هذا الرحالة الألماني عن علو

المستوى الثقافي في الجزائر خلال فترة الجزائر العثمانية. تصدقه إحصاءات الفرنسيين أنفسهم عند احتلالهم للجزائر حيث قدرت نسبة الأمية في الجزائر حوالي ٥% فقط عام 1830م.

### هوامش:

- ١- سعيدوني ناصر الدين: النظام المالي للجزائر في أواخر العهد العثماني (١٧٩٢م-١٨٣٠م)، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، الجزائر، ١٩٨٥م، ص ٢٩ وما بعدها.
- ٢- لواليش فتيحة: الحياة الحضرية في بايلك الغرب الجزائري خلال القرن ١٨، مخطوط ماجستير في التاريخ الحديث، جامعة الجزائر، ١٩٩٣-١٩٩٤م، ص ١٧.
- ٣- المدني أحمد توفيق: حرب ال ٣٠٠ سنة بين الجزائر وإسبانيا (١٤٩٢م-١٧٩٢م)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، الطبعة الثانية، ١٩٧٦، ص ٠٩ وما بعدها.
- ٤- حميدة عميراوي: دور حمدان خوجة في تطور القضية الجزائرية (١٨٢٧-١٨٤٠) ط١، دار البعث، الجزائر، ١٩٨٧، ص ٦٣.
- ٥- التلي بن الشيخ: دور الشعر الشعبي في الثورة (١٨٣٠-١٩٤٥م) الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ١٩٨٣م، ص ١١.
- ٦- العيد مسعود: حركة التعليم في الجزائر خلال العهد العثماني، مجلة سيرتا العدد: ٣، قسنطينة، ماي ١٩٨٠م، ص: ٦٠.

- ٧- المدني أحمد توفيق: مُجَّد عثمان باشا داي الجزائر (١٧٦٦-١٧٩١)، سيرته، حروبه، أعماله، نظام الدولة والحياة العامة في عهده، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ١٩٨٦م، ص ١٢.
- ٨- لواليش فتيحة: الحياة الحضارية في بايلك الغرب الجزائري، ص ١٦٥.
- ٩- سعيدوني ناصر الدين: دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر: العهد العثماني، ص ٢٥٠.
- ١٠- بلحميسي مولاي: دور مدرسة مازونة في الحركة العلمية والثقافية من القرن ١٥م الى منتصف القرن الـ٢٠م، مجلة العصر، عدد ١١، السلسلة الرابعة، الجزائر، ١٤١٤هـ-١٩٩٧م، ص ٠٨. وأعيد نشر نفس المقال بكتاب جنان الطاهر: مازونة عاصمة الظهرة، ص ٨٨.
- ١١- المصدر نفسه: ص ٠٨.
- ١٢- نفسه: ص ٠٨.
- ١٣- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط ١، ١٩٩٨م، ج: ١، ص ٤٠٣-٤٠٤.
- ١٤- للتفصيل في هذا المبحث ينظر: الحسن بن مُجَّد الوزان الفاسي: وصف إفريقيا، ترجمة مُجَّد حجي، مُجَّد الأخضر، القسم الثاني، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ١٩٨٣م، ط ٢، ص ٣٦، وينظر أيضا: *(des origines à (moulay), Histoire de Mazouna Belhamissi nos jours) Alger, SNED.1981.P:25-37.*

- ١٥- جنان الطاهر: مازونة عاصمة الظهرة، ثغر حربي ومركز إشعاع حضاري، منشورات جمعية الظهرة، دت، دط، ص ١٠.
- ١٦- أحمد بحري: حاضرة مازونة دراسة تاريخية وحضارية في العصر الحديث (١٥٠٠-١٩٠٠)، مخطوط دكتوراه، قسم الحضارة الإسلامية، جامعة وهران، ٢٠١٢-٢٠١٣، ص ٢٠.
- ١٧- محمد بن يوسف الزياني: دليل الخيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران، تحقيق المهدي البوعبدلي، دار عالم المعرفة، الجزائر، ط ١، ٢٠١٣م، ص ٧٧.
- ١٨- أحمد بحري: حاضرة مازونة، مرجع سابق، ص ٢٠.
- ١٩- المرجع نفسه، ص ١٩.
- ٢٠- نفسه، ص ١٩.
- ٢١- الإدريسي محمد بن عبد الله: نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، مصر، ج ١، ٢٠٠٢م، ص ٢٧١.
- ٢٢- الحسن الوزان: وصف إفريقيا، ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط ٢، ١٩٨٣م، ص ٣٦.
- ٢٣- ابن بطوطة: تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، تحقيق مجيد عبد المنعم العريان، مراجعة مصطفى القصاص، دار إحياء العلوم، بيروت، لبنان، ط ١، ١٩٨٧م، ج ١، ص ٦٦٧.

- ٢٤- العبدري أبو عبد الله: رحلة العبدري، تحقيق علي إبراهيم كردي، دار سعد الدين للطباعة والنشر، دمشق، سوريا، ط٢، ٢٠٠٥م، ص٥٦١.
- ٢٥- توجد بالجهة اليمنى عند مدخل المسجد التابع للمدرسة.
- ٢٦- ينظر أيضا بوعزيز يحيى، المساجد العتيقة بالغرب الجزائري منشورات ANEP، الجزائر، ط١، ٢٠٠٢م، ص٢٠.
- ٢٧- أبو راس الناصري: فتح الإله ومنتته في التحدث بفضل ربي ونعمته، حياة أبي راس الذاتية والعلمية، تحقيق مُجدد بن عبد الكريم الجزائري، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ١٩٩٠، ص٤٣.
- ٢٨- بوعبد الله غلام الله: نظرة عامة على التعليم الأهلي في سهل الشلف خلال النصف الأول من القرن العشرين (أعمال الأسبوع الوطني الثالث للقرآن الكريم)، الجزائر، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م، ص٣٧.
- ٢٩- للتفصيل في الموضوع يراجع كلا من: مُجدد الأمين بلغيث: دراسات في تاريخ الغرب الإسلامي، دار التنوير، ١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦م، ص١١٣، وأيضا: أحمد بحري: حاضرة مازونة، ص٢٤١، وأيضا: جنان الطاهر: مازونة عاصمة الظهرة، ص٤٢.
- ٣٠- بوكفة يوسف، مدرسة مازونة الفقهية، النهضة والسقوط، مخطوط ماجستير، قسم علم الاجتماع، جامعة وهران، ٢٠٠٢-٢٠٠٣م، ص٢٩.



- ٣١- يراجع أحمد بحري: حاضرة مازونة، ص ٢٤١.
- ٣٢- الونشريسي: المعيار، دار الخليل العلمية، الجزائر، ٢٠١٢م، ج ٢، ص ٥٨.
- ٣٣- أحمد بابا التنبكي، نيل الابتهاج بتطريز الديباج، إشراف وتقديم: عبد الحميد عبد الله الهرامة، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس، ط ١، ١٩٨٩م، ص ص ٦٠٥-٦٠٦.
- ٣٤- الحفناوي أبو القاسم، تعريف الخلف برجال السلف، موفم للنشر، الجزائر، ١٩٩١م، ج ٢، ص: ٤٤٨.
- ٣٥- عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، ط ٢، مؤسسة نويهض الثقافية، بيروت، ١٩٨٠م، ص ٢٨٠.
- ٣٦- جنان الطاهر: مازونة عاصمة الظهرة، ص ٥٤.
- ٣٧- عادل نويهض، أبحاث ودراسات في تاريخ الجزائر المعاصر (١٨٣٠-١٩٦٠م)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ١٩٩٥م، ص: ١١٠. ينظر أيضا: الحفناوي، تعريف الخلف برجال السلف، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، ١٩٩١م، ج: ٢، ص: ٤٤١.
- ٣٨- عبد القادر بن عيسى المستغامي: مستغانم وأحوازها عبر العصور، المطبعة العالوية، مستغانم، ط ١، ١٩٩٦، ص ٩٧.
- ٣٩- أحمد بحري: حاضرة مازونة، ص ٢٥٠.

- ٤٠- حمدادو بن عمر وبوعمامة العربي: الشيخ سيدي عدة بن غلام الله وآثاره في الفكر والتصوف، دار الغرب للنشر والتوزيع، الجزائر، ص ٩-١٥.
- ٤١- مُجَّد أبو راس الجزائري، فتح الإله ومنتته في التحدث بفضل ربي ونعمته ( حياة أبي راس الذاتية والعلمية)، حققه وضبطه مُجَّد بن عبد الكريم الجزائري، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ١٩٩٠م، ص: ١٩.
- ٤٢- أحمد مجري: حاضرة مازونة، ص ٢٥٢.
- ٤٣- عبد الرزاق بن حسن بن إبراهيم البيطار الميداني الدمشقي، حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر، تحقيق وتنسيق وتعليق مُجَّد بهجة البيطار، دار صادر، بيروت، ط ٢، ١٤١٣هـ-١٩٩٣م، ص ص ١٢٨١-١٢٨٢
- ٤٤- أحمد مجري: حاضرة مازونة، ص ٢٥٣ وما بعدها.
- ٤٥- سفيان شيرة: دور علماء مازونة في خدمة المذهب المالكي، مجلة عصور الجديدة، عدد ١١-١٢، ١٤٣٥هـ/٢٠١٤م، ص ١٨٦.
- ٤٦- نفسه: ص ١٦٠.
- ٤٧- BELHAMISSI Moulay : histoire de Mazouna, P 49
- ٤٨- بلحميسي مولاي: دور مدرسة مازونة في الحركة العلمية الثقافية، مقال مجلة العصر، ص ٠٨.
- ٤٩- الناصري أبو راس: فتح الإله ومنتته في التحدث بفضل ربي ونعمته، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر ١٩٩٠، ص ٢٠ وما بعدها.
- ٥٠- BELHAMISSI Moulay : histoire de Mazouna, P 50

- ٥١- بلحميسي مولاي: دور مدرسة مازونة في الحركة العلمية والثقافية، مقال العصر، ص ٠٨ وما بعدها.
- ٥٢- المرجع السابق: ص ٠٩.
- ٥٣- بوكفة يوسف: مدرسة مازونة الفقهية، النهضة والسقوط، ص ٣٨.
- ٥٤- نفسه، ص ٣٩.
- ٥٥- مخلوفي جمال: التعليم الحر في حوض الشلف خلال الفترة (١٩٣٠-١٩٥٦)، مخطوط ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة وهران، ٢٠٠٨م-٢٠٠٩م، ص ٥٥.
- ٥٦- بوكفة يوسف: مدرسة مازونة الفقهية، النهضة والسقوط، ص ٧٢.
- ٥٧- المرجع نفسه، ص ٧٢.
- ٥٨- سفيان شبيرة: دور علماء مازونة في خدمة المذهب المالكي، مجلة عصور الجديدة، عدد ١١-١٢، ١٤٣٥هـ/٢٠١٤م، ص ١٨٨.
- ٥٩- سفيان شبيرة: دور علماء مازونة في خدمة المذهب المالكي، مجلة عصور الجديدة، عدد ١١-١٢، ١٤٣٥هـ/٢٠١٤م، ص ١٨٩.
- ٦٠- ابن خلدون: المقدمة، دار الفكر العربي، بيروت، لبنان، دت، ط ٤، ص ٢٤٥.
- ٦١- سفيان شبيرة: دور علماء مازونة في خدمة المذهب المالكي، مجلة عصور الجديدة، عدد ١١-١٢، ١٤٣٥هـ/٢٠١٤م، ص ١٨٩.<sup>١</sup>

- ٦٢- الجندي أنور، الثقافة العربية الإسلامية أصولها وانتماءؤها، الموسوعة العربية الإسلامية، دار الكتاب، ط ١، ١٩٨٢م، ص ٦٩- ٧٠.
- ٦٣- مخلوفي جمال: التعليم الحر في حوض الشلف؛ ص ٥٥.
- ٦٤- بالدوال أو الدوان وهو كاتب الحلقة ( المدون).
- ٦٥- بوكفة يوسف: مدرسة مازونة الفقهية: النهضة والسقوط، ص ٧٣.
- ٦٦- بلحميسي مولاي: دور مازونة في الحركة العلمية والثقافية، مجلة العصر، العدد ١١، أكتوبر ١٩٩٧، ص ٠٩.
- ٦٧- بوكفة يوسف: مدرسة مازونة الفقهية: النهضة والسقوط، ص ٧٤.
- ٦٨- مرسي مُجد منير، التربية الإسلامية أصولها وتطورها في البلاد العربية، عالم الكتب، طبعة منقحة ١٩٨٣، ص ١٦١.
- ٦٩- جاء في نظم شعري لمحمد الصادق بلحميسي المازوني ( توفي سنة ١٩٣٦) دون تاريخ وهو رثاء في الشيخ أبو راس المازوني.
- ٧٠- بوكفة يوسف: مرجع سابق، ص ٧٩.
- ٧١- BOUSQUET ,G,H, Promenade Sociologique une Madersa dechu-Mazouna-revue Africaine-buletein trimestriel-Tome e-1<sup>ere</sup> et 2<sup>eme</sup> érienne 92 annété historique AlgéXCL-soci trimester-1947-P306، ومما يذكر أن المدرسة تحتوي على ١٧٠ كتابا في مختلف العلوم الدينية واللغوية ومعظمها هبات من بايات الأتراك.
- ٧٢- أبو العيد دودو، الجزائر في مؤلفات الرحالة الألمان، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط ١، ١٩٧٥، ص ١٣.

## بنية الفواصل في سورة الطور: دراسة أسلوبية

إعداد

الدكتور محمد منصور جبريل

قسم اللغة العربية، جامعة بايرو كنو-نيجيريا

[jibrilumhammad123@gmail.com](mailto:jibrilumhammad123@gmail.com)

### Abstract

The research aims to uncover the aesthetic values of the Qur'anic rhymed prose contained in Surat-attur, in order to stand at the Surah's approach of employing the rhymed prose between phonemic modulation and semantic performance to convey the message of the Qur'anic text to the recipient. The importance of the research is to clarify one of the angles of the graphic miracle of the Holy Quran stems from the structure of the rhymed prose in the studied text. This helps to highlight the expressive values of the rhymed prose and their connotations, and also helps to clarify the proportionality between the sounds of the expressions and the meanings that they perform. To talk about that: What are the types of rhymed prose mentioned in Surat at-Tur? What is its expressive aesthetic value? And how did it contribute to uncovering images of the graphic miracles of the Holy Qur'an? The researcher will employ the descriptive and analytical method in accordance with the requirements of modern stylistics: that is the approach that looks at the text through its phonological, grammatical and semantic levels in light of linguistic studies.

### المقدمة

تجدر الإشارة إلى أن للفاصلة خاصة صوتية دلالية في النص القرآني؛ وقد وردت في سورة الطور تكملة للبنية الصوتية والدلالية وفقا لمتطلبات

أسلوبها الشكلي والمضموني. وذلك لما تحمله الفواصل من جرس إيقاعي منتظم يتكرر في قالب صوتي معين في أواخر الآيات. ولم تنحصر فاعليتها بالجانب الصوتي فحسب بل تتعدى إلى المستوى الدلالي لتكون تماما للإيقاع والمعنى في آن واحد.

وتتمثل أهمية البحث في إبراز دور الفاصلة في التشكيل الصوتي والدلالي في آي الذكر الحكيم عامة، وفي سورة الطور على وجه الخصوص، بغية إظهار زاوية من زوايا الإعجاز اللغوي للقرآن الكريم.

وعليه، فإن البحث يهدف إلى دراسة أنماط الفواصل الموجودة في سورة الطور عبر الوقوف عند تقسيماتها من حيث التوازي والتوازن والاطراف؛ كما يكشف الغطاء عن تنوع موازينها الصرفية، وما ورد فيها من التلوين في توظيف أصوات الروي. وسعياً إلى حل إشكالية البحث، فما أنماط الفواصل الواردة في سورة الطور؟ وما قيمتها الجمالية التعبيرية؟ وكيف أسهمت في كشف صور من الإعجاز البياني للقرآن الكريم؟

وسيوظف الباحث المنهج الوصفي التحليلي، وفقاً لمتطلبات الدراسة الأسلوبية؛ ذلك المنهج الذي ينظر إلى النص عبر مستوياته الصوتية والتركيبية والدلالية، في ظل الدراسة الألسنية.

هذا، والمتتبع للفواصل في سورة الطور يستنتج أنها تمتاز بتوظيف أصوات معينة تتكرر بانتظام في أواخر الآيات رويًا لها، وكان الغالب

فيها الانتهاء بحرف المد واللين وإلحاق النون حرفاً للروي؛ ففي ذلك تمكين للقارئ من تحقيق التزمم والتمكن من التطريب بالقراءة والتأثر بها. ولا غرابة في ذلك، لأن النون والميم صوتان أنفيان يمتازان بالتنغيم الصوتي. يلي النون في الشيوخ صوت الميم والراء فالعين؛ ما يدل على إبداع السورة وجمال منهجها في التنويع النغمي.

اتسمت السورة كذلك بتنوع أوزان الفاصلة طبقاً للتلوين الإيقاعي وفقاً لنوع الموضوع والتعبير؛ وكانت الفواصل في كثير من الأحيان مبنية على تسكين حرف الروي أو تمديده مراعاة للإيقاع.

### التعريف بسورة الطور ومفهوم الفاصلة:

#### أولاً: التعريف بسورة الطور:

سورة الطور مكية، وآياتها تسع وأربعون آية. ويشمل موضوعها الرئيس الحديث عن أهوال يوم القيامة وتقريع الكفار المكذبين بالله وبما جاء به رسوله عنه من أركان الإيمان وقواعد الإسلام. ومن هدي السورة تقرير البعث والجزاء، وتوضيح أن الله تعالى أن يقسم بما شاء من عباده، بخلاف العبد، فليس له أن يقسم إلا بالله تعالى. وقد أوضحت السورة أحوال المكذبين والطائعين يوم لا ينفع مال ولا بنون، وأن الجزاء من جنس العمل ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (٧) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ (٨)﴾ الزلزلة: ٧-٨

وقد ورد في السورة الحديث عن أهمية التذكير والوعظ والإرشاد، لما في ذلك من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. واستمرت السورة بالبيان عن ذم الكهانة والطغيان والكذب مطلقاً، وعلى الله ورسوله بخاصة، لما ينشأ عنه من فساد الدين والدنيا. ومن هدي السورة إيراد قضية التوحيد وتقرير النبوة وصدق القرآن الكريم.

واختتمت السورة بتسليية النبي المصطفى ﷺ بأن يصبر ولا يضيق صدره بأذى المشركين وكفرهم، فعدم تعجيل العذاب لهم من إرادة الله تعالى، إذ يمهّل ولا يهمل؛ فأمره تعالى بأن يستعين على الصبر بالتسبيح الذي هو الصلوات الخمس والذكر بعدها والضراعة والدعاء بالغدو والآصال.<sup>١</sup>

#### ثانياً: مفهوم الفاصلة:

ورد في لسان العرب أن الفاصلة من مادة (ف.ص.ل)، والفصل: بَوُّنٌ ما بين الشيئَيْن. والفصل من الجسد موضع المَفْصِل. يقال: وبين كل فصلين وصل، أي اجتماع بعد افتراق. يقول الشاعر:

وصلا وفصلا وتجميعا ومفترقا\* فتقا ورتقا وتأليفا لإنسان<sup>٢</sup>

والفصل عند ابن سيده: الحاجز بين الشيئين، يقال: فصل بينهما يفصل فصلا فانفصل، وفصلت الشيء فانفصل، أي قطعتة فانقطع.. والمفصل: ملتقى العظمين بين الجسد.<sup>٣</sup>



والفاصلة: الخرزة التي تفصل بين الخرزتين في النظام. يقال: وقد فصلَّ النظم، وعقد مفصلاً: أي جعل بين كل لؤلؤة خرزة.<sup>٤</sup> ويرى السيوطي أن "الفاصلة كلمة آخر الآية، كقافية الشعر وقريئة السجع".<sup>٥</sup>

والفواصل جمع فاصلة، والفاصلة كما في معجم الوسيط: خرزة خاصة تفصل بين الخرزتين في العقد و نحوه. و الفاصلة في علم العروض: ثلاثة أحرف متحركة، يليها حرف ساكن، مثل: كَتَبْتُ، وهي الصغرى. وأربعة أحرف متحركة يليها حرف ساكن، مثل: سمعهم، وهي الكبرى.<sup>٦</sup> وقد عرف ابن عاشور الفاصلة القرآنية في تفسيره "التحرير و التنوير" بأنها: "الكلمات التي تتماثل في أواخر حروفها أو تتقارب، مع تماثل أو تقارب صيغ النطق بها وتكرر في السورة تكراراً يؤذن بأن تماثلها أو تقاربها مقصود من النظم في آيات كثيرة متماثلة".<sup>٧</sup>

ولا شك أن للفاصلة أهمية ومكانة في النص القرآني، وإلى ذلك يقول القرطبي "الفواصل حليلة وزينة للكلام المنظوم، ولولاها لم يتبين المنظوم من المنتثر. ولا خفاء أن الكلام المنظوم أحسن، فثبت بذلك أن الفواصل من الكلام المنظوم...".<sup>٨</sup>

ولعل القرطبي من الذين ذهبوا إلى أن القرآن الكريم يوضع في المنزلة الخاصة بين الشعر والنثر. لأنه ليس بقول شاعر ولا سجع كاهن، حتى

لا يوصف بكلام البشر. قال تعالى: ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ (٤١) وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَّا تَدَّكَّرُونَ (٤٢)﴾.<sup>٩</sup>

ومهما يكن من أمر فإن الفاصلة القرآنية، هي آخر كلمة في الآية، وهي بمثابة السجعة في النثر، و بمنزلة القافية في الشعر، وسميت فاصلة؛ لأنها تفصل بين الآية التي قبلها، و الآية التي بعدها.

هذا إن دل على شيء، إنما يدل على أن الفاصلة القرآنية تتمثل في تواطؤ الفاصلتين من النص القرآني على حرف واحد. وهي مرادفة للسجع في الكلام المنثور. و سميت "الفواصل" تأدبا لكتاب الله تعالى؛ لأن القرآن الكريم يشرف عن أن يشارك الكلام الحادث في اسم السجع، ولأن السجع في الأصل: هدير الحمامة ونحوه، والقرآن يشرف عن أن يستعار له لفظ في أصل الوضع لطائر. واستدل السيوطي على المنع بقوله تعالى: ﴿كتاب فصلت آياته﴾.<sup>١٠</sup> فسماه فواصل، فليس لنا أن نتجاوزة. وإلى ذلك يقول:-

وفي القرآن قل فواصل ولا \* يقال أسجاع ففيها قد علا<sup>١١</sup>  
وغاية ما في الأمر، فإن الفاصلة تقع عند الاستراحة بالخطاب لتحسين الكلام بها؛ وهي الطريقة التي يبين القرآن بها سائر الكلام، وتسمى فواصل لأنه ينفصل عنده الكلامان، وذلك أن آخر الآية فصل بينها وبين ما بعدها.<sup>١٢</sup>

يُستنتج مما سبق أن للفاصلة تعريفات عدة أهمها ما يلي:

١. هي كلمة آخر الآية كقافية الشعر وقرينة السجع

٢. وقيل بأن الفاصلة تتمثل في كلمة آخر الجملة

٣. إن الفواصل: حروف متشابكة في المقاطع يقع بها إفهام المعاني.

يُلَمَس من التعريفات السابقة أن الاختلاف في تعريف الفاصلة يرجع إلى اختلاف زوايا النظر إليها والغرض من دراستها؛ فمن نظر إليها من الجوانب النحوية والصرفية والدلالية عرفها بأنها كلمة آخر الآية أو آخر الجملة. ومن نظر إلى الجانب الصوتي، عدها مجموعة من المقاطع؛ وهذا الأخير يتماشى مع تعريف الخليل للقافية بأنها تتمثل في: مجموع آخر ساكنين في البيت وما بينهما من متحركات إن وجد، مع المتحرك الذي قبل الساكن الأول.<sup>١٣</sup>

ففي قول الشاعر:

ألا ليت الشباب يعود يوماً\* فأخبره بما فعل المشيب

فالقافية هنا هي (شيبو) وفقاً لتعريف الخليل، وهي تتألف من حركة فساكن، فحركة فساكن.

ومن ثم فإن الفاصلة في القرآن الكريم تتمثل فيما يوازي هذا المقطع مع الأخذ في الاعتبار بأن مبنى الفواصل على الوقف؛ ففي قوله تعالى: ﴿الحمد لله رب العلمين﴾ الفاتحة: ١، يُستنتج أن الفاصلة هي المقطع

(مين) وهو حركة فساكن فحركة. وهكذا بقية السورة مبنية على هذا المقطع الصوتي.

ويتمشى الباحث مع المذهب الأول الذي يرى بأن الفواصل القرآنية تتمثل في الكلمة الأخيرة من الآية، لما احتواه هذا المنظور من العناية بالزوايا الصوتية والتركيبية والدلالية في آن واحد؛ ولأن الفاصلة تابعة للدلالة وليست الدلالة تابعة للجرس الصوتي.

هذا، وتقع الفواصل عند الاستراحة في الخطاب لتحسين الكلام بها، وهي الطريقة التي يبين القرآن الكريم بها سائر الكلام، وتسمى فواصل لأنه ينفصل عندها الكلامان، وذلك أن آخر الآية قد فصل بينها وبين ما بعدها من الآيات.

### ثالثاً: أهمية الفواصل وقيمها الدلالية:

بجانب القيم الصوتية للفواصل القرآنية هناك قيم دلالية أهمها ما يلي:

١. تكون الفاصلة جزءاً لا يتجزأ من سياق الآية، فلا يتصور معنى الآية إلا به كما ورد في قوله تعالى: ﴿وَالطُّورِ (١) وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ (٢) فِي رَقٍّ مَنْشُورٍ (٣) وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ (٤)﴾ الطور: ١-٤، فلو اكتفى القارئ بتلاوة الآيات الكريمة بدون فواصلها، فإن المعنى المراد لا يتضح (و...وكتاب... في رق.... والبيت...). ما يبرز قيمة الفاصلة من الجانب الدلالي.<sup>١٤</sup>

٢. وأحيانا تأتي الفاصلة بعد تمام المعنى تذييلا للآية أو تعقيبا على محتواها كما في قوله تعالى في سورة آل عمران: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنِهِ حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ (١٥٢) إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُونَ عَلَى أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُحْرَاكُمْ فَأَثَابَكُمْ غَمًّا بِغَمٍّ لِكَيْلَا تَحْزَنُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَا أَصَابَكُمْ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (١٥٣) ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نِعَاسًا يَغْشَى طَائِفَةً مِنْكُمْ وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ مَا لَا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَاهُنَا قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (١٥٤) إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ (١٥٥)﴾ آل عمران: ١٥٢ - ١٥٥. ففعله تعالى "والله ذو فضل على المؤمنين" وقوله "والله

خبير بما تعملون" ثم قوله "والله عليم بذات الصدور" وكذلك  
"إن الله غفور رحيم" إنما جاء بعد تمام المعنى، فكان تذييلاً للآية  
أكسبها جمالا على جمال أسلوبها وحدد معالم كل آية وميزها عن  
الأخرى.<sup>١٥</sup>

ومن الجدير بالذكر، أن هناك انسجاما وتآلفا بين مضمون الآيات  
ومضمون التذييل. فليس في القرآن آية يدعو مضمونها إلى العقاب  
تنتهي بتذييل من قبيل الرحمة، وليس فيه من آية تتضمن رضوانا من الله  
تنتهي بتذييل يهدد بشدة العقاب وهلم جرا.<sup>١٦</sup>

ومن القيم الصوتية للفواصل القرآنية ورود التقديم والتأخير رعاية  
للفواصل، ومن ذلك ما يلي:

١. "ومما رزقناهم ينفقون" البقرة: ٣ في مقابل: وينفقون مما رزقناهم
٢. "وبالآخرة هم يوقنون" البقرة: ٤ في مقابل: وهم يوقنون بالآخرة
٣. "وأنفسهم كانوا يظلمون" الأعراف: ١٧٧ في مقابل: وكانوا  
يظلمون أنفسهم

٤. "فلا يؤمنون إلا قليلا" النساء: ٤٦، ١٥٥، "فقليلًا ما يؤمنون"  
البقرة: ٨٨

وأحيانا يُلمَس العدول عن القواعد النحوية إثباتا للفواصل، إذ من  
المقرر أن الألف المطلقة تنوب عن الفتحة والتنوين في حالة الوقف، ثم

يحمل الاسم الذي ينتهي بها من أداة التعريف (ال) لأن هذه الأداة لا تجتمع مع التنوين، وقد نابت الألف عنه، ولكن القرآن الكريم يجمع بينهما رعاية للفاصلة كما يتضح ذلك من قوله تعالى: ﴿وتظنون بالله الظنونا﴾ الأحزاب: ١٠، وقوله تعالى ﴿يا ليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسول﴾ الأحزاب: ٦٦، وقوله تعالى ﴿إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا﴾ الأحزاب: ٦٧، ما يدل على أهمية الفاصلة في آي الذكر الحكيم.<sup>١٧</sup>

#### رابعا: أنماط الفواصل:

تجدر الإشارة إلى أن الفاصلة عنصر أساسي من العناصر الصوتية والدلالية في آي الذكر الحكيم، وذلك لأنها ترد في ختام الآيات وهي تحمل في طياتها تمام المعنى وتمام التوافق الصوتي في آن واحد. وبالنسبة لكيفية ورود الفواصل في آي الذكر الحكيم، فهي: إما الفاصلة المتماثلة بالحروف، أو المتقابلة في الحروف، أو المتوازنة، أو المتوازنة، أو المطرفة. وسيأتي توضيح ذلك على نحو ما يلي:

#### ١ - الفاصلة المتماثلة بالحروف:

تكون الفاصلة متماثلة بالحروف عند توافق الحرف الأخير من الآيات القرآنية مخرجا وصفة، (وتسمى المطرفة). ويستنتج هذا النمط من فواصل سور (القمر والقدر، والعصر والكوثر).<sup>١٨</sup>

ومن أمثلة ورودها في سورة الطور قوله تعالى: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ (٣٥) أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُوقِنُونَ (٣٦) أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَيْكَ أَمْ هُمُ الْمُصَيْطِرُونَ (٣٧)﴾ الطور: ٣٥-٣٧. وردت الفواصل المتماثلة في الكلمات (الخلقون) و(يوقنون) و(المصيطنون)، ويلمس التماثل الصوتي في النون الذي يسبقه المد بالواو. وبجانب الأثر الإيقاعي هناك أثر دلالي يتمثل في تمام معنى الآيات وفقا لما تحمله كلمات الفواصل.

## ٢- الفاصلة المتقابلة في الحروف:

تكون الفاصلة متقابلة في الحروف عند انزياح الحرفين أو أكثر مما تنتهي به الآيات في السورة، (وتسمى المتقاربة). كقوله تعالى: ﴿الرحمن الرحيم، ملك يوم الدين﴾. (الفاحة: ٣-٤).<sup>١٩</sup> وردت هذه الأنماط من الفواصل في سورة الفرقان. ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وقال الذين كفروا إن هذا إلا إفك افتراه وأعانه عليه قوم آخرون فقد جاءوا ظلما وزورا، وقالوا أساطير الأولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة وأصيلا، قل أنزله الذي يعلم السر في السموات والأرض إنه كان غفورا رحيما﴾ " (الفرقان: ٤-٧). يلمس اختلاف الفواصل في الحروف الأخيرة من الكلمات: (زورا) و(أصيلا) و(رحيما)، بين الراء واللام والميم، مما أدى إلى انزياح إيقاعي المكمل لتمام الأثر الدلالي في الآيات.



### ٣- الفاصلة المتوازية:

تُسمى الفاصلة متوازية عند اتفاق الكلمتين فأكثر في الوزن والحرف الأخير، كقوله تعالى: ﴿فيها سرر مرفوعة، وأكواب موضوعة﴾. (الغاشية: ١٣-١٤).<sup>٢٠</sup>

وقد ورد هذا النمط بنسبة كبيرة في سورة الفرقان، منها قوله تعالى: - ﴿الذي له ملك السموات والأرض ولم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك وخلق كل شيء فقدره تقديرا. (الفرقان: ٢). وقوله عز وجل: ﴿وقال الظالمون إن تتبعون إلا رجلا مسحورا.﴾ (الفرقان:). فيلمس أن الكلمتين: (تقديرا) و (مسحورا)، اتفقتا في الوزن (مفعولا) والحرف الأخير، وهو الراء. مما أضفى أثرا إيقاعيا للنص. وتحمل الكلمتين كذلك أثرا دلاليا في تمام معنى الآيتين، إذ لو وضع القارئ يده على إحداهما وقرأ الآية بدونها، فإن دلالة الآية لا تتضح جليا بدونها، كما لا تقبل غيرها عوضا.

### ٤- الفاصلة المتوازنة:

تتمثل الفاصلة المتوازنة في مراعاة الوزن دون التوافق في الحرف الأخير من أحرف الفاصلة.<sup>٢١</sup>

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ (٤) وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ (٥)﴾ الطور: ٤-٥.

## ٥- الفاصلة المطرفة:

تكون الفاصلة مطرفة إن كان ما في الطرفين مختلفين في الوزن نحو قوله تعالى: ﴿ما لكم لا ترجون لله وقارا. و قد خلقكم أطوارا﴾. ففي الفاصلتين (وقارا) و(أطوارا) اختلاف في الوزن دون التقفية.

ومن الفواصل المطرفة في سورة محمد قوله تعالى: ﴿الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله أضل أعملهم، و الذين آمنوا وعملوا الصلحت و آمنوا بما نزل على محمد وهو الحق من ربهم، كفر عنهم سيئاتهم وأصلح بالهم﴾<sup>٢٢</sup>. ففي الفاصلتين (أعمالهم) و (بالهم) توافق في التقفية واختلاف في الوزن على نسق الفاصلة المطرفة. و يلاحظ من الآيتين أن الفقرة الثانية أطول من الأولى "و أفضل السجع و نحوه ما استوت قرائنه نحو: - في سدر مخضود. و طلح منضود. و ظل ممدود - و يليه ما طالت قرينته الثانية، نحو: - و النجم إذا هوى. ما ضل صاحبكم و ما غوى. -...<sup>٢٣</sup>

وبالنظر إلى رأي الشيخ عبد الرحمن السيوطي، من أن أفضل السجع هو ما تساوت قرائنه، و يليه في الحسن ما كانت فقرته الثانية أطول من الأولى، يستنتج أن فقرتي الفاصلتين من الآيتين السالفتي الذكر، توضع في المرتبة الثانية من حيث الأفضلية، لكون الفقرة الثانية أطول من الأولى طبقا لما وصفه الشيخ السيوطي.

ومن الفواصل المطرفة في هذه السورة قوله تعالى: ﴿يَأْيُهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تَبْطُلُوا أَعْمَلَكُمْ. إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾.<sup>٢٤</sup> ففي الفاصلتين (أعملكم) و (لهم) اختلاف في الوزن و تواطؤ في الحرف الأخير على نسق الفاصلة المطرفة.

### دراسة تطبيقية لأنماط الفواصل الواردة في سورة الطور:

ينظر الباحث في هذه العجالة إلى ورود الفواصل في سورة الطور وفقاً لثلاثة محاور: المحور الأول: عبارة عن الفاصلة المتوازنة ومكوناتها، والمحور الثاني: يكشف الغطاء عن الفاصلة المتوازنة وبنيتها، أما المحور الثالث: فيهتم بالبحث عن الفاصلة المطرفة وكيفية تشكيلها على النحو التالي:

#### المحور الأول: الفاصلة المتوازنة في سورة الطور:

سبقت الإشارة إلى أن الفاصلة المتوازنة تتفق فيها الكلمتان في الوزن وفي حرف الفاصلة (الحرف الأخير)، نحو قوله تعالى: ﴿فِيهَا سُرُّرٌ مَرْفُوعَةٌ (١٣) وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ (١٤)﴾ الغاشية: ١٣-١٤. يلمس من الآيتين الكريميتين توافق في وزن الفاصلتين (مفعول) وحرف الروي (الناء المربوطة) = مرفوعة\موضوعة، على نسق الفاصلة المتوازنة.

وقد ورد هذا النمط في سورة الطور من قوله تعالى: ﴿وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ (٢) فِي رَقٍّ مَنْشُورٍ (٣) وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ (٤) وَالسَّكْفِ الْمَرْفُوعِ (٥)﴾

وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ ﴿٦﴾ الطور: ٢-٦. فالفواصل: (مسطور، منشور، المعمور، المسجور) اتفقت في الوزن (مفعول) وحرف الروي (الراء) وهو حرف مجهور مكرر، مردوف بالواو المدي ورد في الآيات الكريمة على نسق الفاصلة المتوازية. والتشكيل الصوتي للفاصلة: \ص ح ص ح ص ح ص ح \ = مسطور، منشور، المعمور، المسجور.

وتتمثل القيم البدلالية لهذه الفواصل في ورودها تماما لمعنى الآيات. ومما يلمس القارئ أن الحق سبحانه وتعالى أقسم بالطور: وهو الجبل الذي يكون فيه أشجار مثل الذي كلف الله عليه موسى، وأرسل منه عيسى، ومالم يكن فيه شجر لا يسمى طورا إنما يقال له: جبل. ﴿وَكِتَابٍ مَّسْطُورٍ﴾ قيل: هو اللوح المحفوظ، وقيل: الكتب المنزلة المكتوبة التي تقرأ على الناس جهارا<sup>٢٥</sup>. فكلمة (مسطور) فاصلة متوازية لما بعدها (منشور، معمور)، وهي تكملة لدلالة الآية. ولو اكتفى القارئ بتلاوة جزء من الآية الكريمة (وكتاب...)، لم تتضح الدلالة حتى يكمل الفراغ بجزء الفاصلة (مسطور)؛ وهكذا يقال في بقية الفاصلتين المذكورتين أعلاه.

ومن هذ القبيل قوله تعالى:-

﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ﴾ (٧) مَا لَهُ مِنْ دَافِعٍ (٨) يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا (٩) وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا ﴿١٠﴾ الطور: ٧-١٠. تتضح الفواصل

من الآيات الكريمة في الكلمات (واقع، دافع، مورا، سيرا)؛ فالكلمتين (واقع، دافع) على وزن (فاعل) يعقبهما حرف الروي (العين) وهو صوت رخوي مجهور، \ص ح ح ص ح ص\ = واقع\ دافع، على نسق الفاصلة المتوازية رويها العين المردوفة بالألف المدي.

وقد وردت الكلمتان (مورا، سيرا) على وزن (فَعَل)، كما وردت الراء حرفا للروي، وصوت الفاصلة المتوازية: \ص ح ص ح ص ح\ = مورا\ سيرا. والألف عوض على التنوين.

يُستنتج من الآيات الكريمة جواب القسم ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ﴾ هذا هو المقسم عليه، بمعنى: لواقع بالكافرين، كما قال في الآية الأخرى ﴿مَّا لَهُ مِنْ دَافِعٍ﴾ أي: ليس له دافع يدفعه عنهم إذا أراد الله بهم ذلك.<sup>٢٦</sup>

ومن الفواصل المتوازية في سورة الطور قوله تعالى: إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ (١٧) فَآكِهِينَ بِمَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ وَوَقَاهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ (١٨) ﴿الطور: ١٧-١٨. وقوله تعالى: ﴿إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ﴾ الطور: ٢٨، يُستنتج الفاصلة من الكلمات (نعيم، الجحيم، الرحيم) على وزن (فعليل)، والروي (الميم) حرف رخوي مجهور، ورد مردوفاً بالياء المدي، وصوت الفاصلة: \ص ح ح ص ح\ = نعيم\ جحيم\ رحيم، على نسق الفاصلة المتوازية. ومنها قوله تعالى:-

﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَكْنُونٌ﴾ الطور: ٢٤، وقوله تعالى: فَذَكِّرْ فَمَا أَنْتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ﴾ الطور: ٢٩. وردت الفاصلة في الكلمتين (مكنون، مجنون) على وزن (مفعول) رويهما (النون) مردوف بالواو المدي، وهو حرف لثوي شديد، وصوت الفاصلة: \ص ح ص ح ص\ = مكنون\مجنون\، على نسق الفاصلة المتوازية. ومنها قوله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ وقوله تعالى: ﴿أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُوقِنُونَ﴾ (٣٦) وقوله: ﴿أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُمْ مِنْ مَعْرَمٍ مَثْقَلُونَ﴾ (٤٠) وردت الفاصلتين (يؤمنون، يوقنون) على وزن (يُفْعَلُ) كما وردت الفاصلة (مثقلون) على وزن (يُفْعَلُ) على البناء للمجهول، وحرف الروي \ن\ مردوف بالواو المدي، وهو حرف رخوي مجهور، وصوت الفاصلة: \ص ح ص ح ص\، وردت على نسق الفاصلة المتوازية.

### المحور الثاني: الفاصلة المتوازنة في سورة الطور:

تكون الفاصلة متوازنة إذا كانت متفقة في الوزن دون حرف الروي، بمعنى أن يراعي في مقاطع الفاصلة الوزن فقط دون حرف الفاصلة، وهو الحرف الأخير من كلمة الفصلة.<sup>٢٧</sup> ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَأْتَيْنَاهَا﴾ الكتاب المستبين. وهديناهما الصراط المستقيم﴾ الصافات: ١١٧-

.١١٨

وقد ورد هذا النمط من الفاصلة في سورة الطور من قوله تعالى: ﴿وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ (٤) وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ (٥)﴾ الطور: ٤-٥، يُلمس الفاصلة المتوازنة في الكلمتين (المعمور، المرفوع) لاتفاقهما في الوزن (مفعول) دون حرف الروي، فالكلمة الأولى رويها \ر\، وهو حرف لثوي مجهور مكرر، ورد في صوت القافية: \ص ح ص ح ح ح ح ص\ وهو حلقي مجهور، ورد في صوت القافية: \ص ح ص ح ص ح ص\ =مرفوع، على نسق القافية المتوازنة.

ومنها قوله تعالى: إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ (١٧)﴾ الطور: ١٧، وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهينُ (٢١)﴾ الطور: ٢١، يُستنتج الفاصلة المتوازنة من الآيتين الكريميتين في الكلمتين: (نعيم، رهين) اتفقتا في الوزن (فعيل) واختلفتا في حرفي الروي، إذ ورد الميم \م\ رويًا في الأولى، وهو شفوي مجهور، كما ورد النون \ن\ رويًا في الثانية، وهو لثوي مجهور، وصوت الفاصلة للكلمتين: \ص ح ص ح ح ص\، على نسق الفاصلة المتوازنة.

ومن ذلك قوله تعالى: وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ هُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَكْنُونٌ (٢٤)﴾ الطور: ٢٤ وقوله تعالى: وَإِنْ يَرَوْا كِسْفًا مِنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا

يَقُولُوا سَحَابٌ مَّرْكُومٌ ﴿٤٤﴾ الطور: ٤٤، يُلَمَسُ الفاصلة المتوازنة من الكلمتين (مكنون، مركوم) لاتفاقهما في الوزن (مفعول)، واختلافهما في حرفي الروي، إذ ورد حرف النون \ن\ رويًا في الكلمة الأولى، وهو حرف لثوي مجهور، كما ورد الميم \م\ رويًا في الكلمة الثانية، وهو حرف شفوي مجهور، وصوت الفاصلة: \ص ح ص ح ص ح ص\ = مكنون\مركوم\، على نسق الفاصلة المتوازنة.

هذا، ولإبراز الأثر الإيقاعي في الفواصل، فقد كان بناء كثير منها على الوقف حتى لا يحتل الإيقاع. وقد يُلاحظ تفضيل كثير من الفواصل لأصوات معينة لحروف الروي وختامها بحروف المد والنون تمكينًا للقارئ من تحقيق التزم والتمكن من التطريب بذلك، ويمكن أن يضاف إلى النون الميم، مما يسمح بالتنغيم والترديد؛ ومع ذلك فإن الأسلوب القرآني كان يَلَوِّن وينوع أواخر الفواصل ليحدث تنوعًا في الإيقاع تبعًا لنوع الموضوع والتعبير، وإن كان الغالب الانتهاء بحرف المد واللين وإلحاق النون<sup>٢٨</sup>.

### المحور الثالث: الفاصلة المطرفة في سورة الطور:

تكون الفاصلة مطرفة إذا انفقت كلمتي الفاصلة في حروف السجع دون الوزن، كما في قوله تعالى: ﴿مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا (١٣) وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا (١٤)﴾ نوح: ١٣-١٤.



وقد ورد هذا النمط من الفواصل في سورة الطور من قوله تعالى: ﴿وَالطُّورِ (١) وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ (٢)﴾ الطور: ١-٢. يُستنتج من الكلمتين (الطور، مسطور) فاصلة مطرفة، لاتفاق الكلمتين في حرف الروي، وهو الراء \ر\، فهو حرف لثوي مكرر، وقد ورد مردوفاً بالواو المدي في صوت الفاصلة: \ص ح ح ص\ = طور، على وزن (فُعَل) \ص ح ح ص\ . والكلمة الثانية (مسطور) على وزن (مفعول)، وكان صوت الفاصلة: \ص ح ص ح ص\، على نسق الفاصلة المطرفة.

ومن الفواصل المطرفة في سورة الطور قوله تعالى: ﴿مُتَكِينٍ عَلَى سُرُرٍ مَصْنُوفَةٍ وَرَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ (٢٠) وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ (٢١)﴾ الطور: ٢٠-٢١. وقوله تعالى: ﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَكْنُونٌ (٢٤) وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ (٢٥)﴾ الطور: ٢٤-٢٥.

يُلمسُ الفاصلة المطرفة في الآيات السابقة من الكلمات: (عين\رهين، مكنون\يتساءلون). فالكلمتين في الوحدة الأولى (عين\رهين) مختلفتين في الوزن (فِعْل\فَعِيل)، ومتفقتين في حرف الروي \ن\، وهو مردوف بالياء المدي، على نسق الفاصلة المطرفة. وهكذا

الحال في الوحدة الثانية من الكلمتين (مكنون\يتساءلون)، فالكلمة الأولى واردة على وزن (مفعول) بينما الثانية على وزن (فَعَلّ) بعد تجريدتها من الزوائد. وكان النون \ن\ حرفا للروي مردوفا بالواو المدي في صوت الفاصلة: \ص ح ص ح ص ح ص\ =مكنون، و \ص ح ص ح ص ح ص ح ص ح ص\ = يتساءلون، على نسق الفاصلة المطرفة المردوفة بالواو المدي.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿فَذَكِّرْ فَمَا أَنْتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ﴾ (٢٩) أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمُنُونِ (٣٠) ﴿الطور: ٢٩-٣٠. يُلمَس من الآيتين السابقتين فاصلتان فيها التوافق في حرف الروي والاختلاف في الوزن. فالكلمتين (مجنون، المنون) وردتا على نسق الفاصلة المطرفة لأن الأولى على وزن (مفعول)، والثانية على وزن (فَعول) ففي ذلك اختلاف في البنية الصرفية، أما حرف الروي لكلي الكلمتين، فهو النون \ن\ المردوفة بالواو المدي الوارد في صوت الفاصلتين: \ص ح ص ح ص ح ص\ = مجنون، و \ص ح ص ح ص ح ص ح\ = منون، على نسق الفاصلة المطرفة رويها النون المردوف بالواو المدي.

ومن هذا النمط قوله تعالى: ﴿أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ وَلَكُمُ الْبُنُونَ﴾ (٣٩) أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُمْ مِنْ مَعْرَمٍ مُمْقِلُونَ (٤٠) ﴿الطور: ٣٩-٤٠. يُستنتج

الفاصلة المطرفة من الكلمتين (البنون، مثقلون)، فالأولى وردت على وزن (فعلول)، بينما الثانية وردت وعلى وزن (مفعول)، ففي البنيتين اختلاف في الصيغة، واتفاق في الروي، وهو حرف النون \ن\ المردوف بالواو المدي، وهذا ما يلمس في الفاصلتين: \ص ح ح ص ح ح ص\ = بنون، و \ص ح ص ح ص ح ح ص\ = مثقلون، على نسق الفاصلة المطرفة رويها النون المردوف بالواو المدي.

هذا، ولم تنحصر فاعلية الفواصل القرآنية بالجانب الصوتي فحسب، بل تتعدى إلى الجانب الدلالي، إذ تكون بنيتها في سياق الآية جزءاً لا يتجزأ من حيث التمام الصوتي والدلالي. فلو اكتفى القارئ بقوله: ﴿قل أعوذ برب... ملك... إله...﴾ فلا بد أن يلمس من ذلك خلاصاً صوتياً ودلالياً حتى يأتي بتمام الفواصل المتمثلة في الكلمة (الناس)، فيقرأ الآيات كما أنزلت: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ (١) مَلِكِ النَّاسِ (٢) إِلَهِ النَّاسِ (٣)﴾ الناس: ١-٣، حتى يكون في ذلك تمام البنية الصوتية، والنحوية، والدلالية. وإلى ذلك يقول تمام حسان في معرض حديثه عن القيم الجمالية للفواصل القرآنية:

"وللفاصلة علاقة بالآية التي اختتمت بها قد تكون على إحدى صورتين: أن تكون الفاصلة جزءاً من سياق الآية لا يتجزأ فلا يتصور معنى الآية إلا به.. فكل آية تنتهي بجملة هي جزء من سياق ما قبلها

شديد الارتباط به نحويا ودلاليا. وقد تأتي الفاصلة بعد تمام المعنى تذييلا للآية وتعقيبا على محتواها -بحيث يكسبها ذلك- جمالا على جمال أسلوبها. والملاحظ أن هناك انسجاما وتألفا بين مضمون الآية ومضمون التذييل. فليس في القرآن آية يدعو مضمونها إلى العقاب تنتهي بتذييل من قبيل الرحمة، وليس فيه من آية تتضمن رضوانا من الله تنتهي بتذييل يهدد بشدة العقاب وهلم جرا" <sup>٢٩</sup>.

والجدول التالي يوضح للقارئ أنماط الفواصل باعتبار التوازي والتوازن والاطراف الواردة في سورة الطور وكمّ ورودها ونسبتها المئوية:

نوع الفاصلة	عدد الورود	النسبة المئوية	المجموع الكلي
المتوازنة	٢٦	٥٣،١%	-
المتوازنة	٠٦	١٢،٢%	-
المطرّفة	٢٩	٥٩،٢%	٤٩

يُستنتج مما سبق أن الفصلة المطرّفة أكثر ورودا في سورة الطور بنسبة ٥٩،٢%. ولعل السبب لذلك يرجع إلى الفاعلية الصوتية لصوت الروي في بنية الفواصل، إذ أنه الصوت الأخير الساكن في الآية. والفاصلة المطرّفة كما سبق الحديث عنها تتمثل في اتفاق حرف الروي دون الوزن؛ وقد ورد هذا النمط من الفواصل بكمّ كبير في السورة، يليه

النمط المتوازي بنسبة ٥٣،١%، ثم المتوازن بنسبة ١٢،٢%، كما اتضح ذلك في الجدول المذكور أعلاه.

وفيما يلي توضيح لأنماط حروف روي الفواصل الواردة في السورة

المدرسة:-

الروي	عدد الورد	النسبة المئوية	المجموع الكلي
الراء = \ر\	٠٧	١٤،٣%	-
العين = \ع\	٠٤	٨،٢%	-
النون = \ن\	٣٠	٦١،٢%	-
الميم = \م\	٠٨	١٦،٣%	٤٩

يُستنتج من الجدول السابق أن صوت النون \ن\ أكثر الورد رويًا في فواصل سورة الطور بنسبة ٦١،٢%. ولعل هذا العدد الكبير مما يبرز قيمة حرف النون في الفواصل القرآنية من حيث التناغم الصوتي، وخاصة عند وروده رويًا وآخر المقطع للآية، إذ من الملاحظ أنه صوت لثوي مجهور يحسن منه الترنم بالتنغيم وبالأخص عند التشديد أو التسكين، كما يكون في حالة الوقف عنده في ختام الآيات.

ويليه في الشيوخ رويًا صوت الميم \م\ بنسبة ١٦،٣%، وهو شفوي مجهور ومتوسط بين الشدة والرخاوة، يمتاز بالتناغم الصوتي، وخاصة

عند التشديد أو التسكين. يليه في الشيوخ صوت الراء \ر\، وهو لثوي مجهور يتسم بالتكرير، وقد ورد رويًا في فواصل السورة بنسبة ١٤،٣٪، يليه صوت العين بنسبة ٨،٢٪، وهو حلقي متوسط بين الشدة والرخوة يمتاز بانحباس الصوت في المخرج، مع انطلاقه قبل استواء هذا الانحباس.<sup>٣٠</sup>

### الخاتمة

تُمثّل الفاصلة خاصة صوتية دلالية في آي الذكر الحكيم، لما تحمله من جرس إيقاعي منتظم يتكرر في قالب صوتي معين في أواخر الآيات. ولم تنحصر الفواصل بالأثر الصوتي فحسب بل تتعدى للجانب الدلالي لتكون تمام الإيقاع والدلالة للآيات القرآنية في آن واحد. تمتاز الفواصل في سورة الطور بتوظيف أصوات أربعة تتكرر بانتظام في أواخر الآيات رويًا لها، وكان الغالب فيها الانتهاء بحرف المد واللين وإلحاق النون حرفًا للروي، ففي ذلك تمكين للقارئ من تحقيق الترنم والتمكن من التطريب بالقراءة والتأثر بها. ولا غرابة في ذلك، لأن النون والميم صوتان أنفيان يمتازان بالتنغيم الصوتي. يلي النون في الشيوخ صوت الميم والراء فالعين؛ ما يدل على إبداع السورة وجمال منهجها في التنويع النغمي.

اتسمت السورة كذلك بتنوع أوزان الفاصلة طبقا للتلوين الإيقاعي وفقا لنوع الموضوع والتعبير؛ وكانت الفواصل في كثير من الأحيان مبنية على تسكين حرف الروي أو تمديده مراعاة للإيقاع.

هذا، وقد توصل البحث إلى نتائج، منها ما يلي:

١. تمتاز سورة الطور بتنوع الفواصل من حيث الوزن والروي، ما أكسبها القيمة الصوتية والدلالية.

٢. وردت فواصل السورة في الغالب مبنية على تسكين صوت الروي، أو تمديده في بعض الأحيان مراعاة للتلوين الإيقاعي.

٣. بجانب الأثر الصوتي، كان لفواصل السورة أثر دلالي، لما فيها من تمام الصوت وتمام الدلالة للآيات في آن واحد.

وأخيرا يوصي الباحث إخوته الدارسين والمتعلمين بأن يشمروا عن سواعد الجد في البحث والتنقيب عن الفواصل القرآنية وفعاليتها الصوتية والدلالية، ما يعين القارئ في الإدلاء بدلوه في تطوير مباحث علوم القرآن، كما يأخذ بيد الدارس إلى كشف زاوية من زوايا الإعجاز اللغوي في آي الذكر الحكيم.

### الهوامش والمراجع:

١- الجزائري، أبوبكر جابر (الشيخ)، أيسر التفاسير، ط١، دار ليناء،

دمنهور، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م: ١٣٢٥

- ٢- ابن منظور، لسان العرب، ج ١١، دار صادر، بيروت، (د.ت.):  
٥٢١
- ٣- المرجع نفسه: ٥٢١
- ٤- نفس المرجع والصفحة
- ٥- السيوطي، عبد الرحمن (الشيخ)، الإتقان في علوم القرآن، ط ١،  
مكتبة دار التراث، القاهرة، ٢٠٠٧م: ٣/٣٠٠
- ٦- مصطفى، إبراهيم وغيره، المعجم الوسيط:، دار الفكر، بيروت،  
١٩٩٨م: ٧٢٤
- ٧- ابن عاشور، محمد بن الطاهر، التحرير والتنوير، ج ١، دار التونسية،  
تونس، (د.ت)، ص: ٧٤-٧٦
- ٨- الموقع نفسه.
- ٩- سورة الحاقة: ٤١-٤٢
- ١٠- سورة فصلت: ٢
- ١١- السيوطي، عبد الرحمن (الشيخ)، شرح عقود الجمان، دار الفكر،  
بيروت-لبنان، (ب ت): ١٤٩
- ١٢- المرجع نفسه: ٣٠٢
- ١٣- [www.hamassa.com=18\09\2020](http://www.hamassa.com=18\09\2020)
- ١٤- حسان، تمام (الأستاذ الدكتور)، خواطر من تأمل لغة القرآن الكريم،  
ط ١، عالم الكتب، القاهرة، ٢٠٠٦م: ١٣٧



- ١٥- المرجع نفسه: ١٣٨
- ١٦- نفس المرجع والصفحة
- ١٧- حسان، تمام، المرجع السابق: ١٤٠
- ١٨- فرج، وائل علي، المناسبة بين الفواصل القرآنية وآياتها دراسة تطبيقية لسورتي الأنفال والتوبة، بحث تكميلي مقدم إلى قسم التفسير وعلوم القرآن، الجامعة الإسلامية-غزة، للحصول على درجة الماجستير في التفسير وعلوم القرآن، ١٤٣١=٢٠١٠: ١٤
- ١٩- المرجع نفسه: ١٤
- ٢٠- نفس المرجع والصفحة
- ٢١- المرجع نفسه: ١٥
- ٢٢- سورة مُجَّد: ١-٣
- ٢٣- السيوطي، عبد الرحمن (الشيخ)، شرح عقود الجمان، مرجع سابق: ١٤٩
- ٢٤- سورة مُجَّد: ٣٣-٣٤
- ٢٥- الدمشقي، إسماعيل بن كثير، تفسير القرآن العظيم، ط١، مكتبة الصفا، القاهرة، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م: ٢٨٥\٧
- ٢٦- المرجع نفسه: ٢٨٦
- ٢٧- أحمد، عطية سليمان (الأستاذ الدكتور)، الفونيمات فوق التركيبية في القرآن الكريم، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، (د.ت): ٧٤

مجلة دراسات عربية، العدد ١٥، الرقم ١، من السلسلة الجديدة أكتوبر ٢٠٢٠م

٢٨- المرجع نفسه: ٧٣

٢٩- حسان، تمام (الأستاذ الدكتور)، المرجع السابق: ١٢٧-١٢٨

٣٠- بورويسة، زينة، الدلالة الصوتية في سورة مريم، ط١، دار الآفاق،

القاهرة، ٢٠١٤م: ٧٦

## تعليق الدلالات الصيغية في القرآن الكريم وأثره على المفسرين المحليين في بلاد يوروبا

إعداد:

عبد الوهاب صلاح الدين

قسم العربية، جامعة ولاية يوبي، نيجيريا

[wahabsalau1976@gmail.com](mailto:wahabsalau1976@gmail.com)

### الملخص:

سجل الصرفيون في طيات كتبهم دلالات صرفية باستقراء منتج، وربطوا كل صيغة بدلالاتها بدقة متناهية، واشتهرت بعض صيغ ببعض دلالاتها على حساب بعض كاشتهار صيغة "مفاعلة" بالدلالة على المشاركة، فكلما تمّ تعليق الدلالة التي اشتهرت بها صيغة معينة في أحد سياقات النص القرآني اختلف العلماء في تفسيره فيميل بعضهم إلى التكلف في ربط تلكم الصيغة بما اشتهرت به من دلالاتها. يُلاحظ أن جذور هذه الظاهرة امتدت إلى بعض مفسري القرآن الكريم في بلاد يوروبا بحيث وقعوا في الخلط أثناء تفسير بعض الآيات القرآنية التي تضمنت الظاهرة وترجمتها إلى لغاتنا المحلية لعدم انتباههم لورود الظاهرة في تلكم الآيات، علما بأن بعض هؤلاء المفسرين ليسوا أكفاء ينقصهم الإلمام الكافي بالعلوم العربية مما يسبب وقوعهم في مثل هذا الخلط في تفسير النص القرآني، ولا شك في أن نشر المفاهيم الخاطئة عن القرآن

الكريم إلى عوام الناس خطر على الأمة الإسلامية؛ بناء على هذا، يهدف هذا البحث إلى توضيح الظاهرة وتوجيه انتباه المفسرين إليها مبينا بعض مواضع ورودها في القرآن الكريم. يتبع هذا البحث المنهج التحليلي لتحليل بعض الشواهد التي تتعلق بالظاهرة. ومما توصل إليه الباحث من خلال هذا البحث أن بعض المفسرين المحليين في بلاد يوربا لم ينتبهوا لهذه الظاهرة في تفسيرهم للقرآن الكريم لسببين، يتمثل أحدهما في عدم إلمام بعضهم بعلوم اللغة العربية إلماما يؤهلهم لتصدر القوم في تفسير القرآن ويتمثل الآخر في الاعتماد على تفسير الجلالين في تفسيرهم.

#### المقدمة:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين وبعد، فإن اختيار العربية لتكون لغة بعض العبادات في الإسلام و لغة القرآن الكريم دون غيرها من لغات العالم دلالة واضحة على أنها غنية في مستوياتها، ويتضح غناها في مستواها الصرفي الذي جمع بين أسلوب التصيغ والإلصاق في توليد الكلمات الفروع من أصولها، وتوظيف التصيغ للاقتصاد في استعمال الألفاظ لدلالات متعددة، وتعليق تلك الدلالات لأغراض تواصلية مهمة، علما بأن بعض المفسرين المحليين في

بلاد يوربا الواقعة في دولة نيجيريا يخطئون في تفسير المواضع التي وردت فيها ظاهرة تعليق تلك الدلالات في القرآن الكريم ؛ بناء على هذا، يحاول هذا البحث أن يدلي بدلوه في معالجة القضية من خلال النقاط الآتية:

✓ مفهوم تعليق الدلالة الصيغية وأساسياته

✓ سنن العرب في تعليق الدلالة الصيغية

✓ تعليق دلالة صيغة اسم فاعل في القرآن الكريم

✓ تعليق دلالة صيغة اسم مفعول في القرآن الكريم

✓ تعليق دلالة صيغة المصدر في القرآن الكريم

✓ تعليق دلالة صيغة الفعل في القرآن الكريم

✓ أثره على المفسرين المحليين في بلاد يوربا

✓ مفهوم تعليق الدلالة الصيغية وأساسياته

الأصل في اللغة العربية أن تكون لكل صيغة دلالة واحدة لكن كثرة المعاني مقابلة لقلة الألفاظ التي تؤدي إلى أن تكون لصيغة واحدة دلالتان فأكثر وليس هذا فحسب بل تؤدي أيضا إلى أن تلحق بصيغة دلالة عارضة لغرض يتوخاه متكلم أو كاتب فيعلق دلالتها المعروفة بناء على الأساسيات الآتية:

١- الدلالة الصيغية المعلقة، هي الدلالات الصيغية المتوفرة في كتب الصرف كدلالة المشاركة لصيغة (تفاعل) والمطاوعة لصيغة (انفعل).

- ٢- الدلالة البديلة، هي الدلالة العارضة التي تلحق بصيغة.
- ٣- الرابط الصرفي، هو العلاقة الصرفية الجامعة بين الصيغة التي تم تعليق دلالتها والصيغة التي استعملت دلالتها بديلة لتلك، إذ لا يمكن أن تكون دلالة الصيغة بديلة للأخرى بدون علاقة صرفية
- ٤- الرابط السياقي، هو ما قادنا إلى إدراك الدلالة المعلقة وبديلتها من خلال سياق الكلام. قد يطرح سؤال نفسه: ما علاقة الصرف بسياق الكلام؟ يتعلق الجواب عن هذا السؤال بالتماسك الثابت بين المستويات اللغوية فلا يمكن أن ندرس مستوى بمنأى عن بقية المستويات، علما بأن اللغة كبنيان يشد بعضه بعضا.
- ٥- الغرض التواصلية منه.

جدير بالذكر أن هذه الدراسة تلتقي مع ما يقصد بالمجاز العقلي عند البلاغيين في بعض مواضع وتختلف عنها في مواضع أخرى علما بأن هذه الدراسة تركز على الصيغ الصرفية والدلالات التي استعملت لها.

#### ٧ سنن العرب في تعليق الدلالة الصيغية

يستحسن أن نعرف في هذا البحث سنن العرب في تعليق الدلالة الصيغية نظرا لكون القرآن الكريم منزلا بلسان عربي مبين على نحو ما اتضح في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٩٢) نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ (١٩٣) عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ (١٩٤) بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ

مُبين} [الشعراء: ١٩٢ - ١٩٥] من جانب، وكون طريقة استعمال ألفاظه ضرباً من ضروب معجزته من جانب آخر. من تتبع سنن العرب في كلامهم أدرك أنهم يعلقون دلالات الصيغ، قال الثعالبي: "ومن هذا الباب سنة العرب أن يقولوا للرجل العظيم والملك الكبير: انظروا من أمري ولأَنَّ السادة والملوك يقولون: نحن فعلنا وإنا أمرنا"<sup>١</sup> يفهم من مضمون كلامه أن العرب يعلقون دلالة صيغة الجمع احتراماً لملك من ملوكهم، بينما يعلقها الملوك في كلامهم لمن دونهم اعتزازاً بمناصبهم، ويكتفي الباحث بذكر ثلاثة من تعليقاتهم على النحو الآتي:

١- تقول العرب: سِرُّ كاتم وأمر عارف ومكان عامر

علقوا الدلالة الفاعلية المتعلقة ب(كاتم) و(عارف) و(عامر) فاستبدلوا بها الدلالة المفعولية المتعلقة ب (مكتوم) و(معروف)<sup>٢</sup> و(معمور)<sup>٣</sup>، والرابط الصرفي أن كلا منهما يتضمن دلالة حدث وذات إلا أن اسم فاعل يدل على من قام بفعل بينما يدل اسم مفعول على من وقع عليه فعل، والرابط السياقي يظهر وصف ما ليس له قوة التنفيذ باسم فاعل بدلا من وصفه باسم مفعول لغرض المبالغة في الوصف.

٢- تقول العرب: ما له مَعْقُولٌ ولا مَعْقُودٌ

علقوا الدلالة المفعولية المتعلقة ب(معقول) و(معقود) واستبدلوا بها الدلالة المصدرية: عقل وعقد على أن نربط ما في اسم مفعول من ذات وما في

المصدر من حدث بالسياق الذي استعملوه، والرابط الصرفي أن كلا منهما يتضمن دلالة حدث إلا أن اسم مفعول يزيد على ذلك بذات واقع عليه فعل، والرابط السياقي يظهر استعمال ذات حسي لمتحدث عنه بدلا من استعمال معنوي لغرض المبالغة في نفي عقل وعقد رأي عن المتحدث عنه.

٣- قالت خنساء بنت عمرو:

ترتع ما غفلت حتى اذا ادكرت ... فإنما هي إقبال وإدبار°.

علقت الشاعرة الدلالة المصدرية المتعلقة ب (إقبال) و(إدبار) واستبدلت بها الدلالة الفاعلية: مقبلة ومدبرة، والرابط الصرفي أن كلا منهما يتضمن دلالة حدث إلا أن اسم فاعل يزيد على ذلك بذات منجز، والرابط السياقي يظهر وصف الناقاة بحدث بدلا من وصفها بحدث وذات منجز لغرض المبالغة في تصوير كثرة إقبال الناقاة وإدبارها°. اتضح مما أسلفنا بيانه أن من سنن العرب تعليق الدلالة الصيغية لغرض يتوخاه متكلم أو كاتب فلا غرو من ورود الظاهرة في القرآن الكريم لكونه منزلا بلسان عربي سيرا على سنن العرب في كلامهم على نحو ما يتضح فيما يلي:

#### ٧- تعليق دلالة صيغة اسم فاعل في القرآن الكريم

يستحسن أن نوضح المقصود بدلالة صيغة اسم فاعل باختصار قبل الخوض في البيان عن تعليقها فدالاتها المشهورة هي دالاتها على حدث



وحدوث وفاعله (الدلالة الفاعلية)، مثل: جالس، ساجد، وتتضمن صاحب شئ (الدلالة الصحابية) إذا اشتقت من أسماء الأعيان غالباً، مثل: لابن وتامر ولاحم وشاحم وسالحو فارس وناعل بمعنى ذي لين وتمر ولحم وشحم وسلاح وفرس ونعل،<sup>٦</sup> علماً بأن معظم المواضع التي وردت فيها صيغة اسم فاعل في القرآن الكريم تتضمن الدلالة الفاعلية، منها قوله تعالى: {إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا} [الأحزاب: ٣٥].

تم تعليق دلالة صيغة اسم فاعل في مواضع متعددة في القرآن الكريم، ويمكن تصنيف ما ورد في تلك المواضع إلى صنفين: صنف تم فيه استبدال الدلالة المفعولية بالدلالة المعلقة، وصنف آخر تم فيه استبدال الدلالة المصدرية بها على نحو ما يتضح فيما يلي:

#### ١- استبدال الدلالة المفعولية بالدلالة الفاعلية

تم استبدال الدلالة المفعولية بالدلالة الفاعلية للرباط الصرفي بينهما فكل من اسم فاعل واسم مفعول يدل على حدث وذات إلا أن الأول يدل على من قام بفعل بينما يدل الأخير على من وقع عليه فعل، على نحو ما اتضح في مواضع متعددة في القرآن الكريم، منها:

قوله تعالى: { فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَؤُلَاءِ أَقْرَبُوا كِتَابِيهِ (١٩) إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيهِ (٢٠) فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ (٢١) فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ } [الحاقة: ١٩ - ٢٢] وقوله تعالى: { فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ (٦) فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ } [القارعة: ٦، ٧].

تم تعليق دلالة اسم فاعل المتعلقة ب(راضية) في الموضعين المذكورين على أن تكون دلالة اسم مفعول: مرضية بديلة لها، والرابط السياقي يظهر وصف ما ليس له قوة التنفيذ باسم فاعل بدلا من وصفه باسم مفعول لغرض المبالغة في مدح الحالة.

وقوله تعالى: { قَالَ سَأَوْي إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ } [هود: ٤٣].

تم تعليق دلالة اسم فاعل المتعلقة ب(عاصم) في الآية الكريمة على أن تكون دلالة اسم مفعول: "معصوم" بديلة لها، والرابط السياقي يظهر عدم وجود من يعصم وهو اسم فاعل بدلا من نفي من يعصم وهو اسم مفعول من أمر الله نظرا لكون ابن نوح يتمنى أن يكون معصوما من أمر، و الغرض منه المبالغة في نفي وجود معصوم.

ينطبق نفس التحليل على كلمة "دافق" في نحو قوله تعالى: { فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ (٥) خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ (٦) } [الطارق: ٥، ٦].<sup>٨</sup>

وكلمة "أمنّا" في قوله تعالى: {وَقَالُوا إِن نَّبَعِ الْهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفُ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجِبَىٰ إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِّزْقًا مِنْ لَدُنَّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ} [القصص: ٥٧] وقوله تعالى {أَوْ لَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ} [العنكبوت: ٦٧].<sup>٩</sup>

## ٢- استبدال الدلالة المصدرية بالدلالة الفاعلية:

تم استبدال الدلالة المصدرية بالدلالة الفاعلية للرباط الصري بينهما فكل من مصدر واسم فاعل يتضمن دلالة الحدث وتميز الأخير بالجمع بين الحدث والذات القائم به على نحو ما بدا في مواضع متعددة في القرآن الكريم منها:

قوله تعالى: {إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ (١) لَيْسَ لَوْقَعِهَا كَاذِبَةٌ} [الواقعة: ١، ٢].  
تم تعليق دلالة اسم فاعل المتعلقة ب(كاذبة) في الآية الكريمة على أن تكون الدلالة المصدرية: "كذب" بديلة لها، والغرض هو المبالغة في نفي الكذب عن واقعية يوم القيامة.

نظيره قوله تعالى: {وَأُجُوهٌ يُؤْمِنُ نَاعِمَةٌ (٨) لِسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ (٩) فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ (١٠) لَا تَسْمَعُ فِيهَا لَآغِيَةً} [الغاشية: ٨ - ١١].

تم تعليق الدلالة الفاعلية المتعلقة ب(لاغية) على أن تكون الدلالة المصدرية: "لغو" بديلة لها على نحو ما ورد في قوله تعالى: كقولهِ: {لَا

يَسْمَعُونَ فِيهَا لَعْوًا وَلَا تَأْتِيماً} [الواقعة : ٢٥] والغرض المبالغة في إبعاد اللغو عن أهل الجنة.

### ٧ تعليق دلالة صيغة اسم مفعول في القرآن الكريم

صيغة اسم مفعول تدل على حدث وحدث ومن وقع عليه الحدث، وقد تم تعليق هذه الدلالة في مواضع متعددة في القرآن الكريم، وكانت الدلالة الفاعلية بديلة لها في بعضها ، والدلالة المصدرية في بعضها على نحو ما يتضح فيما يلي:

#### ١- استبدال الدلالة الفاعلية بالدلالة المفعولية:

تم استبدال الدلالة الفاعلية بالمفعولية للرباط الصرفي بينهما، ويتمثل ذلك في أن كلا منهما يدل على حدث وحدث وذات إلا أن الدلالة الفاعلية تتضمن ذات الفاعل بينما تتضمن الدلالة المفعولية على ذات المفعول وإليك بعض شواهدا فيما يلي:

قوله تعالى: {وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا} [الإسراء: ٤٥].

تم تعليق الدلالة المفعولية المتعلقة ب(مستورا) على أن تكون الدلالة الفاعلية: "ساتر" بديلة لها، والرباط السياقي يظهر أن للموصوف (الحجاب) قوة تنفيذ الستر بدلا من وصفه متقبلا للستر، والغرض منه المبالغة في وصف ستر الحجاب.

ونظيره قوله تعالى: {جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًا} [مریم: ٦١].

تم فيه تعليق الدلالة المفعولية المتعلقة ب(مأتيا) على أن تكون الدلالة الفاعلية: "أتيا" بديلة لها والغرض منه إثبات يقين إتيان وعد الله على نحو ما اتضح في قوله تعالى: {وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُمْ بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِنْ دَارِهِمْ حَتَّى يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ} [الرعد: ٣١].

## ٢- استبدال الدلالة المصدرية بالمفعولية:

تم استبدال الدلالة المصدرية بالدلالة المفعولية للرابط الصرفي بينهما فكل من مصدر واسم مفعول يدل على حدث إلا أن الأخير يزيد على ذلك بذات المفعول، على نحو ما اتضح في بعض مواضع في القرآن الكريم، منها: قوله تعالى: {فَسْتَبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ} (٥) بِأَيُّكُمْ الْمَفْتُونُ} [القلم: ٥، ٦]. تم فيه تعليق الدلالة المفعولية المتعلقة ب(المفتون) على أن تكون الدلالة المصدرية: فتنة بديلة لها<sup>١٠</sup> والرابط السياقي يظهر بوجود الباء أن المراد به الفتنة والغرض منه المبالغة في إظهار من أصيب بالفتنة.

## ٧- تعليق دلالة صيغة المصدر في القرآن الكريم

صيغة المصدر تدل على حدث وتم تعليق هذه الدلالة في مواضع متعددة في القرآن الكريم، ويمكن تصنيف ما ورد في تلك المواضع إلى

صنفين: صنف تم فيه استبدال الدلالة المفعولية بالدلالة المعلقة ،  
وصنف آخر تم فيه استبدال الدلالة الفاعلية بها على نحو ما يتضح فيما  
يلي:

١- استبدال الدلالة المفعولية بالدلالة المصدرية:

تم استبدال الدلالة المفعولية بالدلالة المصدرية في بضعة مواضع في  
القرآن الكريم، منها:

قوله تعالى: { وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ  
أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ } [يوسف:  
١٨].

تم فيه تعليق الدلالة المصدرية المتعلقة ب(كذب) على أن تكون  
الدلالة المفعولية بديلة لها مكذوب<sup>١١</sup> الأصل مكذوب فيه لأن الكذب  
من صفات الأقوال والأجسام.<sup>١٢</sup> والغرض منه المبالغة في الوصف<sup>١٣</sup>.  
نظيره قوله تعالى { هَذَا خَلْقُ اللَّهِ } [لقمان: ١١]، أي مخلوقه.<sup>١٤</sup>

٢- استبدال الدلالة الفاعلية بالمصدرية:

تم استبدال الدلالة الفاعلية بالمصدرية في بعض مواضع في القرآن  
الكريم للرباط الصرفي بينهما يتمثل في أن كلا من مصدر واسم فاعل  
يتضمن الحدث إلا أن الأخير يزيد على ذلك بالذات القائم بإنجاز  
الحدث، منها قوله تعالى: { قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ

بِمَاءٍ مَعِينٍ { [الملك: ٣٠] تم فيه تعليق الدلالة المصدرية المتعلقة ب(غورا) على أن تكون الدلالة الفاعلية: غائر<sup>١٥</sup> بديلة لها والغرض منه المبالغة في الوصف<sup>١٦</sup>.

### ٧-تعليق دلالة صيغة الجمع في القرآن الكريم

تدل صيغة الجمع في اللغة العربية على ما هو أكثر من اثنين من المعدودات، ويتم تعليق هذه الدلالة في بعض مواضع في القرآن الكريم، ويمكن تصنيف ما ورد في تلك المواضع إلى صنفين: صنف تم فيه استبدال دلالة التثنية بدلالة صيغة الجمع، وصنف آخر تم فيه استبدال دلالة الإفراد بدلالة صيغة الجمع على نحو ما يتضح فيما يلي:

١- استبدال دلالة التثنية بدلالة صيغة الجمع:

تم استبدال دلالة التثنية بدلالة صيغة الجمع في السياقات القرآنية المتعددة منها:

قوله تعالى: {وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جِزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ} [المائدة: ٣٨].

تم فيه تعليق دلالة الجمع المتعلقة ب(أيدي) على أن تكون دلالة التثنية: يدين<sup>١٧</sup> بديلة لها علما بأن بينهما الرابط الصرفي المتمثل في أن كلا منهما يتضمن الدلالة العددية والغرض من اختياره تخفيف لفظ الخطاب<sup>١٨</sup>.

وشبيهه تعليق دلالة الجمع المتعلقة ب(سوات) في قوله تعالى: {فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا} [الأعراف: ٢٢].

ونظيره تعليق دلالة الجمع المتعلقة ب"قلوب" في قوله تعالى: {إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا} [التحریم: ٤].

٢- استبدال دلالة الإفراد بدلالة صيغة الجمع:

تم استبدال دلالة الإفراد بدلالة صيغة الجمع في السياقات القرآنية المتعددة منها:

قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ} [المؤمنون: ٥١].

تم فيه تعليق دلالة الجمع المتعلقة ب"الرسول" على أن تكون دلالة الإفراد: الرسول<sup>١٩</sup> بديلة لها علما بأن بينهما الرابط الصرفي المتمثل في أن كلا منهما يتضمن الدلالة العددية والغرض من اختياره تعظيم شأن المنادى وهو رسول الله محمد بن عبد الله ﷺ<sup>٢٠</sup>.

#### ٧- تعليق دلالة صيغة الفعل في القرآن الكريم

تم تعليق دلالة صيغة الفعل في مواضع متعددة في القرآن الكريم، ويمكن تصنيف ما ورد في تلك المواضع إلى صنفين: صنف تم فيه استبدال دلالة المستقبل بدلالة صيغة الفعل الماضي، وصنف آخر تم



فيه استبدال دلالة الماضي بدلالة صيغة الفعل المضارع على نحو ما يتضح فيما يلي:

#### ١ - استبدال دلالة المستقبل بدلالة صيغة الفعل الماضي:

لا شك في أن الرابط الصرفي الذي يجمع كل فعل باختلاف صيغه وأزمته هو الحدث فصيغة الفعل الماضي مرتبطة بحدث في زمن ماضٍ، وصيغة المضارع متعلقة بحدث في زمن حاضر أو مستقبل وصيغة الأمر مرتبطة بحدث في زمن مستقبل، ويتم تعليق دلالة الفعل الماضي الزمنية ويكون الزمن المستقبل بديلاً لها في بعض السياقات القرآنية، منها:

قوله تعالى: {ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ} [يونس: ٥٢]، تم فيه تعليق دلالة صيغة الفعل الماضي: "قيل" على أن تكون دلالة المستقبل: (يُقَال) بديلة لها لغرض التنبيه على تحقيق وقوع حادثة القيامة<sup>٢١</sup> والرابط السياقي يتعلق بيوم القيامة الذي سيقع في المستقبل.

ونظيره تعليق دلالة الماضي المتعلقة بـ "زَيْلُنَا" في قوله تعالى: {وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ أَنْتُمْ وَشُرَكَائِكُمْ فزَيْلُنَا بَيْنَهُمْ وَقَالَ شُرَكَائُهُمْ مَا كُنْتُمْ إِلَّا نَا تَعْبُدُونَ} [يونس: ٢٨].

وتعليق دلالة الماضي المتعلقة بـ "بَرَزُوا" في قوله تعالى: {يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ} [إبراهيم: ٤٨].

٢- استبدال دلالة الماضي بدلالة صيغة الفعل المضارع:

يتم تعليق دلالة الفعل المضارع الزمنية ويكون الزمن الماضي بديلا لها في بعض السياقات القرآنية، منها:

قوله تعالى: { وَاتَّبِعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَٰكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا } [البقرة: ١٠٢].

تم فيه تعليق دلالة صيغة الفعل المضارع: "تتلو" على أن تكون دلالة الماضي: ( تلت ) بديلة لها<sup>٢٢</sup> لغرض بيان حدوثه مكررا في الماضي، والرباط السياقي يتعلق بما جرى في ملك نبي الله سليمان في الزمن الماضي.

ونظيره تعليق دلالة صيغة المضارع: "يقتلون" في قوله تعالى: { لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَارْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رَسُولًا كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ } [المائدة: ٧٠].

٧- أثر تعليق الدلالة الصيغية على المفسرين المحليين في بلاد يوربا

يقصد بالمفسرين المحليين الذين يتصدرون لتفسير القرآن الكريم أيام شهر رمضان الكريم في بلاد يوربا سنويا، علما بأن معظمهم صاروا مفسرين بالوراثة، ذلك لكون آبائهم مفسرين فلما توفوا رشحهم كبار حارتهم أو بلدتهم للتفسير ليتولوا منصب آبائهم، وتم ترشيح بعضهم لما لاحظوا في مظاهرهم التي تشبه مظهر العلماء، وتم تعيين بعضهم بناء

على علاقتهم بساسة مدينتهم، ولا يباليون بكفاءتهم العلمية، والحقيقة أن معظمهم ليسوا ملمين بعلوم اللغة العربية وهي من العلوم التي يجب أن يكون للمفسر إلمام بها<sup>٢٣</sup> انطلاقاً مما أسلفنا بيانه لم يتنبه معظمهم بظاهرة تعليق الدلالة الصيغية في القرآن الكريم نظراً لكونهم يعتمدون في تفسيرهم على تفسير الجلالين الذي لم يتطرق إلى عمق القضايا اللغوية في القرآن الكريم فتراهم يربطون بعض الصيغ التي بدت فيها الظاهرة بدلالاتها ويؤولونها تأويلاً يضيق أفقها على نحو ما يتبلور في النموذجين الآتيين:

**النموذج الأول:** تفسيرهم كلمة "لاغية" في قوله تعالى: {لَا تَسْمَعُ فِيهَا لَآغِيَةً} [الغاشية: ١١]، يفسرون الكلمة معتمدين على ما ورد في تفسير الجلالين، علماً بأن هذا التفسير قدر للكلمة (نفس) ويقصد بها إنسان بجميع أعضائه على سبيل إطلاق الجزء وإرادة الكل: "لَا تَسْمَعُ بِالْيَأْيِ وَالنَّاءِ فِيهَا لَآغِيَةً" أَي نَفْسُ ذَاتِ لَعْوٍ : هَذَانِ مِنْ الْكَلَامِ<sup>٢٤</sup> لا شك في أن فكرة التقدير في هذا المقام تفتح باب الاحتمالات، فيمكن أن تقدر غير نفس على نحو ما رأينا الشيخ علوان مقدر (كلمة) في تفسيره للآية في الفواتح الإلهية<sup>٢٥</sup>. وقد رها ابن قتيبة في غريب القرآن (قائلة)<sup>٢٦</sup> فإذا أمعنا النظر فيما يشبهها من الآيات القرآنية نحو قوله تعالى: {لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَعْوًا وَلَا تَأْتِيهَا} [الواقعة: ٢٥] وقوله

تعالى: { لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَابًا } [النبا: ٣٥] أدركنا أن تفسيرها بتعليق الدلالة الصيغية التي سبق بيانها أقرب إلى الصواب من مذهب التقدير.

**النموذج الثاني:** تفسيرهم كلمة "كرتين" في قوله تعالى: { ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ حَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ } [المالك: ٤] يفسرونها حسب دلالتها الصيغية بناء على فهمهم السطحي لما ورد في تفسير الجلالين: "ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ" كَرَّةً بَعْدَ كَرَّةٍ "يَنْقَلِبْ" يَرْجِعِ "إِلَيْكَ الْبَصَرَ حَاسِئًا" دَلِيلًا لِعَدَمِ إِدْرَاكِ حَلَلٍ "وَهُوَ حَسِيرٌ" مُنْقَطِعٌ عَنِ رُؤْيَا حَلَلٍ<sup>٢٧</sup> علما بأن دلالتها على التثنية معلقة وجاءت دلالة الجمع (كرات) بديلة لها لأن البصر لا يحسر إلا بها.<sup>٢٨</sup>

#### الخاتمة

توصل هذا البحث إلى أن ظاهرة تعليق الدلالة الصيغية سنة من سنن العرب في كلامهم قبل نزول القرآن الكريم، فلما نزل سار على هذه السنة لكونه منزلا باللغة العربية، ووردت الظاهرة في مواضع متعددة في القرآن الكريم، منها ما تم فيه تعليق دلالة صيغة اسم فاعل واسم مفعول ومصدر وفعل، وتوصل هذا البحث أيضا إلى أن بعض المفسرين المحليين في بلاد يوربا لم ينتبهوا لهذه الظاهرة في تفسيرهم للقرآن

الكريم لسببين، يتمثل أحدهما في عدم إلمام بعضهم بعلوم اللغة العربية إلماما يؤهلهم لتصدر القوم في تفسير القرآن، ويتمثل الآخر في الاعتماد على تفسير الجلالين في تفسيرهم؛ بناء على هذا، يوصي هذا البحث الهيئات المعنية بشؤون الدين الإسلامي في بلاد يوربا أن تهتم باختيار الأكفاء في العلوم العربية وغيرها للقيام بتفسير القرآن الكريم في بلاد يوربا.

### الهوامش والمراجع

- ١- الثعالبي عبد الملك بن مُجَدِّد، فقه اللغة <http://www.Shamela.ws> 2-9-2020 م ص: ١٢٢٤
- ٢- ابن فارس، أحمد، الصاحبى في فقه اللغة <http://www.alwarraq.com> 12-04- 2020 م ص: ٥٦
- ٣- الثعالبي، المرجع السابق، ص: ١٢٣٢
- ٤- ابن منظور، مُجَدِّد بن مكرم(د.ت) لسان العرب ط ١، دار صادر، بيروت، ج ١٣ / ص ٣١٧
- ٥- الجاحظ، عمرو بن بحر (١٩٦٨م) البيان والتبيين ط ١، تحقيق : المحامي فوزي عطوي، دار صعب، بيروت، ص: ٤٨٦
- ٦- الأمدى، الحسن بن بشر، الموازنة-9-5 <http://www.Shamela.ws> 2020 م ص: ٤٠

- ٧- ابن سيده، علي بن إسماعيل، (١٩٩٦م) المخصص ط ١، تحقيق : خليل إبراهيم جفال، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ج٤/ ٣٩٩ص
- ٨- السمرقندي، نصر بن مُحمَّد بن أحمد، بحر العلوم. <http://www.Shamela.ws> 8-7-2020 م ص ٤٥٠
- ٩- ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم، تأويل مشكل القرآن. <http://www.Shamela.ws> 12-4-2020 م ص: ١٨٠
- ١٠- البغوي، الحسين بن مسعود (١٤٢٠ هـ) معالم التنزيل في تفسير القرآن ط ١، تحقيق : عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ج٨/ص ١٩١
- ١١- الفراء، يحيى بن زياد، (د.ت) معاني القرآن ط ١، تحقيق: أحمد يوسف النجاتي / مُحمَّد علي النجار وعبد الفتاح إسماعيل الشلي، دار المصرية للتأليف والترجمة ، مصر، ج٢/ ص٣٨
- ١٢- النيلي، عالم سبيط، الحل القصدي للغة في مواجهة الاعتباطية <http://www.Shamela.ws> 5-6-2020 م ص: ٨٠
- ١٣- البيضاوي، ناصر الدين عبد الله بن عمر، (د.ت) تفسير البيضاوي دار الفكر ، بيروت ، ج:٣/ ص:٢٧٨
- ١٤- علي بن نايف الشحود، الخلاصة في علوم البلاغة. <http://www.Shamela.ws> 5-6-2020 م ص: ٤١

١٥ - المبرد، مُجَّد بن يزيد (١٩٩٧ م) الكامل في اللغة و الأدب ط ٣، تحقيق : مُجَّد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي - القاهرة، ج: ٣ /

ص: ٢٩١

١٦ - الشوكاني، مُجَّد بن علي بن مُجَّد (١٤١٤ هـ) فتح القدير ط ١، دار

ابن كثير دار الكلم الطيب، دمشق و بيروت، ج: ٧ / ص: ٢٧٢

١٧ - المنتجب الهمداني (٢٠٠٦ م) الكتاب الفريد في إعراب القرآن المجيد

ط ١، تحقيق: مُجَّد نظام الدين الفتيح، دار الزمان للنشر والتوزيع،

المدينة المنورة ، المملكة العربية السعودية، ج: ٢ / ص: ٤٣٨

١٨ - الدسوقي، وائل بن علي بن أحمد، كتاب إعجاز القرآن ونقض

مطاعن عبدة الصلبيان 11-6-2020 <http://www. Shamela .ws> م

ص: ٦٤

١٩ - إبراهيم الإيباري، (١٤٠٥ هـ) الموسوعة القرآنية مؤسسة سجل العرب

(م.د) ص: ٨١٩

٢٠ - نفس المرجع، ص: ١٠٠٧

٢١ - ابن عاشور، مُجَّد الطاهر بن مُجَّد (١٩٨٤ هـ) التحرير والتنوير الدار

التونسية للنشر، تونس، ج: ١١ / ص: ١٠٤

٢٢ - الطبري، مُجَّد بن جرير، (د.ت) جامع البيان في تفسير القرآن، ط ١،

تحقيق : مكتب التحقيق بدار هجر، دار هجر، (م.د) ج: ٢ /

ص: ٢٥٧

- ٢٣- أحمد مُجَّد بوقرين، تلخيص كتاب لمحات في علوم القرآن  
http://www. Shamela .ws 9-8-2020 ج:٢/ص: ٢
- ٢٤- السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر و المحلي مُجَّد بن أحمد  
(د.ت) تفسير الجلالين ط١، دار الحديث ، القاهرة، ص: ٤٨٩
- ٢٥- علوان، نعمة الله بن محمود، (١٩٩٩ م) الفواتح الإلهية والمفاتيح  
الغيبية ط١، دار ركابي للنشر، الغورية، مصر، ج:٢/ص: ٥٠٥
- ٢٦- ابن قتيبة ، عبد الله بن مسلم، غريب القرآن .  
http://www. Shamela .ws 4-4-2020 م: ٤٥١
- ٢٧- السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر و المحلي مُجَّد بن أحمد، المرجع  
السابق، ص: ٢٥٦
- ٢٨- إبراهيم الإيباري، المرجع السابق، ص: ٦٠٤



## التماسك في النص المشترك: التخميس والتشظير بين الشيخ أبي بكر عتيق سنك والشيخ الناصر كبر

إعداد:

طاهر لون معاذ

قسم اللغة العربية جامعة بايرو كنو- نيجيريا

[dlnuaz.ara@buk.edu.ng](mailto:dlnuaz.ara@buk.edu.ng)

### تمهيد: نظرية النص المشترك:

يكاد يكون الحديث عن النص المشترك وخاصة في الشعر شبه معدوم في ثنايا المؤلفات النقدية القديمة والحديثة، فكل ما تجده إشارات خاطفة لهذه الظاهرة، ولعل ذلك راجع إلى أن الأصل في العمل الإبداعي الشعري تجربة ذاتية، كما يعتبر النقاد أن الشعر على تحصيل جنسه مختلف كاختلاف الناس في صورهم وأصواتهم وعقولهم وحفظهم وشمائلهم وأخلاقهم... فلكل اختيار يؤثره وهي يتبعه وبغية لا يستبدل بها ولا يؤثر سواها.<sup>1</sup> ويقول ابن قدامة إنما سمي الشاعر شاعرا لأنه يشعر بما لا يشعر به غيره.<sup>2</sup> وهذا قريب من رأي بوفون Buffon الذي يرى أن الأسلوب هو الكاتب نفسه. فالأسلوب بمثابة بصمة يد لكل شاعر أو كاتب، فالمبدع لا بد أن يتميز في كتاباته الإبداعية والوصفية، بأسلوب شخصي أصيل، يكون علامة دالة عليه.<sup>3</sup> وهذا ما يولد تحديا للنصوص الشعرية المشتركة، حيث يبدو في الوحلة الأولى أن النص يفقد هذه

الميزة الشعرية التي هي وحدة الشعور والعاطفة. ويبدو أن النص المشترك من صنعة المتأخرين، سواء كان هذا الاشتراك في التخمين والتشطير ونحوهما، أو ما عرف مؤخرا عن بعض الشعراء من تجربتهم للقصيدة المشتركة بحيث يشترك شاعران في تأليف قصيدة واحدة.

وهناك اختلاف بين النقاد المعاصرين حول ظاهرة النص المشترك، ما بين من يرى إمكانية وجود نص مشترك ذي سمات نصية يرقى لمقام الخطاب دون الشعور بتفكيك وحدة الخطاب، فيذهب الدكتور أنور غني الموسوي إلى أن عمل نص مشترك بين مؤلفين يواجه مجموعة من التحديات التقنية والفكرية، بل والفلسفية أيضا، ويرى أن النص المشترك بداية لغروب أبدي لفرضيات النقد الخارجي غير المرتبط بلغة النص، ما سماه النقد اللالغوي أو البيئي كالنقد النفسي والاجتماعي والثقافي ونحوها والتي تبحث عن جوانب جمالية في خلفيات المؤلف وظروفه وبيئته خارج لغة النص، فالتأليف المشترك يسقط جميع أدوات التحليل في تلك الجوانب.<sup>٤</sup> وقد انتهى إلى أن وجوب نقاط التقاء رؤيا بين الشاعرين لتوليد النص المشترك وهي في جانبين: البعد الشعوري والعاطفي والثاني البعد اللغوي والاسلوبي.

ويرى الدكتور علي الجميلي وبعض الشعراء صعوبة هذه الظاهرة فلم يستبعدوا وجود نص مشترك في ظل وجود قواسم مشتركة بين الشاعرين

فالشعر حسب الجميلي هو مشروع فردي بحت؛ فالقصيدة لا يمكن أن تحمل نفسيّتين ولا يمكن أن تكتب بأحاسيس شاعرين يختلفان من حيث النشأة والتكوين والحياة،<sup>٥</sup> ونفس الرأي للشاعر عبدالرحمن موكلي الذي يقول بعيداً عن رؤية النقاد، أو الملكية الفكرية، أجد من الصعوبة كتابة نص شعري مشترك مع شاعر آخر.<sup>٦</sup>

ونجد رأياً مميّزاً عند الشاعر السعودي أحمد قران الزهراني الذي رسم معالم النص المشترك بقوله "النص المشترك هو امتزاج روحين في حالة شعرية واحدة، إيماناً منهما بهذه الحالة، وفق سياقات شعرية وأحاسيس مشتركة، تجاه قضية ما، ومن خلال ذلك يقدم الشاعران رؤية واحدة مشتركة لا رؤيتين؛ لأن النص الواحد لا يحتمل رؤيتين حتى وإن بدت هناك رؤى عديدة من خلال ظاهر النص، إلا أن النص لا يجب أن يحمل رؤى مختلفة ومتناقضة، بالتالي فإن النص المشترك هو حالة شعرية واحدة لرؤية واحدة تجاه قضية واحدة، تعتمد في الأساس على مقدرة الشاعرين في طرح الرؤية بنفس شعري واحد".<sup>٧</sup>

فاتحاد الشاعرين في عدة نقاط حيوية أمر أساسي لتوليد النص المشترك، يحملها الزهراني في توضيح رأيه حيث يضيف:  
 "الإحساس بموضوع النص وقضيته هو المحفز الأساسي لكتابة النص المشترك، فإن لم تتفق الرؤى والمشاعر والأحاسيس لدى الشاعرين اللذين

يكتبان النص؛ فسياق النص مختلفاً في سياقات المعنى والصورة؛ إذاً وحدة الشعور وتوحد الأحاسيس حيال هذا النص ضرورة حتمية لاكتمال عناصر نجاح هذا النص؛ وبالتالي فإن الشعاعين يشتركان في كل خلجات النص وما يضمه من مشاعر إيجابية أو سلبية؛ ولهذا فإن شرط كتابة النص المشترك -في رأيي- تتجلى في تشابه اللغة الشعرية بين الشعاعين، والإيمان بالتكامل بين الشعاعين، وفتح نافذة واحدة للشاعرين للدخول إلى فضاء النص دون أن يطغى شاعر على شاعر أو تجربة على تجربة، حتى تصل بهما الحالة الشعرية إلى عدم التفريق بين ما كتبه كل شاعر منهما، والنظرة إلى النص على أنه نص كامل وواحد، ولا يهم من كتب هذه الصورة أو هذا المقطع أو هذه الجملة الشعرية".

فنستنتج من خلال كل ما سبق أن الزهراني يشترط في النص المشترك أربعة شروط أساسية: أن يتحد الشعاعان من حيث الإحساس والشعور، ويتحدا في الإيمان بالقضية المتناولة، وأن يكون للنص المشترك رؤية واحدة، وأن تتشابه اللغة الشعرية للشاعرين.

وهذا الرأي هو ما يؤمن به الباحث منذ أن بدأ بقراءة النصوص المشتركة بين شاعرين عن طريق التخميس والتشطير لشعراء في نيجيريا، ومن هذا المنطلق يرى الباحث أن يناقش النصوص المشتركة بين الشيخ أبي بكر عتيق والشيخ ناصر كبر الممتثلة في التشطير والتخميس.

## التشطير والتخمين كنص مشترك:

التشطير: في اللغة من الشطر أي نصف الشيء، والجمع أشطر وشطور. وشطرته: جعلته نصفين... وشاطرني فلان المال أي قاسمني بالنصف وشطر ناقته وشاته يشطرها شطرا: حلب شطرا وترك شطرا. وكل ما نصف، فقد شطر. وقد شطرت طليبي أي حلبت شطرا أو صررته وتركته والشطر الآخر.<sup>٨</sup> والتشطير في اصطلاح العروضيين هو أن يعتمد الشاعر إلى أبيات لغيره فيضم منها شطرا يزيد عليه عجزا لصدوره وصدرا لعجزه.<sup>٩</sup> ونفهم من هذا أن العلاقة بين المفهوم اللغوي والاصطلاحي يكمن في قيام شاعر ما بتجزئة البيت الواحد المكون من العجز والصدر إلى شطرين ثم وضع بينهما شطرا مثله. ولم يقف الباحث على شيء من هذا النوع عند القدامى سوى ما يسمى بالتمليط أو المماثلة والإجازة؛ وهو أن يتساجل شاعران فيضع هذا شطرا وهذا شطرا لينظر أيهما ينقطع قبل صاحبه، ويروي ابن رشيق قصة منازعة امرئ القيس مع الحارث بن قنادة المعروف بالتوأم اليشكري، فقال له إن كنت شاعرا فملّط لي أنصاف ما أقول فأجزها، قال نعم فقال امرؤ القيس: "أحار ترى برقا هب وهنا" فقال التوأم: "كنار مجوس تستعر استعاراً"<sup>١٠</sup> وعند كتابة البيت المشطر اعتاد الكتاب استخدام حوالي أربع تقنيات للتمييز بين النص الأصلي والمتفرع عنه.<sup>١١</sup> فالأولى عن طريق استخدام

الحبر الأحمر للنص الأصلي والأسود للنص المتفرع أو العكس.<sup>١٢</sup> وهذه التقنية لم يصادفها الباحث بين الشيخين، فكانت جميع النصوص المشتركة بين الشيخين مكتوبة بالأسود، وتارة مشكولة بالأحمر.

والتقنية الثانية باستخدام القوس، بحيث يوضع كل صدر البيت الأصلي وعجزه بين القوسين وتبقى الأشرطة المزينة في النص المتفرع خارجهما. ولم يجد الشاعر هذه التقنية في المخطوطات التي اعتمدها عليها والثالث برفع علامة التنصيص على النص بأكمله أو على النص الأصلي أو على النص المتفرع. وهذه التقنية برزت في تشطير الشيخ أبي بكر عتيق لقصيدة الشيخ محمد الناصر. ثم إن التشطير يكتب على شكل القصيدة العادية، مما يجعل البيت يتنامى عمودياً لكنه في الحقيقة يتنامى أفقياً كالتالي:

بشراك يا ذاكر الرحمن بشراك ودم تلذذ أسماعي بذكراك

فاهناً فإن إله العرش يهواك قد نلت كل المنى من عند مولاك

إن عملية التشطير في الغالب تجبر البيت الأصلي على تقاسم دلالاته مع النص المتفرع بحيث لو ترك صدر البيت الأصلي وصدر البيت المتفرع قد لا يشكلان دلالة إلا مع ضم البيت الذي يليه (أي عجز البيت الأصلي وعجز النص المتفرع). كما أن دلالة النص المتفرع لا يعطي أي مفهوم دون ضمه إلى النص الأصلي.

وأما التخميم: فهو أن يقدم الشاعر على البيت من شعر غيره ثلاثة أشطر على قافية الشطر الأول فتصير خمسة أشطر.<sup>١٣</sup> هذا من الناحية الكمية، أما إذا نظرنا إلى آلية التناسق النصين فيكون الأمر أكثر إبداعاً، فالشاعر الذي يريد تخميس أو تشطير قصيدة ما يوزع بصره بين النص الأصلي وبين النص الذي يبدعه حتى ينسجم النصان معا ويمتص أحدهما الآخر إلى درجة الذوبان.<sup>١٤</sup>

#### ١- ترجمة الشيخين

##### أولاً: الشيخ أبو بكر عتيق

ولد أبو بكر عتيق بن خضر عام ١٩٠٩ م. في مدينة كَشْنَه، الواقعة في شمال غرب نيجيريا. ولم يتجاوز الرابعة من عمره حتى ساقه القدر إلى مدينة أجداده كَنُو، فقد أخذته شقيقه جدته إلى بيت زوجها في حارة سَنَك، فنشأ في حجرها وسط مجتمع زاخر بالعلم والعلماء والمتسم بطابعه الصوفي. استغل الشيخ عتيق هذه الفرصة في طلب العلم عند أكابر علماء البلدة المعروفين بتمسكه بالتصوف، أمثال الشيخ أبي بكر بن مُحَمَّد "مَجْنِيَّوًا" والشيخ مُحَمَّد سَلَعُ والشيخ محمود ابن الحسن. أخذ الشيخ عتيق سنك يتعمق في التصوف وعلومه عن طريق الأخذ من أعلام عصره حتى فاق أقرانه في هذا المجال، وشهدوا له بالرسوخ في ميدان العلوم العربية والإسلامية وبالأخص علم التصوف. وخير مثال

على هذا قول شيخه أبي بكر بن مُجَّد "مَجْنِيوًا" في تقريبه على كتاب الشيخ عتيق "الفيض الهامع" يقول: "الحمد لله الذي فتح لأوليائه أبواب الفهم وصحة الاعتقاد ورزقهم حسن الظن لسائر الملة المحمدية وخصوصا أهل النسبة الإلهية أولي الإمداد، وإنما ممن رزقه الله وفتح عليه بذلك نسيبنا<sup>١٦</sup> ومريدنا وأخونا وسمينا أبوبكر عتيق، سقاه الله أصفى رحيق من كؤوس معارفه وعلوم التحقيق، فصارت تصدر عنه جواهر المعارف ومعارف الجواهر، وما ذلك إلا من حسن طويته وأكيد مودته وقوة رابطته في السر الأحمدي والنور المحمدي، فلا يزال يزداد قمر سعاده في ترق وطلوع، ولا يزال نهره سائلا هاملا، ولا يفتر بجره يرمي الدرر..."<sup>١٧</sup>

وفد إليه المريدون من كل ربوع نيجيريا وما جاورها للأخذ عنه، ولم يزل الشيخ يربي ويؤلف ويقرض الشعر حتى وافته المنية. توفي الشيخ أبوبكر عتيق ليلة الخميس التاسع من ربيع الآخر عام ١٣٩٤ هـ الموافق ب ٢ من مايو ١٩٧٤، بعد مرض قصير ألم به، وقد توفي وهو في أوج نشاطه الفكري والدعوي كأبرز أعضاء أهل الفيضة التجانية في إفريقيا.<sup>١٨</sup>

#### ثانيا: الشيخ مُجَّد الناصر كبر

ولد الشيخ مُجَّد الناصر كبر في قرية عُرنُعاوا<sup>١٩</sup>، يوم الخميس، في شهر شوال، عام (١٣٣٤ هـ، الموافق عام ١٩١٢ م). توفي والده ولم يجاوز السادسة من عمره، فقام بكفالاته أحد أعمامه، يسمى الشيخ إبراهيم بن



أحمد الشهير ب: نطغني Natsugune، وهو عالم مشهور وصوفي زاهد، وظل تحت رعايته ينهل من العلوم إلى أن توفاه الله، بعد أن قضى معه ثلاثا وعشرين سنة. كما تتلمذ عند فطاحل علماء عصره ومشاهير دهره؛ أمثال: قاضي قضاة كنو الشيخ إبراهيم بن الأستاذ المعروف بـ(ميغري)، وقاضي بّثي Bichi الشيخ المصطفى، وإمام الجامع الكبير في كنو الشيخ مُحمّد الثاني، والشيخ عبد الكريم الملقب بـ(سائو) شَرُومَاوَا Chiromawa، والشيخ إِنْوَا إمام الزاوية<sup>٢٠</sup>، وغيرهم، وقد تلقى على أيديهم اللغة العربية وعلومها، والدراسات الإسلامية وفروعها، وغير ذلك مما توصلت إليه ثقافة أهل عصره، كعلم الفلك والنجوم والمنطق والفلسفة وعلم الحساب وخط الرمل وغير ذلك. وخاض في ميدان التأليف وهو ابن بضع وعشرين سنة، وورث عريكة العلم في معهد كبر<sup>٢١</sup> بعد وفاة الشيخ إبراهيم نطغني، أمه الطلاب من كل ناحية من نواحي نيجيريا وغيرها، وذاع صيته في الآفاق، وصار خادما للعلم والدين عامة، والطريقة القادرية خاصة، توفي الشيخ كبر ليلة السبت ٢٠ جمادى الأولى ١٤١٧هـ، الموافق ٤ أكتوبر ١٩٩٦م.<sup>٢٢</sup>

## ٢- الائتلاف البيئي والثقافي والنفسي بين الشعاعين:

كان للشيخ عتيق والشيخ كبر قواسم نفسية مشتركة، نفهم هذا من ترجمة الشعاعين حيث ينتميان لبيئة واحدة وهي البيئة الصوفية، وقبلها

ينتميان لقبيلة الهوسا القاطنة في شمال نيجيريا، ويتحدث كل منهم لغة الهوسا كاللغة الأم، ويسكنان في مدينة كُتُو نفسها والتي تعتبر عاصمة العلم والعلماء في نيجيريا. فبما أن الشاعر يقول الشعر لوصف ما يشعر به في قلبه من خلجات نفسية وعقدية بطريقة إبداعية. لذا لا يشاركه هذا الشعور غيره، فأنحدار الشاعرين من مجتمع واحد وبيئة واحدة ولسان واحد، واغترافهما من بحر واحد في العقيدة والمشرب والمذهب: الإسلام، التصوف، الأشعرية، المالكية...، أضف إلى ذلك الصداقة الحميمة بين الشاعرين فهي تمهد لولادة فكر واحد ونص متشابه، فلا غرابة إذا ذاب شعر هذا في شعر ذاك وامتزجا امتزاج الماء بالراح.

وليس هذا وحده بل إن إعجاب الشاعر بشاعر ما يدفعه إلى النظم على منواله، فقد كان الشيخ مُحمَّد الناصر معجبا بكتابات صديقه إلى حد بعيد جدا، يشهد على ذلك قوله في مقدمة شرحه المسمى "الفتوحات الودودية بشرح الكافية العتيقية" وهو شرح على القصيدة الكافية التي نظمها الشيخ عتيق في مدح الذاكرين الله كثيرا. فقد كتب الشيخ كبر عن صديقه: "... وأما تواليفه فكثيرة منها محصل الأمانى ومزيد التهاني في مدائح القطب أحمد التجاني... ومنها ما هي بلساننا الحوسي، وكلها نافعة مفيدة فيها علوم حمة وأسرار كمينة فجراه الله خيرا وله في التصوف والفقهاء اليد الطولى وقد شهد مشاهد الرجال معرفة

وذوقا وله كلام على لسان أهل الحقائق عجيب نفيس لا نسمح به هنا<sup>٢٣</sup>.

ومن جانب الشيخ عتيق وجدنا له في جميع مراسلاته الشعرية بينه وبين الشيخ كبر أنه يناديه بمحبه وصديقه الوامق، نكتفي بقوله "قد استلمت بيد المودة أبيات محبنا الشارب لحميا قرب المحيا، مُجَّد ناصر المجتبوي القادري، فأجرى الوارد هذا التخميس على لساني وهو..." ثم أورد الأبيات.<sup>٢٤</sup> قد أرسل له يوما هذه الرسالة الشعرية يطالبه فيها بتخميس قصيدة أو تشطيرها أو تذييلها:

ألا أيها الحب الجليل فإنني أحبيك ألفا بعد ألف تحية  
وأسأل رب العرش فضلا ومنة يمدك سجلا من فيوض غزيرة  
ومن بعد هذا يا إمام أولي النهى أرومك تخميسا لهذي القصيدة  
وإن جدت بالتشطير يا نعم ذاكمو أو الذيل قد والله فزت ببغيتي  
ظفرت بها في نيل وطركم الذي يترجم أهل العلم أهل الفضيلة  
وله قصيدة أخرى يهنئه على رجوعه من الحج فيها دلالة واضحة  
على الحب والصدقة المتينة.

وعلى الرغم من انتمائهما إلى طريقة صوفية مختلفة؛ حيث كان الشيخ عتيق تجانيا والشيخ كبر قادريا، إلا أنهما يتمتعان بتفاهم كبير ظل لوقت طويل، وإن كانا قد اختلفا في آخر المطاف حول قضايا معينة

لكن هذا الحب ظل متبادلا إلى أن توفي الشيخ عتيق ١٩٧٤م وهناك مواقف للشيخ كبر تثبت استمراره على عهده حتى وفاته عام ١٩٩٦م.

### التماسك النصي في تخميسات الشيخين وتشطيرائهما:

(التماسك أو السبك cohesion) من المصطلحات التي تستخدم لوصف العلاقات النحوية أو المعجمية بين العناصر المختلفة للنص، وقد استخدمه هالیدی للإشارة إلى الملامح المميزة للبنية السطحية للنص التي ترتبط أجزاء مختلفة من الجمل أو الوحدات الكبرى من الخطاب مثل الوظيفة المرجعية للضمائر والأدوات وبعض أنماط الظرف...<sup>٢٥</sup>

وهذا يرجع بنا إلى تعريف النص عند هالیدی الذي يقول إن النص وحدة دلالية ترتبط أجزاؤها معا بواسطة أدوات ربط صريحة ظاهرة (explicit cohesive ties) وهذه الروابط كما يقول الدكتور حسام أحمد فرج بمثابة المفاتيح الداخلية التي تبين تماسك النص، وهي الأدوات النحوية والمعجمية التي يستخدمها الكاتب أو المتكلم في نصه.<sup>٢٦</sup>

وعلى هذا الأساس يمكن أن نقسم الربط إلى أ. الربط النحوي

ب. الربط المعجمي.<sup>٢٧</sup>

### أ. الربط النحوي ودلالة التماسك المعنوي:

الوسيلة الأولى التي يمكن ملاحظة وظيفتها لربط الجمل في النص هي استخدام أدوات الربط مثل واو العطف، الفاء، ثم، لكن، مع، كذلك،

ونحوهم. وهذه الأدوات تفسر كيف أننا نتعرف مسبقاً على وجود العلاقة الدلالية من سطح النص<sup>٢٨</sup> وقد لاحظ الباحث أن للروابط النحوية دوراً كبيراً في تماسك النص وتتابع دلالاته في شكل إضافي أو استقصائي، فعندما يبدأ الشيخ عتيق في ذكر معنى في الشطر الأول من البيت، يأتي الشيخ كبر بشطرين بينهما ويعقد بينهما علاقة نحوية مع الشطر الأول (صدر البيت الأصلي) مع شطريه الزائدين وأخير يختم بعجز البيت الأصلي، لتأمل هذه الأبيات من قصيدة الذكر:

(بشراك يا ذاكر الرحمن بشراك) ودم تلذذ أسماعي بذكراك  
فاهناً فإن إله العرش يهواك (قد نلت كل المنى من عند مولاك)  
(كن ذاكر الله في سر وفي علن) وفي خلا وملا ممساك مغداك  
واذكر قياماً كما القرآن جاء به (وفي القعود وفي اليمنى ويسراك)

إن بداية الشطر الثاني معطوف على المعنى البشري في الشطر صدر البيت، تلاه الشطر الثالث بعطف آخر بالفاء الدالة على الترتيب مع التراخي، أي أبشر أيها الذاكر لله ودم على الذكر لتلذذ به أسماعي، فاهناً لأن الله يهواك. أما الربط الشطر الأخير فتماسكه جاء من جهة براغماتية، أو ما يسميه فان ديك الحلقات المفقودة، فتقدير السياق هنا هو: "بما أن الله يهواك قد نلت كل المنى من عند مولاك". وفي البيت الثاني يأمر الشيخ عتيق الذاكر بأن يداوم على ذكر الله سر وفي علن،

فأتى الشيخ كبر وعطف على هذا المعنى ليجمع بين الشطرين بعلاقة إضافية دلالتها استقصائية بقوله: وداوم على الذكر في خلوتك وفي ملائ من الناس وفي المساء في الغدو، وفي حالة القيام كما جاء به القرآن. ثم يلحق الشيخ كبر هذا بالشرط الثاني للشيخ عتيق الذي يعطف على ما سبق: واذكر في القعود وفي اليمنى ويسراك.

فالجمل في هذه القطعة شديدة التماسك من ناحية الربط النحوي، وهذا الربط يتحكم به تتابع منطقي يولد ما يسمى علم اللغة النصي بالتماسك المعنوي (coherence)، ويمكن ملاحظة طرف منه في وجود تناص مع القرآن ومع الحديث النبوي في النص منقسم في النصين طرفه في النص الأصل للشيخ عتيق وطرف في النص المتفرع للشيخ كبر. والتناص في علم لغة النص إحدى المعايير السبعة لتماسك النص<sup>٢٩</sup> - فقد لاحظ الشيخ كبر هذا التناص فأراد أن يظهره جليا فعمد إلى شيئين: الأول أتى بالمفارقة الموجودة في النص حالة الذكر كما في آيات من القرآن والحديث النبوي أو القدسي حيث ذكر المولى جل وعلا حالات الذكر (قياماً، قعوداً، على الجنب، والغدو والأصال) وفي الحديث القدسي يقول الله "فإذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإذا ذكرني في ملائ ذكرته في ملائ خير ملائ خير منهم..."<sup>٣٠</sup>، لكن الشيخ عتيق في نصه أشار إلى هذين النصين بأطرفهما حيث ذكر السر والعلن، والقعود،

(واليمنى واليسرى) فأراد الشيخ كبر الإحاطة والإستقصاء فأضاف إلى ذلك (القيام، الغدو، والمساء) ليجمع في النص كل أطراف المفارقة والتضاد، وهما من الظواهر المساهمة في تماسك بنية النص السطحية والعميقة. وعلى هذا المنوال تكون النصوص المشطرة بين الشيخين. وفي المقابل يسير الشيخ عتيق على الوتيرة نفسها في تشطيره لأبيات الشيخ كبر في ذكر حالة النفس وذمها، وإن كان عتيق تارة يميل إلى ربط النصين بعلاقات براغماتية لتأمل في مطلع القصيدة:

أنا الحقيِرِ الوقيِرِ) وحمل ذنبي كثير  
 لأجل ذاكم تروني (بالذنب ناري سعير)  
 (لأرعوي لنصوح) لو جاء نحوي بشير  
 بنيل أقصى مراد (بالحق نحوي يشير)  
 (يا مدعي الحبّ فاحذر) دعواك فهي تبير  
 خفها ولا تقرننها (لا يَغْرُرُنْكَ الغرور)

نلاحظ انخفاض حروف العطف في هذه القطعة، حيث نجد أن العطف جاء في الشطر الثاني بحيث عطف الشيخ عتيق على الشطر الأول للشيخ كبر في علاقة إضافية بدلالة استقصائية، ثم عطف ثان بقوله لأجل للعطف على المعنى السابق وربطها مع الشطر الأخير للشيخ كبر لتوليد نص متماسك علاقته سببية (causal relation). وفي

تشطير البيت الثاني والثالث نجد جميع العلاقة مبنية على التداولية، على أن ذلك لا يمنع من وجود البعد النحوي لربط الجمل، فيكون هذا التناغم من حيث توظيف نوعية الجمل لا الروابط، مثل توظيف الخبر أو الإنشاء بنوعيه الطلبي (الأمر والنهي والاستفهام والتمني والنداء) وغير الطلبي (وذنم وتعجب ومدح وقسم). فالشاعر المشطر أو المخمس يتجاوب مع نوعية الجمل الموجودة في النص الأصلي إما عن طريق بناء مثلها أو الإتيان بجمل تخالف نوعية الجملة السابقة لكنها توضح أو تعلق الجملة السابقة. ففي البيت الأول ابتداءً الشيخ كبر "بجملة خبرية "أنا الحقير الوقير" فتابعه الشيخ عتيق بمثلها "وحمل ذنبي كثير"، وهي جملة تحمل معها دلالة زائدة على ما سبقها، ثم جاء المشطر بجملة تفسيرية تربط الشطر مع الشطر الأخير "لأجل ذاكم تروني بالذنب ناري سعير". لتأمل دلالة البيت عند الشيخ كبر: "أنا الحقير بسبب ذنبي سعرت النار لي". في حين صار بعد التشطير: "أنا الحقير، ولديّ حمل كبير من الذنب، لذلك ترون النار تسعري بسبب هذه ذنوب". ولكي تبدو فكرة التماسك في النص المشترك اقترح الباحث توظيف المنهج الإحصائي لأنواع الألفاظ من حيث تقسيمها النحو العربي، فتوظيف الأفعال أو الأسماء بنسبة عالية في النص الأصلي يوجب على المشطر أو المخمس أن يحدو حدو هذا البناء حتى يتقارب النصين



لتكوين نص متماسك.<sup>٣١</sup> وقد تتبع الباحث توظيف الأفعال والأسماء والحروف في بعض القصائد المشتركة للشيخين فتوصل إلى تقارب كبير من ناحية توظيفها نوعيا وكميا. ففي الأول نجد أن هناك تقارب بين توظيف الأفعال والأسماء والحروف، ففي إحصائاتي لقصيدة "إيقاظ همم الإخوان واستنهاضها إلى الذكر الرحمن" وجدت أن الشيخ عتيق في النص الأصلي وظّف ١٨ فعلا (بنسبة ١٥%) و ٤٣ اسما (٣٧%) و ٥٣ حرفا (٤٦%). بينما وظف الشيخ ناصر كبر ٢٢ فعلا (٥٩%) و ٣٩ اسما (٣٥%) و ٥٠ حرفا (٤٥%).

نسبة الشيع	عدد الشيع	نوع الكلمات	تشطير "إيقاظ همم الإخوان"
15.5%	18	اسم	النص الأصلي (عتيق)
37.5%	43	فعل	
46.5%	53	حرف	
<b>100</b>	<b>114</b>	<b>المجموع</b>	
19.0%	22	اسم	النص المتفرع (كبر)
35.5%	39	فعل	
45.5%	50	حرف	
<b>100</b>	<b>111</b>	<b>المجموع</b>	

يلاحظ مما سبق أن هناك تقارب في عدد كل صنف من الأصناف الثلاثة لأقسام الكلام في اللغة العربية، فالأفعال تطغى في كلا النصين على الأسماء في حين كانت حروف المعاني أكثر شيوعاً. وقد توصل الباحث إلى نفس النتيجة في تشطير الشيخ عتيق لقصيدة "إله الوري" للشيخ كبر. ويؤمن الباحث بأن تقارب توظيف الأسماء والأفعال في النصين يساهم في انسجام النصين وتغريدهما في سرب واحد، على أن هذا غير مطرد فقد يختلف النصان من هذه الناحية لكن الربط المعجمي أو الدلالي قد يلعب دوراً حاسماً في ربط النص فيكون مصدر التماسك تداولياً، ومن أمثلة ذلك القطعة الشعرية التي أرسلها الشيخ كبر إلى الشيخ عتيق فقام بتشطيرها وتخميسها حيث نلاحظ مفارقة بين النصين من ناحية شيوع أنواع الكلام، ففي النص الأصل وظف الشيخ كبر ٢٠ اسماً و ٤ أفعالا ثم ٢ من حروف المعاني، في حين استعمل الشيخ عتيق ٢٤ اسماً ١٣ فعلا، و ٣٣ حرفاً. ويجدر الذكر بأن النص المتفرع أطول؛ كونه يضم ثلاثة أشطر في كل بيت، في حين يضم النص الأصل شطرين في كل بيت، وعلى الرغم من ذلك نرى أنه لا مقارنة بين الأفعال الثلاثة والثلاثة عشر. إلا أن العلاقات الدلالية البراغماتية التي قام الشيخ بربطها توقع النص في حيز التماسك التام كما يظهر من حصيلة دلالة القطعة بأكملها.

**ب. الربط المعجمي:**

يوصف الربط المعجمي بالعلاقات الجامعة بين كلمتين أو أكثر داخل المتتابعات النصية،<sup>٣٢</sup> أو هو الذي يتحقق من خلال اختيار المفردات<sup>٣٣</sup> بحيث يكون هناك علاقة تبادل يمكن من خلالها إحالة عناصر معجمية إلى أخرى. ويتحقق السبك المعجمي بين المفردات أو الألفاظ عبر ظاهرتين لغويتين: هما التكرار (recurrence) والمصاحبة، (collocation).

**التكرار:**

يكون التكرار بالإعادة المباشرة للكلمات داخل النص، ويسمح للمتكلم بإعادة ذكر شيء سابق مع إبقائه على نفس المرجع (Reference) مع إعطائه بعدا جديدا عن السابق.<sup>٣٤</sup>

**المصاحبة اللفظية:**

المصاحبة اللفظية هي ظاهرة التلازم اللفظي بين البنود المعجمية،<sup>٣٥</sup> وهي من المسائل التي يعنى بها علم الدلالة الحديث، وهي عبارة عن ميل بعض ألفاظ اللغة إلى اصطحاب ألفاظ بعينها دون الأخرى للتعبير عن فكرة ما.<sup>٣٦</sup> فعندما تسمع كلمة "إفشاء" فإنك تتوقع بعدها كلمة "السر". وقد جعل هاليدى مع رقية هذه الظاهرة ضمن عوامل السبك المعجمي ذات إشكالية كبيرة أكثر من غيرها.<sup>٣٧</sup> ويبدو من خلال أمثلته

يرى أن الإشكالية في تعدد الخيارات المتاحة لتعدد العلاقة التي قد تربط بين لفظة وأخرى. لكن سينكلير (Sinclair) يرى أن الأساليب اللغوية تعامل في النحو على أنه نظام من الخيارات، فالقضية تكمن في ميل العناصر المعجمية للتصاحب مع بعضها، وهذا الميل ينبهنا إلى بعض الحقائق اللغوية التي لا يمكن أن تدرك عن طريق النحو، فلا توجد مصاحبة مستحيلة، ولكن توجد مصاحبة مقبولة أكثر من غيرها.<sup>٣٨</sup>

وقد ذكر الأستاذ الدكتور محمد العبد بأن العلاقة بين اللفظين علاقة مقيدة وليست مطلقة، لذا فإن ذكر أحد اللفظين يستدعي على الفور صاحبه الذي يرتبط به في الكلام العادي دلاليا وتركيبيا،<sup>٣٩</sup> وهذه النقطة بالذات يراها الباحث منطلقا لنصية الخطاب، حيث تنشأت علاقات تربط بين مجموعات من الألفاظ في الخطاب دلالة وتركيبا. والخطاب يختلف باختلاف المجالات الخطابية والثقافية، ففي الخطاب الصوفي يشكل التضاد إحدى ظواهر تلازم الألفاظ، فهناك ألفاظ تستدعي على الفور ألفاظا تقابلها لتشكيل دلالة خاصة في السلوك الصوفي، لنأخذ فقط تشطير الشيخ عتيق لقصيدة صديقه الشيخ ناصر كبر، وتقع في ٢٦ بيتا، ورصد الباحث فيها ظاهرة التضاد في حوالي ١٢ موضعا، توزعت في الأبيات: ١ و ٢، و ٣، و ٦، و ١٨، و ٢١، و ٢٤، و ٢٨. وقد يكون في البيت الواحد ظاهرتان، لنأخذ ما يلي كعينات من القصيدة:

(ذكرت إلهي سرا وجهرا) قعودا وجنبا كذا في القيام  
 أصوم نهاري وأحيي ليالي (بتذكاره لا أذوق المنام)  
 (وإن ما طعنا الحبيب حجابا) هتكنا وبجنا بما لا يرام  
 وإن كنت أعصيه سرا وجهرا (بأني على عهده بالدوام)  
 (فموت المحب حياة فموتوا اشه) تياقا له فالسلام السلام<sup>٤</sup>

هذه الأبيات تبرز لنا كيف كان روح الصوفي، فالصوفي دائما بين السكر والصحو أو بين الخوف والرجاء أو بين القبض والبسط أو بين الغفلة واليقظة (الذكر) أو بين الأنس واليأس بل حتى بين الظاهر والباطن.<sup>٤</sup> لذا تستدعي كلماته ما يقابلها مما يشكل ثنائية رائعة ومصاحبة لفظية تسهم في ربط جزئيات النص، وهذا التقابل موزع بين النص الأصل والمتفرع على حد سواء. كما نلاحظ في القطعة نوعا آخر من علاقة المصاحبة وهي علاقة التلازم الذكرى في قوله: "ماطعنا الحجاب"، فألفاظ مثل "كشف وماط وهتك" في الخطاب الصوفي يستدعي حضور ألفاظ مصاحبة لها مثل "الحجاب والستر والنقاب".

### انسجام المعجم الشعري:

يراد بالمعجم الشعري تلكم الثروة اللغوية اللفظية التي يتحصل عليها الباحث من خلال دراسته لإبداع معين، ولكل شاعر معجمه الخاص

الذي يتفرد به عن بقية الشعراء.<sup>٤٢</sup> حيث يرتبط المعجم الشعري بحجم الألفاظ، وتوظيفها في الأول يظهر المخزون الثقافي لصاحب النص من استدعاء مصطلحات علم أو مجتمع، واستلهاج الأسماء التراثية و الأماكن والأحداث التاريخية، مما يدل على كثرة إطلاع الشاعر وسعة ثقافته، في حين تكون كيفية توظيفه لهذا الكم الهائل من الثروة عاملا ثانويا يفرقه عن شاعر يشاركه في العنصر الأول. لكن الأمر يختلف عند الحديث عن التشطير والتخميس، فمن علامة التماسك فيه وجود انسجام النصين من حيث انتقاء المعجم الشعري وتوظيفه حسب الثقافة والغرض، وبعد النظر في الشعر المشترك بين الشيخين وجد الباحث أن الشاعرين ينتقيان ألفاظهما من الثقافة الصوفية دوما في تشكيل معجم النص المشترك، بحيث لا تقرأ سطرا أو سطرين إلا وفيه ألفاظ من المصطلحات الصوفية أو توظيف في سياق صوفي. هذا، ولنوعية الأدب (Genre) الذي يتناولونه دور كبير في ذلك. فأغلبية شعر الشيخين ينصب في قالب التصوف، وعلى هذا جاءت التشطيرات والتخميسات تبعا لها، لنأخذ مثلا مقطوعة الشيخ كبر التي خمسها الشيخ عتيق وشرها أيضا، وتقع في ثلاث أبيات، وجميع كلماتها ٨٨ منها أكثر من خمسين مصطلح صوفي إما بطريقة مباشرة أو عبر السياق. و١٧ تعبير في أبيات الأصل (سنة أشطر) و ٢٣ في التخمس (تسعة أشطر):

أيا من رقى أوج المكارم واعتلا ونال من الرحمن ما رام مسبلا  
تبصر إلى قول المحب الذي علا ألم يأن للأحواس أن يشربو الطلا

عتيقا صفا في جنة الخلد بالذكر

ألا فاسقها صرفا ولا تخش كل من بإنكاره يرميك من أهل ذا الزمن  
تمسك بقول الشارب الهائم الحسن أيا معشر الأحواس هيموا بذكر من

بذكراه عيد القلب والعقل والسر

ألا فاحد يا حادي الرفاق لحانه ولا تنصرف عن باب ساق مدامه  
تسمع لمن قد ذاق سر شرابه ولا خير إلا في العكوف لبابه

ولا عيش إلا في التهاتر بالذكر

وفي تشطير الشيخ عتيق وظف ١٧ تعبيرا صوفيا مناصفة مع ما في  
أبيات الأصل. وعلى هذا السياق تصير جميع الأعمال الأدبية المشتركة  
بين الشيخين، فعندما يتكلم الشاعر الأول بمصطلحات إسلامية أو  
صوفية يجاوبه الآخر بمثلها مما يوحد رؤية النصين لينشأ بذلك نصا  
واحدا متماسكا.

### القصدية والتقبلية:

يتحدد مفهوم القصدية عبر مسارين: الأول قصد المنتج إنتاج نص  
محبوك مسبوك، ثانيا: جميع الطرق التي يتبعها منتج النص لاستغلال  
نصه للوصول إلى قصده وتحقيق أهدافه.<sup>٣</sup> ومن هذه النقطة بالذات

يبسط مؤلف النص جسر التواصل مع المتلقي فيخطبه بما يقنعه برسالة النص. والمتلقي بدوره يفك شفرة الخطاب بطريق مخزونه الثقافي والمعرفي. فتفاعل المتلقي هو ما قد يطلق عليه التقبيلية.

ويشار بالتقبيلية أو المقبولية إلى الرغبة النشطة للمشاركة في الخطاب، أي رغبة المتلقي في المعرفة وصياغة مفاهيم مشتركة... فالمتلقي هو من يفك شفرة النص لمعرفة واستخراج ما فيه على حسب ثقافته وأفقه ومعرفته بعالم النص وسياقاته.<sup>٤٤</sup> ومن هنا يمكن القول بأن النص المشترك (التخميسات والتشطيرات) يمثل القصدية والتقبيلية معا من حيث توافر القصدية من قبل المرسل (صاحب النص الأصل) والقبول من قبل المتلقي الأول (المشطر أو الخمس). فتأثير قصدية المؤلف في المتلقي دعت إلى تفاعل إيجابي بإخراج نص مواز أو مكمل للنص الأول:

فتكون عملية التواصل وإنتاج النص المشترك على الشكل التالي:

المؤلف ← القصد ← إنتاج النص ← المتلقي ١ ← القبول+التفاعل  
← إيجاد النص الموازي

النص المشترك (التخميس التشطير الخ)

المتلقي ٢ (القراء) المتلقي ٣ (الباحثون)



فمؤلف النص أصلاً أعده لغرض التوجيه إلى المتلقي، فلما تفاعل المتلقي به أعجب به مما دفعه ليضيف عليه نصاً يكون نصاً مشتركاً متماسكاً، وفي مرحلة ثانية يأتي متلق آخر ليقراً النص، كما أن رغبتنا كباحثين للوقوف على هذه الظاهرة ودراستها وتقييمها أو تأويلها تعد نوعاً من التقبلية.

وقد لا تتوقف تقبلية مثل هذه النصوص عند هذا الحد، وخاصة في أوساط الصوفية، حيث تكون نصوص الشيوخ نصوصاً مقدسة تقرأ في حلقات الذكر وتنشد في حفلات المولد النبوي للتقرب والعبادة، أو يأتي أحد المتلقين لشرح النص؛ فتقبلية قصيدة "إيقاظ همم الإخوان" لدى الشيخ كبر لم تتوقف عند حد تخميسه أو تشطيره إياها، بل تعدت إلى أن حملته تأثيرها في نفسه وإعجابه بمعانيها إلى وضع شرحاً مفصلاً لها سماه "الفتوحات الودودية بشرح الكافية العتيقية"<sup>٤٥</sup>

#### الخاتمة:

توصل الباحث بعد دراسة النص المشترك إلى حقائق علمية أهمها هي:

إن النص المشترك يتجسد لدى شعراء نيجيريا في فن التخمين والتشطير، وأن هذا النوع من الشعر يحقق التماسك النصي بمعاييره المعروفة في علم اللغة النصي عن طريق وجود انسجام بين الشعارين من

حيث البيئة والأحاسيس النصية والإيمان بالقضية المتناولة. وبدراستنا لنص الشعر المشترك بين الشيخ أبي بكر عتيق وقفنا على هذا التآلف النفسي والبيئي والعقدي للشاعرين مما جعل النص متماسكا من حيث العواطف والأفكار.

ومن ناحية النص قمنا بدراسة عناصر الانسجام النصي مثل السبك النحوي ووقفنا على تقارب النص الأصل والمتفرع من حيث البنية النحوية والتركيبية وكيفية تألقها في الربط الإضائي والعطفي والتكرار. كما وقفنا على توظيف الشاعرين لأنواع الكلام بين الأسماء والأفعال والحروف وأشرنا إلى وجود تقارب شديد بين النصين.

وفيما يتعلق بانسجام المعجم الشعري توصلنا عن طريق رصد نوعية الألفاظ إلى أن النص حقق ترابطا معجميا عن طريق توظيف الكلمات الواقعة في معجم شعري موحد حيث يتجاوب كل واحد النص الذي يخمسه بالمعجم نفسه (ألفاظ إسلامية أو صوفية إلخ).

وأخيرا توصلنا إلى كيف كانت العوامل السابقة نتجت عن قبول قصدية النص الأصل ليأتي ويضيف عليه نصا جديدا يكمله.

#### الهوامش والمراجع:

١- ابن طباطبا العلوي، محمد بن أحمد، عيار الشعر، دار الكتب العلمية

لبنان، ١٤٢٦هـ ٢٠٠٥م، ص ١٣

٢- ابن رشيق القيرواني، العمدة، ط ٥، دار الجيل، ج ١، ص ١١٦

٣- د. جميل حمداوي، اتجاهات الأسلوبية، الطبعة الأولى: ٢٠١٥م

شبكة الآلوكة، نقلا عن:

Oswald Ducrot/Tzvetan Todorov : **Dictionnaire encyclopédique des sciences du langage**, Points, Editions de Seuil, Paris, 1972, p:101.

٤- دأنورغني الموسوي: النص المشترك، الفكر والنموذج، مقال في موقع

"الناقد العراقي:

<http://www.alnaked-aliraqi.net/article/26802.php> -٠٤-٠٦

٢٠١٥

٥- الدكتور علي الجميلي، النص المشترك .. ضارة أم ضرورة نص

(رسائل في زمن الغربة ) ونصوص أخرى نموذجاً: مقال في موقع

"صحيفة المثقف" الإلكترونية العدد ١١٥٢ السبت ٢٩-٠٨-

٢٠٠٩

٦- نايف كيري - جازان النص المشترك.. حروف تبحث عن قاسم لـ

«الإحساس» دون «نشاز»: الأربعاء ٢١ / ٠٧ / ٢٠١٠

[www.al-madina.com/article/39821](http://www.al-madina.com/article/39821)

٧- المرجع السابق.

٨- ابن منظور ، لسان العرب مادة شطر، دار صادر - بيروت الطبعة:

الثالثة - ١٤١٤ هـ، ج ٤، ص ٤٠٦.

٩- أحمد الهاشمي، ميزان الذهب في صناعة شعر العرب، مكتبة

البيروتي، الطبعة الثالثة، ٢٠٠٦م ١٤٢٨هـ، ص ١٥٥

١٠- إميل بديع يعقوب، المعجم المفصل في علم العروض والقافية

وفنون الشعر، دار الكتب العلمية، لبنان، ط ١، ١٤١١هـ،

١٩٩١م، ص ٢٠١-٢٠٢، والقصة في العمدة، لابن رشيق،

ج ١، ص ٢٠٢-٢٠٣.

١١- راجع تفصيل ذلك في: د. مُجَدِّد فتح الله، تناص الشعر العرب

الحديث مع البردة، ط ١، ٢٠١١ دار الكتب العلمية لبنان،

ص ٣٤-٣٦

١٢- كتابة النص الأصلي بالأحمر هو ما أورده د. مُجَدِّد فتح الله في كتابه

تناص الشعر العربي الحديث مع البردة، وقد اعتمد على

المخطوطات في العالم العربي، لكن الباحث يرى أن كتابة النص

الأصلي بالأسود أولى وهي الشائعة لأن الكتاب يقلدون الرسم

القرآني المغربي في جميع ما نسخوا وبالتالي يكون النص الأصلي

بالأسود وما لم يكن أصليا بالأحمر على غرار الرسم المغربي للقرآن

الكريم.

١٣- ميزان الذهب، المرجع السابق، ص ١٥٦

١٤- تناص الشعر العرب الحديث مع البردة، المرجع السابق، ص ٣٤.

١٥- ذكر الشيخ مُحَمَّدُ الناصر كبر في "الفتوحات الودودية" أن الشيخ عتيق ولد حوالي عام ١٣٢٩هـ تقريبا. وذكر ابنه الدكتور لاوي عتيق أن الشيخ ولد في نفس اليوم الذي ولد أمير كشنه عثمان نغغوا الذي ولد عام ١٩٠٥م.

١٦- النسب بمعنى القريب أو الصهر، تقول هو نسبي أي قربي أو سهري، وتأتي بمعنى الشريف المعروف نسبه.

١٧- عتيق، أبوبكر مجموع أربع كتب، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ١٩٧٢-١٣٩٢، ص ١٥٢.

18- Andrea Brigaglia, **Sufi Poetry in twentieth century in Nigeria Alkhamriyya and Ghazal by Sheikh Aby Bakr Al-Atiq**, *Journal of Sufi Studies*, Brill, v6 (2017) p203

١٩- من ضواحي مدينة كنو، وتبعد عنها بخمسة أميال تقريبا.

٢٠- إمام لزاوية تجانية معروفة في كنو بحارو قُوقِي أسسها الشيخ مُحَمَّدُ العلمي المغربي عام ١٩٢٥م.

٢١- أسس هذا المعهد الشيخ مالم كبر، في حوالي سنة (١٧٨٧م)،

انظر: الثقافة العربية في نيجيريا، للدكتور علي أبي بكر، ص ١٦٩

٢٢- المتبولي شيخ كبر، المدائح النبوية في شعر الشيخ مُحَمَّدُ الناصر كبر، (رسالة ماجستير، غير منشورة، قسم اللغة العربية، جامعة بايرو

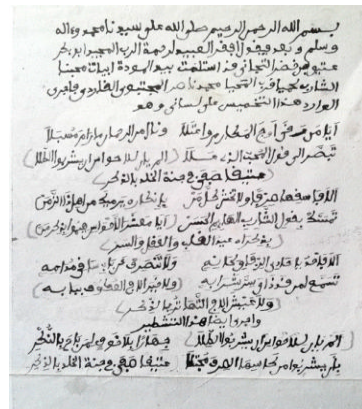
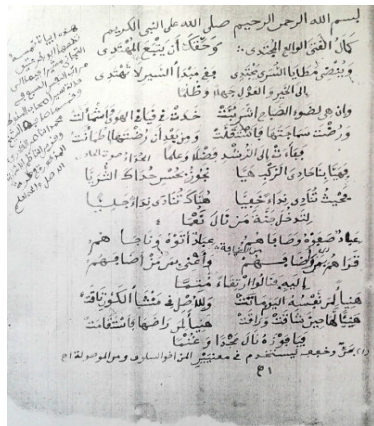
بكنو، ٢٠٠٢م)، ص ١٥

- ٢٣- مخطوط بخط الأستاذ أبوبكر جغوي بتاريخ: - الخميس شهر جمادي الأولى عام ١٣٦٠ هجرية. ويوجد نسخة بمكتبة الشيخ كبر، و للمؤلف نسخة من هذه النسخة الأصلية.
- ٢٤- وجدنا نسخة مسودة من مخطوط القصيدة بقلم الشيخ عتيق، ونسخة منقحة بقلم تلميذه الشيخ بلاربي جيغ.
- ٢٥- محمود سليمان ياقوت (أ.د.) قاموس علم اللغة. مكتبة الآداب القاهرة، ط١٨، ٢٠١٨م، ١٤٣٩هـ- ص١٨٤
- ٢٦- حسام أحمد فرج، نظرية علم النص: رؤية منهجية في بناء النص النثري، الطبعة الثالثة مكتبة الآداب، القاهرة، ٢٠١٨، ص٧٨.
- 27- Halliday, and R.Hassan , **Cohesion in English**, Longman London and New York, 1976, p5-6
- ٢٨- عزة شبل علم لغة النص، ص ١١٠ نقلا عن هاليدى ورقية.
- ٢٩- حسام أحمد فرج، المرجع السابق، ص١٧
- ٣٠- الحديث القدسي رواه البخاري في صحيحه رقم ٧٤٠٥ كتاب التوحيد.
- ٣١- لقد تغافل الباحث عن معادلة بوزيمان الذي اقترح استخدام نسبة الأفعال من الصفات، verb adjective ratio وهي معادلة تستخدم لمعرفة قرب الأسلوب من اللغة الأدبية أو العلمية، لكن الباحث فضل التقسيم البسيط لأجزاء الكلام في اللغة العربية.

- ٣٢- حسام فرج، المرجع السابق ص ١٠٦
- ٣٣- هاليدى وحسن، المرجع السابق، ص ٢٧٤
- ٣٤- أحمد حسام فرج، المرجع السابق نفسه.
- ٣٥- حمود سليمان ياقوت (أ.د.) قاموس علم اللغة، المرجع السابق، ص ١٨٧
- ٣٦- مُجَّد العبد، (الدكتور) إبداع الدلالة في الشعر الجاهلي مدخل لغوي أسلوبي، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الأولى ١٩٨٨، ص ١٠٣.
- ٣٧- يراجع في ذلك هاليدى ورقية، بين ص ٢٨٤-٢٨٦.
- ٣٨- مروة مصطفى د. المصاحبات اللفظية في لغة الصحافة المعاصرة، مكتبة الآداب القاهرة، ٢٠١٧م، ص ٢٧
- ٣٩- ابداع الدلالة، المرجع السابق.
- ٤٠- رحيق الأزهار، غير مطبوع، ص ١٤-١٥
- ٤١- طاهر لون معاذ، شعر الأمام أبي حامد الغزالي، دراسة أسلوبية، رسالة ماجستير مقدمة لقسم اللغة العربية جامعة بايرو كنو نيجيريا عام ٢٠١٦م ص ٧١.
- ٤٢- قربي سعيد: البنيات الأسلوبية في الخطاب الشعري عند ايليا أبي ماضي، بحث مقدم لقسم اللغة العربية جامعة قاصدى مباح الجزائر. ٢٠١٠ ص ١٣٩.

- ٤٣- حسام أحمد فرج، المرجع السابق، ص ٤٧
- ٤٤- عزة شبل مُجَّد، علم لغة النص النظرية والتطبيق، مكتبة الآداب القاهرة، ٢٠١٨. ص ٣٤
- ٤٥- مخطوط بخط الأستاذ أبوبكر جغوي وتاريخ نسخه الخميس شهر جمادي الأولى عام ١٣٦٠ هجرية. ويوجد نسخة بمكتبة الشيخ كبر، وللمؤلف نسخة من هذه النسخة الأصلية.

ملحق:



صورة تخميس الشيخ ناصر كبر لأبيات  
الشيخ عتيق بخط الشيخ كبر وفي  
الهامش تقديم بخط الشيخ عتيق

تخميس وتشطير الشيخ عتيق لأبيات  
الشيخ كبر (بخط يد الشيخ عتيق)



## الصورة الفنية في المدائح المغاربية القديمة

إعداد:

الدكتور محمد بوعلاوي

جامعة المسيلة - الجزائر

[boualaoui.med@gmail.com](mailto:boualaoui.med@gmail.com)

### الملخص:

تناول البحث الصورة الفنية في المدائح المغاربية القديمة، وكانت الصور مرتبطة بحالة الشاعر الانفعالية، وأشارت أحيانا إلى البعد الاجتماعي، وقد امتازت صورهم بالتأثر والتأثير بالشعراء السابقين، واسهمت عوامل عدة في تشكيلها منها: العوامل النفسية والثقافية والاجتماعية، والعوامل البيئية والدينية والتاريخية، وتناولت الدراسة الصورة من حيث الشكل من خلال اللغة لشعرية، وأنواع الصور ودلالاتها.

الكلمات المفتاحية: الصورة الفنية - الشعر المغاربي - المدح

### Abstract

The research dealt with the artistic image in the old Maghreb sceneries. The images were related to the poet's emotional state and sometimes referred to the social dimension. Their images were influenced and influenced by the former poets, and contributed to several factors in their formation: psychological, cultural, social, environmental, religious and historical factors. In terms of shape through the language of poetic, types of images and their implications.

Keywords: art image - Maghreb poetry - praise

إن الشاعر يهتم -غالبا- بموضوعات تدركها حواسه وتتفاعل معها مشاعره، فتمازجها الانفعالات، والأذواق، والألوان، قبولا أو رفضا، لتشكل عنوانا رئيسا في دراسة صورته الفنية، وتكون غالبا مستمدة من حياته الشخصية أو من بيئته التي يعيش بها، حالا بها أو مرتحلا عنها، وكل ذلك بتفاعل مع الزمن الذي تحتزنه ذاكرته، إذ «لا شعر لمن لا ذاكرة له»<sup>(١)</sup>، وقد يصعب تحديد منبع الصورة الفنية، أو طريقة تشكيلها، فمنها ما تكون وليدة الطبع تنبت في اللاوعي، وقد تكون وليدة العقل، «والشاعر حين يستخدم الكلمات الحية لا يقصد بها حشد صور محسوسة، بل يريد بها تمثيل تصور ذهني معين»<sup>(٢)</sup>. وينبغي التمييز بين الرؤية البصرية، والتفكير الحسي، لأن التفكير الحسي أكثر إيغالا وأبعد معنى من الرؤية البصرية، فالخيال هو الذي يستدعي الصور الفنية فيؤلف بين المتنافر منها ويجعلها داخل نسق متّحد، ويجعل الشاعر ملتحما ومتوحدا بالموضوعات والأشياء، فالمبدع «يستقي الصور من معطيات متعددة يقف العالم المحسوس في مقدمتها، ولكن هناك فرقا بين الصورة الفنية التي يتلقاها الإدراك عن العالم الحسي، والصورة الفنية التي يخلقها الخيال، وهي المقصودة في العمل الفني. فهي عمل تركيب، يقوم الخيال بنائها مما خلفه الإدراك من خبرات»<sup>(٣)</sup>، لأن الشاعر في هذه اللحظة يشعر أن قوة خفية تملّي عليه الأفكار، نتيجة تفاعله مع الحدث.

وتتنمي الصورة الفنية إلى الوجدان أكثر من انتمائها إلى الواقع، وغالبا ما يعبث الفنان بالواقع وبالصور المألوفة، ولكن هذا التداعي يتخلق في سياق جديد، تجلّيه التجربة الشعرية، فلا بد للصورة أن تستند إلى مرجعية معرفية وثقافية يخترنها عقله، وليس من اليسير تحديد مرجعية الصورة الفنية عند شاعر ما، لأنها ترد في سياق النص، ولأن النص شبكة ممتدة الجذور لها تقاطع مع نصوص أخرى أدبية كانت أو غير أدبية، ومع تجارب أخرى استقاها الشاعر من البيئة ومن التاريخ. . . . فالإنسان لا يستطيع منع الآخرين من التأثر بأفكاره، وأفعاله، وعواطفه، «لأنه بمجرد التعبير عنها، أو القيام بها فإنه يرسم صورته الخاصة في محيطه الاجتماعي. وثمة عناصر أربعة تساهم في تكوين الفعل الإنساني هي: الفرد، والمادة، والمقاومة، والجهد»<sup>(٤)</sup>. والفرد له دلالاته في الشعر المغربي القديم، فقد كان المحارب، أو الحبيب، أو الممدوح.

## ١. المدح

إن المدح غرض أدبي عريق، يُظهر مناقب الممدوح، وهو من «فنون الشعر الغنائي، يقوم على إعجاب الشاعر بالممدوح، لصفات يتحلى بها، ولأعمال تميزه وتعلي من شأنه»<sup>(٥)</sup>، وفيه «تعداد لجميل المزايا، ووصف للشمائل الكريمة، والإشادة بفضائل الممدوح، وبيان لمميزاته في حياته ومماته»<sup>(٦)</sup>، وفي حقيقة الأمر أن الشاعر عندما يمدح شخصا فإنه

في أعماقه يمدح نفسه، لأنه يصف الشمال والفضائل والقيم ويعلي من شأنها.

قال ابن حمديس مادحا المنصور بن الناصر بن علناس: (الوافر)

يَذَعْرُ الْجَبَّارُ مِنْهُ فَعَلَى      شَفَّةٍ بِمَشْيِ إِلَيْهِ لَا قَدَمَ  
فَالِقُ الْهَامِ، إِذَا كَرَّ سَطَا      مِسْعَرُ الْحَرْبِ، إِذَا هَمَّ اعْتَزَمَ  
كُلَّمَا أَوْطَأَ حَرْبًا سُنْبُكَ      حَمِي الرَّوْعُ وَشَبَّ الْمُفْتَحَمَ  
وَإِذَا حَاوَلَ فِي طَعْنِ الْكُلَى      صَرَفَ اللَّهْذَمَ تَصْرِيفَ الْقَلَمِ  
يَطَأُ الْهَامَ الَّتِي فَلَقَهَا      بِلْهَامٍ لِلْأَعَادِي مُلْتَهَمِ  
يُرْجِعُ اللَّيْلَ نَهَارًا بِالطُّبَا      وَيُعِيدُ الظُّهْرَ بِالنَّقْعِ عَتَمِ<sup>(٧)</sup>

أبيات القصيدة قاربت التسعين بيتا صورت ساحات الوغى تصويرا دلّ على فروسية وانتماء الشاعر، فوصفت إحدى المعارك الحربية التي قادها المنصور وأبلى فيها بلاء حسنا، واعتمد الشاعر على القصة المحكية محاكيا فن الملاحم، والأبيات تكاد تخلو من تصوير عواطف الشاعر وشعوره، وبعد المديح من الأغراض الأولى التي واكبت بداية انطلاق الشعر العربي، «وهو من أكثر الأغراض شيوعا، ولم يأخذ الاستقلالية في القصائد إلا بعد العصر الجاهلي، ويُبرز فيه الشعراء صفات الممدوح وأخلاقه وأفعاله التي يشتهر بها»<sup>(٨)</sup>. أما وحدة القصيدة

فتمثلت في الجو النفسي السائد بدءاً بالمقدمة مروراً بوصف المعركة وصفاً دقيقاً وانتهاءً بتحقيق النصر، كما بدأ الشاعر خلالها متأثراً ببيئته، مما جعلنا نتابع مشهداً متحركاً في وصف حسّي، كقوله: "حمي الروع وشب المقتحم" فالق الهام، إذا كرّ سطا"، ولا ريب أن الخيال وفاعليته من أهم معايير الموازنة بين شاعر وآخر، فبالخيال تحدد قيمة الإبداع ومستواه، كونه قدرة خلاقية تعمق الوعي بالواقع، وأبرزت جملة الصور بأس الممدوح وشجاعته، أما المقابلة بين "النور" و"الظلام" في البيت الأخير فدلالاتها ممتدة ظاهرها لمعان السيوف وغبار المعركة، ومن هنا وجب علينا الإشارة إلى طبيعة الخيال الشعري، وكيفية استعادته للصور ثم تشكيلها في مكون جديد من الوهم والذاكرة والإدراك، والناظر في ديوان ابن حمديس يقف على نفسه الطويل في نظم القصائد، وعلى خياله المثير والغني بالإشارات.

ومدح ابن هانئ الأندلسي جعفر بن علي، بقوله: (الكامل)

قَدْ وَاجَهَ الْأُسْدَ الضَّوَّارِي فِي	غَرًّا وَقَارَنَ فِي الْكِنَاسِ الرَّيْرَبَا
فَإِذَا رَأَى الْأَبْطَالَ نَصَّ إِلَيْهِمْ	جِيْدًا وَأَتْلَعَ خَائِفًا مُتَرْقِبًا
فَأَتَى بِهِ رَكْضُ السَّوَابِحِ حَوْلًا	وَأَتَى بِهِ حَوْضُ الْكَرَائِهِ قُلْبًا
قَدْ سِرْتُ فِي الْمَيْدَانِ يَوْمَ طَرَادِهِمْ	فَعَجِبْتُ حَتَّى كِدْتُ أَنْ لَا
قَمَرٌ لَهُمْ قَدْ قَلَّدُوهُ صَارِمًا	لَوْ أَنْصَفُوهُ قَلَّدُوهُ كَوْكَبًا <sup>(٩)</sup>

تداعت الصور في هذه الأبيات عن طيب خاطر، فلا يحس المتلقي بأن الشاعر لهث وراءها ليقتنصها، والمعنى أن الخليفة قد قارع الأبطال في الحروب، ومن قبلُ تمكن من بقر الوحش وهو شاب يافع، وذلك دليل على شجاعته وإقدامه، وقد أدت الصور وظيفتها لارتباطها نوعياً بالإحساس «فمكانة الصور في القصيدة تقابل مكانة الأشخاص في الشعر المسرحي أو الملحمي . . . ولا يتأتى للصورة تأدية وظيفتها إلا إذا وقعت موقعها الخاص بها في وحدة العمل الشعري، بحيث يتوفر مع الصدق جمال التصوير وكماله، وتبعاً لذلك يكون مجموع القصيدة ذا وحدة عضوية أيضاً: أي وحدة كاملة حية، فتؤدي الصور الجزئية وظيفتها في داخل نطاق هذه الوحدة بتعاونها معاً على خلق الأثر المقصود»<sup>(١٠)</sup>، الذي يصير ملكاً لعالم الفكر بعد أن كان مجرد مادة لا قيمة لها.

وقال مادحا أيضاً: (الطويل)

وَيَا جَعْفَرَ الْهَيْجَاءِ يَا جَعْفَرَ	فَيَا جَعْفَرَ الْعَلِيَاءِ يَا جَعْفَرَ النَّدَى
تَصُولُ بِهِ غَيْرَ الْهَدَانِ وَلَا الْعَمْرِ	لَنِعْمَ أَخَاً فِي كُلِّ يَوْمٍ كَرِيهَةً
كَصَرَفِ الرَّدَى كَاللَّيْثِ كَالْغَيْثِ	كَبَدْرِ الدُّجَى كَالشَّمْسِ كَالْفَجْرِ
وَنِعْمَ قِوَامُ الْمُلْكِ وَالْعَسْكَرِ	لَنِعْمَ نِظَامِ الْأَمْرِ وَالرُّتَبِ الْعُلَى
وَيَكْفِيهِ أَنْ يُعْزَى إِلَيْكَ مِنْ	إِلَيْكَ أَنْتَمَى فِي كُلِّ مَجْدٍ وَسُؤْدَدٍ

حشد الشاعر صورا متتابعة متخذاً منها لبنات أساسية أقام عليها عمله الفني، فجاءت متوائمة مع الحالة التي أراد التعبير عنها حين ألح على ذخيرته باستعمال التكرار «وما يميز التكرارات الصوتية الاختيارية للغة الشعر هو إنها تبدو أكثر كثافة وأكثر تنظيماً مما هي عليه في النثر، فالشاعر يلجأ إلى تكرار أصوات أو كلمات معينة بصورة أكثر مما هو معتاد في اللغة النثرية، ومعنى ذلك أن التكرارات الصوتية الاختيارية تعود في جوهرها إلى مبدأ تغليب محور الاختيار على محور التأليف في الجملة الشعرية»<sup>(١٢)</sup>، فالمسألة لا تتعلق بتكرار مجرد للكلمات أو الأصوات أو التراكيب، «وإنما هي إضافة يضمنها السياق الذي ترد فيه، ويجلوها نظام التعبير، وكيفية القول، لأن التكرار لا يسبب تغييراً في معنى الكلمة»<sup>(١٣)</sup>، بل يشحن السياق بدلالات إيحائية إضافية، باعتبار أن الصورة نتاج علاقة جدلية في القصيدة بين الواقع والخيال من خلال معايير تفرض نفسها لحظة ميلاد الفعل الشعري، لأن «كل معنى معيّن هو محدود بينما كل ما هو إيحائي لا محدود ومطلق، ولا ينحصر بزمان أو مكان»<sup>(١٤)</sup>، ولا يكتفي الشاعر بمجرد التصريح بالأفكار المباشرة التي تنفر النفوس وتزرع الملل عند المتلقي. «وإنما غاية الشعر الوقوع على التعبير الإيحائي الكامل للكشف عن حالة من حالات النفس»<sup>(١٥)</sup>. لحظة الإبداع، فالشاعر لا تتجلى إلا حين تتلبس بصفة حسية، وكل

صورة في الخلق الفني لها جذورها العميقة في اللاشعور الذي يلعب دورا بارزا في تكوينها وفي تصوير الحالات غير المألوفة. واقتبس من قوله تعالى: ﴿وَأَجْعَلِ لِي وِزِيرًا مِّنْ أَهْلِي﴾ ﴿هَارُونَ أَخِي﴾ ﴿أَشْدُدْ بِهِ أَزْرِي﴾ ﴿وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي﴾ طه ٢٨-٣١، فكانت صورة موفقة أحالت إلى ممدوحين يمكنهما إدارة شؤون الإمارة معا، كما شارك موسى أخاه هارون عليهما السلام في النبوة.

إلى قوله:

عَجِبْتُ لِهَذَا الدَّهْرِ جَادَ بِجَعْفَرٍ وَيَحْيَىٰ وَلَيْسَ الْجُودُ مِنْ شِيَمٍ  
وَمَا كَانَتْ الْأَيَّامُ تَأْتِي بِمِثْلِكُمْ قَدِيمًا وَلَكِنْ كُنْتُمْ بِيضَةَ الْعُقْرِ<sup>(١٦)</sup>

الصورة الثانية تكمل الأولى بدليل اشتراكهما في قرينة واحدة هي "جود الدهر" وصولا إلى المماثلة بين الممدوحين، رغم أن التاريخ قلما سجّل ذلك، وشبه تألفها بـ"بيضة العقير"، فبتأزرهما تغلبا على الأعداء، ومدّا سلطان الدولة، وطريقة المدح «يجب فيها السمو بكل طبقة من الممدوحين إلى ما يجب لها من الأوصاف، وإعطاء كل حقه من ذلك»<sup>(١٧)</sup>، وخاض ابن هاني في التفاصيل والجزئيات، فجاءت صورته متعددة الأوجه يمكن أن اعتمادها كوثائق تاريخية مهمة.

أما بكر بن حماد فمدح أحمد بن سفيان أمير الزاب، قائلا:

(الطويل)



وَقَائِلَةٍ زَارَ الْمُلُوكَ فَلَمْ يُفِدْ      فَيَا لَيْتَهُ زَارَ ابْنَ سُفْيَانَ أَحْمَدًا  
فَتَى يَسْحَطُ الْمَالَ الَّذِي هُوَ رُبُّهُ      وَيُضِضِي الْعَوَالِي وَالْحُسَامَ

توسل الشاعر بالتصوير المفصل، فوصف الأمير مرة بالجواد الذي لا ييخل بمال ولا بعتاء، ومرة أخرى بالشجاع القادر على خوض المعارك والفتك بالأعداء، جاعلا شمائله مهيمنة على اللوحة الشعرية، فالشعر يستمد عناصره من الواقع الموضوعي بتصوير المدرك الحسي مع إضفاء نوع من القداسة عليه أحيانا، وعلى المادح «أن يجعل معانيه جزلة، وألفاظه نقية غير مبتذلة سوقية، ويتجنب مع ذلك التقصير، والتجاوز، والتطويل»<sup>(١٩)</sup>، والمفارقة الموجودة في هذه الصورة جلاها قطبان هما: "المال" الذي يبذله الممدوح دون مبالاة، و"الوغى" الذي يغشاه بلا تردد، فحين اقتنص الشاعر هذه اللقطة أضفى على الممدوح خصلي الكرم والشجاعة.

ومدح صاحب جراوة، بقوله: (الكامل)

وَعَشَى مَغِيلَةَ بِالسُّيُوفِ مَدْلَةً      وَسَقَى جِرَاوَةَ مِنْ نَقِيعِ الْحَنْظَلِ<sup>(٢٠)</sup>

نقلت هذه الصورة مشهدا حيا ارتبط بموقف من مواقف الحياة ولخص تجربة إنسانية عميقة، لأن الصورة هي حلم الشاعر وفضاؤه، وهي «ليست حلى زائفة، بل إنها جوهر فن الشعر، فهي التي تحرر الطاقة الشعرية الكامنة في العالم»<sup>(٢١)</sup>. وبتضافر المجاز والكناية لامس المتلقي ما استقر في وجدان الشاعر.

كما مدح عبد الله بن قاضي ميله الأمير ثقة الدولة، قائلاً: (الطويل)  
حُسَامٌ عَلَى مَنْ نَاصَبَ الدِّينَ      وَسِتْرٌ عَلَى مَنْ رَاقَبَ اللهَ مُعَدَفُ  
يُسَايِرُهُ جَيْشَانِ رَأْيٍ وَفَيْلَقُ      وَيَصْحَبُهُ سَيْفَانِ عَزْمٍ وَمُرْهَفُ  
مَطْلٌ عَلَى مَنْ شَاءَهُ فَكَأَمَّا      عَلَى حُكْمِهِ صِرْفُ الرَّدَى  
يَرَى رَأْيَهُ مَا لَا تَرَى عَيْنٌ غَيْرَهُ      وَيُفْرِي بِهِ مَا لَيْسَ يُفْرِي الْمُتَّقِفُ  
رَعَى اللهُ مَنْ تَرَعَى حِمَى الدِّينِ      وَيَحْمِي حِمَى الإسلامِ والليل  
رَمَاهُمْ بِمَجْرٍ ضَعُضَعَ الأَرْضَ رِزَّةً      كَأَنَّ الرَّوَابِي مِنْهُ بِالنَّبْلِ تُدَلَّفُ  
إلى قوله:

فَكَمْ مِنْ أَعْمِ الوَجْهِ غَاوٍ تَرَكْتَهُ      وَهَادِيهِ مِنْ عُثْنُونٍ لِحْيِيهِ أَكْتَفُ  
هَوَى الْمُقْضَبِ المَاضِي بِمَهْوَاهُ      صَرِيحًا تَرَاهُ حَبْرًا وَهُوَ أُسْفُفُ<sup>(٢٢)</sup>

لقد مضت الصور في هذه القصيدة الواحدة تلو الأخرى مكونة مشهدا آخر من مشاهد البأس والقوة، فصوّر الشاعر الليل صورا متعددة ولكنها على الأغلب حملت الصفة السلبية، «والليل . . . مجال آخر ييث الشاعر في سكونه وظلمته - كعادة الشعراء منذ القدم - حزنه وغرخته وحبه الضائع وأمله المفقود بعيدا عن أمل الناس»<sup>(٢٣)</sup>، وفي مقابل الليل برزت صورة الصباح وما حملته من دلالات الفرج والانبلاج، وبذلك أحدثت تفاعلا بين أطراف الخطاب. وظلت الطبيعة «بمظاهرها

المختلفة الصامته والمتحركة تسهم بنصيب وافر في تشكيل خيال الشاعر وتكوين عناصره الفنية، وتمده بكثير من الصور الرائعة»<sup>(٢٤)</sup>، وتتحفه بمعان خلاصة مؤثرة.

وقال مادحا أحمد بن الفتح المعروف بابن الخراز<sup>(٢٥)</sup> التاهرتي الأمير

أبي العيش: (الكامل)

قَبَّحَ الْإِلَهَ اللَّهُوَ إِلَّا قَيْنَةً      بَصْرِيَّةً فِي حُمْرَةٍ وَيِيَاضِ  
 الْحُمْرُ فِي لِحْظَاتِهَا وَالْوَرْدُ فِي      وَجَنَاتِهَا وَالْكَشْحُ غَيْرُ مُفَاضِ  
 فِي شَكْلِ مُرْجِيٍّ وَتُسْكَ مُهَاجِرٍ      وَعَفَافٍ سُنِّيٍّ وَسَمْتِ إِبَاضِي  
 تَاهَرْتَ أَنْتِ حَلِيَّةٌ وَبَرِيَّةٌ      عَوَّضْتُ مِنْكَ بِبَصْرَةٍ فَاعْتَاضِي  
 لَا عُدْرَ لِلْحُمْرَاءِ فِي كَلْفِي بِهَا      أَوْ تَسْتَفِيضَ بِأَبْحُرٍ وَحِيَاضِ  
 مَا عُدْرُهَا وَالْحُرُّ عَيْسَى رَبُّهَا      مَلِكُ الْمُلُوكِ وَرَائِضُ الرُّوَاضِ<sup>(٢٦)</sup>

استهل الشاعر مقطوعته بالغزل الذي ظل مفتاحا لولوج سائر الأغراض والمواضيع، ذلك أنه «إذا انفتح للشاعر نسيب القصيدة فقد ولج من الباب ووضع رجله في الركاب»<sup>(٢٧)</sup>، وبراعته الفنية ورهافة حسه، وإعجابه بالمرأة أنوثة وجمالا، تمكن من الجمع بين الصورة النمطية للمرأة عند الشعراء العرب، ونظرتة الخاصة لها من حيث هي التقية الورعة بتضافر بين الحس والمعتقد، فجاء الاستهلال قارعا للأسماع حين ذم الشاعر اللهو مستثنيا القينة البصرية، وتواءمت ألفاظه مع إيقاع

البحر الكامل لتقريب المعاني، لأن الموسيقى الشعرية «نابعة من الصور وليست مفروضة عليها أو مرسومة لها من قبل، فهناك ترابط بينهما في أداء المعنى، وعلى هذا تصبح الوقفات ميسورة عند نهاية كل جزء منها ليبدأ بما يليه من الأجزاء، وهكذا حتى تكتمل أجزاءها فتكون الوقفة الأخيرة والتأمل المنشود»<sup>(٢٨)</sup>، وأسهمت العلاقة المتينة بين اللفظ والمعنى في توجيه الدلالة. أما شدة التأثير بالباعث الصوتي فولدت كلمات وأصوات أوحى بتطابق خفي بينهما، فللفظ قدرة كبيرة في إيحاء المعنى النفسي.

ومدح ابن النحوي أبا حامد الغزالي صاحب الإحياء، قائلاً:

(الطويل)

أَبُو حَامِدٍ أَحْيَا مِنَ الدِّينِ عِلْمُهُ      وَجَدَّدَ مِنْهُ مَا تَقَادَمَ مِنْ عَهْدِ  
وَوَفَّقَهُ الرَّحْمَانُ فِيمَا أَتَى بِهِ      وَأَهْلَمَّهُ فِيمَا أَرَادَ إِلَى الرُّشْدِ  
فَقَصَّلَهَا تَفْصِيلَهَا فَأَتَى بِهَا      فَجَاءَتْ كَأَمْثَالِ النُّجُومِ الَّتِي

علل الشاعر فكرته بصور منحت أبياته قوة الغلغلة في نفوس المتلقين، لأن هدف كل شاعر أن تذاع قصيدته وتشر بين الناس فيتناشدونها ويتمثلونها لتقرّ في وجدانهم وتسهم في توجيه مشاعرهم، وذلك بتوظيفه الواعي للخيال، فالكلام المخيّل «هو الذي ينفعل به المرء انفعالا نفسانيا غير فكري وإن كان متيقن الكذب»<sup>(٣٠)</sup>، والأفعال

التي أوردها ابن النحوي "أحيا" "جدد" "وفق" "أهم" "فصل" "هدى" تشي بانتصاره للإمام الغزالي ومؤلفه "الإحياء" الذي تعرض لحملة شعواء حين أحرقت نسخ كثيرة منه، وقد شكّل تفاعل الشاعر مع بيئته علامة فارقة، فهو لا يتعامل مع الأشياء من حوله تعاملًا ظاهريًا فحسب، بل يتسرب إلى أعماق الشيء الموصوف ملتفتًا إلى الجانب النفسي أحيانًا.

ومحمد بن الحسين الطبني، مادحا: (الكامل)

نَظَرَ إِلَاهَهُ إِلَى الْبَرِيَّةِ رَحْمَةً فَاحْتَارَ أَفْضَلَهَا لَهَا وَتَحَيَّرَ

إلى قوله:

مَلَأَ الْعِبَادَ سَنَاؤُهُ وَثَنَاؤُهُ عَدْلًا فَأَكْسَدَ مِسْكَهَا وَالْعَنْبَرَا<sup>(٣١)</sup>

نأى الشاعر عن المباشرة والتقريرية حين نسج لوحة خيالية متناغمة الأجزاء في تركيب عجيب تماهيا مع نظرية كولردج Coleridge الذي قسّم الخيال إلى: «أولي وهو الإحساس الذي به يدرك الإنسان عالم الظواهر، وثانوي وهو الخيال الشعري»<sup>(٣٢)</sup>، فاستحضر مدركاته وجعل من عدل الممدوح سوقا بضاعته الحق، فتركت صورته تأثيرا كبيرا وأخفت أبعادا رمزية عميقة الدلالة، فمن أهم خصائص الشعر «غلبة المجاز على لغته، وقد كان لقدرة الشاعر على استخدام اللغة هذا الاستخدام الواسع أثره في أن يغلب التعبير الرمزي على التعبير المباشر، وأن يعلو

الفن الشعري، تبعا لذلك»<sup>(٣٣)</sup>، وقد استدعى قيما دينية وأخلاقية مشكلا بها صورا فاعلة ومؤثرة مزج فيها بين بهاء الطلعة وحسن الخلق.

وذكر ابن النحوي مدينة فاس، قائلا: (البيسط)

يَا فَاسُ مِنْكَ جَمِيعُ الْحُسْنِ وَالسَّائِكُونَ أَهْنِيهِمْ لَقَدْ رَزَقُوا  
هَذَا نَسِيمِكِ أَمْ رَاحَ لِرَاحَتِنَا وَمَاؤُكَ السَّلْسِيلُ الصَّافِي أَمْ وَرَقُ  
أَرْضٌ تَخَلَّلَهَا الْأَنْهَارُ دَاخِلَهَا حَتَّى الْمَجَالِسِ وَالْأَسْوَاقِ

خاطب الشاعر مدينة فاس ومدح أهلها ووصف نسيمها وماءها الذي يتخلل المساكن والأسواق، وهذه الشواهد دليل على قدرته على استنطاق الأشياء التي يستحضرها وعلى تصوير عواطفه ومشاعره، فهو لا يصف المدينة وصفا خارجيا فحسب، وإنما يجعلها ماثلا له يناجيها ويجاورها ويوحي لها بما يختلج في خلد.

إن قراءة شعر المديح عند الشعراء المغاربة القدماء تُظهر استقرار ملامح شخصية الممدوح، التي صنعها الشعراء من خلال رصد ضخم من معاني المرورة والحلم وعراقبة النسب، وكل معاني الفضيلة والأخلاق السامية والشجاعة والفروسية، فقد كان الفارس عندهم يحتل مكانة سامية «لأنه كان لا يتوانى عن تلبية استغاثاتهم الملهوفة في ميادين الوغى فيدافع عنهم وينقذهم ويحميهم من كل أذى ليبرهن بذلك على شجاعة إنسانية نبيلة»<sup>(٣٥)</sup>. غير أن المبادئ الإسلامية خلخلت منظومة القيم

السائدة، فصارت النماذج مستقاة من الحياة الواقعية اليومية، وتخلّى الشعر إلى حد كبير عن المبالغة والغلو بسبب مبادئ الدين السمحة التي أشاعت فيه روح الاعتدال وقربته من الحق، واحتلت قيم التقوى والورع والعدل مكانها إلى جانب الرصيد الأخلاقي. فضلا عن الصور الدينية التي رسمها الشعراء ربما متقنا دقيقا دخلت عناصر جديدة لها علاقة بسياسة الخلفاء والأمراء ورجال الدولة عامة، فوردت صورة الحاكم النموذج المسؤول عن أمن رعاياه وأرضه، وبرزت صورة أعداء الدولة المناوئين لها وقد وُصفوا بالخيانة والنفاق.

#### الهوامش والمراجع:

- (١) مصطفى ناصف، قراءة ثانية لشعرنا القديم، دار الأندلس، بيروت، دط، دت، ص ٥٥.
- (٢) عز الدين إسماعيل، الشعر العربي المعاصر قضاياها وظواهره الفنية والمعنوية، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ط ٣، ١٩٧٨م، ص ١٣٢.
- (٣) علي البطل، الصورة في الشعر العربي حتى آخر القرن ٢ هـ، دار الأندلس، بيروت، لبنان، ط ٣، ١٩٨٣م، ص ٢٧.
- (٤) إبراهيم زكريا، مشكلة الحياة، مكتبة مصر، القاهرة، ط ١، ١٩٧١م، ص ٦٢-٦٣.
- (٥) مي علوش، لآلئ الشعر في المديح، دار المؤلف، بيروت، لبنان، ط ١، ٢٠٠٤م، ص ٥.

- (٦) أحمد أبو حاققة، فن المديح وتطوره في الشعر العربي، دار الشرق الجديد، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٦٢م، ص٥.
- (٧) ابن حمديس الصقلي، الديوان، تح، إحسان عباس، دار صادر، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٦٠، ص٥٤٨-٤٤١.
- (٨) مُجَّد سراج الدين، المديح في الشعر العربي، دار الراتب الجامعية، بيروت، لبنان، دط، دت، ص٦.
- (٩) ابن هانئ، الديوان، تح، كرم البستاني، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٨٠، ص١٩. ص٤٤-٤٥.
- (١٠) غنيمي هلال، دراسات ونماذج في مذاهب الشعر ونقده، دار نهضة مصر، القاهرة، ص٧٩.
- (١١) ابن هانئ، الديوان، ص١٥٧-١٥٨.
- (١٢) مُجَّد القاسمي، التكرارات الصوتية في لغة الشعر، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط١، ٢٠١٠م، ص٥٧.
- (١٣) سمير سحيمي، الإيقاع في شعر نزار قباني من خلال ديوان قصائد، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط١، ٢٠١٠م، ص١٣٠.
- (١٤) صبحي البستاني، الصورة الشعرية في الكتابة الفنية الأصول والفروع، دار الفكر اللبناني، ١٩٨٦م، ط١، ص٣٢.
- (١٥) مُجَّد غنيمي هلال، النقد الأدبي الحديث، دار العودة، بيروت، ب. ط، ١٩٨٦م، ص٣٧٩.



- (١٦) ابن هانئ، الديوان، ص ١٥٧-١٥٨.
- (١٧) حازم القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تح: مُجَّد بن الخوجة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨١م، ط ٢، ص ٢٠٣.
- (١٨) مُجَّد بن رمضان شاوش، الدر الوقاد من شعر بكر بن حماد، المطبعة العلوية بمستغانم، ط ١، ١٩٦٦م. ص ٧١.
- (١٩) ابن رشيق القيرواني، العمدة في صناعة الشعر ونقده، تح: مُجَّد محي الدين، دار الجيل، بيروت، ج ٢، ١٩٨١م، ط ٥، ص ١٢٨.
- (٢٠) مُجَّد بن رمضان شاوش، الدر الوقاد، ص ٧٤.
- (٢١) صلاح فضل، نظرية البنائية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مكتبة الأسرة، ٢٠٠٣م، ط ١، ص ٣٥٦.
- (٢٢) ابن خلكان أبو العباس أحمد بن مُجَّد بن أبي بكر، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، لبنان، دط، دت، ج ٢، ص ٢٢١.
- (٢٣) عبد القادر القط، الاتجاه الوجداني في الشعر، مكتبة الشباب، دط، ١٩٩٢م، ص ١٤٣.
- (٢٤) عبد اللطيف الحديدي، الصورة في شوقيات حافظ، جامعة الأزهر، القاهرة، ط ١، ١٩٩٣م، ص ١٧١-١٧٢.
- (٢٥) هو أحمد بن فتح المعروف بابن الخراز التاهرتي (ق ٣هـ)، تولى قضاء تاهرت في العهد الرستمي، ثم انتقل إلى المغرب الأقصى، بلغنا من

شعره ستة أبيات في مدح الأمير أبي العيش عيسى بن القاسم  
الإدريسي.

(٢٦) البكري، المسالك والممالك، القسم الخاص بإفريقية والمغرب، مطبعة  
بريل، ليدن، ط ١، ١٨٨١م، ص ٨٨.

(٢٧) ابن رشيقي، العمدة، ص ٢٠٧.

(٢٨) عز الدين منصور، دراسات نقدية ونماذج حول بعض قضايا الشعر  
المعاصر، مؤسسة المعارف، بيروت، لبنان، ط ١، ١٩٨٥م، ص ٢٦.

(٢٩) عماد الدين الأصفهاني، خريدة القصر وجريدة العصر، القسم  
الخاص بالمغرب والأندلس، مراجعة مُجد العروسي المطوي، مُجد  
المرزوقي، الجيلاني بن الحاج يحيى، الدار التونسية للنشر، دط،  
١٩٧١م، ص ٣٢٦.

(٣٠) السعيد الورقي، لغة الشعر العربي الحديث مقوماتها الفنية وطاقاتها  
الإبداعية، دار المعارف، القاهرة، ط ٢، ١٩٨٣م، ص ٨٢-٨٣.

(٣١) ابن حيان القرطبي، المقتبس، تح عبد الرحمن علي الحججي، دار  
الثقافة، بيروت، لبنان، ط ١، دت، ص ٦٠.

(٣٢) ساسين عساف، الصورة الفنية ونماذجها في إبداع أبي نواس، دار  
الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ١٩٨٢م، ط ١، ص ٤٧.

(٣٣) إبراهيم عبد الرحمن مُجد، قضايا الشعر في النقد العربي، دار العودة،  
بيروت، لبنان، ١٩٨١م، ص ٦٥.

(٣٤) ابن أبي زرع الفاسي، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، دار الطباعة المدرسية، دط، ١٨٤٣م، ص٩٦.

(٣٥) بشرى محمد علي الخطيب، الرثاء في الشعر الجاهلي وصدر الإسلام، مطبعة الإدارة المحلية، بغداد، ط١، ١٩٧٧م، ص٨٤.

## اللغة العربية في تشاد ما بين الماضي والحاضر

إعداد:

الدكتور أبو حمزة محمد الحسين الراشدي

معهد الشيخ الدكتور إبراهيم الطيب للغة العربية،

بولاية كنو - نيجيريا

[Abuhamzamuhammad@gmail.com](mailto:Abuhamzamuhammad@gmail.com)

والدكتور أحمد محمد هارون

سفارة دولة الإمارات العربية المتحدة،

مركز التأشيرات أبوجا - نيجيريا

### المقدمة:

تهدف هذه الورقة إلى إبراز أسباب انتشار اللغة العربية والهجرات العربية وما تبوّهته من مكانة عالية بين الشعب التشادي إدارياً واجتماعياً واقتصادياً وسياسياً في تشاد، حيث تعتبر جمهورية تشاد جسراً طبيعياً للتواصل بين أبناء الأمتين العربية والإفريقية، حيث تحتل موقعا جغرافياً متميزاً يربطها بالدول العربية وبدول القارة السمراء، نظراً لكونها ترتبط بحدود جغرافية سياسية مع عدد من هذه الدول، منها اثنتان عضوان في جامعة الدول العربية هما: السودان من الشرق، وليبيا من الشمال، وأربع دول إفريقية غير عربية، وهي: النيجر ونيجيريا من

الغرب، والكاميرون من الجنوب الغربيّ، وجمهورية إفريقيا الوسطى من الجنوب، وتصل مساحتها إلى ١.٢٨٤ مليون كلم ٢، ومواردها الطبيعية النفط واليورانيوم والذهب والملح والقطن والثروة الحيوانية والسّمكية وغيرها، كما وصل عدد سكانها لعام ٢٠٢٠م إلى أكثر من ١٦ مليون نسمة، ويوجد بها أكثر من ٢٠٠ مجموعة عرقية ولغوية. كما شكّلت تشاد وصارت محضناً للتمازج العربيّ الإفريقيّ من الناحية الاجتماعية، وذلك نظرًا لوجود عدد كبير من القبائل العربية التي تمازجت مع القبائل الإفريقيّة، وهذا التمازج شكّل انصهاراً شعبيّاً هاماً يجمع بين الانتماء العربيّ، والانتماء الإفريقيّ، تحت مُسمّى جديد، وهو الشعب التّشاديّ.

وقد اتخذ هذا الشعبُ التّشاديّ منذ قرون عديدة اللغة العربيّة لغةً للتواصل والتخاطب الرسميّ والشعبيّ، كما اتخذها لغةً للأدب والإبداع، فكان وجود الأدب العربيّ في تشاد في حد ذاته، بغض النظر عن مضمونه يعتبر مظهرًا للتواصل العربي الإفريقي، ولكن هذا التواصل لم يقتصر فقط على هذا الجانب فحسب، بل برز بصورة أوضح، من خلال الموضوعات والمضامين التي عالجها الشعراء التّشاديون في إبداعاتهم الشعريّة، والتي جسّدت إيمانهم العميق بِهُويّتهم العربيّة الإفريقيّة دون تصادم ولا تناقض بين هذين الانتماءين، على الرغم من عدم

انضمام هذه الجمهورية الإفريقية "تشاد" إلى جامعة الدول العربية. وبهذا يمكن تتبع النقاط الأساسية لهذا المقال في التالي:

- أسباب انتشار اللغة العربية في تشاد.
- تبني الدولة للغة العربية في المجال العلمي والمراكز الإدارية.
- الخاتمة والنتائج.
- الهوامش والمراجع.

#### أسباب انتشار اللغة العربية في تشاد.

من الأسباب التي أدت إلى انتشار اللغة العربية وثقافتها في تشاد، وجودها في المنطقة الذي يعود إلى خمسة آلاف سنة قبل بعثة النبي محمد ﷺ، وكذلك دخول الإسلام والهجرات العربية إليها منذ وقت مبكر، وبالتحديد عام ٤٦ للهجرة النبوية، حيث عرفت منطقة حوض بحيرة تشاد اللُّغة العربية، وتَعَزَّزَتْ إثر تحول مملكة كانم من الوثنية إلى الإسلام منذ القرن الحادي عشر الميلادي، واتَّخذت العربية لساناً رسمياً لها في مختلف مناحي الحياة، وغدَّت بذلك لغة الحُكم والسياسات والمعاهدات الدولية، ولغة الإدارة والاقتصاد، كما كانت فيما بعد لغة العلم والثقافة والفنون، فضلاً عن كونها لغة المعاملات التجارية<sup>١</sup>.

وكما لبَّت اللُّغة العربية حاجات المجتمع التشادي منذ تلك الفترة المبكرة، واستطاعت أن تحفظ للشَّعب التَّشادي المسلم تاريخه وتراثه،

بحيث أصبح تراثُ مملكة كانم برنو والممالك الإسلامية الأخرى كمملكة وداي وبأغرمي كله مدوّنًا باللُّغة العربية.<sup>٢</sup>

وتعتبر الهجرات العربية أيضاً من الأسباب التي دعمت اللغة العربية في تشاد، حيث التزمت لغتها في التخاطب اليومي، وهذا ما جعلها تتطور وتتفوق على جميع اللغات المحلية والغازية، ويعود تاريخها في تشاد إلى النصف الأول من القرن الأول الهجري السابع الميلادي،<sup>٣</sup> حيث انطلقت من الشرق إلى الغرب، منحدرَةً من الجزيرة العربية، متجهةً نحو شرق إفريقيا وشمالها، وبالتحديد حلّت بالحبشة ومصر، كان ذلك في العام الثامن عشر الهجري بقيادة عمرو بن العاص، وقد تجمع فيها عددٌ من القبائل العربية، ثم انطلق بعضها صوب المغرب العربي، والبعض الآخر نحو السودان وصولاً إلى دار فور ودار ودّاي وكانم برنو، ولم تتوقف تلك التدفُّقات المهاجرة إلى إفريقيا - مصر والسودان والمغرب العربي وتشاد وغيرها - حتى القرن الخامس الهجري.<sup>٤</sup>

وكان جلُّ تلك القبائل قحطانية من عرب الجنوب، وقد أتت طلباً لرغد العيش أو بسبب تشجيع بعض الولاة والعمال، وقد صارت مصر مركزاً يضمُّ جميع السلالات العربية، فمن عرب الجنوب: جذام وطبي وجهينة، ومن عرب الشمال: كنانة وقيس وفزارة وربيعة وهوازن وهلال.<sup>٥</sup>

وقد ظلت هذه القبائل العربية من عصر الخلفاء الراشدين حتى العصر العباسي تمثل أرسقراطية قوية، تتمثل في خدمة الجيش والمناصب الإدارية والعسكرية العليا، كما تنال العطاء الكثير من بيت المال، وإذا زرعت الأرض أبيحت لها الملكية مع إعفائها من ضريبة الخراج.<sup>٦</sup> وتعد مصر هي نقطة الانطلاق الثانية، للهجرات العربية بعد الجزيرة العربية، ومنها انطلقت صوب جنوب مصر إلى بلاد النوبة. وعندها انقسمت القبائل العربية إلى قسمين: قسم توجه نحو شرق إفريقيا، وقسم آخر توجه إلى غربها.<sup>٧</sup>

وهذا يعني أن الهجرات من الجزيرة العربية، كلها انتهت بالمهاجرين إلى مصر، وفيها تفرعت، ومنها من اتجه نحو شمال إفريقيا، وصولاً إلى وسطها، وبالتحديد بحيرة تشاد التي فيها تقع امبراطورية كانم، ومنها من اتجه نحو غربها، وتوضيحاً لهذا هناك عدة طرق دخلت منها الهجرات العربية إلى تشاد.<sup>٨</sup>

وكذلك من الأسباب التي دعمت اللغة العربية في تشاد، ما خلفه الفقهاء والأدباء والشُعراء التشاديون من تراثٍ ضخمٍ وراقٍ، عُرف منذ النصف الثاني من القرن السادس حتى يومنا هذا.<sup>٩</sup> ومن ذلك ما خلفه عددٌ من الفقهاء والأدباء والشُعراء منهم: العلامة الشيخ عبد الحق بن يعقوب، صاحب كتاب "تبصرة الحيران من



هؤل فتن الزمان"، والذي يتميِّز كما ذكر الأستاذ بدوي بن أحمد سالم الشنقيطي، رئيس قطاع النَّشر بالمعهد التربوي الوطني بموريتانيا الذي وصفه برصانة الأسلوب، ودقَّة التعبير، ووضوح الأفكار، والتعمُّق في فهُم نواميس اللُّغة العربية، وسعة الاطلاع على مباحثها، سواء تعلَّق الأمرُ بمبناها أم معناها، فهو بذلك يُنبئ عن ثقافة عربيَّة إسلاميَّة أصيلة راقية لبلد يجهلُ كثيرٌ من العرب والمسلمين حاضرَه وماضيه<sup>١٠</sup>

هذا في مجال الفقه، أمَّا دعمها في مجال الأدب والشعر، فتذكر هذا الشاعر التشاديَّ إبراهيم بن يعقوب الكانمي الذي كان مدأً للغة العربية وشعرها العربي، وقد عرفته بلادُ المغرب والأندلس، واشتهر فيها باسم الشاعر الأسود، وقد مكنته هجرته وفصاحته وبلاغته من أن يجدَ مكانه في مؤلَّفات المؤرِّخين والأدباء العرب، حتى صار جزءاً من تاريخ الأدب العربي في المغرب والأندلس وتشاد منذ ذلك الزَّمان وإلى يومنا هذا.<sup>١١</sup>

وفي هذا الصَّدَد يقول الأديب المغربي المعروف مُحمَّد بن شريفة: إنَّ لإبراهيم الكانمي شعراً كثيراً في المدح وأغراض أخرى، غير أنَّه لم يطرُق بابَ الهجاء الذي كان ينفر منه، ولكن للأسف ضاع معظمُه<sup>١٢</sup>.

والمتتبع لشعر الشاعر إبراهيم الكانمي يجد أنَّ ما يميزه وما وصل إليه من شعر قيم في هذا المجال: مدحُه لأمير المؤمنين يعقوب المنصور بن يوسف من أمراء الموحِّدين، الذي قال فيه:

أَزَالَ حِجَابَهُ عَنِّي وَعَيْنِي تَرَاهُ مِنَ الْمَهَابَةِ فِي حِجَابِ  
وَقَرَّبَنِي تَفْضُلُهُ وَلَكِنْ بَعُدْتُ مَهَابَةً عِنْدَ اقْتِرَابِي<sup>١٣</sup>

وكان أبو زيد الفازازي يُفضِّل شعرَ إبراهيم الكانمي على شعراء عصره  
بهدين البيتين:

أَبِي الْمَوْتِ شَكُّ يَا أَخِي وَهُوَ بُرْهَانُ فَعِيمٍ هُجُوعِ الْخَلْقِ وَالْمَوْتُ يَقْضَانُ  
أَتَسْلُو سُلوُ الطَّيْرِ تَلْقُطُ حَبَّهَا وَفِي الْأَرْضِ أَشْرَاكُ وَفِي الْجَوِّ عَقْبَانُ<sup>١٤</sup>  
ولمَّا كان الشاعرُ القدير إبراهيم الكانمي التشادّي بهذه الدرجة من  
الجودة، حيث فضّله بعضُ الأدباء على شعراء عصره، ويصفه بعضهم  
بأنه شاعر محسن، وطبقت شهرته الآفاق من المغرب العربي إلى المشرق  
العربي، فإنَّ هذا ليؤكِّد أنَّ إبراهيم الكانمي لم يكن حالةً نادرةً فريدةً في  
التاريخ الثقافي في بلاده "تشاد"، فقد ظهر من بعده عددٌ كبير من  
الشعراء التشاديين في مراحلٍ مختلفة شهد لهم بالإتقان والجودة، من  
بينهم: الشيخ مُحمَّد الوالي بن سليمان الباقرمي، والشيخ مُحمَّد الأمين  
الكانمي، والشيخ أحمد الحبو، والشيخ يعقوب أبو كويسة في سلطنة  
وداي، وغيرهم من الشعراء الذين كان لهم دورٌ كبير في يقظة الشعر  
العربي في تشاد، وربطه بماضي وحاضر العالم الإسلامي، وهي المرحلة  
التي استجد فيها الأداء الفني أكثر من ذي قبل، واتَّسعت أغراض  
الشعر، وظهر لبعضهم دواوينُ شعرٍ مخطوطة، مثل: ديوان الشيخ الطاهر

بن التلي، وديوان شعر مفقود في مدح الرسول ﷺ للشيخ عبد الحق السنوسي<sup>١٥</sup>.

إنَّ الشِّعر العربي في تشاد في عصرنا الحالي لو وَجد طريقه لحواضر العالم العربي، لمثل دعامةً أساسيةً له، ولمنح شيء من التميُّز والرقى، خاصَّةً أنَّ عددًا من العوامل المتِمِّمة له ساهمت في تقوية اللغة العربية وتكوين شعراء جدد لهذا الجيل الحالي في تشاد، منها: أنَّ كثيرًا من هؤلاء الشُّعراء والأدباء التشاديين قد تربُّوا في البوادي على حفظ القرآن الكريم، والاهتمام به، ثم تلقَّوا قدرًا من التعليم في البلاد العربيَّة مثل: مصر والعراق والسودان والمملكة العربية السعودية، وليبيا والمغرب والجزائر، وهذا ما مكَّن الجيل الجديد من الاتصال بحركات التجديد في الأدب العربي وبشعر المحافظين، وحاولوا جاهدين أن ينظموا وفقًا لخبراته المعرفية، وقدراته الفنيَّة شعرًا يُشابه شعر النهضة الحديثة، ممزوجًا بنكهة خاصَّة من تراث عريق خلَّفته الممالك الإسلاميَّة في السُّودان الأوسط القديم.<sup>١٦</sup>

ومن هذا المنطلق يمكن القول: إنَّ ارتباط الإنسان التشادي باللُّغة العربية أصبح ارتباطًا تاريخيًّا، خصوصًا أنَّ استخدامها كان يُعتبر في فترة من الفترات تعبيرًا أصيلًا عن المقاومة الثقافيَّة الوطنية للاستعمار شعرًا، فضلًا عن كونها وسيلةً للتخاطب اليومي وحفاظًا على تاريخ البلاد

التشاديّة في الماضي والحاضر، وكذلك فإنّ للندوات العلميّة التي تنظمها الجامعات الوطنية، خاصة جامعة الملك فيصل في تشاد كان لها الدور الأكبر في دعم اللغة العربية في تشاد، وذلك بالتعاون مع "رابطة الأدب الإسلامي العالمية"، و"مركز رسائل النور بتركيا"، عن "عالميّة الأدب الإسلامي وترجمته للغات الحية"، هذا كله لم يكن استثناءً ولا أمراً مستغرباً من ارتباط تشاد بالعروبة والإسلام ولُغته الحية العميقة.<sup>١٧</sup>

#### تبني الدولة للغة العربية في المجال العلمي والمراكز الإدارية:

وممّا يلفت النظر في عقد الندوات العلميّة، تدعو المؤسسات العلمية حضور عددٍ كبير من الوزراء والباحثين والعلماء المختصّين من رجال الدولة والجامعات المحلية والعالمية، وكان لمراكز البحث العلمي في المملكة العربية السعودية ومصر وسوريا والسودان وليبيا وتركيا وغيرها، الفضل الأكبر في دعم مسار اللغة العربية في تشاد.<sup>١٨</sup>

ويبدو أنّ التشاديين كانوا يُدركون أهميّة هذه الندوات العلميّة، فعملوا مع وزارة التعليم العالي والبحث العلمي بجمهورية تشاد على رعايتها، حيث شارك الدكتور آدم قميسو وزير التعليم العالي بمشاركة فاعلة في أعمال الندوات، كما قامت جامعة الملك فيصل في تشاد، وهي الجامعة المعنّية بهذه الظاهرة الثقافية والعلمية بجهود كبيرة خلال الندوات العلمية المتواصلة، فكان اهتمام الأستاذ الدكتور عبد الرحمن عمر الماحي رئيس

الجامعة رحمه الله، وأعضاء هيئة التدريس فيها، على ضرورة مشاركة أكبر عددٍ من المثقِّفين التشادِّيين في تلك المنتديات العلمية المتكررة في كل سنة، كما كان يحضر المناسبة عادةً رئيسُ البرلمان التشادي محمَّد حسين وغيره، وعدد من النواب والسُّفراء والأكاديميين والمهتَمِّين بشؤون الأدب والفكر في تشاد.<sup>١٩</sup>

وكانت تدور تلك البحوث عادةً حولَ عالمية الأدب الإسلامي وترجمته للغات الحية، والأدب العربي الإسلامي في تشاد، والأدب الإسلامي في رسائل النور لبديع الزمان سعيد النورسي، وقد تميزت تلك البحوث التي قدَّمتها المشاركون التشاديون عن تراث الأدب الإسلامي التشادي، بالمعرفة التي يزخر بها تاريخ تشاد من إبداعٍ وفنٍّ أدبي مكتوب باللُّغة العربية، يثبت أصالة اللُّغة العربيَّة في هذا البلد الإسلامي الإفريقي الكبير.<sup>٢٠</sup>

وتجدُرُ الإشارة في هذا المقال، إلى أنَّ جامعة الملك فيصل بتشاد تعمل منذُ تأسيسها عام ١٩٩١م، على نفضِ العبء عن التراث العربي الإسلامي وآدابه، كما أقامت التواصل بين تشاد والعالم الإسلامي، وبذلت في ذلك جهودًا مقدَّرة خلالَ السنوات الماضية في مجال تأطير منهج لمادَّة الأدب العربي التشادي، وإدراجها ضمنَ المقرَّرات الدراسيَّة في الجامعات الوطنية التشاديَّة، وتكوين فرع لرابطة الأدب الإسلامي العالميَّة

بتشاد، حيث التحق بعضويته نحو خمسين شاعرًا وأديبًا تشاديًا، يمثلون الطليعة المثقفة الواعية المهتمة بالثقافة العربية والإسلامية في تلك البلاد.<sup>٢١</sup> وقد لعب المثقفون باللغة العربية دوراً كبيراً في مد البلاد بالثقافة الإسلامية والحضارة العربية، منذ العصور الوسطى قبل الإستعمار بل وحتى في مستهل عصر الإستعمار حتى استبدلت ثقافتهم بالثقافة الغربية ظلماً وعدواناً وذلك بعد أن مرت بنهضة وازدهار داخل القارة الإفريقية، فمن الصعب إزاحتها، لأنها كانت أول اتصال حضاري عرفته الشعوب الإفريقية، حيث انتشرت بانتشار الإسلام في المنطقة، وكانت أول لغة أجنبية تحتك باللغات الإفريقية وتتعايش معها، ولم تلبث أن فرضت نفسها على اللغات الإفريقية بسبب العامل الديني وثروتها اللغوية ووازعها الحضاري وإيقاعها الجذاب، فاتخذها الأفارقة لغة الإسلام والسياسة والإدارة والثقافة، وهكذا انتشرت بين شعوب إفريقيا عموماً وفي تشاد خصوصاً.<sup>٢٢</sup>

ولما احتل البلاد عام ١٩٠٠م، عمل جاهداً على قضاء اللغة العربية وقطع المواطنين الأفارقة منها، ولم يلبث أن نشب الصراع بين اللغة العربية ولغة الإستعمار، وكانت اللغة العربية هي محل النزاع، لكونها وسيلة لنقل الثقافة الإسلامية، فوضع خطاً قوية ومحكمة للقضاء عليها تمثل في التالي:

١. تجريد اللغة العربية من مكانتها المرموقة، وقد سببها بين المجتمع التشادي.

٢. عمل على طمس وتدمير الهوية العربية، داخل الأراضي التشادية.

٣. فرض حصار شامل على مثقفي اللغة العربية، وقطع مدد الدولة عنهم.

٤. محاولة القضاء على المدارس العربية، والمجالس العلمية والثقافة الإسلامية.<sup>٢٣</sup>

إذن فهؤلاء المستعمرون وخصوصاً في تشاد حاولوا تغيير معالم اللغة العربية، بحيث تكون اللغة المستعملة في جميع المجالات هي لغتهم، وتكون الأساس في نقل الحضارة الغربية إلى المجتمع التشادي، كما تجدر الإشارة هنا إلى أن إذاعة تشاد، بثت إرسالها باللغة الفرنسية والعربية والساراوية لأول مرة في عام ١٩٥٥م، كما أنشأت فرنسا صحيفة عربية تحت عنوان: كوكب التشاد"، في محاولة منها لإيصال أفكارها إلى المجتمع التشادي باللغة العربية.<sup>٢٤</sup>

وفي هذا قال "البروفيسور" عبد الرحمن الماحي: " قد تعرضت اللغة العربية في تشاد لعائقين":

**الأول:** هو محاولة الإستعمار الفرنسي "لفرنسة" التشاديين عن طريق "فرنسة" التعليم فى المدارس العامة التى أنشأها، وكذلك عن طريق "فرنسة" الإدارة الحكومية.

**والثاني:** - وجود لغات شعبية غير مكتوبة تتكلم بها قبائل تشادية كثيرة. ويمكن الباحث أن يضيف عائقاً ثالثاً وهو وجود بديل ديني حسب ما يعتقد البعض يتمشى على كثير مع أهواء المواطنين غير الملتزمين وهو "المسيحية".<sup>٢٥</sup>

ولما جاء المستعمرون، إضطهدوها وحاربوها ونكلوا بأهلها منذ الوهلة الأولى، لأنهم وجدوا فى هذه البقعة حضارة إسلامية راقية متميزة قائمة بأركانها ودعائمها، فحقدوا عليها وأطاحوا بها وحكموا البلاد بالسلطة المطلقة وأثناء حكمهم هذا خططوا للقضاء عليها بالاستراتيجيات التالية:

- محاربة المدرسين والعلماء، والعمل على القضاء عليهم أو نفيهم وطردهم إلى دول الجوار.
- التقليل من قيمة اللغة العربية، وإبعاد أهلها عن الوظائف الرسمية للدولة.
- القضاء على الممالك الإسلامية القائمة على نظام إسلامي بحت.



- العمل على تنشيط روح العداوة والصراع الثقافي واللغوي بين أبناء البلد (فرنسي عربي).
- تأسيس مدارس تنصيرية لنشر الدين المسيحي لتحل محل الدين الإسلامي.
- انتشار مدارس فرنسية بحتة لغرس أفكاره وثقافته وسياسيته على الشعب التشادي.
- اعتماد اللغة الفرنسية لغة رسمية ولغة تخاطب وعلم، وهذا ما أنتج في النهاية نتائج سلبية، أدت إلى قبول تعليم المسلمين اللغة الفرنسية من أجل حماية دينهم ولغتهم وثقافتهم وشخصيتهم.<sup>٢٦</sup> ولهذا أظهروا لهم الجانب العاطفي المشين من أجل إرضاء المسلمين بالتالي:
- أ- ادخال اللغة العربية في المناهج التعليمية الرسمية سنة ١٩٥٩ م.
- ب- تعليم اللغة العربية، كمادة اختيارية في المدارس الفرنسية الابتدائية.
- ج- يقوم الفقهاء بتدريس اللغة العربية، وهم في الحقيقة لا يملكون أدنى أسس التوجيه والإرشاد الفني أو التربوي.<sup>٢٧</sup>
- ثم أخذت اللغة الفرنسية تتنافس مع اللغة العربية في جميع المجالات، منذ ذلك الوقت إلى يومها هذا، وهذا ما جعلها تفقد كثيراً من مقوماتها

السابقة بسبب تبني الدولة التشادية اللغة الفرنسية كلغة رسمية في البلاد، ثم عملت على الإطاحة باللغة العربية والتربية الإسلامية في المدارس والمعاهد الرسمية، وتهميش العلماء والخريجين الحاصلين على شهادات عليا، من مصر وليبيا وتونس والسودان والمملكة العربية السعودية، وبعدها قام الاستعمار بتدابير كثيرة ومدروسة، حلفها للسيادة الوطنية، من أجل القضاء على اللغة العربية، ولكنها باءت بالفشل، ورعاية الله فوق كيد الكائدين، فبالرغم من كيد الماكين ودسائس المستعمرين التي تهدف إلى تقليص جهود عشاق اللغة العربية وحضارتها، فلم يستطيعوا فعل شيء، وظلت العربية تقاوم لغة الاستعمار إلى يومها هذا.<sup>٢٨</sup>

### الخاتمة والنائج:

إن هذا المقال قد شمل أسباب انتشار اللغة العربية من حيث دخول الإسلام والعرب والدعاة وتبني الممالك الإسلامية والإدارة الوطنية لها، وذلك عبر تاريخها الطويل، ومن خلال هذا العرض يتقدم الباحث ببعض التوصيات التي يرى ضرورتها وأهميتها في الاستفادة من مثل هذه المؤتمرات العلمية، ويجب تفعيلها لتحقيق أهداف التواصل العربي الإفريقي من أجل دعم اللغة العربية في تشاد، ويمكن رصد ذلك في التالي:

١- المحافظة على هذه التجربة الرائدة في ملتقيات الجامعات العربية والإفريقية، وجعلها برنامجًا مستمرًا يعقد في كل سنة، مع ضرورة إنشاء هيئة دائمة لتنظيم هذه الملتقيات، ومتابعة تنفيذ تلك التوصيات والنتائج التي تتمخض عنها مع العناية بالتراث الإفريقي وجمعه وتدوينه، وإعداد موسوعات متخصصة في هذا الميدان.

٢- تعميق فكرة التواصل الإفريقي العربي خاصة على المستوى الثقافي والفكري، من خلال تنظيم ورشات عمل لترجمة الأعمال الفكرية والثقافية بمختلف اللغات الحية المستعملة في إفريقيا، لتوثيق عرى التواصل والتعارف الفكري بين أبناء القارة، والسعي إلى تقوية وتوثيق التواصل الإفريقي العربي، ثقافيًا واجتماعيًا وسياسيًا، لتسهيل نشر الأعمال المتعلقة بالقارة الإفريقية بصورة واسعة على نطاق العالم العربي، خاصة تلك المكتوبة بأياد إفريقية، وبالمقابل تعمل الدول الإفريقية بمؤسساتها العلمية والثقافية على تسهيل انسياب الثقافة العربية إلى جميع أرجاء القارة. كما يجب إدراج مادة جديدة في المناهج التعليمية بالجامعات الإفريقية يمكن تسميتها بمادة "الأدب والفكر الإفريقي".

٣- السعي إلى تسريع وتيرة التواصل والوحدة بين دول القارة الإفريقية.

٤- يقع تشاد والسودان على المستوى الرسمي والشعبي، مسئولية ضخمة، في الأخذ بزمام المبادرة للتمهيد لوحدة كاملة بين هذين القطرين، وأنّ مثل هذه الوحدة بين البلدين تُمثّل أقوى جسر للتواصل العربي الإفريقي المنشود؛ نظراً للوشائج القوية التي تربط الدولتين بكلّ من العالم العربيّ.

#### الهوامش والمراجع:

- ١- آدم إدريس مُجّد: العربية لغة الممالك التشادية. أعمال ندوة التواصل الثقافي والاجتماعي بين الأقطار الإفريقية على جانبي الصحراء. ط ١ منشورات كلية الدعوة الليبية. ١٩٩٨م. ص ١٧
- ٢- إبراهيم مُجّد إسحاق: أهمية الموقع الجغرافي وعلاقته بالتطور والاستقرار السياسي في دولة تشاد. بحث قدم إلى الندوة العلمية الدولية التي أقامتها جامعة الملك فيصل، بالتعاون مع رابطة الجامعات الإسلامية. بعنوان: اللغة العربية في تشاد الواقع والمستقبل "أنجمينا ٢٠٠١م. ص ٧
- ٣- حسن أحمد محمود "الدكتور": الإسلام والثقافة العربية في إفريقيا. ط ١٠ مكتبة الأنجلو، القاهرة ١٩٣١م. ص ٣٠٢

- ٤- حسب الله مهدي فضله: الاتجاهات الشعرية عند الشاعر عبد الرحمن أحمد إسماعيل. بحث قدم إلى جامعة الملك فيصل لنيل شهادة الليسانس ٢٠٠٣م. ص ٢٥
- ٤- حامد الجد بشارة: التجربة الشعرية عند الشاعر عباس محمد عبد الواحد. بحث قدم إلى جامعة المرقب لبيبا، لنيل شهادة الماجستير ٢٠٠٥م. ص ١٤
- ٥- عبد الواحد، عباس محمد: ديوان الملامح، ط ١، ١٩٨٢، مطبعة أسعد، بغداد، ص ١٧
- ٦- إبراهيم محمد إسحاق: أهمية الموقع الجغرافي وعلاقته بالتطور والاستقرار السياسي في دولة تشاد. بحث قدم إلى الندوة العلمية الدولية التي أقامتها جامعة الملك فيصل، بالتعاون مع رابطة الجامعات الإسلامية. بعنوان: اللغة العربية في تشاد الواقع والمستقبل " أنجمينا ٢٠٠١م. ص ٤٣
- ٧- أحمد الرفاعي محمود: الشعر الديني الصوفي في تشاد خلال ١٩٠٠ / ٢٠٠٠م. بحث قدم إلى جامعة الملك فيصل لنيل شهادة الماجستير، أنجمينا ٢٠٠٩م. ص ٢٣

- ٨- أحمد الرفاعي: **تطور الشعر الوطني في تشاد في الفترة ما بين ١٩٠٠/٢٠٠٠م**. بحث قدم إلى جامعة أم درمان الإسلامية لنيل شهادة الدكتوراه، الخرطوم ٢٠١١م. ص ١١
- ٩- أحمد عثمان، أبو الفتح: **الشعر العربي في تشاد، (اتجاهاته وخصائصه)**. رسالة دكتوراه قدمت إلى قسم الآداب بجامعة إفريقيا العالمية بالسودان . ٢٠١٥م. ص ٢١
- ١٠- إسماعيل مادري فايق: **كفى باللغة العربية تهميشاً**. منشورات جريده "أنجمينا الجديدة" العدد ٤٦/٢٠٠٩م. ص ٧
- ١١- عبدالله، عيسى: **حذو ما قالت حذام، ديوان شعر مطبوع على الحاسوب، نسخة مصورة لدى الباحث، ص ١٠١**.
- ١٢- الفال، مُجَّد عمر: **ديوان أصداء النفس، ديوان شعر مطبوع على الحاسوب، نسخة لدى مكتبة الباحث، ص ٦٨**.
- ١٣- حمدنا الله عبد الله (الدكتور): **اللغة العربية في تشاد لغة إبداع**. مجلة الدراسات الإفريقية، العدد ٢٠\٢٠١٦م. ص ٥
- ١٤- عبد الواحد، عباس مُجَّد: **قصيدة (من وحي الأسى)**، مخطوطة، لدى الباحث نسخة مصورة منها. ص ٤

- ١٥- المرجع نفسه ص ٢٦
- ١٦- المرجع نفسه ص ٢٧.
- ١٧- عيسى عبدالله المصدر السابق، ص ٤٣
- ١٨- المصدر نفسه ص ٥٩.
- ١٩- فضلة، حسب الله مهدي: ديوان نبضات أممي، ديوان شعر مطبوع على الحاسوب، سيصدر قريباً - إن شاء الله تعالى - ص ١٩.
- ٢٠- فضله، حسب الله مهدي: من رواد الأدب التشادي عبدالله يونس الجبري شاعر القطرين، بحث مقدم في الندوة العلمية الدولية التي أقامتها جامعة الملك فيصل بالتعاون مع رابطة الأدب الإسلامي العالمية بالسعودية ومركز رسائل النور بتركيا، حول "علمية الأدب الإسلامي"، في الفترة من ٢٨ رجب - ٢ شعبان ١٤٢٣ هـ، الموافق ٥-٨ أكتوبر ٢٠٠٢ م، بإنجمينا تشاد، غير منشور، ص ٢١.
- ٢١- جمعة، حسين أحمد: الاتجاه الوطني في شعر عيسى عبدالله، بحث مقدّم لنيل دبلوم الدراسات المعمقة بجامعة الملك فيصل، ٢٠٠٣-٢٠٠٤ م، غير منشور، ص ٢٣.

٢٢- المرجع نفسه

٢٣- آدم إدريس مُجَدِّد، الترجع السابق ص ١٨

٢٤- فضله، حسب الله مهدي، المرجع السابق ص ٢٢

٢٥- إسماعيل مادري فايق، المرجع السابق ص ٨

٢٦- نفس المرجع والصفحة ٤٤

٢٧- إبراهيم مُجَدِّد إسحاق، المرجع السابق

٢٨- إسماعيل مادري فايق، المرجع السابق ص ٨



## صور من أساليب الطباق في مقامات الحريري: دراسة وتحليل

إعداد:

الدكتور محمد إنوا ثالث طالحة

قسم اللغة العربية، الجامعة الفيدرالية بغسو،

ولاية زمفرا - نيجيريا

[Muhdinuwa20113@gmail.com](mailto:Muhdinuwa20113@gmail.com)

### الملخص:

الهدف من هذه المقالة هو دراسة أساليب الطباق، وتتبع أنواعها على ضوء ما ورد في كتب علماء البديع، ثم دراستها دراسة تطبيقية في كتاب المقامات، للعلامة أبي مُجَّد القاسم بن علي بن مُجَّد بن عثمان الحريري. وقد أجرى الباحث قلمه في تناول الموضوع، مستخدمًا في بحثه منهجًا وصفيًا تطبيقيًا، حيث إنه تناول نظرية هذه الأساليب كما وصفها علماء البلاغة، ثم قام بتطبيقها على ضوء كتاب المقامات الحريزية. ويتوقع في خاتمة المطاف أن يضع أيدي القراء الكرام على الوجوه والصيغ التي ورد بها هذا الأسلوب البلاغي في كتاب المقامات، وما توفيقني إلا بالله، عليه توكلت وإليه أنيب. ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

### مقدمة:

مقامات الحريري مليئة بالأساليب البلاغية الرائعة من بيان ومعان وبديع. فهذه المقالة هو دراسة لون من ألوان علم البديع

المستخدمة في كتاب المقامات الحريية، و هذا اللون البَدعي هو الطباق أو التكافؤ كما يسميه البعض، سعيًا إلى إبراز الجمال البلاغي الكامن في هذا الكتاب المهم في الدراسة العربية في نيجيريا خاصة و في العالم العربي بوجه عام.. و الباحث إذ يعالج هذا الموضوع ينتهج منهجًا وصفيًا تحليليًا، حيث يشخص الموضوع ، معالجًا قضاياها التعريفية، والتقسيمية وغير ذلك.

وقد قسم الباحث ورقته إلى النقاط الآتية:

- مفهوم الطباق وبلاغته.
- الطباق في مقامات الحريري.
- الخاتمة-

#### أولاً: مفهوم الطباق وبلاغته:

إن الطباق أو المطابقة في أصل الوضع اللغوي أن يضع البعير رجله موضع يده.<sup>١</sup> أما معناه الاصطلاحي البلاغي فهو الجمع بين الكلمة وضدها. قال أبو هلال العسكري: " وقد أجمع الناس أن المطابقة في الكلام الجمع بين الشيء وضده في جزء من أجزاء الرسالة أو الخطبة أو البيت من بيوت الشعر مثل الجمع بين البياض و السواد، والليل والنهار، والحر والبرد"<sup>٢</sup> والجدير بالملاحظة أن المطابقة تكون بين اسمين

مثل الليل والنهار، كما تكون بين فعلين نحو أمات و أحياء، وكذلك بين حرفين كفي وعلی.

ثانيا: بلاغته وأهميته:

إن ظاهرة التضاد موجودة في جميع اللغات، و ليست وقفا على اللغة العربية وحدها، إذ إنك لا تكاد تذكر الخير إلا وتذكر الشر، وكذلك الحب إلا و رافق ذكره الكره... و هكذا . يقول ابن رشيق القيرواني: والناس متفقون على أن جميع المخلوقات مخالف وموافق ومضاد"<sup>٣</sup>.

فبلاغة الطباق تظهر في أنه يكسو الكلام جمالا، ويزيده بهاء ورونقا، لأن الضد يظهر حسنه الضد. فإذا أردت مثلا أن تتعرف على حقيقة الشيء فقارنه مع ضده! على أن وظيفة الطباق لا تقف عند هذه الزخرفة اللفظية، وعند تلك الزينة الشكلية، بل تتعداها إلى غايات أسمى، إذ إن هناك معنىً لطيفاً ومغزياً دقيقاً وراء هذه الظاهرة. انظر مثلا إلى قول الباري جل شأنه: ﴿تولج الليل في النهار وتولج النهار في الليل وتخرج الحي من الميت وتخرج الميت من الحي وترزق من تشاء بغير حساب﴾<sup>٤</sup>.

يشير المولى جل وعلا إلى حكمته البارعة، و إلى قدرته القاهرة في خلق الليل و النهار و تكوير بعضهما على بعض، و إلى سلطانه القوي في إخراج الحي من الميت، كإخراج المؤمن من الكافر و عكسه و بسط

الرزق لمن يشاء من غير ما تعب ولا مشقة. فإن الجمع بين الأمور المتضادة في هذه الآية الكريمة لم يكن لمجرد الزينة اللفظية، بل فيه كذلك إشارة لطيفة إلى قدرة الله الفذة، وسلطانه القاهر، إذ لا أحد يستطيع أن يفعل شيئاً من ذلك إلا الله وحده. وبهذا يتضح أن الطباق ليس قاصراً على الزخرف الشكلي ولا على التدويق اللفظي فحسب، بل الأمر أسمى من ذلك وأعلى إلى غايات لا تتناهى.<sup>٥</sup>

ويقول الأستاذ الدكتور الإمام عبد الباقي أغاكا (و هو ممن يرون أن الطباق و المقابلة شيء واحد) "إن تصوير الأمر بأقوى ما يكون بيانه يتوقف أحيانا على مقارنة الضدين، وعندئذ يبرز المرام جلاء ووضوحاً، فمثلاً إذا وصف الدين في ضيائه وبيان هداه بأبهى بسماته لا يتم إلا بذكر البدعة المجاروة له، وأن ضم المتقابلين كالظلمة والضياء، والبياض والسواد، والماء والنار يجلى مزاياهما و أقدارهما..<sup>٦</sup>

### ثالثاً: صور من أساليب الطباق في مقامات الحريري:

أدرك الإمام الحريري<sup>٧</sup> أهمية هذا اللون البديعي فاستوظفه بكثرة فائقة في مقاماته، إذ وضع الباحث يده على ما يربو على مائة نموذج منها. ويود الباحث في هذه العجالة أن يتناول بعضاً منها، مراعيًا التقسيمات التي صنّف البديعيون فيها الطباق؛ وهي على النحو الآتي:

- ١ / الطباق الظاهر
- ٢ / الطباق الخفي
- ٣ / الطباق الإيجابي
- ٤ / الطباق السلي
- ٥ / الطباق الحقيقي
- ٦ / الطباق المجازي
- ٧ / المدبَّج بالتورية
- ٨ / المدبَّج بالكناية

#### الأول: الطباق الظاهر:

هو ما كانت المطابقة فيه بين الشيء وضده في اللفظ والمعنى.<sup>٨</sup>  
ومثاله في القرآن الكريم قوله جل وعلا: "وجعلنا الليل والنهار آيتين"<sup>٩</sup>.  
ففي الآية الكريمة طباق بين "الليل" و "النهار" وهما كلمتان متضادتان  
لفظاً ومعنى. ومن أمثله في مقامات الحريري قوله: "... وأجول في  
حوماتها جولان الحائم، وأرود في مسارح لمحاتي ومسايح غدواتي  
وروحاتي..."<sup>١٠</sup>

يصف الحرث بن همام الحالة الشديدة التي وجد نفسه فيها من الغربة  
والمتربة فقال: إنه أخذ يطوف في طرقات صنعاء، ويجوب في أرجائها،  
مثل الحائم، علّه يجد هنالك إرواءً لغلته.. فاستخدم في كلامه لفظتي

"غدواتي" و"روحاتي" وهما كلمتان متناقضتان لفظاً ومعنى، فكان الطباق بينهما طباقاً ظاهراً. ولاشك أن هذه المطابقة تعطي القارئ صورة جلية لهذه الحالة التي وجد الحرث نفسه فيها، إذ إن تجواله في هذه المدينة جيئةً وذهاباً، و غدوةً و روحةً يوضح مدى حرصه على إدراك مرماه. ومنه أيضاً قوله: "...وسبرت الأوزان وخبرت ما شان وزان..."<sup>١١</sup>

يتحدث الحرث عن حبه الشديد وشغفه المزمّن للأدب فيقول: إنه سلك في طلبه كل مسلك، واتخذ في سبيل تحصيله كل وسيلة ممكنة، والتمسه عند كل أديب.. فاستخدم كلمتين متطابقتين في اللفظ والمعنى: (شان و زان) على سبيل الطباق الظاهر وسمي هذا النوع من الطباق بالظاهر لأن المضادة بين ألفاظه واضحة جلية، لا تحتاج إلى تأويل . ومن ذلك أيضاً قوله: "... ثم أخذت في كسع الهنات بالحسنات"<sup>١٢</sup> وقوله: "... ركن من الدنيا إلى غير ركين، و اعتصم فيها بغير مكين... ولا يتزود منها لآخرته"<sup>١٣</sup>. فإن القارئ الكريم يلمس في العبارات السابقة ظاهرة التضاد بين الهنات (السيئات) و بين حسنات، وكذلك بين الدنيا و بين الآخرة.

### الثاني: الطباق الخفي:

وهوما كانت المطابقة فيه بين اللفظين المختلفتين في المعنى فقط، دون اللفظ،<sup>١٤</sup> نحو قول الباري تبارك وتعالى: "الذي جعل لكم الأرض فراشا

والسماء بناء".<sup>١٥</sup> ففي الآية الكريمة طباق بين الكلمتين: "فراشًا" و"بناءً"، إذ المطابقة بين الفراش - و دلالتها في الآية على الوضع - وبين البناء الذي أريد به الرفع؛ والمطابقة هنا لا تظهر في اللفظ، وإنما تظهر في المعنى. وقد استخدم الحريري هذا النوع من المطابقة في قوله: ... وكنت أستعين على تقويم أودي في بلدي بسعة ذات يدي مع قلة عددي...<sup>١٦</sup> تشم في العبارة السابقة رائحة الطباق، وذلك بين "سعة" و"قلة" لأن هنالك جمعا بين القلة وبين ما يتعلق بمقابلها وهو السعة، لأن الكثرة تتسبب عنها السعة.

### الثالث: الطباق الإيجابي:

وهو ما كانت المطابقة فيه بين الضدين بالإيجاب لا بالسلب، مثل قول الشاعر:<sup>١٧</sup>

ولقد نزلت من الملوك بماجد \* فقر الرجال إليه مفتاح الغنى  
فإن اللفظين المتطابقين: "فقر" و "الغنى" مثبتان فيه. ومثاله في مقامات الحريري قوله على لسان السروجي:<sup>١٨</sup>

فدونكم ضيفا قنوعا حرا \* يرضى بما احلولى وما أمرا  
يُعَرِّف أبو زيد السروجي أهل البيت الذي نزل فيه بنفسه، فقال: إنه ضيف مقتر، ولكنه قنوع يرضى بالقدر حلوه ومره. ويلاحظ أنه جمع في كلامه بين "احلولى" و "أمر" على سبيل الطباق الإيجابي. ومنه أيضا

قوله على لسان الحرث: "ارتحلت من مدينة المنصور إلى بلدة صور، فلما حصلت بها ذا رفعة و خفض، ومالك رفع وخفض..<sup>١٩</sup> يحكي الراوية أنه غادر بغداد واتجه لتقاء صور حيث مكث مُعْظَمًا ومُنْعَمًا، بحيث يمكنه رفع منزلة من يواليه و وضع درجة من يعاديه.. ففي هذا الكلام طباق إيجابي، لأن الحرث جمع فيه بين "رفع" و"خفض" وهما لفظان متضادان إيجابا لا سلبا.

#### الرابع: الطباق السلبي:

وهو الذي اختلف فيه اللفظان المتناقضان إيجابًا وسلبًا، ومثاله قول الباري جل شأنه: "قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون" وقد أبدع الحريري مقاماته بهذا اللون، في مواطن كثيرة، منها قوله على لسان البطل: "...لا أفرغ ثنائي على من يفرغ إنائي، ومن حكم بأن أبدال وتخزن، وألين وتخشن، وأذوب وتحمد..<sup>٢٠</sup> يتحدث أبو زيد في العبارة المتقدمة مدافعا عن مذهبه، فيقول إنه لا يثني على من لا ينفعه، بل يسبب له الخسارة ويقول مستنكرا: أي حاكم أو قاض يحكم بهذا الحكم الجائر الذي يدعوه إلى اللين والملاطفة، والدوبان و الذكاء ، ثم يسمح لخصمه بالخشونة، و الجمود والحمود؟ ويقول إن ذلك لا يكون، ولا بد من التوازن والعدالة حتى يكون المجتمع في مأمن من الغبن. وتبدو ظاهرة التضاد هنا في الجمع بين البذل والخزن، وبين اللين والخشونة،



وبين الذوبان والجمود، وبين الذكاء والحمود. ويلاحظ أن هذه الكلمات المتطابقة في النص كلها تتفق في الاسمىة. هذا من ناحية. ومن ناحية أخرى نرى أن الطباق في أبذل وتخزن طباق حقيقي. وأما الذي في ألين وتخشن، وفي أذوب وتحمد، وفي أذكو وتحمد فمجازي، لأنها وردت بغير معانيها الحقيقية، بل إن فيها استعارة .

#### الخامس: الطباق الحقيقي:

وهو ما كان اللفظان المتطابقان فيه بألفاظ الحقيقة، مثل قوله تعالى على لسان نبيه نوح عليه السلام: "إني دعوت قومي ليلا ونهاراً"<sup>٢١</sup> ومثاله في مقامات الحريري قول أبي زيد: <sup>٢٢</sup> "ما بالكم اتخذتم جدي عبثاً وجعلتم تبري خبثاً؟

يسأل السروجي خلطائه سؤال استنكار فقال: لماذا تتخذون كلامي هزواً مع أنه جد لاهزل؟ ولماذا تُسَوُّون هذا القول النفيس بأقوال السفلة؟ والمتأمل في هذا الكلام يلمس فيه تطابقاً بين الجد والعبث. ويجد كذلك أن تينك الكلمتين قد استعملت كل واحدة منهما استعمالاً حقيقياً لا مجازياً، فالطباق بهذه الصورة حقيقي. ومن أمثلته أيضاً قول السروجي في المثال الذي تقدم: "... ومن حكم بأن أبذل وتخزن ... فإن الطباق الملموس بين "أبذل" وتخزن حقيقي، إذ إن اللفظين كليهما مستعملان حقيقةً لا مجازاً.

### السادس: الطباق المجازي:

وهذا النوع من الطباق هو الذي يكون التطابق فيه بين لفظين مستعملين استعمالاً مجازياً، مثل قول الله تعالى: "أومن كان ميتاً فأحييناه"<sup>٢٣</sup> إذ المراد بالموت في الآية الكريمة الكفر والضلال، والمقصود من الإحياء الهداية. وقد استخدم الحريري أيضاً هذا النوع من الطباق في الكلمات: "ألين" و "تحسن" وفي "أذكو" و "تحمد" وفي "تبري" و "خبثا" الواردة فيما تقدم من الأمثلة، فكل واحدة منها استخدمت استخداماً مجازياً.

### السابع: المدبج بالتورية:

هو الذي تجمع فيه المطابقة مع التورية، مثل قول المتنبي:

كأن رقاب الناس قالت لسيفه \* رفيقك قيسي وأنت يماني

ومثاله في المقامات الحزبية قوله: "فمد ازور المحبوب الأصفر، وأغبر العيش الأخضر، اسود يومي الأبيض، وابيض فدي الأسود، حتى رثي لي العدو الأزرق، فيا حبذا الموت الأحمر..."<sup>٢٤</sup> يتحدث السروجي عن حاله وتقلباته بين البؤس والرخاء فيقول: إنه منذ أن فارقه الغنى وأضحى الفقر بديلاً منه فإن عيشه قد انكدر و شاب رأسه حتى أشفق عليه العدو، وتمنى هو الموت لنفسه. ويلاحظ ههنا أن السروجي طابق بين

الألوان: "الأصفر" و"الأسود"... وحيث ورى بالمحبوب الأصفر عن الذهب فإن الطباق مدبج بالتورية.

### الثامن: المدبج بالكناية:

وهوالذي تكون فيه المطابقة في تركيب كنائي، ومثاله قول أبي تمام:  
تردى ثياب الموت حمرا فما أتى \* لها الليل إلا وهي من سندس خضر  
يقول الشاعر إن مفقوده قد استشهد، فكنى عن ذلك بارتداء الثوب  
الأحمر ثم دعاه بدخول الجنة، وكنى عنه بارتداء الثوب الأخضر فجمع  
في ذلك بين الأحمر والأخضر على سبيل المطابقة.

أما مثاله في المقامات الحريية فقوله السابق: "...اسود يومي  
الأبيض، وبيض فودي الأسود، حتى رثى لي العدو الأزرق، فيا حبذا  
الموت الأحمر"، فقد طابق الحريري في العبارات السابقة بين الألوان:  
"الأبيض" و "الأسود" و"الأزرق" و"الأحمر" وهي كنايات على الترتيب  
الأتي: بياض اليوم عن السرور، وسواد الفود عن القوة والشباب، والعدو  
الأزرق عن شدة عدائه... والطباق بهذا الشكل مدبج بالكناية.

هذا، ويكون الطباق في الكلمات المفردة: الأسماء مثل الليل والنهار،  
أو الأفعال نحو جاء وذهب، أو الحروف مثل لنا و علينا. ويختلف عن  
المقابلة في أنه جمع بين الكلمة وضدها، أو التركيب وما يناقضه كما  
تقدم في الأمثلة، بينما تشكل المقابلة الجمع بين كلمتين فأكثر، ثم يؤتى

بما يناقض ذلك على الترتيب كما في قول الحريري في المقامة المراغية: الكرم ثبت الله جيش سعودك يزين. واللؤم غض الدهر جفن حسودك يشين... فقد قابل الإمام الحريري "الكرم" و "يزين" ب "اللؤم" و "يشين"، كل كلام يجري على هذا النمط يسمى بالمقابلة.

### الخاتمة ونتائج البحث:

نستخلص مما تقدم أن الطباق الذي هو الجمع بين الشئى وضده، على أنواع عدة، وأن له أهمية بالغة ومكانة رفيعة في الحقل البلاغي وفي الدراسة العربية عموماً، إذ أنه يظهر الأمور كما هي فيراها القارئ أو السامع واضحة أمامه جلية، لأن الشئ لا يظهر واضحاً إلا مع ذكر ضده معه؛ فالحسن يظهر حسنه الضد!

ورأينا في خلال هذه الرحلة القصيرة أن الطباق ظاهرة موجودة في جمع اللغات، وأن الإنسان لا يكاد يذكر كلمة إلا وخطر في ذهنه ضدها مما يجعله فرعاً من فن الجمال، الأمر الذي يؤدي بدوره إلى وجود علاقة وطيدة بين الطباق و بين علم النفس، فالنفس دائماً تحضر الشئ متى ذكر ضده، وقد انتبه الحريري لروعة هذا الأسلوب في الكلام العربي فاستخدمه في مقاماته كما استخدم غيره من الأساليب البلاغية الأخرى، الأمر الذي جعله كاتباً، واجتماعياً، إلى جانب كونه أديباً

وبليغا! ومن الجدير بالذكر أيضا أن براعة الحريري في استخدام الطبايق أو المطابقة - كما يسميها البعض - لم تكن قاصرة على مجرد الاستخدام والتوظيف فقط، وإنما سمت: وارتفعت به إلى التقصي فيه واستعمال جميع أنواعه كما هو واضح في الأمثلة المتقدمة.

هذا، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على من اختتمت به النبوة والرسالة، سيدنا مُحَمَّد و آلِه و صحبه أجمعين.

#### الهوامش والمراجع:

- ١- لسان العرب، طبّق وعبد العزيز عتيق، علم البديع، دار النهضة العربية، ط/١، ١٩٨٥م، ص: ٧٦
- ٢- كتاب الصنائع، ت/ مُحَمَّد علي الجاوي، وَمُحَمَّد أبي الفحل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت (د/ط)، ٤٠٦ د-١٩٨٨م) ص: ٣٠٧
- ٣- ابن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه، المكتبة الشاملة، الإصدار الثاني، ج/١، ص: ١١٣
- ٤- سورة آل عمران: الآية: ٢٧.
- ٥- بسيوني عبد الفتاح، علم البديع، مؤسسة المختار للطباعة والنشر والتوزيع، ط/٢، (د/ت)، ص: ١١٣ وما بعدها.
- ٦- عبد الباقي شعيب أغاكا، أساليب بلاغية في ديوان الأستاذ عبد الله بن فودي (ط/٢، ٢٠٠٥م) ص: ٢٥٨.

٧- اسمه أبو مُحَمَّد، القاسم بن علي بن مُحَمَّد بن عثمان. ٤٤٦ - ٥١٦ هجرية (لجنة أعمال الموسوعة، الرياض، الموسوعة العربية العالمية (النسخة الألكترونية)، ٢٠٠٤، (حرف الحاء).

٨- البديع في ضوء أساليب القرآن، عبد الفتاح لاشين، دارالفكر العربي، ٢٠٠١م، ص: ٢٨

٩- سورة الأسراء: الآية: ١٢

١٠- المقامة الحلوانية، ص: ١٧ - ٣٥

١١- المقامة الحلوانية، ص: ١٧ - ٣٥

١٢- المقامة الحادية و الأربعون : التنيسية

١٣- المقامة نفسها

١٤- البديع في ضوء أساليب القرآن، ص: ٢٨

١٥- سورة البقرة: الآية: ٢٢

١٦- المقامة المراغية ص: ٤٩

١٧- القاضي الأرجاني

١٨- المقامة الكوفية ، ص: ٤٠

١٩- المقامة الصورية، ص: ٣١٢

٢٠- سورة الزمر: الآية: ٩

- ٢١ - سورة نوح: الآية: ٥
- ٢٢ - المقامة الدمشقية، ص: ١٠
- ٢٣ - سورة الأنعام: الآية: ١٢٢
- ٢٤ - المقامة البغدادية، ص: ١٢٠

## قصيدة "تسليّة الأحران في رثاء الشيخ تجاني بن عثمان" للشيخ محمد قن الغسوي: قراءة أدبية

إعداد

هايدي عبد القادر جآئي

قرية اللغة العربية، انغالا - نيجيريا

[hadijaerano@gmail.com](mailto:hadijaerano@gmail.com)

### الملخص:

حاول الباحث في ثنايا هذه الورقات أن يلقي الأضواء على خلفية تاريخية من حياة الشيخ محمد قن، الغسوي النسب والكنوي المسكن، ذوي الانتاجات العلمية والأدبية والثقافات العربية والغربية، الناظم لقصيدة "تسليّة الأحران في رثاء العالم العلامة الشيخ تجاني بن عثمان" التي كتبها يرثي بها الفقيد إثر موته نتيجة حادثة سيارة في قرية تسمى كونر طن غورا في الطريق الممر من كنو إلى زاريا، وذكر الأحداث والمناسبات ومكانة الفقيد وآثاره الخالدة وتعزى لأهل الفقيد ومريديه وأهل كنو جميعا، حاول الباحث إخراج ما في القصيدة من ظواهر التشبيه وجمالياته الأدبية مراعيًا في ذلك الجانب الشكلي والفكري للقصيدة، فتناولت الورقات الصور الخيالية، واستعمال الكلمات، والعاطفة.



## المقدمة:

الشيخ مُحَمَّدُ قَنِّ بن حسن العُسُوِي واحد من مشاهير العلماء في ولاية كَنُو، ولد سنة ١٩٣٨م، في عُسُو عاصمة ولاية زَمْفَرَا حاليًا، ونشأ وتعلم في كَنُو إلى أن أصبح ممن يعدد من علماءها، وتثقف بثقافتين؛ العربية والإنجليزية، وله إنتاجات كثيرة في الشعر والنثر، ويمتاز شعره بالسبك الجيد، لاستعماله ألوانا من البيان والأساليب المعنوية والبديعية الرائعة، وعلى هذا أراد الباحث أن يدرس واحدة من قصائده المسمى (تسليّة الأحران في رثاء العالم العلامة الشيخ تجاني بن عثمان) على ضوء المنهج التحليلي البلاغي، لما في ذلك من أهميته قيمة لاستخراج معاني الكامنة في تلكم قصيدة.

**كلمات المفتاحية:** أسلوب التشبيه، إثراء أدبي، تسليّة الأحران،

الشيخ مُحَمَّدُ قَنِّ، العلماء في كَنُو

## خلفية تاريخية عن سيرة الشيخ

مولده، نسبته، وحياته العلمية: هو مُحَمَّدُ قَنِّ بن علي بن حسن العُسُوِي، ولد في حي من أحياء عُسُو Gusau عاصمة ولاية زَمْفَرَا حاليا، تسمى فيلن تَنَكُو (Filin tanko) سنة ١٩٣٨م، وتنتهي نسبته إلى الأسرة المالكة في مدن دَوْرَا، وكَشِينَا، وِزْكَزْكَ. ترعرع تحت كفالة أبيه مَآمَ عليّ وأمه فاطمة، وتعلم عند مَآمَ موسى مَادُغُو

بدايةً إلى أن ألقاه المقادير إلى شيخه وبمربيه الأعظم الشيخ عثمان القلنسوي، فتوسع دراسته في العلوم العربية والدينية، وعنده بدأ يتعلم نظم الشعر وأساليه، ثم ساقه المقادير أيضا فالتحق بمدرسة العلوم العربية ومن بعدها جامعة بايرو كنو فتخرج منهما ذا ثقافتين؛ العربية والإنجليزية.<sup>٢</sup>

### إنتاجاته العلمية والأدبية:

للشيخ محمد قن إنتاجات علمية والأدبية التي تدل على ثروته العلمية ومساهمته الفعالة في نشر الثقافة العربية والإسلامية في مدينة كنو خاصة وفي نيجيريا عامة، وتنوعت هذه الإنتاجات، وأهمها:

### أولاً: الإنتاجات العلمية؛

- ١ - "كتاب قواعد المنن".<sup>٣</sup>
  - ٢ - "ترجمة متن الرسالة" إلى لغة هوسا.<sup>٤</sup>
  - ٣ - "ترجمة كتاب ابن دريد" إلى لغة هوسا.
  - ٤ - ترجمة كتاب "خلاصة نور اليقين" إلى لغة هوسا.<sup>٥</sup>
  - ٥ - [أَفْهَمْتُ أَدِّبُنِي أَسَوْقِي] "A fahimci addini a saukake" وهو كتاب فقهي يشتمل أركان الإسلام الخمس بلغة هوسا.
- محققاته:** وقد حقق الشيخ محمد قن كتباً علمياً عديدة، منها:
- ١ - تحقيق ألفية الأصول للشيخ عبد الله بن فودي.

٢- تحقيق تفسير إحسان المنان في تبرز معان القرءان  
للشيخ ناصر كبر.

٣- تحقيق مفتاح التفسير للشيخ عبد الله بن فؤدي<sup>٦</sup>

### ثانيا - الإنتاج الأدبية:

- {تسليّة الأحزان في رثاء العالم العلامة الشيخ تجاني بن عثمان}  
تقع في مائة واثنى عشر بيتا.
- {العقد الدرّي في نظم رحلة القلنسوي} تقع في ثلاثة مائة وستة  
وثلاثين بيتا،
- {هبة الرحيم في رثاء الشيخ إبراهيم الكولخي العالم القدر}، تقع  
في مائة وستين بيتا.
- {الزهرة المنصرة في مدح مدينة المنورة} وهي خمسة تقع في  
ست وخمسين بيتا.
- {ديوان جوهرة الرثاء وشاشة أهل الصفاء} يحتوي على ألف  
وثلاث مائة بيتا،
- {قصيدة رثى بها الشيخ بلاربي غسو} وتحتوي على مائة وثمانية  
عشر بيتا.
- {موسم السعادة في ذكر العلماء والسادة} تقع في واحد ومائة  
بيتا.

- {الهدية القلنسوية إلى حضرة الكولحية في مرثية الشيخ حسن دم}.
  - {نظارة العبر في نزول الآدمي على سطح القمر} قصيدة تقع في خمس وعشرين بيتا.
  - قصيدة في وصف سدّ بَعَوْدَا: "Bagauda" الذي شيده ولاية كنو قديما.
  - قصيدة في تاريخ عمر بن الخطاب، قالها ارتجالا في مناسبة يوم مولد النبي لزاوية الشيخ القلنسوي،
  - {قصيدة روضة الأنيس} هي قصيدة يذكر فيها زيارة علي سبب لمدينة كنو
  - أبيات يسيرة في شيء من تاريخ خير الصحابة، في أربعين بيتا.<sup>٧</sup> ولشيخ مُجَد قن قصائد كثيرة في مدح النبي ﷺ، وليس لأكثرها عناوين تعرف بمطلعها فقط،<sup>٨</sup> ومن أمثلة هذه القصائد:
  - مدحه سيدنا مُجَد ﷺ في خمس وثمانين بيتا، وقافية القصيدة حسب الترتيب الهجائي كل ثلاثة أبيات من روي واحد إلى آخرها.
  - قصيدة في ثمانين بيتا، ومطلعها:
- صلِّ يا رب الجليل \* نحو ذاك الكميل

طه ذي المجد المثل

• قصيدة أخرى، مطلعها:

على من أنزل القرآن فيه \* صلاة والسلام له ثناء

### قصيدة تسليّة الأحزان:

قصيدة "تسليّة الأحزان في مرثية العالم العامل العلامة الفاضل الولي الصالح سيدنا ومولانا الشيخ التجاني بن عثمان زاده الله الرحمة"<sup>٩</sup> نظّمها الشيخ مُجَدِّ قَن في مناسبة رثاء العالم العلامة الفاضل الولي الصالح سيدنا ومولانا الشيخ التجاني بن عثمان<sup>١٠</sup> رحمه الله، تبركا من الوثيقة التي أرسلها مولانا الشيخ ابراهيم الكوّلحي إلى أهل نيجيريا وأهل الملة الإسلامية كافة، يعزي بها وفات الحاج أحمد التجاني بن عثمان رحمه الله كما يقول في بيت:

قن الغسوي يرثي كريما تجمّعت \* لساحته الخيرات دامت كماهيا<sup>١١</sup>  
وتشتمل القصيدة على مائة واثنى عشر بيتا (١١٢)، وفي قالب البحر الطويل إلا أن الشيخ مُجَدِّ قَن استعمل هذا البحر مقبوضا في عرضه وضربه،<sup>١٢</sup> وأما قافية القصيدة فهي الياء، يعني "الياء" هو رويها، دخل فيها الوصل، فأولد الألف نتيجة إشباء حركة الروي المتحرك بالفتحة.<sup>١٣</sup> واستهل الشيخ مُجَدِّ قَن القصيدة ببيت التسليّة:

أخي لا تلمني من تغيرّ حاليا \* عراي أمر مفرع فدهانيا

واختتمها بيت الرجاء والدعاء:

متى ما قن العُسوي مُجّد قال يا \* إلهي رجي أن تحسّن حاليا

ضابط التشبيه:

التشبيه لغة: التمثيل، وهو مصدر من الفعل "شَبَّه". واصطلاحاً: هو بيان شيء أو أشياء شاركت غيرها في صفة أو أكثر بأداة هي الكاف أو غيرها ملفوظة أو مقدرة، تقرب بين المشبه والمشبه به في وجه الشبه.<sup>١٤</sup> والتشبيه مبحث من مباحث علم البيان الأربعة، وهي التشبيه والاستعارة والمجاز والكناية،<sup>١٥</sup> نظمها محب الدين بن مُجّد الشحنة الحلبي صاحب مائة المعاني والبيان؛<sup>١٦</sup>

علم البيان ما به يعرف \* إيراد ما طرقة تختلفُ

في كونها واضحة الدلالة \* فيما به لازم ما وضع له

إمّا مجاز منه واستعارة \* تُنبئ عن التشبيه أو كنايةً

وللتشبيه أربعة أركان، وهي:

أولاً: ما نريد مشاركته بغيره في صفة ويسمى المشبه. مثل: زيد كالأسد في الشجاعة.

ثانياً: ما اشترك غيره بصفته، ويسمى المشبه به. مثل: زيد كالأسد في الشجاعة.

وهذان يسميان طرفي التشبيه.

ثالثاً: ما يكون صلة الاشتراك بين الشيئين أو أكثر، ويسمى أداة التشبيه. مثل: زيد كالأسد في الشجاعة.

رابعاً: ما يكون صفة المشتركة بين الشيئين، ويسمى وجه التشبيه. مثل: زيد كالأسد في الشجاعة.

وأما أنواع التشبيه فهي:

التشبيه المفصل: ما ذكر فيه وجه الشبه، مثل؛ زيد كالأسد في الشجاعة.

التشبيه المرسل: ما ذكر فيه الأداة، مثل؛ زيد كالأسد في الشجاعة.  
التشبيه المؤكد: ما حذف منه الأداة، مثل؛ زيد أسد في الشجاعة.  
التشبيه المجمل: ما حذف منه وجه الشبه، مثل؛ زيد كالأسد.  
التشبيه البليغ: ما حذف منه الأداة ووجه الشبه، مثل؛ زيد أسد.  
التشبيه التمثيلي: ما كان وجه الشبه فيه صورة منتزعة من متعدد الصور. مثل؛ زيد بين أقرانه كالقمر بين النجوم.  
التشبيه الضمني: وهو الذي يلمح فيه المشبه والمشبه به على غير صورتهم المعروفة، مثل قول أبي تمام:<sup>١٧</sup>

لا تنكري عطل الكريم من الغنى \* فالسيل حرب للمكان العلي

التشبيه المقلوب: وهو جعل المشبه مشبهاً به، بالدعاء أن وجه الشبه فيه أقوى وأظهر، مثل؛ كأن النسيم في الرقة أخلاق زيد.

أغراض التشبيه:

للتشبيه أغراض منها: بيان إمكان المشبه، بيان حاله، بيان مقدار حاله، تقرير حاله، تزيينه أو تقبيحه.<sup>١٨</sup>

### أسلوب التشبيه في القصيدة

أخي لا تلمني من تغير حاليا \* عراقي أمر مفرع فدهانيا  
تراكمت الأحزان واشتد واخزها \* تكدر منها كل ما في فؤاديا  
نهاري كليلي ظلمة ثم ليلي \* كيومي سهرا والبلايا كما هيا<sup>١٩</sup>  
النهار وقت ما بين طلوع الفجر إلى غروب الشمس يتفشى فيه  
الضياء فيسعى الناس لطلب المعيش وشغل آخر، وأما الليل فهو ما  
يعقب النهار من غروب الشمس إلى طلوع الفجر يغشاه الظلام  
ويستريح فيه الناس بالنيام واخفاء الويلات. ففي البيت الأخير من هذه  
الآبيات أراد الشاعر تصوير حاله مغايرا ومعاكسا تماما عما اعتادت  
عليه طبيعته بالليل والنهار وذلك بسبب ما دهاه وأفرعه من نعي  
شيخه-الشيخ تجاني بن عثمان إثر حادثة السيارة في طرق الممر من كنو  
إلى زريا بمحلة تسمى كوتر طن عورا، طفق الشاعر يخبر بأن الأحزان  
والهموم تراكمت عليه، هذه وغيرها أثرت فيه إلى أن صيرت النهار عنده  
كالليل ظلاما، والليل عنده كالنهار سهرا. وجمال التشبيه يظهر بتصوير  
حال المشبهين اللذين هما الليل والنهار، جاء الشيخ بتشبيهين المرسلين



المفصلين في بيت واحد- من غير شعور منه ولا تكلف - ففي التشبيه الأول شبّه نهاره بليله في الظلمة، فالنهار هو المشبه، والليل المشبه به، والكاف أداة التشبيه، والظلمة وجه الشبه. وفي التشبيه الثاني شبه ليله بنهاره لعدم النوم، فالليل هنا المشبه، واليوم المشبه به، والكاف أداة التشبيه، والسهر وجه الشبه، وكلا التشبيهين غرضهما بيان حال المشبه. وقال:

تضايق مستشفى كنو حينما أتى \* به مركب الأجناد كالبرق ماضيا  
وأنت ترى العمال باكين كلهم \* فما جاءهم خطر كهذا علانيا<sup>٢٠</sup>

أراد الشيخ مُحَمَّد قَن أن يَصوِّر لسامعي أو قارئ مرثيته مشهداً مفرعا ومدهشا في مستشفى كنو حينما أتى رجال اسعاف بجثة الفقيد وهم في غاية السرعة مثل البرق ليتحقق الأطباء موته، اكثر وازدهم المستشفى بتلامذة الشيخ وأحبته، وليست تلامذة الفقيد سيكون فحسب بل العمال في المستشفى أنفسهم يكون ويقولون لم يشهدوا خطر مثل ذلك الخطر. ومن خلال محاولة الشيخ لتصوير هذا المشهد أتى بتشبيه المحسوس بالمحسوس من نوع الشبيه المرسل المفصل غرضه بيان مقدار حال المشبه وذلك في البيت الأول من هذه الطائفة، فمركب الأجناد هو المشبه، والبرق هو المشبه به، والكاف أداة التشبيه، وكلمة "ماضيا" هي وجه الشبه. وفي البيت الثاني منه شبّه الخطر بصفته هاوٍ بالمهالك

والقلق بحادثة السيارة التي أهلكت الفقيد وأدخلت المجروحون في حالة القلق والانزعاج، "الخطر" هنا هو المشبه، و"هذا" المشير إلى حادثة السيارة هو المشبه به والكاف أداة التشبه و "علانيا" هو وجه الشبه، فالتشبيه إذن مرسل ومفصل لذكر الأداة ووجه الشبه، ومن باب تشبيه المحسوس بالمحسوس.

وقال:

فإن مصلى العيد شاهد مثلما \* يشاهد في العيد جمعا مساميا  
شهد جنازة الفقيد جمع غفير، وكان ذلك في سعيد يصلى فيه  
العيدين الفطر والأضحى، ولما رأى الشاعر ازدحام المصلين الذين  
يشهدوا جنازة مرثيه تخيل له أن ذلك اليوم تماثل يوم العيد من ناحية  
امتلاء المصلى العيد بالناس، فأثر أسلوب التشبيه ليصور المشهد لغرض  
بيان حال المشبه، فالمشبه هو "مصلى العيد" والمشبه به هو " العيد"  
وأداة التشبيه هو كلمة "مثل" ووجه الشبه هو "جمعا مساوية" والتشبيه  
إذن مفصلا لذكر وجه الشبه، ومرسل لذكر أداة التشبيه.

ويقول في بيت:

وفي مقعد التفسير لو شئت سمته \* لمثلته بدرا يسود الدراريا  
فالمشبه هنا صورة المرثي وهو جالس في مقعده يتفوه بالآلئ المعاني  
عند شرحه تفسير القرآن وحوله تلامذته يتلقون الدروس، والمشبه به هو

صورة بدر مضيئ في ظلمة الفضاء ينتشر منه الأنوار، والنجوم يقتبسون من نوره، ووجه الشبه هو الصورة المركبة من ظهور شيء مضيء في وسط أشياء ظلماء يقتبسون من نوره، وهذا النوع من التشبيه يسمى التشبيه التمثيلي الذي هو ما كان وجه الشبه فيه صورة منتزعة من متعدد، وجاء به هنا لغرض بيان حال المشبه. وهو من نوع التشبيه المحسوس بالمحسوس الذي يدرك بأحد الحواس الخمس في العرف العام.

وقال:

وفي مقعد التفسير لو شئت سمته \* لمثلته بدرا يسود الدراريا  
فتسمع تفسرا بديعا مرتبا \* كأن كان إياه من اللوح حاكيا

ومما ذكره الشيخ محمد قن من محاسن الفقيه -الشيخ تجاني بن عثمان- محاولة رثائه له، مجلسه للتفسير الذي يشرح فيه معاني آيات القرآن بألفاظه البديعية الرائعة ليس فيها حوشية لا وركاكة، لجأ الشيخ إلى تشبيه هذا الوضع بنزول الوحي من اللوح المحفوظ من حيث التقاط الألفاظ السهلة طورا والجزلة حيناً آخر، وضرب الأمثال وقتنا وسرد الكلام أحيانا آخر. فاضطرّ - بدون تكلف- أن يختار نوعي التشبيه المرسل والمفصل الذين يذكر أداة التشبيه ووجهه فيهما، فالمشبه هو الضمير المستتر في كأن الذي يرجع إلى التفسير، والمشبه به هو- ما يحكى "من اللوح" والكاف أداة التشبيه، ووجه الشبه هو "حاكيا".

ويقول:

تذكر أخي فيضانه حينما انبرى \* يترجم قول الشيخ برهام حاكيا  
يجوّد ألفاظا بلذة صوته \* فينسق تنسيقا هناك المعانيا  
كأن كان مخلوقا بطين فصاحة \* لسرد بيان منه تصبح واعيا<sup>٢١</sup>  
من مجالس الفقيد أيضا، مجلسه لتفسير ديوان الشيخ إبراهيم انياس،  
يجلس فيه فيرتم الأبيات بصوته المشوّق، ثم يترجم ألفاظ الواردة فيها إلى  
لغة هوسا فتظهر معنى الأبيات بألفاظه وبأسلوبه الخاص المنسق المنظم  
مما يتيسر للسامع أن يعي ما قاله في أسرع وقت ممكن، فهذه الصورة  
هي التي يشبهها ويصورها بصورة شيء مبلل يريد به إيجاد شيء حسن  
فأحكم وأتقن الصانع صنّعته. وهو إذن تشبيه تمثيلي انتزع وجه التشبيه  
فيه من صور متعددة، ومن باب تشبيه المقول بالمحسوس لغرض تقرير  
حال المشبه.

### الأساليب الفنية في القصيدة

الأسلوب هو الطريقة التي يعبر بها الأديب عن نفسه في تناوله  
لموضوع ما، والنمط الذي يختاره في استخدام اللغة وبناء العبارات.<sup>٢٢</sup>  
ويمتاز الأسلوب الأدبي بأن الفكر فيه يمتزج بالعاطفة، وهدفه الإقناع  
والتأثير معاً، وهو يستعين بالأخيلية والصور لنقل أحاسيس الأديب  
ومشاعره إلى القارئ والسامع، ويهتم بالألفاظ، ويتأنق في تعليف العبارة

وتنسيقها وموسيقاها بحيث يخرج الكلام مشرقا ممتعا، له جرسه في السمع ووقعة في النفس، ونلتمس هذا في هذه القصيدة من حيث الأفكار والعاطفة والصور الأخيلية والألفاظ.

**الأفكار:** جمع فكرة وهي الإحساس والشعور النفسي الكامن في نفس الشاعر أو الكاتب،<sup>٢٣</sup> أو هي سلسلة التجارب والمشاعر التي يعبر عنها الشاعر في مضمون قصيدته، والقضايا التي تحدث عنها.<sup>٢٤</sup> فالمستقضي لقصيدة تسليّة الأحران يجد أنها تحتوي أبياتها على الأفكار الأساسية والجزئية، فالفكرة الأساسية هي الرثاء، وأما الأفكار الجزئية فتتمثل - عند تتبع الأبيات - على ذكر الحادثة التي إثرها توفى المرثي وجرح ورفقائه، التسليّة لموت الفقيد، التعزية لأهله، الدعاء له، التوسل إلى الله تعالى، التحسر والبكاء على الفقيد، الثناء له، ذكر بعض مناقبه:

قن الغسوي يرثي كرما تجمّعت \* لساحته الخيرات دامت كماهيا  
كونر طن غور تجري دموعها \* ولم لا وفيها قد أنلنا الداهيا  
ترحل عنا رافعا دين ربه \* وخلف آثارا كراما عواليا

**العاطفة:** (هي الإحساس الدافع في قلب الأديب من جراء تفاعل العالم الخارجي مع نفسيته سلبيًا أو إيجابيًا، قبولًا أو رفضًا، سرورا أو غضبا، حبا أو كرها، فهي إذا مجموعة المشاعر الإنسانية المتعددة المتلونة التي تدفع بنا إلى الحب والكره والحزن والفرح...).<sup>٢٥</sup>

فعاطفة الشيخ في هذه القصيدة صادقة وثابتة وقوية وقادرة على إثارة التفاعل والإعجاب والتأثير في القلوب والأسماع، تتصف تارةً بالحنن والأسى، وطورًا بالحلم والتصبر، يتمالك من خلالها أحزانه وآلامه، استمع إليه وهو يقول:

أخي لا تلمني من تغيرُ حاليا \* عرابيَ أمر مفرع فدهانيا  
تراكمت الأحزان واشتدَّ واخذها \* تكدَّر منها كلُّ ما في فؤاديا  
نهاري كليلي ظلمة ثم ليلي \* كيومي سهرا والبلايا كماهيا  
ألا ترى أن الشاعر في هذا الصداد يقاسي من لوعة الفراق لموت الحبيب، وهي ميتة فجائية عن طريق حادثة سيارة غير المتوقعة أثرت فيه بالغاية، فاستطاع أن يصوغ مشاعره في قالب فني مثير للوجدان والأحاسيس، ويحاول أن يشارك قارئه شعره فيما يشعر به من ألم وحنن ولوعة الفراق، وكثيرا ما تجد هذه العاطفة الصادقة القوية والإحساس المتدفق من عمق قلبه الممتلئ بالأحزان الجياشة من خلال قراءتك لأبيات التحسر والبكاء للميت، استمع إلى الشيخ يقول:

أتاك من الرِّحمان رحمته العلى \* أيا نتجل عثمان الذي كان ماضيا  
وما كان ماضيا لأنَّ ادِّكاره \* وذاكراه باقٍ كلُّنا ليس ناسيا  
فإن "كونر طن غور" تجري دموعها \* ولم لا وفيها قد أنلنا الدواهيا  
تقول لأبكي من بكي الأرض فقدّه \* سأكويه طول الدهر إذ كان عاليا

تقول ولو لا أن قضى الله خالقي \* بكوني ممراً ليلتي ونهاريا

**الصور والأخيلة:** والصورة الشعرية عبارة عن تمازج بين اللون والحركة والتجسيد وبث الحياة والحركة في الصورة الجديدة.

والشاعر الشيخ مُحَمَّد قَن استطاع أن ينطق الساكت ويحرك الجامد، واستطاع أيضا أن يدهش ويحزن ويؤثر في دواخل نفس سامعي أو قارئ شعره، فتخرجت الصور مبهرة وساحرة، وقد استعان في ذلك بالصور البيانية من التشبيه والاستعارة والكناية والمجاز المرسل ليخلق بذلك الجوّ الخيالي، كما في قوله:

فإن "كُونَر طَنْ غُور" تجري دموعها \* ولم لا وفيها قد أنلنا الدواهيا  
تقل لأبكي من بكى الأرض فقدّه \* سأبكيه طول الدهر إذ كان عاليا  
تقول ولو لا أن قضى الله خالقي \* بكوني ممراً ليلتي ونهاريا  
لما داس ظهري بعد ذا اليوم واحد \* من الناس إذ أُنِّي أخاف المخازيا  
لمنّعت ظهري كل سيارة أتت \* ولو قد أتني من مدينة زاريا

فالشيخ خلق صورة خيالية حيّة ل"كُونَر طَنْ غُور"، فنفخ فيها الحياة عندما حدث ما حدث لحادثة السيارة التي من أجلها فارق محبوبه المرثي، وبذلك نقل الدهشة والروعة من قلمه إلى نفس السامع، ويتخيل أن الأرض تحزن وتتأسف ولم تكتف بجزئها داخل قلبها إلى أن

أفاضت بالدموع باكيةً، ثم أكسبها صفة من صفات الإنسنة الكائنة الحية وهو الحياء والخوف والخطاب تتقي أن يشاع عنها فعلها المخزي.

**الألفاظ:** الألفاظ جمع لفظ وهو ما يلفظ به من الكلمات، والألفاظ هي المواد التي تتكون منها الأساليب فهي في الأدب كالحجارة في البناء والخطوة في الصور.<sup>٢٦</sup>

فالمتمأمل لقصيدة الشيخ المختارة بالدراسة يجد أنها تتصف بسهولة الألفاظ، قريبة العهد، متداولة على ألسنة الناهجين من الشعراء، موحية للمعنى، جارية على قياس الصربي، تفيض معانيها غيثا في القلب، وظلالا في العقل، نستمتع إليه وهو يلتقط بألفاظ مناسبة للموضوع ليصور لنا كيف طاشت عقول الناس عند رأيهم الجرحى وعند دفن المرثي: (سكارى، هواميا، تضايق، باكين، ينهال، الشّم، تراحمت).

ترانا سكارى من تفاقم ما جرى \* وأعيننا تجري دموعا هواميا  
تضايق مستشفى كنو حينما أتى \* به مركب الأجناد كالبرق ماضيا  
وأنت ترى العمال باكين كلهم \* فما جاءهم خطر كهذا علانيا  
جنازته ضمت جموعا تجمّعت \* وكل يفيض الدمع ينهال جاريا  
فإن مصلى العيد شاهد مثلما \* يشاهد في العيد جمعا مساويا  
فلولا حضور سيادة الشّه سيدي \* أمير كنو فانزاح كل منائيا  
لما كان سهلا أن ينزل نعشه \* على الأرض حين الناس لاقوا تلاقيا



تراحمت الألاف ترجو تبركا \* برأيته والكل يحش باكيا  
 أيا نجل عثمان التجاني بنيتما \* سيجلد ذكره وقد كان باقيا  
 وخالصة الأمر إن الشيخ احتضن فكرة مزدوجة بالعواطف  
 والأحاسيس وشد في العناية بها واستقصائها وتتبع جزئياتها، وكانت  
 عاطفته صادقة وثابتة وقوية وقادرة على إثارة التفاعل والإعجاب والتأثير  
 في القلوب والأسماع والأفئدة، وخلق صورة خيالية حيّة متحركة وناطقّة،  
 واستعمل ألفاظا جزلة وقوية وورصينة الموحية للمعنى.

#### الخاتمة:

لعل هذه الصفحات القلائل قد سلطت ضوءا على خلفية تاريخية  
 لحياة شيخ مُجَدِّ قَنٍ وقصيدته "تسليّة الأحزان في رثاء العالم العلامة  
 الشيخ تجاني بن عثمان" تناولها الباحث تناولاً أدبيا، فكان مما  
 استنتجها الدراسة؛ أن الشيخ مُجَدِّ قَنٍ شاعر يتمتع بشاعرية عالية،  
 أسهم بإنتاجاته العلمية والأدبية في تطوير اللغة العربية وثقافتها في كنع  
 خاصة وفي نيجيريا عامة، وأنه استعمل في قصيدته الراهنة أساليب  
 التشبيه بأنواعه وخصائصه وأغراضه التي يرمي إليها، بيد أنه لم تتكثف  
 هذه الظاهرة نظرا إلى كثافة الأبيات الواردة في القصيدة التي بلغت مئة  
 واثنى عشر بيتا، وإضافة إلى الغرض الرئيسي للقصيدة-الرثاء- متسع  
 الأطراف، وتعدد أغراضها الجزئية، ولعل السبب في ذلك هو أن الشاعر

لم يرد التكلف والتصنع في الصياغة بل صدر منه عن عادة وطبيعة وسليقة، فجاء أسلوب التشبيه في القصيدة عفوا لكنه يباني رائع ومذهل. ومن ناحية، أثرى القصيدة بمؤثرات أدبية قيمة فاتسمت القصيدة بالأفكار الواضحة المتناسكة، والصور الخيالية المبهرة الساحرة، والألفاظ السليمة السهلة والجدلة، والعاطفة الصادقة القوية.

الحمد لله من قبل ومن بعد، والصلاة والسلام على السيد الفاتح الخاتم، واله وصحبه وسلم. وسبحان الله وبحمده، أشهد أن لا إله إلا هو، أستغفره وأتوب إليه.

#### الهوامش:

- ١- (قَن) كلمة هوسوية يعني بها الأخ الصغير، وكانت أخت الشيخ الأكبر تسميه بهذا لطفاً منها وحناناً إليه، فصار لقباً له بعد، مقابلة مع الشيخ يوم الإثنين ٦/٣/٢٠١٧م.
- ٢- مقابلة شخصية مع الشيخ مُجَّد قن في بيته بجارة غالي كنو، مساء يوم الإثنين ٦/٣/٢٠١٧م.
- ٣- أحمد تجاني مُجَّد، شعر الرثاء عند الشيخ مُجَّد قن بن علي الغسوي "تسليية الأحران" و "هبة الرحيم" نموذجاً، دراسة أدبية تحليلية، بحث مقدم إلى قسم اللغة العربية بجامعة بايرو كنو لنيل شهادة الماجستير في اللغة العربية، سنة ٢٠١٥م، ص: ١١.

- ٤- المرجع السابق الصفحة نفسها.
- ٥- آمنة ثاني، الزهرة المنضرة في مدح مدينة المنورة للشيخ مُجّد قن، بحث مقدم إلى قسم اللغة العربية بجامعة بايرو كنو لنيل شهادة الليسانس في اللغة العربية، سنة ٢٠١١م، ص ٢١.
- ٦- مقابلة مع ابن الشيخ، الدكتور عمر قن في مكتبه بكلية أمين كنو للدراسات الإسلامية والقانون، يوم الأربعاء ١٩/١٠/٢٠١٦م، الساعة العاشرة صباحاً.
- ٧- بحث آمنة ثاني عبد الله، الزهرة المنضرة، المرجع السابق الصفحة ٢٢.
- ٨- مقابلة مع ابن الشيخ مُجّد قن، القاضي علي قن في بيته بحارة شرطا كنو، يوم الجمعة، ٢٥/١١/٢٠١٦م، الساعة السادسة مساءً.
- ٩- الصفحة الأولى من مخطوطة قصيدة التسليّة الأحزان، وتوجد في بيته في حارة غالي كنو.
- ١٠- هو الشيخ أحمد التجاني بن عثمان بن مُجّد، ولد سنة ١٩١٦م بحارة دكاوا (Dukawa)، وأبوه برناوي الأصل، وأمّا أمه فكنوية، ويعد من كبار مشايخ التجانية في ولاية كنو، توفي يوم الجمعة ٢٨-١٠-١٣٩٠هـ الموافق ١٩٨٠م في حادثة سيارة في قرية طن غورا ( Dan gora). في طريق الممر من كنو إلى زاريا.
- ١١- البيت الرابع والستين من مخطوط قصيدة الأحزان في رثاء الشيخ تجاني بن عثمان.

١٢- والمقبوض هو حذف حرف الخامس الساكن من التفعيلة، السيد أحمد الهاشمي، ميزان الذهب في صناعة شعر العرب، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ١٩٨٦م - ١٤٠٩هـ، ص: ٣٠.

١٣- السيد أحمد الهاشمي، ميزان الذهب في صناعة شعر العرب، المرجع السابق، ص: ١١٤.

١٤- عبد العزيز عتيق، (الدكتور)، علم البيان، المرجع السابق، ص: ٤٢

١٥- أيمن أمين عبد الغني - الكافي في البلاغة، (البيان والبديع والمعاني)، دار التوفيقية للتراث، سنة: ٢٠١١م، ص: ٤١.

١٦- كمال حسن مرعي، المجموع الكبير من المتون فيما يذكر من الفنون، شركة أبناء شريف النصارى للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت-لبنان، طبعة جديدة، سنة: ٢٠١٤، ص: ٢١٧.

١٧- الدكتور عبد العزيز عتيق، علم البيان، الصفحة: ٧١

١٨- الدكتور عبد العزيز عتيق، المرجع السابق، الصفحة: ٧٦

١٩- البيت الثالث من مخطوطة قصيدة تسليية الأحران في مرثية الشيخ تجاني بن عثمان، وتوجد في مكتبة الشيخ محمد قن في مكتبته بحارة عوّل كنو.

٢٠- البيت الثاني والثلاثين والثالث والثلاثين من مخطوطة قصيدة تسليية الأحران في مرثية الشيخ تجاني بن عثمان، المرجع السابق.

٢١- البيت الثامن والسبعين من قصيدة تسليية الأحران في مرثية الشيخ تجاني بن عثمان للشيخ محمد قن.

- ٢٢- سعيد مقبول وآخرون، الأأب والنصوص والبلاغة، ط/، آ/، آار الكتب الوطنية، تنغاز.
- ٢٣- مآآ غيمي، هلال النقد الأأبي الآديث، الطبعة الثالثة، آار النهضة، مصر، ١٩٧٣م، ص: ٤٤٢.
- ٢٤- الشيخ كمال أبو مصلآ، الآامل في النقد الأأبي، الطبعة الثالثة، مكتبة الآديث، بيروت، ص ٧٥
- ٢٥- آاود سلمان، النقد الأأبي، آ ١، مطبعة الزهراء، بغداد، ص: ٦٣
- ٢٦- شوقي ضيف (الآكتور)، في الأأب والنقد، آار المعارف، ص: ١٣

## الاتجاه الديني في شعر عبد الواحد جمعة أريبي دراسة أدبية

إعداد

الدكتور مرتضى الإمام أكييدي

قسم اللغة العربية، كلية الآداب، جامعة إلورن، - نيجيريا

[murtadoakeyede1979@gmail.com](mailto:murtadoakeyede1979@gmail.com)

### ملخص:

إنّ المتأمل في واقع الشعر العربي المعاصر يراه يعكس مناهج فكرية مختلفة، بعضها يعكس المنهج الإسلامي والبعض الآخر يعكس المناهج غير الإسلامية من قومية أو شيوعية أو ووجودية أو حداثة وغيرها من الاتجاهات الأدبية المختلفة. للشاعر عبد الواحد جمعة أريبي أشعار عديدة في شتى الموضوعات، وقد اهتم الدارسون بأشعاره المختلفة منهم، السيد أحمد حنبلي موسى ألابيري الذي درس قصيدته (بردة العجم)، ومنهم السيد صلاتي عبد الله أبوبكر الذي اختار فن الوصف في أشعاره ومنهم السيد أحمد حنبلي موسى ألابيري أيضا الذي درس المعارضة الشعرية في إنتاجاته ومنهم السيد محمد الجامع بللو الذي خصص دراسته عن التشبيه في إنتاجه الشعري، وكذلك أيضا قام بدراسة موازنة بين أريبي والشاعر الدكتور عيسى ألي، ومن الدارسين لشعر الأريبي أيضا السيد فواز مصطفى سعيد أولومي الذي أجرى دراسته الأدبية حول

قراءات في شعر الأريبي. وهذا يوضح للمتلقين طول باع الأريبي في قرض الأشعار العربية وفي إثراء المكتبة العربية بآثاره الأدبية الغزيرة. كتب الأريبي في موضوعات دينية مختلفة مثل: تعظيم الله تعالى، وإثبات وحدانيته، والترغيب في الإنابة إليه سبحانه وتعالى، كذلك قرض أشعارا في الزهد عن الدنيا وعن زخارفها المغرية، كما دعا في بعض أشعاره إلى الاتحاد والالتزام، وكتب في غير ذلك من الموضوعات الدينية ومع كثرة الموضوعات التي عالجها الشاعر فلم يتعرض أحد من الدارسين الباحثين لإنتاجاته المذكورة بالدراسة الأدبية والنقدية ويمثل ذلك مشكلة جديرة بالحل، ومن هنا تجيء هذه الدراسة تلبية لهذا النداء الأكاديمي.

### المقدمة:

مما لا شكّ فيه أنّ الإسلام كان حدثا بالغا في حياة المسلمين وقد أثر بشكل واضح في الفنون الأدبية ولاسيّما الشعر العربي الذي يعتبر سجلّ العرب والعجم، وكان الإسلام العامل الأول في ازدهاره وتطوره، كما لا يخفى على أحد أهمية القرآن الكريم وأثره في نفوس المسلمين وتأثيره على سلوكهم وأحوالهم وأشكال حياتهم اليومية. وكان لا بدّ للشعراء أن يتأثروا به وينهلوا من ألفاظه الرنيّة ومعانيه الزاخرة بفنون البلاغة العربية.

ومن الطبيعي أن يبقى أثر ذلك في نفوس الشعراء والكتاب على مر العصور المختلفة فلا تكاد تقرأ لأديب إسلامي إلا وتجد في شعره أو خطبه أو رسالته بعض الألفاظ الدينية والمعاني القرآنية. <sup>(١)</sup> ولا غرو أن الحضارة العربية النيجيرية استمدت قوتها من الإسلام، والقرآن الكريم الذي أرسى دعائم الأدب الإسلامي وثبت أركانه. <sup>(٢)</sup> والشاعر ابن جمعة أرببي أحد هؤلاء الشعراء إذ إنه استفاد كثيرا من هذا الموروث حتى استقر في خزانه ذاكرته العديد من الألفاظ والمعاني القرآنية والسنة النبوية الشريفة التي أصبحت من ثوابت مخيلته وعواطفه ولذا قامت هذه الدراسة على محاور آتية:

المحور الأول: مفهوم الاتجاه الديني لغويا ودلاليا

المحور الثاني: الاتجاه الديني في شعر عبد الواحد جمعة أرببي

المحور الثالث: القيم الشعورية في الأشعار المختارة

المحور الرابع: القيم التعبيرية في الأشعار المختارة

**المحور الأول: مفهوم الاتجاه الديني لغويا ودلاليا**

مفهوم الاتجاه معجميا : جاءت كلمة الاتجاه من وَجَهَ وذلك في أصل أصوله قبل لحوق حروف الزيادة عليها، بمعنى وجه فلانا عند الناس أي صار أوجه منه، ووجه فلان بمعنى صار ذا قدر ورتبة، لكن أصل الاتجاه يأتي على وزن (أَفْتَعَلَ) أي اِوْبَجَّهَ ثم قلبت الواو ياء لكسرة ما



قبلها، وأبدلت منها التاء وأدغمت ثم بني عليه فصارت إِبَّجَهَ<sup>(٣)</sup>، إلا أن هناك رأيا آخر يرى أن الأصل هو إَوْبَجَهَ كإَوْتَعَدَ وإَوْتَصَلَ وإَوْتَحَدَ، أنه إذا كانت فاء الافتعال واوا أصلية أبدلت وأدغمت في تاء الافتعال ويقال: الاتَّجَاهُ من الوجه، والاتَّعاد من الوعد، والاتَّصال من الوصل، والاتَّحاد من الواحد، لأن كل هذه الواوات أصلية فيجب قلبها تاءً.<sup>(٤)</sup> وتعني لفظة الاتجاه معنى سنح وذلك عند ما يقال: اتَّجَهَ له رأيي أي سنح له،<sup>(٥)</sup> ولكنَّ مُحَمَّدَ فَرِيدَ وَجَدِي بَيْنَ الاتَّجَاهِ أَنَّهُ إِذَا قِيلَ: اتَّجَهَ إِلَيْهِ بِمَعْنَى أَقْبَلَ إِلَيْهِ،<sup>(٦)</sup> ومنه أيضا اتَّجَهَ له رأيي يعني سنح له رأيي وقعد بُجَاهِهِ (بضم التاء وكسرهما) أي تلقاه،<sup>(٧)</sup> وقد تحذف ألف الوصل وإحدى التائيتين من فعل اتَّجَهَ ولا يُوَثَّرُ ذلك في المعنى المراد في الأصل كقولهم: تَجَهَّتْ إِلَيْكَ، هذا يُؤدِّي معنى تَوَجَّهْتُ إِلَيْكَ، فهذا ليس بدعا فالمثال موجود في قول مرادس بن حصين :

قصرت له القبيلة إذ تجهننا\*\* وما ضاقت بشدته ذراعي

إذ تجهننا بمعنى إذ اتَّجَهْنَا وتقابلنا.<sup>(٨)</sup>

وأما مفهوم الاتجاه دلاليًا: فهناك مصطلحات كثيرة في صعيد النقد الأدبي لها علاقة وثيقة بالاتجاه تعني معناه ومدلوله في الساحة الأدبية مثل: المذهب، والتيار، والنزعة، وأيدولوجيا وكذلك المدرسة، لذلك نجد بعض النقاد يعرّف مصطلح المذهب بأنه مجموعة مبادئ وآراء متصلة

ومنسقة لمفكر أو لمدرسة،<sup>(٩)</sup> ولكن إذا بحثنا عن تعريف التيار لوجدنا أنه اتّجاه عامّ يجذب الأذهان نحو فكرة معينة<sup>(١٠)</sup> أو تذوق معيّن تتبعه مدرسة من مدارس الأدب والفنّ<sup>(١١)</sup> أو اتّجاه تتبعه دراسة من مدارس الأدب والفنّ، وتتقيّد بأصوله من غاية جمالية وتقنية تعبيرية.<sup>(١٢)</sup> ولئن فحصنا عن تحديد النزعة فهو اتّجاه - أيضا - يندفع فيه أهل القلم والإبداع إلى التزام مبدأ أو مذهب أو طريقة في محاولة لطحها وترسيخها عبر نتاجهم الأدبي والفكري والفني<sup>(١٣)</sup> أو هي الحركة الأدبية بوصفها وظيفة للتطوّر الفني والسياسي والاجتماعي والديني في مجتمع ما!<sup>(١٤)</sup> كما لا يختلف مفهوم التيار الذي أوردناه سابقا عمّا عرفه محمد التونجي في معجمه<sup>(١٥)</sup>، كذلك عرف أيديولوجي بأنه جملة من الآراء والمعتقدات الشائعة في مجتمع ما، دون اعتداد بالواقع الاقتصادي.<sup>(١٦)</sup> ولعلّ هذا التقارب المعنوي جعل أكثر الكتاب الذين وقفت على كتبهم في هذا الموضوع لم يعرفوا الاتجاه تعريفا مستقلا على الرغم من استعمالهم الكثير له،<sup>(١٧)</sup> ممّا يدل على شيوع هذا المصطلح في صعيد النقد الأدبي، من هنا يمكن القول إنّ الاتجاه هو ميل أدبي نحو فكرة أو عقيدة أو مذهب معيّن والإيمان به والدعوة إليه، وقد يراد به التيار أو النزعة أو المذهب أو المدرسة إلّا أن لفظة الاتجاه أعم من غيره وأشمل.<sup>(١٨)</sup>

ويُتضح هنا جليا من خلال ما أوردناه سابقا، أنّ مصطلح الاتجاه يمكن إطلاق لفظة التيار أو المذهب أو النزعة أو الأديولوجيا أو المدرسة وهي بصفتها ميل أدبي نحو فكرة أو مذهب معيّن مع الإيمان به والدعوة إليه. ويقصد بالاتجاه الديني في شعر أرببي هنا: الأدب الإسلامي أو المذهب الإسلامي أو التيار الإسلامي أو النزعة الإسلامية في إنتاجاته الشعرية وكيفية تناوله لأفكار دينية وقضايا إسلامية وفقا للكون والحياة والإنسان، متّخذا منها أسلوبا شيقا للدعوة إلى الله بفنّ جميل وهدف نبيل. إذن فالأدب الإسلامي هو الاتجاه الإسلامي، فهو أيضا المذهب الإسلامي أو التيار الإسلامي... وهو فنّ جميل مؤثر نابع من ذات مؤمنة عن التصوّر الإسلامي للكون والحياة والإنسان. (١٩)

### المحور الثاني: الاتجاه الديني في شعر عبد الواحد جمعة أرببي \*

#### ١ - تعظيم الله تعالى ووحدانيتها:

التعظيم هو تهويل الحكم المراد إثباته للمحكوم له وتعظيمه وتمجيده وتفخيمه في نفس المتلقي وإثارة الانفعال المناسب عنده لذلك كان أسمى هذا التعظيم، هو تعظيم الله تعالى وتوحيده الذي تفرد به دون سواه، (٢٠) ولذلك نجد ابن جمعة يدرك هذه الصفة الإلهية إدراكا كلياً من خلال ما قاله من شعر أشار فيه إلى عظمة الخالق وجلالة قدره حيث يقول:

الله اسم لا يهون وديعة\*\* والذود عن أرواحنا والزداد وهو البديع بلاغة وحلاوة\*\* وكتابة وجلاله تزداد كل الأسماء كالجماذ وإته\*\* كالروح في انقذاها ترتاد إني إلى الآيات أهوى نفحها\*\* فلمسته فيها هو الأوتاد يبقى ظهيرا للضعاف يغيثنا\*\* في النائبات تراه وهو ضماذ هو كالظلال ولن ترى بدلا له\*\* علم على الأعلام وهو يراد وهو الذي ليس الحياة بدونه\*\* تجري هناك وقودها المعتاد<sup>(٢١)</sup> فقد شرع الشاعر هذه الأبيات بذكر لفظ الجلالة إشعارا منه، أنه لا إله إلا الله هو الحي هو القيوم وهو الله الذي يهيمن البرايا كلهم وهو المزود لكل شئ، ويبيّن أن جميع أسماء الإنسان كالجماذ سوى الله تعالى الذي كان روح الأسماء وبدون الروح وأني يتحرك الجسد؟ بل الله المعين الظهير لضعاف الناس وهو الله الذي يغيثهم من كل النائبات وما جدوى الحياة بدون ذكر لفظ الجلالة "الله" كل يوم؟  
وفي قوله:

يا أصيلا تعود إليه الأصول\*\* وأساسا تقول إليه الفصول  
من قديم بقيت حقا جميلا\*\* لا نبيا إلا به ويقول  
هو أمن على الفؤاد عظيم\*\* كلما كان لا يداني الخمول  
أو سراج على الظلام منير\*\* أيّ نفس عن السراج تميل

قدّر الله أن تكون نجاة\*\* وسلاما للذاكرين يطول  
وكلاما فيه ييـاض نهار\*\* إنما الله الواحد المأمول  
أنا حبّ القول الجميل الأصيل\*\* ليس حقا قول سواه جميل<sup>(٢٢)</sup>  
يقرّ الشاعر في هذه الأبيات وحدانيّة الله سبحانه عزّ وجلّ والتي تعدّ  
المحور الرئيس في الديان السماوية وهو أصل الأصول لكل شئ وهو  
الأساس الذي تعود إليه الفصول وما من نبيّ أو رسول إلا ويؤمن بكلمة  
الشهادة كما يصدّق بالكلمة المشرفة التي هي لا إله إلا الله ويسلم جميع  
شؤون حياته لها، ولا يشارك الله أحد في تدبير شؤون الكون، ومن لم  
يؤمن بها لم يكون مؤمنا، ومن لم يصدقها ولن يكون مسلما، ومن  
جعلها راطب لسانه وقلبه يعيش في الأمن والسلام والنجاة من النوائب  
الكونية ومن قضاء السوء ويمشي في نور الإيمان وضياء التقوى في الليل  
والنهار أن جعل الكلمة المشرفة ورد أيامه ولياله ويؤمن بها ويصدقها  
ويعمل تلقاءها عيانا.

## ٢- الإنابة إلى الله:

ومن الأشعار التي بدت واضحة في اتجاه الشاعر الديني، هو اهتمامه  
بالإنابة إلى الله حيث يرجع الشاعر أمور حياته إلى الله تعالى وحده  
وخالقه ومدبّر شؤون حياته ومماته، وكان ممّا يطيب الله تعالى، التفويض  
الكلي والإنابة إليه سبحانه وتعالى.

وقد ركّز ابن جمعة في شعره على هذا المعنى الديني فتراه يحثّ المتلقّي على الرضا بقضاء الله وأنّه يقضي ما يشاء لعباده كيف يشاء، وألاً ملجأً إلاّ إليه ولا ينازعه ولا يجادل قضاءه إنس ولا جانّ، فالأولى الرضا بقضائه وقدره والإنابة إليه تعالى ويفهم هذا في قوله:

الله حيّ والقضاء كتابه \* والمرأ يحيا والدعاء وطابه  
لا يرتضي طعم القضاء من الورى \* إلاّ التقيّ ولو أتاه عذابه  
كلّ يحب الخير طول حياته \* لكنّ من ترضى رضا ألبابه  
كلّ الجمال لدى القضاء إذا بدا \* في كلّ شأن تجتلى أسبابه  
من ذا الذي يعطي الهواء طلاقة \* ويسكن الخطب الشديد جنبه  
وتغيّر الأحوال في ألوّانها \* وتبدّل الأحداث حقاً دابه  
لو نحتطي بالقرب من أبوابه \* فتُحسّ لنا ميمونةً أبوابه (٢٣)

ويبدووا جلياً هنا أنّ الشاعر يستمدّ قوله هذا من قوله تعالى: {يا أيّها النّفس المطمئنة\* ارجعي إلى ربّك راضيةً مرضيةً\* فادخلي في عبادي\* وادخلي جنتي} (سورة الفجر، آية: ٢٧-٣٠). فكأنّ الشاعر أدرك معنى تلك الآيات القرآنية السابقة فعبر عنها في قالب شعري يحثّ المتلقّي على عزو أمور حياته ومماته إلى الواحد القهار كما يرغبه في الرضا بالقضاء ولا يرضى بقضاء الله إلاّ المتّقون، وأن رأس الحكمة تقوى الله سبحانه وتعالى، فكأنّ الذي لا يرضى بقضاء الله ولم يرجع شؤونه

إليه لا يريد أن يدخل في حصن عباده المتقين ولا يريد جنّته العالية (ما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضلّ ضلّالا مبينا) (سورة الأحزاب، آية: ٣٦).

وفي قصيدة أخرى ينادي شبّان الأمة الإسلامية الجيل الإسلامي إلى الرجوع إلى الله تعالى والإنابة إليه وإنّه يصون عهدا بينه وبينهم، وإنّه يؤتي سؤلهم ويزيدهم قوّة إلى قوّتهم حيث يقول:

إلى الله قوموا شباب الهدى \*\* وهبوا إليه بكل القوى  
إلى الله ربّا يصون العهدو \*\* د أدوا إليه حقوق العلا  
أندرون ما حقّ تلك العلا؟ \*\* بدار! وجهد! وقصد المنى  
فقد كان في الفضل مبنى جميل \*\* ولكن لمن قد بنى وسعى  
أروني سحابا يجود النضار \*\* أروني أعمى يقود الورى  
أما كان في الشاب نفس تثور \*\* أما كان في التمر ذاك النوى  
لقد بات ويل بهذا الكسول \*\* يمّي الضمير وصول الدرّى<sup>(٢٤)</sup>

### ٣- الزهد عن الدنيا وزخرفها الزائل:

قرّر الشاعر ابن جمعة هذا المعنى في شعره فتراه يحوّف المتلقين لمعان الدّنيا الزائل وإنّه كسرابٍ يحسبه الظمآن ماءً وأن نعيمها فانٍ، وأنّ من عاداتها تخفض العالي وتعلي من سفلى، ولماذا لا يستقلّونها ويقلّلون

رغبتهم فيها ويحتقرون نعيمها الموقّت لئنالوا رحمة العزيز الوهاب الديموميّة  
حيث يقول:

هي الدنيا تخيف لكلّ حال \*\* وتشعر ساكنيها بانتقال  
وتسقيهم هموما في معاشٍ \*\* وتوهمهم خلودا بالخيال  
وتفتنهم وحتّى في سرور \*\* وتؤذهم وحتّى في المقال  
وتلبسهم مكاره دائّـمات \*\* ولو تدني لهم كنز النوال  
وكم نقص يزيّن في ازدياد \*\* وكم ذل يحسّن في المعالي  
وقد تمسي بكل الحرّ جمرا \*\* وتصبح كالحضار على ابتدال  
فما أدراك دنيانا أخـي \*\* هي الآلام ترفل في جمال (٢٥)  
كما يصوّر الشاعر المركزي عشاق الدّنيا أنّهم يتيهون في طلب  
السّرّاب وأنّي يجدونه؟ وكأنّهم يتخبّطون في ظلمات الليل إذا يغشاها  
وكيف يهتدون السبيل! يتيهون في ظلمات بحر لجّي يغشاه موج ومن  
فوقه موج وكيف يسبحون في مثل ذلك البحر! فمن لم يجعل الله له نورا  
- والله- فما له من نور، بل إنه يضيع العمر في طلب اللّثالي وفي ذلك  
يقول:

أرى الدنيا بحـرا عميقا \*\* وعاشقها يتيه بها غريقا  
فمن موج إلى موج يقاسي \*\* ويقلّب بالقضاء بها رقيقا  
فمن رضي التبخر فهو حرّ \*\* ومن رضي التقهقر لن يفوقا



ولذّتها تقول إلى التّـياعِ\*\* ورونقها نشاهده بريقا  
 وكم قتل بها من غير غزو\*\* وكم سلم يكون بها حريقا  
 لدى قوم تكون حديث شكر\*\* أنت قوما تشقّهم شقوفا  
 فوالله العظيم لقيت دارا\*\* بداخلها ظلامٌ لن يفيقا (٢٦)

### المحور الثالث: القيم الشعورية في النماذج المختارة:

الأفكار: إن الهدف من دراسة النص الأدبي هو الوقوف على إبداعات الأديب شاعرا كان أو كاتباً في نصه وما تجلّى فيه من جماليات تبدو في دقة التعبير وروعة التصوير وحسن التركيب وجمال الموسيقى كما تبدو فيما تحويه الألفاظ والتراكيب والصور من تجارب صادقة وعواطف جياشة ومعان نبيلة وأفكار جليلة جعلت القارئ يفعل بها ويتأثر مثلما يفعل بها الأديب، ومن خلال إجراءات دراسة أدبية على نص أدبي معين سيرزنا ما يمت بينه وبين صاحبه بصلة وتيدة. (٢٧)

وأما الأفكار في العمل الأدبي فهي مضمون كل جنس أدبي ومحتواه، وهي المعاني التي تعبّر عنها الصياغة الفنية، وهذه الأفكار تتواضع على مقاييس جمالية تنهض في سطور تالية:

- انعدام التنافر والتناقض بين الأفكار في نص واحد، ولكنّ هذا، لا يتحتم إلا إذا كان الأديب واعياً متيقظاً ومحيطاً بالموضوع الذي يتناوله ويتعطاه.

- براءة الخروج عن إطار المبالغة إلى حدّ الإحالة والتغالي والإفراط .
- البعد والتجنب عن التدقيق في الأفكار التي يجعل لها سمة الفلسفة والتي هي غامضة بطبيعتها.
- وجود التوحد والتمسك بين أجزاء الأفكار وتلاحم بعضها بعضا من دون التفكك والتشتت حتى لا يتداخل الخلل في التناسق والترتيب والتأليف.<sup>(٢٨)</sup>

إذن، فمن هذه النافذة نرى الأفكار في هذا النموذج الأول نصبت واضحة مترابطة متماسكة متسلسلة يفضي بعضها إلى بعض حيث أخذ الحديث بلفظ الجلالة (الله) الذي كان أجل اسما وألين نطقا وأشرف تركيبا وأمنع تصريفا وانشقا بل ينفرد فيه سبحانه وتعالى عن جميع الوجود في أفعاله وفي صفاته وهو الذي يصون الكون جميعا، لذلك ينادي الشاعر بصوت رفيع مجلجل قائلا: "الله اسم لا يهون وديعة" ومن هنا يمكن رصد الفكرة العامة أو الرئيسية التي يأمل هذا النص الأدبي بسطها إلى أنظار المتلقين:

أنه كان من المقطوع الذي لا زيف فيه أن المؤمن الصادق المصدوق يعتقد بوجود الله تعالى في كل وقت وفي كل مكان وأنه أوجد الكائنات ويصونها وسوف يفنيها من هذه الحياة وذلك بلا انجدال. "هو الله الخالق البارئ المصور له الأسماء الحسنى... " (سورة الحشر، آية: ٢٤).

وقد يكون من اليسر تجزئة هذه الفكرة العامة وتشعيبها إلى أفكار جزئية، ولعلها تشفي الغليل وتبرئ العليل وتكون الأفكار واضحة وتتواصل إلى السر النفسي والعقل الباطني والقيمة المنشودة من خلال هذه الأفكار، ولهذا يسطر الباحث تلكم الأفكار الجزئية في نقاط تالية: (٢٩)

- أن أعظم أسماء الله تعالى هو الله .
- وأنه يحفظ الأرواح في يقظتها وفي منامها وفي حلها أو في ترحالها.
- وأنه يغيث المضطّرّ إذا دعاه كما يعين العبد الضعيف إذا رجاه.
- وأنه لا يوجد مثله في الكون.
- وأنّ الحياة بدونه باطل. (٣٠)

وأما الفكرة العامة في النموذج الآخر فإنّ الشاعر يقرّ بفردية الله تعالى وألوهيته وأنه هو الخالق العظيم والمدبّر الجليل لشؤون الكون كلّها وأنه هو في الشأن في كل يوم. ومن هنا يمكن رصد الفكرة الجزئية انطلاقاً من الفكرة الرئيسية في السطور التالية :

أنّ الله تعالى ليس له ولد ولا مولود، وليس له أب ولا أمّ بل هو فرد في عرشه وفرد في ذاته وفرد في جلالته وفرد في أسمائه وفرد في صفاته وفرد في أفعاله.

وأنّ الله تعالى جوهر كل الوجود.  
وأنته هو مدبر الحياة طولا وعرضا يمينا وشمالا أماما ووراء.  
وأنته لا يخفى على الله شيء في الأرض ولا في السماء.  
وأنته تعالى ذو البر الكريم وهو اللطيف الخبير لعباده المحسنين.<sup>(٣١)</sup>  
وفي الإنابة إلى الله تعالى يمكن تتابع الأفكار الرئيسية في النماذج  
المختارة فيها إلا أنّ الفكرة الرئيسية في النموذج الأول هي أنّ القدر  
والقضاء موضوعتان من تلقاء الرحمن ولا يرضى بهما إلا المؤمنون المتقون  
كما لا يغيرهما إلا الدعاء. وأما الأفكار الجزئية فيه فهي:  
أنّ الإنسان جميعا لا يريدون إلا الفضل والخير.  
وأنتهم يعيشون في هذه الحياة بين شيعين اليسر والعسر أو السراء  
والضراء.

وأنّ حقّ المؤمن عزو أمره جميعا إلى الله في كلا الحالتين.  
وأنته من تعرّف إلى الله في السراء تجده تجاهه في الضراء.  
وأنته من قرع أبواب رحمة الله تعالى بالدعاء الدؤوب والأمل السديد  
تجدها مفتوحة بغير النضال.<sup>(٣٢)</sup>

وفي النموذج الثاني فالفكرة العامة التي يريد الشاعر بثها على المتلقين  
الأعزاء فيشعرون بما هو يشعر به وينفعلون كما ينفعل هو، هي القيام

والانتفاض إلى حقوق الله تعالى والاحتفاظ عليها، كما أنه يصون حقوقنا دائما.<sup>(٣٣)</sup> وفي تعداد الأفكار الجزئية يمكن سردها في النقاط التالية:

أنّ العبادة لا يجوز صرفها إلاّ على الله تعالى كذلك لا يجوز الرجاء والاستعانة بغير الله.

أنّه ينبغي للإنسان أن يجتهد إلى الله تعالى بكل قواه رغبة الخير عنده تعالى ودفع الشر منه.

وأن أيادي الله تعالى وبركاته لا تمنح مجاناً.

وأنّ الكسول يضيع العمر في طلب المعالي.<sup>(٣٤)</sup>

وعند ما لجأ الدارس إلى نقطة الزهد عن الدنيا وزخرفها الزائل في اتجاه الشاعر ابن جمعة أربي الديني لدراسة الأفكار الرئيسية والجزئية في النماذج المعروضة فيجد الفكرة العامة في الأمثلة الأولى والثانية أنّها واضحة لا غموض فيها، وهي أنّ الدنيا سموم المتقين ولحوم المفرطين وسجن المؤمن وجنة الكافر. وأما الجزئية يمكن رصدها في الآتي:

أنّ الدنيا تحيف في حكمها دائما على الناس وتجوّر.

وأنّها لا تستقرّ على حالة واحدة.

وأنّها تعلي أقواما وتخفض أخرى وتعزّ أناسا وتذلّ أخرى.

وأنّ الاعتماد على خيرات الدنيا سراب.<sup>(٣٥)</sup>

وفي النموذج الثاني تكون الفكرة الرئيسية فيه أنّ قاتل النفس البريئة عمداً من أعمال الشيطان وبالتالي لا يجلب ذلك إلاّ عذاب جهنّم وسأئت مصيراً. وأما الأفكار الجزئية فيه فتتجلى فيما يلي:

أنّ الحلال بيّن والحرام بيّن وأنّ قاتل النفس محرّم من الله تعالى.

وأنته تعالى قد كرم بني آدم فجعل رزقهم من الطيبات.

وأنته تعالى لا يغفر الذنوب المجنية عمداً.

وأنت المجتمع الإنساني الذي تفتشّى فيه أعمال الشياطين الملعونة يفقد ويفتقر الأمن والسلامة.<sup>(٣٦)</sup>

### العاطفة :

هي مشاعر الأديب وأحاسيسه التي يمزجها بالأفكار بل هي العنصر الأساسي الذي تنتمي إليه الأجناس الأدبية شعراً كان أو نثراً، وهي الحالة المثيرة التي حركت روح الأديب وجعلته يطرق موضوعه معبراً عن مشاعره وأحاسيسه، وهذه العاطفة كذلك تجعل المتلقي يفعل مثلما انفعل الأديب بحيث لا يملك إلاّ التجاوب معه والتلّي لدعوته والتعاطف مع مشاعره.<sup>(٣٧)</sup> لكن إذا تفكرنا في الظروف والوقائع التي أنجبت تلك النماذج الشعرية المختارة في المجموعة الأولى - تعظيم الله تعالى ووحدانيته - المنبثّة لأحاسيس الشاعر والمتهيّجة لعواطفه حتى انشغلت خلجانه ألاّ يجد بُدّاً من الفرار والانفلات من تلك الظروف إلاّ

التجاوب معها، وهي أنّ الله تعالى هو الوحيد الذي لا يدع وداعة كما يصون الأرواح بدون مقابل، رفع السماوات السبع بلا عمد، وبسط الأرض بلا أركان، وخلق الخلق بلا أعوان عضدا "ما أشهدتهم خلق السماوات والأرض ولا خلق أنفسهم وما كنت متخذ المضلين عضدا" سورة الكهف، آية: ٥١. ولذا جاء الشاعر معبرا عن هذه المشاعر والعواطف الجياشة معاكسا للأحداث الواقعية المعاشة من لدنه، إذ إنّ العاطفة تكون جيّدة صادقة إذا كانت نابعة من التجربة الشعورية ومعبرة عما يجول في خلجان الشاعر، ومن هنا يمكن عدّ هذه العاطفة إلى عاطفة دينية محضة ولذلك يرى الباحث أنّ هذه العاطفة عاطفة دينية صادقة وتجرية شعورية حيّة نابعة من العقل الباطني من النفس الإنسانية.

وفي المجموعة الثانية يتحدّث فيها الشاعر عن الإنابة إلى الله تعالى وعزو الأمور الدنياوية والأخراوية إليه تعالى والإيمان بقضائه وقدره خيره وشره. وهذا هو الاتجاه الديني المحض، فتكون العاطفة دينية صادقة. وفي المجموعة الثالثة التي يتكلم فيها الشاعر عن الزهد في الدنيا وزخرفها الزائل فالشاعر ابن جمعة أرببي قد عايش حقارة الدنيا الفانية ثمّ يريد بثّ ما انفع به عقله الباطني وأحاسيسه الداخلية حتى ينفع المتلقّي ويشعر بما يشعر به الشاعر أنّ الدنيا دار لا خلود فيها وبالتالي لا ينبغي أن يغرّ الإنسان بنعيمها لأنّه زائل. وهذه العاطفة ما هي إلاّ عاطفة دينية صادقة.

### المحور الرابع: القيم التعبيرية في النماذج المختارة:

الألفاظ: قد يكون خليقا بالباحث وهو في الحديث عن قيمة الألفاظ في تأدية المعنى في الأعمال الفنية أن يشير إلى أن النثر الفني لم يحظ حظا كبيرا من الدلالات الإيحائية والمعاني الظلالية والإيقاعية - وعلى أية حال - إن للألفاظ جوانب هامة في خلق النص الأدبي، ولكن مما لا مرية فيه أن لكل أديب معجمه اللغوي الذي يجول فيه وينتقي منه الألفاظ التعبيرية عن جوانب نفسه وخلجان قلبه وخفايا روحه. أدق تعبير، وينظر الدارس وظيفته تلك الألفاظ في داخل النص لا من خارجه ليتأمل دقتها وإيجاءاتها واشتقاقاتها ومدى تعبيرها ودلالاتها عن الموضوع المتناول، ودلالاتها عن نفس الأديب.<sup>(٣٨)</sup> ومن هذا المنطلق يجد الباحث أن الألفاظ في النماذج المختارة كلها امتازت ببساطة الألفاظ وسهولة أجزاسها ووضوح دلالتها، لأنها نصوص في تعظيم الله تعالى، وفي الإنابة إليه سبحانه وتعالى، والزهد عن الدنيا وزخرفها الزائل، وفي الحثّ إلى الاتّحاد والالتحام، ولم يكن هنالك حاجة إلى انتقاء ألفاظ صعبة معقدة غير مؤدية المعنى المراد، أو التي تكون عائقة دون تحقيق الهدف الأساسي الذي ينساب من نفس الأديب، والذي يسوقه إلى القراء المتلقين. ولهذا وذاك يجد القارئ الجليل عدّة كلمات يقف على معانيها الشريفة مباشرة دون احتياج إلى أيّ معجم عربي ما! وذلك



لوضوح دلالتها وقرب مأخذها وبساطة معانيها وسهولة ألفاظها وخفة نطقها ورنين جرسها. لكن هذا لا ينفي أن الدارس لا يجد بعض دلالات إيحائية في النص تميّزه عن كلام عادي وتمتّ بينه وبين بقية الباقية من الأجناس الأدبية بصلة.

يلاحظ الدارس في قوله:

الله اسم لا يهون ودیعة\*\* والذود عن أرواحنا والزاد<sup>(٣٩)</sup>

إشارة إيحائية وأمانة ضمنية إلى أنّ الله تعالى هو الأوّل وليس قبله شيء وهو الآخر وليس بعد شيء والظاهر وليس فوقه شيء والباطن وليس دونه شيء، وهو المهيم على جميع البرايا إنسا كان أو جنا جمادا كان أو نباتا. ومن الدقة الموجودة في هذا التعبير أنّه اختار أفضل أسماء الله تعالى وهو (الله) في بداية تلك الأبيات إشعاراً منه أنّ خير الأسماء هو الله، وبالتالي يقترّ ألوهية الله تعالى له لأنّه خالق الكون وما فيه جميعاً. ومما يوقف الباحث أيضاً من دلالة إيحائية قول الشاعر:

يا أصيلاً تعود إليه الأصول\*\* وأساساً تتول إليه الفصول<sup>(٤٠)</sup>

إشارة موحية إلى أنّ جميع الكائنات سيكون مناجم بلا ريب إلى الله تعالى، فالآباء والأمهات هم أصول أبنائهم، والعلماء هم أصول تلاميذهم، والرؤساء هم أصول المرؤسين...، فكل هذه الأصوليات ستعود يوماً من الأيام إلى أصل الأصول الحقيقي وهو سبحانه وتعالى.

ومن دقة تعبيره وإشارته الموحية قوله:

الله حيّ والقضاء كتابه \*\* والمرء يحيى والدعاء وطابه (٤١)

إشارة إلى أنّ الله تعالى أكرم خلق كل شيء وأحكمه من قديم الزمن فجعله في كتابه أسماء بالقضاء والقدر، ولا يغير ذلك الكتاب إلا الدعاء ولا يؤمن بهما إلا المؤمن النقي الذي لا يريد إلا رضا الله تعالى ورسوله الكريم صلى الله عليه وسلم ويتبع أوامره تعالى وينتهي عن نواهيه في السر والعلن.

ومن الإشارة الموحية قوله:

أرى الدنيا بحرا عميقا \*\* وعاشقها يتيه بها غريقا (٤٢)

إشارة إلى أنّ الدنيا بحر متلطم لا يستطيع إنسان أن يحوز كل ما يتمناه أو يرجوه فيها لذلك، لا ينبغي لأيّ إنسان أن يستغرق في طلبها وعشقتها ناسيا أمر دينه وآخرتة وذلك خير وأبقى. ومن ضمن هذه الإشارة الموحية قوله:

يا قاتل النفس والشيطان حاديه \*\* أتحسب القتل حلالاً أنت تاتيه (٤٣)

إشارة إلى أنّ قاتل النفس البريئة فليس له إخوة إلا الشياطين فكان عاقبتهما أنّهما خالدين في النار ذلك جزاء المجرمين. ومن ضمن هذه الإشارة أيضا قوله:

أجلّوا بينكم أهل السداد \*\* يقودكم ويرشدكم إمام (٤٤)

يوحى هذا البيت إلى أنّ القوم لا يصلح حالهم ولا يستبّ أمرهم إن لم يكن لهم رئيس مخلص ورجل رشيد، لأنّ فلاحهم كان في حسن اختيارهم للرئيس المخلص والإمام العادل. ومنها قوله أيضا:

جعلت الوعظ ذكرا للعيوب \*\* فكان أدأؤه بعث الذنوب (٤٥)

يوحى هذا البيت إلى أنّ تقديم الوعظ والإرشاد للناس ليس فرصة سانحة في تذكّار عيوب الناس وشتّم بعض البرايا، فإنّما الوعظ من الدين، والدين هي النصيحة، ولكنّ الذي يشتم بعض الناس في الوعظ فإنّ الدين الإسلامي بريء منه وهو أيض برئى من الدين.

ومجمل القول بعد هذه الجولة القصيرة، إنّ دراسة الألفاظ تبرز للباحث أنّ الشاعر ابن جمعة أربي وُفق في اختياره لهذه الألفاظ لأنّه ينتقيها في قالب فني ومعجم إسلامي ينطبق مع هذا الاتجاه الديني، وبالتالي تصور تلك الألفاظ نفسيته وعلاقته مع مولاه تعالى وعنايته بهذا الدين الحنيف ونحو المجتمع الإسلامي، فأكثر الألفاظ الواردة في النماذج المختارة هي: الله، الربّ، الكريم، الرازق، الواحد، المولى، النبي الهدى، العهد، المؤذن، عفو الإله، النفس، السلام، الاتّحاد، الصفح، الإصلاح، ألفاظ إسلامية ومعجم ديني تصوّر كنه اهتمامه وعنايته بالإسلام وتبيّن مأساته نحو تقهقر وتراجع هذا الدين الحنيف ومجتمعه الإسلامي إلى الوراء دائما.

### الأسلوب :

هو اتجاه الأديب وطريقته الخاصة في التعبير واستعمال اللغة وبناء العبارة فهو يختلف باختلاف الأديب وطريقته في تناوله موضوعا ما ! طبقا لموهبته وثقافته وغزارة علمه وبيئته وتأثره بالموضوع. إذن فالأسلوب يتفرع حسب السمات البارزة عليه وحسب المؤثرات التي تؤثر فيه ومع ذلك لا ينفي ولا يمنع جودة روح موحدة وأنماط محبوبة في أسلوب أدبي في انتقاء الألفاظ وتأليفها وترتيبها ثم تنميق الأفكار بعضها على البعض وطريقة معالجة الموضوع على نحو ما انقرد عن غيره<sup>(٤٦)</sup>.

وإذا نظرنا إلى الأشعار في تعظيم الله تعالى ووحدانيته لوجدنا أنّ الشاعر اعتمد إلى استعمال الجملة الاسمية وآثرها على غيرها في تحليل وصف الله تعالى وعظمته الخالدة، لأنّ هذه الجملة هي الوحيدة التي تستطيع أن تحمل تلك المعاني الإلهية الحقيقية التي يريد إقرارها الشاعر على المتلقين، وبالتالي تفيد هذه الجملة الثبوت والدوام والتجدد والتوكيد وغيرها من النكتة البلاغية التي أنشدها أساطين البيان وعظمة الله تعالى خالدة ثابتة.<sup>(٤٧)</sup> ومن قبيل هذه الجملة قوله: الله اسم لا يهون وديعة، وهو البديع بلاغة وعلاوة، كل الأسمي كالجماد وإنه... وغيرها من الأمثلة الواردة في القصائد السابق ذكرها. ويبدو أن الجملة الاسمية التي غلبت هذه القصائد هي بمثابة الأسلوب الخبري، وقد وفق

الشاعر إلى حدّ كبير في تعاطي هذا الأسلوب لأنّه يناسب موقفه الحاسم لإخبار المستمعين بصفات الله وأسمائه الحسنى وأفعاله الجليلة وأنه قادر على كلّ شيء وهو القوي العزيز. ومن الخصائص الأسلوبية في تلك النماذج الجملة الاسمية في قوله عند ما يصف فضائل الوضوء في مجموعة القصائد في الإنابة إلى الله تعالى:

يحطّ عن المرء آثامه\*\* إذا بلّ من مائه الرافد

وضّح الشاعر أن الآثام والذنوب تحطّ عند الوضوء فاستعان لهذا التعبير العجيب بالفعل المضارع الذي يفيد الحال والمستقبل (يحطّ) دلالة إلى أنّ الذنوب تمحى عن المرء في حاضره واستقباله مادام يتوضأ لصلاة الفريضة أو السنة. وفي مجموعة الأشعار في الزهد عن الدنيا وزخرفها الزائل استخدم الشاعر أيضا الأفعال المضارعة لتبيّن على المتلقّين أنّ الدنيا تسقي عشاقها ماء الهموم وتلبسهم لباس الدلّ والاحتقار حتى لا ينالوا منها إلا غرورا ولا من نعيمها إلا زوالا. عبّر عن هذه المعاني الحقيقية بالجملة الفعلية المناسبة، وهو المضارع الذي يفيد الاستمرار والتجدد والتوكيد حيث يقول:

وتسقيهم هموما في معاشٍ\*\* وتوهمهم خلودا بالخيال

وتفتنهم وحى في سرور\*\* وتؤذهم وحى في المقال

وتلبسهم مكاره دائِمات\*\* ولو تدني لهم كنز النوال<sup>(٤٨)</sup>

## الخاتمة

وفي خاتمة هذه الورقة يمكن القول بأن ابن جمعة أربي من خلال العروض السابقة الممثلة باتجاهه الديني وفق المحاور التي درسناها، ينجلي لنا تأثره بالقرآن الكريم والحديث النبوي الشريف وتعاليم الدين الإسلامي الحنيف، وكانت العقيدة الدينية راسخة في نفسه تنعكس ذلك بشكل واضح على تقديم فنّه الشعري وإضفاء لمسات روحية عليه أشعرته بالطمأنينة والصفاء، وكانت العلاقة بين الشاعر وربّه سبحانه وتعالى قويّة عميقة ماثلة ذلك للعيان في تعظيمه للخالق والإيمان بوحده وتبنيّه والإناثة إليه وفي الزهد عن الدنيا وزخرفها وفي الدعوة إلى الاتحاد والاتحام. وفيما يخصّ لغة الشاعر في هذا الاتجاه، فإنّها مفردات واضحة سهلة الألفاظ لا يضطر المتلقي إلى معجم عربي قبل الوصول إلى معناها وإلى الهدف الذي من أجله يساق ابن جمعة تلکم الأبيات وهو تحقيق القيم الأخلاقية والدينية في مجتمعه النيجيري بصفة خاصة والعالم الإسلامي بصفة عامة، لأنه يريد بثّ التقوى ونشر الصلاح بين جميع أفراد المسلمين . وثمة ملاحظة أخرى في اتجاه الشاعر الديني ينبغي الإشارة إليها، وهي أنّ أغلب أشعاره التي قال في هذا الاتجاه لم تكن قصائد طويلة وإنما عبارة عن سباعيّات شعرية لكي يصل المعنى والهدف إلى المتلقين بسهولة وبساطة ويسر. وفيما يلي النتائج التي توصل إليها الباحث مع التوصية:

- ١- أنّ الاتجاه الإسلامي هو الموسوم بالأدب الإسلامي أو التيار الإسلامي أو المذهب الإسلامي.
- ٢- وأنّ هذا اللون من الأدب موجود ومتوفّر في إنتاجات ابن جمعة أربي، وبالتالي أنّ أفكاره واضحة إسلامية وأساليبه سلسلة مناسبة للموضوعات المتناولة.
- ٣- استطاع هذا العمل أن يقدم على المتلقي بعض معلومات عن الشاعر لم يكن معروفاً أو معلوماً أو مسجلاً قبل هذا العمل.
- ٤- وأنّ الشاعر أربي ينتمي إلى الذين ينتسبون إلى نقد المجتمع وتقويم إعوجاجاته أو ما يطلق بالواقعية النقدية والاشتراكية.
- ٥- وأنه يسلك منهج الأدب الإسلامي في تقديم إنتاجاته الأدبية "ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة." وكانت النزعة الدينية حقراً وطاغية في شعره الإسلامي وبه يعدّ شخصية إسلامية تسعى إلى إرساء المعالم الدينية.
- ٦- وحرّي بالأدباء المسلمين أن يلتفتوا إلى هذا الفنّ، ويستعينوا به في تحقيق أهدافهم النبيلة، فينشروا القيم الإسلامية الصحيحة في مجتمعاتهم، ويحاربوا التصورات الخاطئة والمفاهيم المنحرفة ويوجدوا البديل الذي يغني عن قراءة الأعمال الأدبية العثة.

٧- وأخيراً، يرجو الباحث أن يضافر المجتمع الإسلامي في إيجاد أجيال يعنون عناية فائقة بهذا اللون من الأدب كما يرجو أن يستقرّ قدم هذا الفنّ ويؤتدّ قدمه في هذا المجتمع الإسلامي.

### الهوامش والمراجع:

١- عبد الباقي شعيب أغاكا، أساليب بلاغية في ديوان الأستاذ عبد الله بن فودي، إلورن، مركز المضيف للطباعة والنشر، ط/٢، ٢٠٠٥م، ص: ٢٦٧، ومحمد زغلول سلام، أثر القرآن في تطوّر النقد العربي إلى القرن الرابع الهجري، الإسكندرية، مكتبة الشبان، ط/١، ١٩٥٢م، ص: ٣٣٤

٢- أهمية الأدب الإسلامي وضرورته [www.alukah.net](http://www.alukah.net) 10/06/206 .

٣- ابن منظور جمال الدين محمد بن مكرم ، لسان العرب، بيروت، دار الصادر، (د.ط وت)، م/١٣، حرف الهاء فصل الواو، ص: ٥٥٧

٤- أحمد محمد الحملاوي، شذا العرف في فنّ الصرف، دار الكيان للطباعة والنشر، ط/١، (د.ت)، ص: ١١٤

٥- ابن منظور...، م/١٣، حرف الهاء فصل الواو، ص: ٥٥٨

٦- محمد فريد وجدي، دائرة معارف القرن العشرون ، م/١٠، بيروت لبنان، دار المعرفة للطباعة والنشر، ط/٣، ١٩٧١م، ص: ٦٤٥



٧- مُحمَّد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، مختار الصحاح، مكتبة لبنان ط/١، ١٩٨٦م، ص: ١١٤

٨- الزبيدي، مُحمَّد مرتضى الحسيني الواسطي، تاج العروس من جواهر القاموس، المطبعة الخيرية، مصر، ط/١، ١٣٠٦هـ، ص: ٤٣٠

٩- مجدي وهبة وكامل المهندس، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، بيروت، لبنان، مكتبة لبنان للطباعة والنشر والتوزيع، ط/٢، ١٩٨٤م، ص: ٣٤٦

١٠- مجدي وهبة...، ص: ١٢٨

١١- أميل بديع وميشال عاصي، المعجم المفصل في اللغة والأدب، بيروت، لبنان، دار العلم للملايين، ط: ١، ١٩٨٧م، المجلد الأول، ص: ٤٧٠

١٢- جبور عبد النور، المعجم الأدبي، دار العلم للملايين، ط/٢، ١٩٧٩م، ص: ٨٠

١٣- أميل بديع...، ص: ١٢٤٨

١٤- مجدي وهبة...، ص: ٤٠٦

١٥- مُحمَّد التونجي، المعجم المفصل في الأدب، الجزء الأول، بيروت، لبنان، دار الكتب العلمية، للطباعة والنشر والتوزيع، ط/٢، ١٩٩٩م، ص: ٢٩٦

١٦- مجدي وهبة...، ص: ٧٠

\*١٧- ابن إبراهيم الجهيمان، اتجاه الشعر الإسلامي في العصر العباسي

الأول، جامعة الأزهر بالقاهرة، ط/٢، ١٩٧٤م

\*حمد بن فهد الخنفرى القحطاني، الاتجاه الإسلامي في شعر محمد بن سعد

الدبل، جامعة مؤتة، (د.ط)، ٢٠٠٨م

\*محمد علي سيد أحمد داؤد، الاتجاهات الفنية في شعر إيليا أبو ماض،

القاهرة، مكتبة سعيد للاله الكاتبة بدمهور ط/١، (د.ت).

\*محمد بن عبده بن محمد شبيلي، الاتجاه الإسلامي في الشعر السعودي

الحديث، بحث مقدم إلى جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية،

كلية اللغة العربية، المملكة العربية بالرياض، لنيل درجة

الماجستير، ١٩٨٥م.

١٨- حامد محمود الهجري، الاتجاه الإسلامي في روايات نجيب الكيلاني،

بحث مقدم إلى قسم اللغة العربية، كلية الدعوة الإسلامية، الجماهير

العظمى، لنيل درجة الماجستير في اللغة العربية، ٢٠٠٧، ص: ٢

١٩- محمد حسن بريغش، الأدب الإسلامي أصوله وسماته، بيروت،

مؤسسة الرسالة ط/٣، ١٩٩٦م، ص: ٣٩

٢٠- مقابلة شخصية مع الشاعر عبد الواحد جمعة أربي في مكتب

الكمبيوتر في الحرم المركزي، لاغوس، يوم الاثنين ١٩/٠٨/٢٠١٣م.

٢١- عبد الواحد جمعة أربي، وحي السباعيات، ديوان الشعر، لاغوس،  
دار النور للطباعة والنشر، ط/١، ٢٠١٣م، ص: ١٥.

٢٢- عبد الواحد جمعة أربي، وحي السباعيات...، ص: ٣٠٣.

٢٣- عبد الواحد جمعة أربي...، ص: ١٣٦

٢٤- عبد الواحد جمعة أربي...، ص: ٣٩

٢٥- الحديث النبوي، صحيح البخاري، ص:

[www.ebadalrehman.com](http://www.ebadalrehman.com) 20/09/2015 ١٥٢١

٢٦- عبد الواحد جمعة أربي...، ص: ٢٥١

٢٧- عبد الواحد جمعة أربي...، ص: ٢٥٥

٢٨- عبد الواحد جمعة أربي...، ص: ٧٧

٢٩- حسين عليّ مُجّد...، ص: ٣١٨

٣٠- صدوق نور الدين، كيف تحلل نصا أدبيًا، دار القلم للطباعة والنشر

والتوزيع، (د.ط وت)، ص: ٣٥

٣١- عبد الواحد جمعة أربي، وحي السباعيات...، ص: ٣٠٣

٣٢- عبد الواحد جمعة أربي...، ص: ١٣٦

٣٣- عبد الواحد جمعة أربي...، ص: ٣٩

٣٤- طريق تحليل النصّ الأدبي، [www.sbaalllangues.alafdal.net](http://www.sbaalllangues.alafdal.net)

10/06/2016

٣٥- عبد الواحد جمعة أربي...، ص: ٢٦١.

٣٦- عبد الواحد جمعة أربي...، ص: ٢٥١، ٧٧، ٢٣، ٦٢، ٩١، ٢٥٥، على الترتيب.

٣٧- علي عبد الحكيم محمود، النصوص الأدبية تحليلها ونقدها، شركة مكاتب عكاظ للنشر والتوزيع، ط/٢، ١٩٨٢م، ص: ٣١.

٣٨- تحليل النصوص الأدبي، 11/06/2016 [www.rabitat-alwaha.net](http://www.rabitat-alwaha.net)

٣٩- أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، البيان والتبيين، بيروت، دار صعب، (د.ط.وت) ص: ١٣٨-١٣٩.

٤٠-٤٦- عبد الواحد جمعة أربي...، ص: ٣٠٣، ١٣٦، ٣٩، ١٥٢، ٧٧، ٢٣، ٢٨٠، ٩١، على الترتيب.

٤٧- عبد الباقي شعيب أغاكا، المطارحة بين الوزير جنيد بن محمد البخاري ونجله الدكتور ثبو ولي بن جنيد، جامعة عثمان بن فودي ط/٢، ١٩٩٩م، ص: ١٥٢.

٤٨- يوسف إسماعيل، البنية التركيبية في الخطاب الشعري، دمشق، اتحاد الكتاب العرب، ط/١٠، ٢٠١٢م، ص: ٢٦.

## تجليات المظاهر الشفاهية في رواية الحمار الذهبي لأبوليوس

إعداد

أ.د. شعيب

جامعة أبي بكر بلقايد/ تلمسان - الجزائر

[meg\\_chaib@yahoo.fr](mailto:meg_chaib@yahoo.fr)

### الملخص:

لوكيوس أبوليوس (Lucius Apeleius) أو آفولاي هو واحد من الذين لمعوا في ميدان الأدب اللاتيني، إلا أنه فاقهم جميعاً من حيث غنى معارفه، وتنوع كتاباته، خاصة الكتابات القصصية والروائية. ومن ثم عُدَّ آفولاي بحق ممثلاً للسرد اللاتيني الإفريقي، ووُصف بأمير خطباء إفريقيا حيث كان أكثرهم نفوذاً وشهرة في عصره، حتى ولو لم يلتفت إليه معاصروه من الأدباء ولم يتحدثوا عنه.

إنَّه روائي العصور القديمة الأول بلا منازع ومؤسس الرواية، لا بمعنى السرد وإنما بالمعنى الاصطلاحي الذي يتشكل من بطل وأحداث وعقدة وشخصيات وفضاء وزمن.

هذا الفن الذي صار بعد ذلك نمطاً أدبياً متميّزاً عن غيره من الأجناس الأدبية وهو فن الرواية. وتعد رواية آفولاي "الحمار الذهبي" أول رواية قديمة وصلت إلينا كاملة، وشكلت جنساً أدبياً جديداً، هو

الجنس الذي يعرف اليوم بالرواية، وتضم هذه الرواية مجموعة من القصص يرويها المؤلف بضمير المتكلم. كما تعد الرواية، في واقع الأمر، محاكاة ساخرة تنتمي إلى نموذج قصة المغامرات أو المخاطرات، ومن ثم يبدو أن التحول الساخر من إنسان إلى حمار له صلة بالجنس الأدبي يعتمد التحول كنهج للتعبير النثري. إنها رواية تجمع بين السخرية والاستعراضية والفكاهية والهزلية الماجنة والنكات والنقد اللاذع. والرواية هي أول نص روائي في تاريخ الإنسانية. و قد وصلنا كاملاً، وهناك أعمال قبله لكنها وصلت ناقصة.

ومقالنا هذا، محاولة لرصد تجليات المظاهر الشفاهية في هذا العمل الأدبي الإبداعي بوصفه أول نص روائي فانطاستيكي في الأدب العالمي. وسنقوم بتظهير هذه الخاصية انطلاقاً من الوقوف عند تمظهرات الشفاهية في الرواية من مثل: بنية التبادل، والموقفية وغياب المبررات؛ انطلاقاً من أن الحوار الطاعني في الرواية يؤكد مظهراً شفاهياً مؤسساً، ممّا قلّل من وجود الحوار الداخلي، فضلاً عن بنية الإطناب بحكم ارتباط مختلف مظاهره كالاستطراد والتكرار بوضعية المشافهة.

### تمظهرات الشفاهية في رواية الحمار الذهبي لأبوليوس

والواقع إذا كانت الكتابة جاءت لترسخ المستوى التقني للمجتمع في مرحلته التطورية، فإن الشفوية أنتجت لها قوانين مؤثرة كثيراً في

العملية التواصلية بين البشر، ومن هنا تعجز الكتابة عن نقل جماليات التعبير الشفوية وتقنياتها، مع أننا ندون كل شيء مهم ونسجله، فهل يمكن للكتابة تدوين الشفوية، أو هل نستطيع نقل التراث الشفوي للمجتمع إلى تراث مكتوب؟

هذه الأسئلة وغيرها تبادرت إلى ذهني وأنا أطلع أول نص أحسبه روائيا في التاريخ الإنساني وهي رواية " الحمار الذهبي " لأبوليوس<sup>١</sup>، وقد بدا لي وهو ينقل إلى لغة عربية أنيقة لمترجم متمرس هو أبو العيد دودو<sup>٢</sup>، يرحمه الله، أن جمال وأناقة هذه اللغة لم تلغ مسوغات اللغة التي كتب بها النص الأصلي وهي مسوغات شفاهية القرن الثاني للميلاد، لأن اللغة العربية ذاتها تجسد المحصلة الكلية والطبيعية لاستراتيجية التواصل الإنساني في بساطة تفكيره أو ارتقاء فكره، كما قد يثير كذلك جدلية الثبات والتغير القانون الجوهري لأي لغة وهي تتحول من الشفاهي إلى المكتوب، على الرغم من ذلك فإن فهم العلاقة بين الشفاهي و الكتابي أمر ليس بسيطا، وخاصة في هذا العصر الكتابي الذي يصعب فيه إلى حد ما فهم عالم شفاهي التواصل أو شفاهي الفكر. فاللغة لها تقليد شفاهي ثابت مستقل عن الكتابة، إلا أن الكتابة تحجب عنا رؤية ذلك، فهل هذا يعني أنه في الوقت الذي نحلل فيه نظاما كتابيا لا نستطيع أن نمسك ببقايا الشفاهية، وهل أمكن للكتابة في كل مراحلها أن تستغني عن الشفاهية؟

لقد كان هناك افتتان منذ الإغريق باللغة في صورتها الشفاهية، من خلال عنايتهم بتطوير فن البلاغة التي كانت تعني الكلام أمام الناس، فوضعوا للخطابة قواعد نظمت مبادئها ومكوناتها، واتهم أفلاطون الكتابة بأنها غير إنسانية، وذهب سقراط إلى أنها تدمر الذاكرة، وأن أولئك الذين يستخدمونها سوف يصبحون كثيري النسيان، يعتمدون على مصدر خارجي لما يفتقدونه في المصادر الداخلية<sup>٤</sup>.

وحدثا ركز دو سوسير على أولية الكلام الشفاهي، مما يوحي إلى أن الكتابة هي من مكملات الكلام الشفاهي، وأنها نظام تصنيفي ثانوي يعتمد على نظام أولي هو اللغة المنطوقة، لأن التعبير الشفاهي وجد دون كتابة في حين أن الكتابة لم توجد قط دون شفاهة، وكأنها تعيد تقديم اللغة المنطوقة في شكل بصري، مما يؤكد أن الشفاهية ليست الطفولة الساذجة للكتابة، بل هي ضرورة لتشكيل الوعي البشري، أنتجت شروطا اكتسبت الكتابة من خلالها قوانينها الخاصة؛ لكنها ظلت (الكتابة) تتغذى بآثار العقل المنتج دوما للأحاديث الشفاهية وأهمها الحكيم الذي يرتبط ارتباطا نسقيا مع الفعل التواصلي.

ولفهم علاقة التواصل ضمن بنية الحكيم، يفترض أن تكون وراء كل رغبة محرك أو دافع يسميه "قرمصاص GREIMAS" مرسلا (destinateur)،



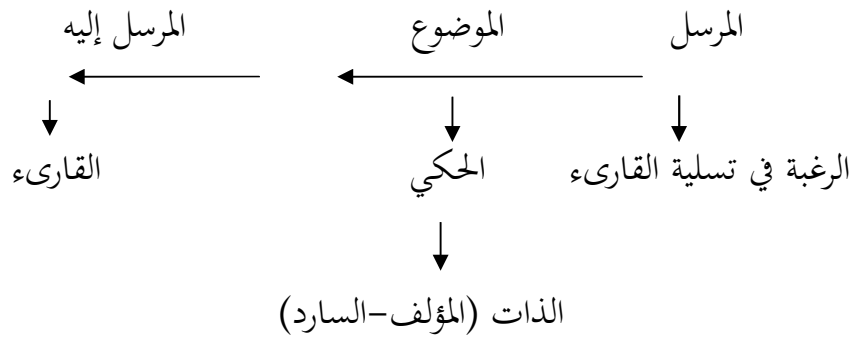
كما أن تحقيق الرغبة لا يكون ذاتيا بطريقة مطلقة، بل موجهة إلى عامل آخر هو المرسل إليه (destinataire).

كما أن علاقة التواصل بين المرسل و المرسل إليه تمر بالضرورة عبر علاقة الرغبة أي عبر علاقة الذات بالموضوع. ولما كانت سيميائية التواصل تهتم بالوظيفة الخاصة بالبنيات السيميائية التي هي التواصل، من حيث الوسائل المستعملة من المرسل للتأثير في المتلقي أي الدلائل القائمة على القصدية التواصلية، سوف يكون يسيرا علينا أن نكشف المظاهر الشفاهية في رواية الحمار الذهبي لأبوليوس ليس باعتبارها محاكاة للأداء الشفاهي، ولكن باعتبارها خطابا سرديا يكشف عن مشكلة تكيف السرد مع منظومة الكتابة في القرن الثاني للميلاد، والتي استمرت إلى غاية القرن التاسع عشر في أوروبا؛ حيث ظل المؤلف يميل إلى الإحساس بالجمهور أي المستمعين في مكان ما، وكان عليه أن يتذكر مرارا أن الرواية ليست لمستمع بل لقارئ.

وعلى هذا الأساس فإن رواية الحمار الذهبي على الرغم من أنها نص مكتوب، فإنها ظلت تحتفظ بسلطة شفاهية تجلت على كل المستويات أهمها الفعل السردية ذاته الذي يبدأ بعلاقة انفصالية بين الذات (السارد والؤلف) وموضوع الرغبة وهو الحكيم. وتتلخص الوضعية السيميائية في خطاب وجهه إلى القارئ ضمّنه رغبته في إمتاعه "بباقة من الحكايات

المتنوعة التي تدغدغ أذنك الصاغية برنين عذب، إذا كنت ممن لا يأنف من النظر في أوراق البردي المصرية التي كتبتها بقصب النيل، إلى درجة أنك ستعجب كيف يتخذ بعض الناس أشكالا غريبة ثم يستعيدون صورهم الأصلية على وجه مغاير<sup>٥</sup>.

تضعنا هذه المقدمة أمام خطاطة، السارد فيها هو المؤلف نفسه وهو عنصر داخل حكائي؛ لأنه يخاطب القارئ بضمير المتكلم كما يروي مغامراته الخاصة، واستنادا إلى هذا الملفوظ السردى يمكن توزيع أطراف الفعل السردى في هذه الرواية على النحو التالي:



ولتحقيق مشروع الرغبة يلجأ إلى وسيلة الإغراء فيقول له: " .. فانتبه، فإنك ستنال حظك من التسلية"<sup>٦</sup>. فبإمكاننا عدّ أسلوب الإغراء هذا جزءا من معرفة الفعل المستخدمة من السارد لأجل الحصول على موافقة ضمنية من المتلقي لسرد الحكاية، وذلك ما يؤكد شروره في تحيين مشروعه الذي هو الحكى، هذا الحكى الذي يبدأ بذكر

خروجه في رحلة تجارية جمعته برجلين يتحادثان ، فانتابه الفضول لمعرفة حديثهما، و في هذه اللحظة من السرد تدخل النص شخصية أرسطومنيس وبعدها يتخلى المؤلف عن السرد عندما يشرع أرسطومنيس في سرد حكايته، ويضطلع بدور عاملي جديد هو المساند، وتتضمن حكايته هو كذلك تجربة خاصة خرج فيها في رحلة تجارية جمعته بصديقه سقراط.

إذا ربطنا الفعل السردي هذا بمفوضه من حيث ارتباطه بالسياق الشفاهي، فسوف نقف على عدة ملاحظات أهمها:

- إن مخاطبة القارئ توهي بتقييد الشفاهي من خلال اعترافه بتعثره في لغة أجنبية من جهة، ومن جهة أخرى إحالته على مصدر الرواية اليوناني، فيقول: "لذلك أرجو أيها القارئ أن تعذرني إن تعثرت في هذه اللغة الأجنبية<sup>٧</sup> من حين لآخر.. إن هذه الحكاية التي سأبدأ بحكايتها يونانية الأصل"<sup>٨</sup>. إلا أن استحضار القارئ تمّ ضمن وضعية المشافهة التي حافظ فيها على أهمّ عامل من عوامل المقام وهو السماع "تدغدغ أذنك الصاغية برنين عذب"، كما يميل إلى خطورة تقييد الخطاب بالكتابة التي تحتوي على فقدان الغرض من الإخبار الذي هو التسلية في قوله: "إذا كنت ممن لا يأنف من النظر في أوراق البردي المصرية التي كتبتها بقصب النيل". وهي إشارة إلى تطور الكتابة حين

ارتقت وسائلها في مرحلة معينة من تاريخها، وعلى الرغم من ذلك، فهناك من يأنف من النظر فيها، بل إن موضوع التحول ذاته يوحى بتغير الجنس الأدبي من الملحمة الشعرية إلى الملحمة النثرية كما لاحظ الأستاذ غنيمي هلال<sup>٩</sup>. وفي إشارة المؤلف إلى الأسلوب المليزي الذي هو "أسلوب متنوع بين عدد من المستويات واللهجات الخاصة والعامة"<sup>١٠</sup> تعبير عن عدم الارتقاء إلى الرسمي الذي جسدت الكتابة مظهره الشكلي، أما إقراره بالتعثر في هذه اللغة وتبرير الرطانة بهدف التسلية، تأكيد على السياق الوجودي العادي للشفاهية مقابل ضمور العلامة الخاصة بالكتابة وهو سياق البنية اللغوية، وأن هذا الإنجاز الكتابي يضمن عبور الخطاب بواسطة الذاكرة التي ستتجلى تداعياتها من خلال فسيفساء من القصص المضمنة المرتبط وجودها بالفكر الشفاهي الذي هو فكر مشكل بالنصوص.

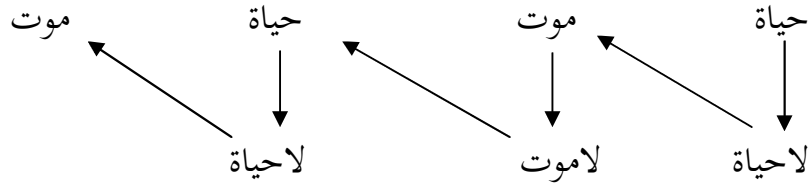
لقد استدعت الوضعية الشفاهية التي حملتها بداية الرواية آلياتها الخاصة، وموجهاتها الأساسية التي كانت في الوقت نفسه موجهات الحكي، ومن هذه الآليات الظواهر ما يلي:

١- **بنية التبادل:** ليست الذاكرة الشفاهية قادرة على تجميع مادة بحجم القصص المختلفة ومن المصادر المختلفة التي أشار إليها المترجم إلا بفضل آليات معينة تحفظ للفكر الشفاهي الديناميكيات النفسية التي

تسمح له بعملية التكبير المعبر عنه لفظيا داخل أنماط محفزة للذاكرة تدفع باتصال الوحدات الحكائية , ولما كان من الصعب على الإنسان التحدث إلى نفسه دون انقطاع، كما أنه من الصعب كذلك على السارد في الرواية أن يحكي بتتابع صارم ، كان من الطبيعي أن تسرب الوضعية الشفاهية أبرز مظاهرها البنية التبادل الحديث وسيلة لاستمرارية في الحكيم، وذلك عن طريق الحوار التجلي الأمثل للتبادل الذي يقتضي أن تكون هناك مشاركتان تحادثيتان "contrubutions conversationnelle" أي دورات كلام لمتحدثين أو أكثر. ورواية الحمار الذهبي تضع هذه الاستراتيجية منذ البداية سواء من خلال صيغة أيها القارئ المستمدة من محاورات سقراط التي كتبها أفلاطون وتأثر بها أبوليوس، أو من خلال الحوارات الحوافز التي توجه السرد، وتسهم في إنتاج الوظائف السردية والوحدات المختلفة للسرد، مثلما نلاحظه فب البداية حين لحق السارد المؤلف بشخصين يتحادثان وبعدهما تبرز وظيفة إنشائية سلبية في كلام أحدهما حين رفض أكاذيب صديقه التافهة، فيتدخل لوكيوس ويأمر الرجل بأن يترك صديقه يحكي ويدعو إلى تصديقه بواسطة الطلب قائلا: "هيا! أرجوك! استأنف رواية حكايتك!"<sup>١١</sup> وبعده بالمكافأة. وهكذا شكل الشروع في الحكيم وظيفة إنشائية إيجابية بعد قبول رواية الحكاية من أولها بدأها بالتعريف بنفسه ثم الخروج إلى التجارة.

نلاحظ أن تبادل الحديث الذي حصل والذي انتهت به وظائفه الإنشائية إلى الإيجاب شكّل موجهها أساسيا للسرد حيث يتخلى المؤلف بعد هذا الحوار عن الحكمي عندما يشرع أرسطومينيس في سرد حكايته، فيتحول بذلك إلى سارد من الدرجة الثانية، وتتضمن حكايته تجربة خرج فيها إلى رحلة تجارية التقى فيها مع صديقه سقراط وبعد سؤال منه مستفسرا عن حاله في قوله: " ما هذا يا صديقي سقراط، ولماذا هذا المنظر الغريب، ألا تحجل من نفسك " <sup>١٢</sup>. وللإجابة عن استفسارات أرسطومينيس يبدأ سقراط في رواية حكايته ليغدو بذلك ساردا من الدرجة الثالثة، وتتضمن حكاية سقراط هو أيضا خروجه في رحلة تجارية حيث يتعرض في طريقه إلى عصابة لصوص تسلبه ماله (فقدان التوازن)، ويتردد سقراط بعد هذه الحادثة إلى حانة العجوزميرو، فتحيطه بعطف وحنان أنساه مصيبته (إعادة التوازن) غير أن علاقته بها تتطور إلى مجرد انغماس في الشهوة والجنس تفقده صحته وتجعل منه رجلا متشردا (فقدان التوازن من جديد)، ونشير إلى أن الحكمي لا يخفي بنية التبادل حيث كان أرسطومينيس يقاطع سقراط أثناء الحكمي بالأسئلة والاستفسارات والتعليق ويستلم بعدها السرد ليروي قصته هو مع الساحرة بعد نومه هو وسقراط، حيث تمثل أمامه الساحرة ميرو وصديقتها وتقوم ميرو بقتل سقراط واستخراج قلبه، وعندما تخرج ميرو

وصديقتها من الغرفة، يشعر أرسطومنيس بالحيرة ويخشى أن تلصق به تهمة قتل سقراط فيفكر في طريقة تنجيه من ذلك، غير أن سقراط يستيقظ ويعود من موته مما يجعل أرسطومنيس يعتقد أن ما عاشه لم يكن إلا مجرد كابوس نتج عن إسرافه في الشرب، ويستعيد الرجلان نشاطهما العادي، غير أن أرسطومنيس سيعجب عندما يرى في عنق سقراط آثار الجرح الذي سببته الساحرة عندما طعنته بخنجر، وفجأة يتحول الجرح إلى ثقب كبير، ويموت سقراط للمرة الثانية، وعليه بإمكاننا تجسيد انتقال سقراط من الموت إلى الحياة ومن الحياة إلى الموت في هذا الشكل:



تنتهي قصة أرسطومنيس بموت سقراط ويعود إلى الحكيم مرة أخرى إلى المؤلف ليروي قصصاً أخرى.

نلاحظ كيف تؤسس بنية التبادل للمسار السردية، مما يدل على عدم التخلص منه كأبرز علامة لتأكيد الوضعية الشفاهية التي تبطن الحكيم، كما تعد موجهها أساسياً من موجهات الحكيم سوف يكون له دور في إدراك أوجه التشابه بالبنيات الحكائية العربية التي أسهمت الشفاهية كذلك وبشكل جلي في تشكيله وتمييزه البنيوي.

٢- **الموقفية وغياب المبررات النفسية:** إذا كان الحوار الطاعني في الرواية يؤكد مظهرها شفاهيا مؤسسا، مما قلل من وجود الحوار الداخلي ، فإنه على ندرته وكثرة الحوار الخارجي يعكس مظهرا آخر من مظاهر الفكر الشفاهي، وهو الموقفية حيث إننا لا نعثر في هذه الحوارات الداخلية والخارجية على مفاهيم مجردة بل مجرد مواقف تعبر عن التجربة اليومية للشخصيات مرتبطة بحالات نفسية آنية حتى إن التحولات الحديثة التي تأتي تكون فاقدة للأسباب مما أكسبها طابع السحرية واللامنطقية، ولا عجب في ذلك ما دام الفكر الشفاهي كما يقول أونج " تفكير سابق للمنطق و سحري بمعنى أنه مؤسس على نظم اعتقاد أكثر منه على الحقيقة العلمية"<sup>١٣</sup>. ويتجلى هذا على مستوى تناسل الأحداث دون تحليل منطقي لحدوثها، وربما هذا ما يفسر تضمين نصوص كثيرة؛ لأن فكر الثقافة الشفاهية فكر مشكل بالنصوص وليس بالمفاهيم، مما يؤكد أن الطريقة المتتابعة خطيا لم يمكن إنشاؤها إلا بالنصوص المضمنة. لا يعني هذا انتفاء العلاقات السببية الكلية؛ لأن بداية كل حكاية مضمنة بفعل الخروج واضطلاع السارد بمهمة التنسيق والتمثيل معا يؤكد ذلك؛ غير أن تلك الطريقة قد تعود إلى تداعيات الذاكرة لأن الشفاهية تستبطن الذاكرة و في الوقت نفسه تحددها في المكان وتثبتها، ما دامت الشفاهية تمتد في المكان أكثر من الزمان



بواسطة التغيرات والتكرارات التي تميّزها فيكتسب البلاغ بعدية بانية dimensionnalité . أو قصدية تداولية معلنة.

**٣- بنية الإطناب:** يرتبط الإطناب بمختلف مظاهره كالإستطراد والتكرار بوضعية المشافهة، إذ يقتضي حضور المخاطب لأن يسعى المتكلم إلى أن يوصل إليه أكبر قدر من المعلومات و الأخبار، كما قد يعتمد إلى التكرار الذي يكون فيه المتكلم بحاجة إلى أن يدير في عقله ما سوف يقوله في اللحظة التالية. ولقد مكنت الحكاية الإطار من استعاب كل أشكال الإطناب هذه، كما أن قيام البطل بمهمة السرد وتحوله إلى موضوع للحكي ثم إلى مروى له كان دافعا لكي يمارس قوانين التخاطب التي تحكم العلاقة بينه وبين المتلقي من إخبار وصدق وشمول وهي قصدية تداولية معرفية تقف إلى جانب قصدية التسلية التي أعلن عنها في البداية، ويظهر هذا خاصة في الأجزاء الأخيرة من الرواية. وبعد أن يحكي مغامرات لوكيوس الحمار يتوجه إلى القارئ اليقظ في قوله: " على أنك قد لا تلومني بصفتك قارئاً يقظ الضمير على قصتي وتعترض عليها كما يلي: كيف استطعت أيها الحمار الفطن أن تعرف وقد كنت مربوطاً إلى الطاحونة ما فعلته المرأتان خفية، فاسمع إذن.. " <sup>١٤</sup>

الالتفات إلى القارئ يحدث انقطاعاً على مستوى المسار السردى وهو من الناحية الوظيفية لا يقدم شيئاً طالما يستمر في ذكر ما فعلته

المرأتان خفية وهو ما تسبب في موت سيده؛ لكنه من الناحية التداولية يحيل إلى أنه في وضعية يقدّر فيها ردود أفعال المخاطب مثلما تقتضيه الشفاهية؛ بل إنه يقدر أحيانا حق المخاطب في ضرورة تحمله على كل ما يعرفه كقوله: " وإني لأذكر الآن أن هناك حادثة مريعة وقعت هناك بعد أيام قليلة، ومن حقكم أن تقرأوها ولذلك سأوردها"<sup>١٥</sup>. ومن موقع التأثير في المتلقي يستطرد بعد أسطر من بداية القصة بقوله: " عليك الآن أن تعرف أيها القارئ الكريم أنك تقرأ مأساة لا ملهاة، فتهياً لما يسبب لك الألم ويبعثك على الرزاة والجدّ "<sup>١٦</sup>.

ويستدرك في موضع آخر للقراء بقوله: "على أنني أريد الآن على الأقل أن أحدثكم بما كان علي أن أحدثكم به في البداية"<sup>١٧</sup> كما يكون أحيانا على دراية تامة بأنه يتكلم من منطلق القصصية التداولية المعرفية فيقول بعد استطراد طويل فيه حديث الفلسفة: "ولكي يعتب علي أحد ثورتي ويقول في نفسه انظروا إن علينا الآن أن نترك حمارا يعلمنا الفلسفة .. أريد أن أعود إلى النقطة التي انخرفت فيها عن رواية القصة"<sup>١٨</sup>.

ويتجلى البعد المعرفي من القصصية التداولية واضحا في نهاية الرواية، حين وصف القارئ بالمتطلع إلى المعرفة فقال: "أيها القارئ المتطلع إلى المعرفة تود أن تسأل في لهفة كبيرة فيم كان حديثنا وماذا فعلناه، وسأقول

ذلك لو جاز لي أن أقوله وتسمعه لو جاز لك أن تسمعه... فلعلّ توقعك الديني يجعلك متوترا فاسمع إذن ولكن عليك أن تؤمن بما هو حق!<sup>١٩١</sup>.

ولعلّ هذا الكلام ينسجم مع الرتبة التي وصل إليها حيث اقترب من التتويج الذي أقيمت بشانه طقوس تشبه الطقوس التي يمارسها المريد الصوفي من لباس خاص، وتجرد من المطالب المختلفة، وتدرج في المقامات حتى يبلغ الدرجة العليا وهي مقام المعرفة.

إن هذه الوضعية الشفاهية هي من صميم التفكير الشفاهي وإن كانت في الرواية قد تأسست وتعمقت ضمن بنية الإطناب فذلك لأنهما يقعان على خط واحد، لأن كليهما يستدعي الآخر، ويتخذ الإطناب شكل الردي النصي حين تميل الرواية إلى التضخم في مواقف اقتضتها القصصية التداولية، وقد بدت من خلال الأحداث في هيئة أسلوب تجميعي تكراري كالبنية العطفية والصيغ النعتية والمعاودات بمختلف أنواعها الصيغية والمعرفية، وكلّها سعى المؤلف من خلالها إلى ترسيخ إجباري للمعنى مثلما تقتضيه وضعية المشافهة، وهي مظهر من مظاهر الإرتجال التي أدت إلى وجود ظاهرة هي من صميم التفكير الشفاهي سمّاها الجاحظ بسط اللسان، حيث غالبا ما تتسم اللغة الشفاهية بالإفشاء بكل شيء حتى بتلك الأمور المحرّجة جدّا كتمارس

الدوذ الجنسي الذي يتفزز منه الطبع الإنساني ويستتهجنها العقل، ولقد قال التوحيدي إن "الخوض في الشيء بالقلم مخالف للإفاضة باللسان، لأن القلم أطول عنانا من اللسان وإفشاء اللسان أخرج من إفشاء القلم" <sup>٢٠</sup> وقد يرجع هذا إلى سيطرة سلطان البديهة على التفكير الشفاهي، في حين "أن الروية تتبّع الخط ما لا تتبّع العبارة" <sup>٢١</sup>، وهذا يعني أن الكتابة تفرض شروطا في الإنتقاء وتحدّد المقبول واللاّ مقبول من الكلام، وتحتوي على لعبة القول المضمّر والمسكوت عنه، والضمنيات التداولية. و في حين أن الإنجاز الشفاهي إلى جانب أنّه يضمن عبور الخطاب عبر الذاكرة فإنه ينتج التغيرات و الإرتجال بإعداد إبداع ما قيل . ولذلك قيل: "إن التراث الشفاهي هو الذي انتقل بالنصوص المكتوبة من نصوص جامدة.. إلى مشارف عالم رحب يموج بالحياة" <sup>٢٢</sup>. إن إفشاءات اللسان لا تحتكم إلى شروط الإتساق والإنسجام البنيوي ويرتبط عدم الاحتراز فيه بالوهم أو التخريف الذي هو تبعيد تداولي إذا ما ربطناه بالحاجة التداولية الأساسية التي هي الإبلاغ و الإفهام لكنه تقريب تداولي ما دام هنالك فائض في الإبلاغ إلى التسلية والترفيه لأن "الوهم شديد السيلان ومجره اللسان واللسان كثير الطغيان" <sup>٢٣</sup>. ولعل من أبرز مظاهر هذا الطغيان أن الإعلان عن الرغبة في التسلية عبر الحكيم من خلال حكايات متنوعة أصلها يوناني

سرعان ما ينحرف لتصبح مغامرات لوكيوس السارد/المؤلف هي موضوع الحكيم وكأن الحكيم هنا يورّط السارد في خوض غمار التخريف والعجائبية من خلال رحلته ومغامراته في هيئة حمار وعقل إنسان وسوف ينعكس هذا الانحراف على بنية الرواية وتنتج عنها مظاهر هي من آثار الشفاهية لعل أهمها تجلي مظاهر البنية الخرافية من حكاية إطار وحكايات مضمنة، وتعدّد الراوي والمروي له، والبطل الخرافي، وإن العلاقة بين هذه المكونات هي علاقة لا " تخضع لإسباب يغذيها التطور العضوي المتنامي للحكاية، إنما توجد صيغة مناقلة الحكاية بين الراوي والمروي له، وهي صيغة شفاهية"<sup>٢٤</sup> وأهم دليل على المظاهر الشفاهية في أول رواية في التاريخ.

### الهوامش والمراجع:

١- و تعرف أيضا بملحمة " التحول"، وهي بمثابة أسطورة لرحلة نضج الإنسان وانتقاله من الحياة التي تعتمد على أحاسيس وغريزة الجسد إلى الفكر والروح والحكمة. وتعدّ " أول رواية قديمة وصلت إلينا كاملة، وشكلت نوعا أدبيا جديدا، هو النوع الذي يعرف اليوم بالرواية الإطارية، التي تضم مجموعة من القصص من جهة، وبالرواية الأنوية أو الرواية، التي يرويها المؤلف نفسه بضمير المتكلم من جهة أخرى، وهناك العديد من الروايات الحديثة والمعاصرة، التي كتبت

بالطريقة نفسها وحملت نفس الصفات في فترات تاريخية مختلفة" (لوكيوس أبوليوس: الحمار الذهبي أول رواية في تاريخ الإنسانية، ترجمة: د. أبو العيد دودو، الدار العربية للعلوم: بيروت، و منشورات الاختلاف: الجزائر، ط ٠٣، ٢٠٠٤، ص ٦).

هذا ما يحملنا على التذكير بأن تاريخ إفريقيا الشمالية " لا يخلو من حقيقة واقعة، هي أنه خلال الألف والخمسمائة سنة الأخيرة، أي منذ سيطرة الفينيقيين على إفريقيا في القرن الثامن قبل الميلاد، حتى القرن السابع الميلادي، فإن جميع سكان شمالي إفريقيا كانوا ينعمون بحضارة واحدة، ألا وهي الحضارة البونيقية، التي امتزج فيها العنصر البوني الليبي بالعنصر الفينيقي" ( د. حفناوي بعلي: أثر الأدب البونريقي الإفريقي في الأدب اللاتيني والعالمي، دار إنانا للطباعة والنشر: دمشق، د. ط، د. ت، ص ٥).

ومردّ انتشار هذه الحضارة في غرب حوض المتوسط وشرقه إلى بأس وتغلغل الكنعانيين الفينيقيين وامتداد نفوذهم، حيث غرفت شعوب حوض المتوسط، من أفارقة وكريت ويونان، من معين الحضارة الفينيقية ( ينظر: رولاند أليفير: تاريخ إفريقيا، ترجمة عقيلة رمضان، الدار القومية للطباعة والنشر: مصر، ١٩٦٤، ص ١٨). مما حدا بالجغرافي الإغريقي "سترابو"، في القرن الأول الميلادي، وهو يتحدث

عن أصول الإلياذة، للقول: " إني أكرر القول إن الذين أوحوا لهوميروس بهذه الأقاليم هم الفينيقيون " (عبد اللطيف أحمد علي: التاريخ اليوناني، العصر الهللاذي، دار النهضة العربية: بيروت، ١٩٧٦، ص ١٨٣).

هذا، وقد كتبت الرواية في القرن الثاني قبل الميلاد وهي مستوحاة من أسطورة إغريقية، وهي العمل الوحيد المتكامل الذي وصلنا من الحضارة الإغريقية الرومانية. وتعكس الفوارق الطبقيّة و الظروف التعسفية التي عاشتها الطبقة الدنيا في المجتمع. وعلى الرغم من جدية الموضوع وعمقه إلا أن الرواية تبقى في عوالم الخيال إلى جانب أسلوب الكوميديا الساخر الذي يستعرض فيه مجموعة من القصص المستلهمة من الفولكلور الشعبي تمثل الجشع والظلم والخديعة إلى جانب أجواء ممارسات السحر ومنها التحول التي تهيمن على مجمل العمل. (ينظر: رشا الملاح، " الحمار الذهبي"، نقلا عن د. محمود كامل الفيصل: الملفوظات الشفوية السردية، دار خالد ابن الوليد للنشر والتوزيع والترجمة: دمشق، ٢٠٠٨، ص ٥٦، ٥٧).

٢- هو شاعر وفيلسوف إغريقي، ولد عام ١٢٤ أو ١٢٥ بعد الميلاد في كنف عائلة ثرية في شمال إفريقيا في محمية رومانية تدعى " مداور" وتعرف اليوم في شرق الجزائر باسم "مداوروش". حرص والده على

أن يزوده بالعلم والمعرفة منذ صغره فتتلمذ أولا بمدرسة مدينته، ليرسل لاحقا إلى مدرسة عامة بقرطاجنة حيث درس النحو والبلاغة، ونظرا لتفوقه على أقرانه أتمّ دراسته في أثينا ناهلا من معارفها وعلومها وآدابها وبخاصة الفلسفة مما دعاه إلى الافتخار بنفسه في قوله: " وأتترك لكم الحكم: لقد كتب امبدوكليس الشعر، وأفلاطون المحاورات، وسقراط الأناشيد، واببخارموس الموسيقى، واكرزيفانيس التاريخ، واكرزوقراطيس الهجائيات، بينما يمارس أبوليوسكم كل هذه الأنواع ويعنى بكل العرائس بالحماسة نفسها". ( ينظر:

- Apulée, traduction nouvelle par M.V.Bétolaud, t. 3.Paris. 1837. p 93.
- Apulée, L'âne d'or ou les métamorphoses; préface de Jean-Louis Bory; traduction et notes de pierre Grimal, Gallimard 1975. p.p 10-18.)

ولما انتقل بعد ذلك إلى أثينا باليونان، فاعتنق الأفلاطونية الجديدة، كما اعتنى بالنحو والبلاغة، الموسيقى والفيزياء والجدل، وقام برحلات عدة في الشرق (آسيا الصغرى ومصر وسوريا) جذبتة أديانها فجزّب عددا منها وبخاصة عبادة ديونيزوس وإيزيس وعاد إلى مداوروش ثم رحل إلى روما حيث أصبح راهبا في محراب فينوس واشتغل كمحام لكسب رزقه، ولما مات والده عاد إلى افريقيا نهاييا واستقر في قرطاج وذاع صيته محاضرا في أوساط المثقفين. قرّر



الذهاب إلى الاسكندرية مهد الفلسفة الأفلاطونية الجديدة، مرض في الطريق واضطر للبقاء في ليبيا أين التقى مع زميله بونتيانوس وتعرف إلى والدته بودونتيا وتزوجها. ولقد سبب له هذا الزواج متاعب كثيرة قادتته إلى المحكمة اتهم بالسحر وإواء المرأة لكنه حصل على البراءة بفضل قدرته على المرافعة وقد حفظت هذه المرافعة في كتاب apologie ثم عاد إلى قرطاج نهائيا ومارس المحامات والطب والفلسفة وكتب القصة وعُيّن في مناصب رسمية، وكان شيخ الرهبان إلى أن توفي ما بين سنتي ١٧٠ و ١٨٠ للميلاد، كانت قصته " الحمار الذهبي " أول شكل روائي عُرف في التاريخ. ( ينظر:

- لوكيوس أبوليوس المدوري: تحولات الجحش الذهبي ترجمة: فهمي خشيم، المنشأة العامة للنشر والتوزيع: طرابلس، ليبيا، ط ٢، ١٩٨٤ ص ص ١٠ - ١٤١.

- ACHOUR CHEURFI: mémoire algérienne. Dictionnaire biographique.dahlab.alger 1996, pp. 67-68).

ومن أهم أعماله المتوفرة حتى يومنا هذا والتي ترجمت إلى عدّة لغات، فضلا عن روايته " الحمار الذهبي"، موضوع بحثنا، نذكر ما يلي: " الدفاع " وهي مرافعة أو خطبة مطولة، لعله استمد اسمها من دفاع سقراط لأفلاطون، و " الأزهير أو فلوريدا"، الذي ضمّ عدة خطب وملخصات نثرية، و"عن إله سقراط"، و"عن أفلاطون وتعاليمه"،

و"عن العالم" وهو بمثابة خلاصة لكتاب أرسطو عن الكون، و"أحد عشر كتابا في التحول" وهو رواية تحتوي على أحد عشر كتابا. (ينظر: - الحمار الذهبي أول رواية في تاريخ الإنسانية، ..، ص ص ١٠ - ١٥. - الملفوظات الشفوية السردية..، ص ص ٨٠-٨٤).

٣- قاص جزائري وناقد أدبي ومترجم كبير، ولد سنة ١٩٣٤ بجيجل (شرق الجزائر)، درس بمعهد عبد الحميد بن باديس بقسنطينة، ثم رحل إلى جامع الزيتونة ومنه إلى دار المعلمين العليا ببغداد، ومنها إلى فيينا بالنمسا، حيث حصل من جامعتها على الدكتوراه في الأدب، سنة ١٩٦١، ثم درّس بها لسنوات، ومنها انتقل إلى جامعة " كييل " بألمانيا قبل أن يعود إلى الجزائر ويستقر بها أستاذا بقسم اللغة العربية وآدابها بجامعة الجزائر. يعدّ الرجل مبدعا ومترجما بامتياز لاسيما من اللغة الألمانية إلى اللغة العربية والعكس صحيح. من أعماله : "بحيرة الزيتون" ( قصص ١٩٦٧)، و"البشير" (مسرحية ١٩٨١)، و" الجزائر في مؤلفات الرحالة الألمان" (دراسة ١٩٧٥)، و" مارتن هايدغر أصل العمل الفني" (دراسة)، و" صور سلوكية" (تأملات اجتماعية)، وثلاث سنوات في شمال غرب إفريقيا " (ترجمة). (ينظر: د. عبد الكريم بوصفصاف وآخرون، معجم أعلام الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين، ج ٠١، وج ٠٢،

- منشورات مخبر الدراسات التاريخية والفلسفية، جامعة منتوري-  
قسنطينة، طبعة دار الهدى للطباعة و النشر والتوزيع: عين  
مليلة(الجزائر)، ٢٠٠٢، ص ١٥٥، و ص ص ١، ٢.
- ٤- ينظر: والتر أونج، الشفاهية والكتابية، ترجمة: حسن البنا عز الدين،  
مراجعة: محمد جابر عصفور، المجلس الوطني للثقافة والفنون:  
الكويت، ١٩٩٤، ص ١٥٨.
- ٥- رواية الحمار الذهبي أول رواية في تاريخ الإنسانية، ترجمة: د.أبو  
العيد دودو، الدار العربية للعلوم: بيروت، و منشورات الاختلاف:  
الجزائر، ط ٠٣، ٢٠٠٤، ص ٤١.
- ٦- نفسه.
- ٧- وبقصد بها لغة الرومان التي أجهد نفسه في تعلمها حين حل بمدينة  
"لاتيا"، قادمًا إليها من موطن سلالته "جبال هيميتوس في أتيكا،  
وإيتيموس المجاورة لإيفيرا وتيناروس في بلاد الإسبرطيين، تلك المروج  
البديعة، التي خلدت في كتب رائعة" (نفسه).
- ٨- نفسه.
- ٩- ينظر مقدمة الرواية، ص: ٢٩.
- ١٠- نفسه، ص ٣٢.
- ١١- نفسه، ص ٤٣.

- ١٢ - نفسه.
- ١٣ - الشفاهية والكتابية..، ص ١١٦.
- ١٤ - رواية الحمار الذهبي أول رواية في تاريخ الإنسانية..، ص ١٩٨
- ١٥ - نفسه: ص ٢٠٧
- ١٦ - نفسه.
- ١٧ - نفسه: ص ٢١٧
- ١٨ - نفسه: ص ٢٢٧.
- ١٩ - نفسه: ص ٢٤١.
- ٢٠ - أبو حيان التوحيدي: الإمتاع والمؤانسة، ج ٣ ، تحقيق أحمد أمين وأحمد الزين، منشورات دار مكتبة الحياة: بيروت، لبنان، ص ١٦٢.
- ٢١ - نفسه.
- ٢٢ - سيد حسين نصر، "الرواية الشفهية والكتاب في التعليم الإسلامي الكلمة المنطوقة والكلمة المكتوبة"، مجلة عالم المعرفة (الكويتية)، عدد ٢٩٧، أكتوبر ٢٠٠٣، ص ٤٩.
- ٢٣ - الامتاع والمؤانسة..، ج ١، ص ٩.
- ٢٤ - عبد الله إبراهيم: السردية العربية، المركز الثقافي العربي: بيروت-الدار البيضاء، ص ١٢٠.

## التغير الدلالي لألفاظ لغة هوسا المقترضة من اللغة العربية

إعداد

الدكتور زيد جبريل محمد

قسم اللغات، جامعة سُلبي لامبُطُو، كَفِين هوسا

ولاية جغاوا، نيجيريا

[zjmuhd@gmail.com](mailto:zjmuhd@gmail.com)

### الملخص:

تحاول هذه المقالة تسليط الضوء على كلمات لغة هوسا المقترضة من اللغة العربية التي تغيرت دلالاتها ومعانيها، علما بأن جل الكلمات التي اقترضتها لغة هوسا من اللغة العربية احتفظت على معناها المعهود لدى العرب، بيد أن هناك قليل من الألفاظ التي شدّت وندّت حيث توسعت أو ضاقت أو تغيرت معناها تماما، فهذا المقال تحاول جهدا في تتبع واستقصاء هذه الكلمات مع ذكر معانيها في اللغة العربية ثم معانيها الجديدة التي تقيمتها. ومعرفة هذه الكلمات تفيد الدارس والباحث في مجال علم اللغة الاجتماعي، ومتعلم اللغة العربية الناطق بلغة الهوسا؛ ذلك إذا ألمّ بها وأدرك ما يطرأ عليها من التغيرات التي تمس جانب الصوتي والدلالي. وتوصل البحث إلى نتائج أهمها: أن معظم الألفاظ التي اقترضتها لغة هوسا من اللغة العربية لم تحدث فيها التغيرات من حيث المعنى. هناك القليل من الكلمات التي اقترضتها لغة هوسا

وحصل فيها التغير الدلالي، وهذا التغير إما يكون بالتوسيع أو بالتضييق أو التغير بالكلية.

واستخدم الباحث المنهج الوصفي التحليلي، متبعاً الخطوات الآتية في تنسيقه:

- مدخل
- مفهوم الإقتراض اللغوي
- أثر اللغة العربية على لغة الهوسا
- الكلمات العربية التي تغيرت دلالتها في لغة الهوسا
- الخاتمة
- المصادر والمراجع

#### مدخل:

إن اللغة العربية كانت شيئاً ملازماً ضرورياً لانتشار الدين الاسلامي، فحيثما توجه الاسلام واستقرّ استقرت معه، أضف إلى ذلك كونها لغة الحضارة والتجارة في إفريقيا، وقد تسربت اللغة العربية إلى منطقة غرب إفريقيا وجنوب الصحراء قبل مجيء الإسلام عن طريق قوافل التجارة. من أجل ذلك أثرت اللغة العربية على لغات تلك المنطقة، ومن بينها لغة الهوسا.

وهذا ما جعل حُمس ألفاظ لغة الهوسا استعارتها من اللغة العربية، فلا يُعرف لغة أخرى خارج نطاق اللغات السامية استعارت من العربية أكثر من هذا المقدار إلا لغة الفارسية.<sup>١</sup>

### مفهوم الاقتراض اللغوي وأسبابه:

#### مفهوم الاقتراض اللغوي:

كلمة الاقتراض في اللغة مأخوذة من قرض، والقرض: " ما تعطيه غيرك من مال على أن يردّه إليك"<sup>٢</sup> وكانت تستعمل في إعطاء المال للإنسان ليرده خلال أجل معين متفق عليه بين المقرض والمقترض، فأخذ أهل اللغة واستعملوها في أخذ الكلمة من لغة ما إلى الأخرى. وأما في اصطلاح علماء اللغة فهو: يستخدم في علم اللغة المقارن والتاريخي والاجتماعي للإشارة إلى الأشكال اللغوية المأخوذة من لغة ما أو لهجة ما من أخرى، ولذلك يظهر مفهوم هذا المصطلح بأنه: "كلمة مأخوذة من لغة أخرى، غير اللغة التي تنتمي إليها في الأصل"<sup>٣</sup> ويعرف صلاح راوي الاقتراض بقوله: هو نقل لفظ من لغته الأصيلة إلى لغة أخرى ليستعمل فيها دالا على المعنى الموضوع بإزائه في لغته الأصلية.<sup>٤</sup> وهذه الدلالة ل (الاقتراض اللغوي) دلالة مجازية، لأن حقيقة الاقتراض: أن يأخذ المرء شيئاً من آخر، لينتفع به حقبة من الزمن ثم يعيده إلى صاحبه، وليس كذلك الاقتراض بين اللغات، لأن اللغة التي

تقتض لفظا من لغة أخرى لا تحرم صاحبة اللفظ من استعماله ولا تعيده إليها.

وهذا الاقتراض يكون غالبا من الأثر الذي يقع على لغة ما من لغات مجاورة لها، لذا يلعب دورا هاما في التطور اللغوي، ذلك لأن احتكاك اللغات ضرورة تاريخية، وكان يؤدي حتما إلى تداخلها واقتراض بعضها من بعض.

والاقتراض من اللغة العربية إلى لغة الهوسا بدأ عن طريق اختلاط التجار فشرعت كلمات العربية تضيع وتنتشر بين الهوساويين فأخذوها واستعملوها لا سيما أسماء البضائع التي لم تكن موجودة في بلاد الهوسا، ومما زاد الطين بلة هو العامل الديني فاللغة العربية هي لغة القرآن والحديث النبوي وبالتالي فهي لغة الإسلام، لذا كان لا بد لها أن تخوض كل بقعة يدخله الإسلام، وهذا يبدو واضحا في كثير من الكلمات العربية المقترضة في لغة الهوسا، وأن معظمها دخلت إلى لغة الهوسا أثناء تعليم علماء الدين الطلاب أو الوعظ، أو أثناء الحوارات المتبادلة، حتى أصبحت هذه الكلمات جزءاً من الكلمات الهوساوية المستخدمة في الحياة اليومية، وكانت الكلمات ذات الصلة بالدين أكثر استعمالا لسهولة استعمالها وصعوبة قرض واختراع الألفاظ التي تُحلُّ مكانها. ثم إن



كثيرا من الكلمات العربية التي اقترضتها لغة الهوسا قد حدث فيها بعض التغييرات كي تتفق مع النطق الهوساوي.

### أثر اللغة العربية على لغة هوسا:

إنّ القارة الأفريقية هي أولى القارات التي حظيت بدخول الإسلام إليها - بعد ظهوره في الجزيرة العربية- ويرجع ذلك إلى هجرة المسلمين الأولين الذين آمنوا مع النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى الحبشة.<sup>٥</sup> ومن المعروف أن هناك علاقة وطيدة بين غرب إفريقيا وبلاد العرب منذ زمن بعيد عن طريق التجار الذين يحملون بضائعهم لبيعها هناك، وكان هؤلاء التجار هم الحجر الأساسي لدخول الإسلام واللغة العربية في غرب إفريقيا على وجه العموم، وفي بلاد الهوسا على وجه الخصوص.<sup>٦</sup>

إذا يرجع أثر اللغة العربية على لغة هوسا إلى العاملين الرئيسيين هما : التجارة والإسلام. وقد حدث اتصال مباشر بينهما عن طريق تجار العرب الذين يأتون ببضائعهم كي يبيعونها في بلاد الهوسا فبدأت العلاقة تُؤلّد تأثيرا شيئا فشيئا. ومن الطبيعي كذلك أن يلتقطها التجار الأفارقة من إخوانهم العرب الكلمات العربية وينشرونها فيما بينهم, فانتشرت تلك الكلمات والتعابير تدريجياً حتى توغلت في ربوع بلاد الهوسا، واندمج بعضها في اللغات المحلية. وقد قويت هذه العلاقة بعد انتشار

الإسلام في غرب إفريقيا وبلاد الهوسا خاصة حتى طففت لغة الهوسا تكتب كتاباتها بالحروف العربية، وأدت هذه العلاقة إلى اقتراض واستيعاب كمية هائلة من الكلمات والألفاظ والعبارات العربية وإدخالها في لغة الهوسا<sup>٢</sup>.

ومن المتوقع أن تؤثر اللغة العربية في لغات الشعوب المسلمة التي اعتنقت الإسلام ديناً، لحاجتها إلى مفردات وعبارات يؤدون بها شعائر الإسلام.

فكل مسلم في العالم - بغض النظر عن لغته الأم - يتعلم على الأقل بعض التعابير مثل : ( السلام عليكم)، (بسم الله)، (أشهد أن لا إله إلا الله و أشهد أن مُحمّداً رسول الله )، ويحفظون سورة (الفاتحة)، وبعض قصار السور، والاستزاد من دراسة التعاليم الإسلامية يستوجب معرفة المزيد من تراث اللغة العربية؛ خاصة القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة.

وكذلك يحاول المسلمون إتقان العربية للاستزاد من الإرث الديني الفقهي والأخلاقي من مصادره العربية<sup>٣</sup>.

فلغة الهوسا اقترضت ألفاظاً من العربية، بسبب هذا التأثير وامتزجت مع كلماتها مزج الكبد بالدم، ومن شدة هذا الاقتراض لا يمكن للهوساوي أن يتكلم - ولو دقيقة واحدة - دون استعمال هذه

الكلمات المقترضة. وليس هذا فحسب، بل تجده طوراً يستخدم جملاً عربية بمدلولاتها العربية حيناً، وبتغييرها حيناً آخر<sup>٩</sup>.

### الكلمات العربية التي تغيرت دلالتها في لغة هوسا

الكلمات في كل اللغات قابلة للتطور الدلالي عبر العصور والزمان، لذا لا عجب ولا غرابة في وجود ذلك في الكلمات المقترضة من لغة إلى لغة أخرى، وبالنسبة للكلمات المستعارة من اللغة العربية إلى لغة الهوسا يكون هذا التغيير غالباً في توسيع المعنى حيث يبقى المعنى المعهود لدى العرب موجود ثم تتوسع دائرة استعمال الكلمة فتتقصد معنى آخر. ويكون تارة في تضيق دائرة استعمالها أو تغيير مجال استعمالها. وقلما تجد الكلمة تظفر بتغيير جذري.

هنالك العديد من الألفاظ التي اقترضتها لغة هوسا من اللغة العربية وتغيرت دلالاتها، ومن هذه الألفاظ ما يلي:

#### ١- آلة: Alatu

وكلمة آلة في اللغة العربية معناها: أداة، أو أداة العمل البسيطة،<sup>١٠</sup> ولما دخلت هذه الكلمة إلى لغة هوسا تخصصت دلالتها فصارت تعني: أداة الزينة، والحلي وكل ما يتزين به من مصوغ المعدنيات. ونشّم من هذا المعنى العلاقة بين المعنيين حيث إن الزينة وسيلة وأداة للتجمل فانحرف مجال الاستعمال العربي إلى أداة الزينة والتجمل. مثل:

Aliyyu ya sayi kayan Alatun mata اشترى علي حلي النساء

٢- أذان Ladani :

كلمة ( أذان) في اللغة العربية تعني : الإعلان والإعلام أو الإعلام بوقت الصلاة.<sup>١١</sup> ولكن عندما اقتُرِضت الكلمة إلى لغة هوسا مالت عن معناها العربي الأصلي وأخذوا يطلقونها على (المؤذن) وكانت الكلمة مصدرا في اللغة العربية فانتقلت إلى اسم الفاعل في لغة هوسا، لذا يطلقونها على المؤذن. يقولون مثلا:

Ladan ya kira Sallar Azahar أذن المؤذن صلاة الظهر

٣- بَذَرَ: Bazara

بذر الحب بذر بذراً، ألقاه للزراعة، وبذر الشيء نثره وفرقه.<sup>١٢</sup> ولكن تغيرت معنى الكلمة تماما عندما أخذتها لغة هوسا فصارت تستعمل للدلالة على الفصل الجار قبل سقوط المطر حين تشتد الحرارة، وهو فصل الصيف. وليس هناك علاقة بين المعنيين، ولعل المستعمل الأول لمثل هذه الكلمات لم يَحِط علما بالمعنى العربي لذلك لم يوجد العلاقة بينهما. مثل:

Zafi yana tsananta lokacin bazara تشتد الحرارة في فصل الصيف

٤- تَقَدَّمَ: Takaddama

ولفظ تَقَدَّمَ في اللغة العربية يعني: تقدم في عمله : خطأ فيه خطوات متقدمة إلى الأمام، وتقدم في السن صار شيخا.<sup>١٣</sup> ولما جاءت

إلى لغة هوسا تحولت دلالتها إلى معنى: الخصام والشجار. ونشئ من هذا المعنى العلاقة بين المعنيين إذ الخصام يبدأ بالتقدم والتوجه إلى الخصيم فتحول معناها إلى (الشجار) من باب إطلاق السبب على المسبب. مثل:

An samu takaddama tsakanin Musa da Isa  
وقع الشجار بين موسى  
وعيسى

#### ٥ - جهة: Jaha

وكلمة الجهة في اللغة العربية معناها: الجانب والناحية، أو الموضع الذي تتجه إليه وتقصده.<sup>١٤</sup> وأما في لغة هوسا حينما أخذوها تغيرت دلالتها وعادت تستعمل بمعنى الولاية، فإذا ضاقت معنى الكلمة لأن الناحية أوسع وأشمل. وكانت العلاقة بين المعنيين علاقة تخصص. مثل:

Yahya yana zaune ne jahar kano يحيى يقطن في ولاية كنو

#### ٦ - حافظ hafizi

تطلق الكلمة في اللغة العربية على الحافظ أو الحارس بصفة عامة ظاهراً وباطناً، وحافظ الشيء محافظة وحفاظاً رعاه وذبح عنه وواظب عليه.<sup>١٥</sup> ولكن ضاقت دلالتها حينما اقترضتها لغة هوسا فلا تستعمل إلا لمن حفظ القرآن الكريم عن ظهر قلبه. وهي الكلمة كالسابقة خصصت مجال استعمالها. مثل:

Ahmad bai wuce shekara goma ba ya zama Hafizi  
أحمد لم يجاوز عشرة سنين حين حفظ القرآن الكريم عن ظهر القلب

٧- حَرْبُ: Harba

تطلق الكلمة في اللغة العربية على القتال بين فئتين<sup>١٦</sup>، وفي لغة هوسا تستعمل هذه الكلمة بمعنى إطلاق السهم أو النار. وفي هذا المعنى ذكر الكل ويراد به البعض، وذلك في الحرب يكثر فيه إطلاق النار والسهم، فأطلقت لغة هوسا لفظ " الحرب " على ما يكون داخله. مثل:

Yan sanda sun harbi masu laifi أطلقت الشرطة النار على المجرمين

٨- حمّادة: Hamada

وحمادة اسم علم مذكر، محرف تدليعا من اسم مُحمَّد وأحمد وحامد، وبنو حمادة أسرة من جزيرة العرب.<sup>١٧</sup> ولكن في لغة هوسا تستعمل هذا اللفظ بمعنى الصحراء. وليس هناك علاقة بين المعنيين . مثل:

Hamada ta mamaye kasar Niger أحاطت الصحراء بجمهورية

النيجر

٩- رَوَى: Ruwa

كلمة روى في اللغة العربية تستعمل بمعنى النقل والأخذ والسماع: روى الحديث نقله، وروي من الماء شرب وشبع.<sup>١٨</sup> وأما عند ما نقلت إلى لغة هوسا فكانت تستعمل للدلالة على الماء.

ويرى البعض من الباحثين في أمثال هذه الألفاظ بأنها لم تكن مقترضة من اللغة العربية لكون الهوساوي ليس له علمٌ للماء إلا هذا اللفظ، ويعلمون بوجود اشتراك الجذور بين العربية وهوسا فلا يكون منطقياً أن اللفظ مستعار من اللغة العربية، لكن الباحث يخالف هذا الرأي ويرى بأن اللفظ مستعار من العربية وكان للهوساوي لفظ يطلقه على الماء قبل الاقتراض فلما اقترض لفظ (روى) ترك اللفظ فاندثر أخيراً ونسي. مثل:

Yaro ya sha ruwa شرب الولد الماء

١٠- ركاب: Likafa

تطلق كلمة الركاب في اللغة العربية على: الركاب للسرّج، وهو ما توضع فيه الرجل.<sup>١٩</sup> ولما نقلت إلى اللغة العربية اتسعت معناها وكانت تستعمل على الركاب للسرّج أيضاً ثم تطورت فصارت كناية على المنزلة والمرتبة العالية، لأن أصحاب الجاه والمنزلة العالية أو من لهم صلة بالإمارة هم أغلب من يستخدمونه. مثل:

Usman likafarsa ta ci gaba طفق عثمان ينال المنزلة العالية

١١- ساعة: Sa'a

تطلق هذه الكلمة في اللغة العربية على: جزء من أجزاء الوقت والحين، أو جزء من أربعة وعشرين جزءاً من الليل والنهار.<sup>٢٠</sup> ولما نقلت

هذه اللفظة إلى لغة اللغة هوسا اتسعت دلالتها فكانت بعد معناها عند العرب تستخدم أيضا على معنى: الحظ والظفر. وليس هناك علاقة بين المعنيين. مثل:

Umar yana da sa'a عمر محظوظ

١٢- سلسل: Salsala

كلمة سلسل في اللغة العربية تدل على: وصل الأشياء بعضها ببعض كأنها سلسلة.<sup>٢١</sup> ولما اقترضت إلى لغة هوسا تغيرت معناها وكانت تستعمل بمعنى: السُّلالة والنَّسب. ومع هذا التغير إلا أننا نجد العلاقة بين المعنيين وذلك في أن السلالة والنسب؛ ربط السابق مع اللاحق. مثل:

Yarinyar tana da kyakkyawar nasaba خرجت البنت من سلالة عريقة

١٣- صواب: Sawaba

وكلمة صواب في اللغة العربية تدل على: السداد والحق.<sup>٢٢</sup> لكن تستعمل هذه الكلمة في لغة هوسا عندما نقلتها بمعنى: الراحة والسرور. وليس هناك علاقة بين المعنيين، مثل:

Yaron ya samu sawaba daga muguntar da ake masa

استراح الولد من الظلم الذي قاساه



## ١٤ - طاقة: Taga

وكلمة طاقة في اللغة العربية تدل على: القدرة، وشعبة أو حزمة من ريجان أو زهر.<sup>٢٣</sup> ولما اقترضت لغة هوسا تحول معناها إلى: النافذة. وليس هناك علاقة بين المعنيين. مثل:

Gidan tagoginsa suna da yalwa كانت نافذة البيت واسعة

## ١٥ - عجم: Ajami

وكلمة عجم في اللغة العربية تدل على: خلاف العرب أو من لا يفصح في كلامه، أو الأخرس،<sup>٢٤</sup> إلا أن معنى الكلمة تغير عندما اقترضتها لغة هوسا وصار تعني: كتابة الكلمات الهوساوية بالحروف العربية، متأثرين من المعنى العربي لكون الألفاظ والكلمات غير العربية. مثل:

Rubun Ajami yana nema ya bace

كادت كتابة الكلمات الهوسوية بالحروف العربية أن تضحل

## ١٦ - فترة: Fatara

وكلمة فترة في اللغة العربية تدل على: الضعف والانكسار، أو المدة تقع بين زمنيين أو نبيين.<sup>٢٥</sup> ثم ضاقت دلالتها واقتصرت على: الفقر عندما دخولها في لغة هوسا. لكون الفقر ينكسر الإنسان ويضعفه فتأثر الهوساوي من المعنى العربي. مثل:

Mafi yawan mutanan Africa na fama da talauci

يعاني كثير من الأفارقة الفقر

١٧- فصل: Fasali

وكلمة الفصل في اللغة العربية تدل على: المسافة بين الشيئين، أو الفرع، أو واحد من فصول السنة الشمسية،<sup>٢٦</sup> ولما نقلت إلى لغة هوسا تحول معناها إلى : الصورة الحسنة. وليس هناك علاقة بين المعنيين. مثل: Maryam tana da fasali mai kyau تتمتع مريم بالصورة الحسنة

١٨- كسد: Kasada

وكلمة كسد في اللغة العربية تدل على: كسد الشيء: لم ينفق لقلة الرغبة فيه، وكسدت السوق لم ينفق ما فيها،<sup>٢٧</sup> إلا أن الكلمة اتخذت معنى جديدا بعد مجيئها إلى لغة هوسا وصارت تعني: الجرأة والشجاعة. وليس هناك علاقة بين المعنيين. مثل:

Haruna yana da kasa wajan yaki هرون جريء في خوض المعارك

١٩- محدث: Mahaddaci

وكلمة محدث في اللغة العربية تدل على: الراوي و المخبر، أو راوي حديث رسول الله ﷺ.<sup>٢٨</sup> ثم ضاقت دلالتها بعد اقتراضها إلى لغة هوسا فصارت تُحْصَى من حفظ القرآن عن ظهر القلب. وكأنهم اختلطوا بين راوي الحديث وقارئ القرآن فسموا القارئ محدثاً مثل:

Zaidu yana dan shekara goma ya zama mahaddaci

حفظ زيد القرآن الكريم عن ظهر قلبه وهو ابن عشرة سنة

## ٢٠- مصيبة: Masifa

وكلمة مصيبة في اللغة العربية تدل على: الفجيرة وكل مكروه يُحْكُ للإنسان.<sup>٢٩</sup> ولما اقترضت إلى لغة الهوسا احتفظت بدلالاتها كما هي في اللغة العربية ثم اتسعت وزادت معنى آخر وهو: المشاجرة والمنازعة. لأن في المشاجرة ما يكرهه الإنسان من سب وشتم وضرب كما في الفجيرة ما يفرع الإنسان ويؤذيه. مثل:

يتشاجر الغلمان فيما بينهم Yaran suna ta masifa a tsakaninsu

## ٢١- مهاجر Almajiri

وكلمة مهاجر في اللغة العربية تدل على: كل من فارق بلده إلى بلد آخر. وتهاجر القوم: تقاطعوا.<sup>٣٠</sup> وحينما نقلت هذه اللفظة إلى لغة هوسا ضاقت دلالتها وصارت تعني: طالب العلم أو المتسول. والعلاقة بين المعنيين تكون في اتفاقهما على مفارقة البلد والرحلة إلى أرض الغربة. مثل:

طلب العلم وسيلة للفوز Almajirci hanya ce ta tsira

## ٢٢- منقلة Mangala

وكلمة منقلة في اللغة العربية تدل على: آلة النقل، أو عربة صغيرة لها عجلة واحدة أمامية، وذراعان يقبض عليهما بالأيدي للدفع بهما.<sup>٣١</sup> ولما نقلت هذه اللفظة إلى لغة الهوسا تغيرت دلالتها، فصارت تعني: الغبيط الذي يُحمل فيه التراب في ظهر الحمار. وكانت هناك علاقة بين

المعنيين لاتفاق المعنيين على نقل البضائع. إلا أنهما اختلفا في مجال الاستعمال مثل:

Mangalar jakin karama ce غبيط الحمار صغير

٢٣- ناعورة Na'ura

وكلمة ناعورة في اللغة العربية تدل على: آلة لرفع الماء من الآبار أو الأنهار تسيرها الدواب أو قوة الماء الدافعة، قوامها دولا ب كبير وآنية كالجيوب تحمل الماء إلى أعلى وتفرغه ثم تعود سيرتها الأولى.<sup>٣٢</sup> ولما أخذت هذه اللفظة إلى لغة هوسا توسعت دلالتها، فصارت تعني: آلة. فإذا لما أخذت لغة هوسا الكلمة عممتها على كل الآلات المستعملة بغض النظر عن وظيفتها متطورة للمعنى العربي الذي يقتصرها على آلة حمل الماء. مثل:

Na'urar askin bata da kaifi آلة الحلاقة مفلولة

٢٤- الوحل Wahala

وكلمة الوحل في اللغة العربية تدل على: الطين الرقيق ترتطم فيه الناس والدواب.<sup>٣٣</sup> ولما نقلت إلى لغة هوسا تغيرت دلالتها، فصارت تدل على: الصعوبة أو التعب والمشقة. لأن المشي على الطين يسبب والتعب والنصب فأخذت لغة هوسا هذه الصفة فأطلقتها على الموصوف. مثل:

Musa karatu yana wahalar da shi يقاسي موسى الصعوبة من القراءة

### الخاصة:

إن لغة هوسا قد تأثرت بالكلمات العربية تأثراً بالغبا، بل أدى هذا التأثير إلى اقتراض الألفاظ والكلمات والعبارات من اللغة العربية واستعمالها بمعناها في لغة هوسا، وقد ركزت هذه المقالة على الكلمات التي تغيرت معانيها في لغة هوسا. وقد توصل الباحث إلى النتائج أهمها:

- ١- الكلمات العربية المقترضة في لغة الهوسا على مجموعتين، الأولى: هي تلك الكلمات المقترضة التي دخلت اللغة مبكراً والتي تشمل كلمات الحياة اليومية والتجارية ومظاهر الدين الإسلامي. أما كلمات المجموعة الثانية فهي أكثر دقة وتتفق مع النطق العربي وتشتمل على أسماء الأشخاص المستمد من القرآن والسنة.
- ٢- أن جلّ الكلمات والألفاظ التي اقترضتها لغة الهوسا من اللغة العربية لم تحدث فيها التغيرات من حيث المعنى والدلالة.
- ٣- هناك القليل من الكلمات التي اقترضتها لغة هوسا من اللغة العربية وحصل فيها التغير الدلالي. وهذا التغير إما يكون بالتوسيع أو بالتضييق أو التغير بالكلية.

### الهوامش والمراجع:

- ١- أبوبكر، علي، الثقافة العربية في نيجيريا ، بيروت، مؤسسة عبد الحفيظ- البساط، الطبعة:١، ١٩٧٢م ، ص ٣٧١
- ٢- مصطفى، إبراهيم وآخرون، المجمع الوسيط، تحقيق: مجمع اللغة العربية، مصر، دار الدعوة، بدون طباعة والتاريخ، ص: ٧٢٧
- ٣- غنيم، كمال أحمد، آليات التعريب وصناعة المصطلحات الجديدة، تحقيق مجمع اللغة العربية الفيلسطين، فلسطين: غزة، دار الألوكة للنشر، الطبعة: ١، ٢٠١٤م، ص: ١٥
- ٤- راوي، صلاح، فقه اللغة وخصائص العربية وطرائق نموها، مصر، مكتبة الأسرة، الطبعة: ١، ١٩٩٣م، ص: ٣٦
- ٥- السباعي، مصطفى، السيرة النبوية دروس و عبر، عمان، أردن، دار الوراق للنشر والتوزيع، الطبعة: ١، ٢٠٠٩م، ص: ٥٣.
- ٦- غلادنتي ، شيخو أحمد سعيد، حركة اللغة العربية وآدابها في نيجيريا، السعودية، مكتبة العبيكان للطباعة والنشر، الطبعة: ٢، ١٩٩٣م، ص: ٤٧
- ٧- حجازي، مصطفى حجازي السيد، معجم سياقي للكلمات العربية في لغة الهوسا، مكة المكرمة، معهد اللغة العربية، جامعة أم القرى، ١٤٠٦هـ، ص: ٥

- ٨- تميم، عبد الهادي مُجَّد عمر، اللغة العربية في المجتمع النموذج السوداني، الخرطوم، المجلس القومي للصحافة والمطبوعات، بدون طباعة. ١٩٩٧م، ص: ١٣٥
- ٩- عبد الله، خالد حسن، الأمثال والحكم في لغة الهوسا "دراسة تقابلية، نيجيريا، كنو، دار الحكمة للكتاب الإسلامي، الطبعة: ٣، ٢٠١١م، ص: ٢٤
- ١٠- مصطفى، إبراهيم وآخرون، المجمع الوسيط، تحقيق: مجمع اللغة العربية، مصر، دار الدعوة، بدون طباعة والتاريخ، ص: ٣٣
- ١١- المصدر نفسه، ص: ١٢
- ١٢- المرجع نفسه، ج: ١، ص: ٤٥
- ١٣- المرجع نفسه، ج: ٢، ص: ٧١٩
- ١٤- المرجع نفسه، ص: ج: ١، ص: ٩٤
- ١٥- المرجع نفسه، ص: ج: ١، ص: ١٨٥
- ١٦- المرجع نفسه، ج: ١، ص: ١٦٣
- ١٧- الزبيدي، محمد بن محمد بن عبد الرزاق، تاج العروس من جواهر القاموس، الكويت، دار الهداية، الطبعة: ١، ١٩٦٥م، ص: ٤١
- ١٨- المصدر نفسه، ج: ١، ص: ٣٨٤
- ١٩- المصدر نفسه، ج: ١، ص: ٣٦٨
- ٢٠- المصدر نفسه، ج: ١، ص: ٤٦٣

- ٢١- المصدر نفسه، ج:١، ص: ٤٤٢
- ٢٢- المصدر نفسه، ج:١، ص: ٥٢٧
- ٢٣- المصدر نفسه، ج:٢، ص: ٥٧١
- ٢٤- المصدر نفسه، ج:٢، ص: ٥٨٦
- ٢٥- المصدر نفسه، ج:٢، ص: ٦٧٢
- ٢٦- المصدر نفسه، ج:٢، ص: ٦٩١
- ٢٧- المصدر نفسه، ج:٢، ص: ٧٨٦
- ٢٨- المصدر نفسه، ج:١، ص: ١٠٩
- ٢٩- المصدر نفسه، ج:١، ص: ٥٢٧
- ٣٠- المصدر نفسه، ج:٢، ص: ٩٧٣
- ٣١- المصدر نفسه، ج:٢، ص: ٩٤٩
- ٣٢- المصدر نفسه، ج:١، ص: ٢١٠
- ٣٣- المصدر نفسه، ج:٢، ص: ١٠١٨



## الشيخ محمد منذو أرزي وإسهاماته في نشر الدراسات القرآنية والعربية (من عام ١٩٣٤م إلى ٢٠١٥م)

إعداد

الدكتور بشير لون

قسم اللغة العربية، جامعة بايرو، كنو- نيجيريا

[blawan.ara@buk.edu.ng](mailto:blawan.ara@buk.edu.ng)

### مقدمة:

دخل القرآن الكريم مدينة كنو منذ وقت مبكر إذ كان تاريخ دخوله مرتبطا بدخول الإسلام فيها، ومن ثم بدأت قراءة القرآن تظهر في هذه المدينة، حيث وفد إليها العلماء الأجلاء قاصدين نشر ما من الله به عليهم من العلم، وبت الأخلاق الفاضلة بالإضافة إلى ممارسة النشاط التجاري. فهذا المقال يهدف إلى ترجمة قارئ من القراء الذين وفدوا إلى هذه المدينة (الشيخ محمد منذو أرزي) مع ذكر أهم الإنجازات التي قام بتحقيقها في حياته مركزًا على أبرز الأثر الذي خلفه. وسيتكوّن المقال من مدخل وهو عبارة عن لمحة تاريخية عن دخول القرآن مدينة كنو، ثم الحديث عن ترجمة الشيخ من حيث مولده ونشأته وتعلمه والإسهامات التي قدمها في نشر الدراسات القرآنية، ثم الآثار التي خلفها ودورها في نشر الدراسات القرآنية والعربية، وفي الختام يذكر الباحث أهم ما توصل إليه من النتائج. وسينتهج المنهج التاريخي والاستقرائي لمعالجة الموضوع.

### لمحة تاريخية عن دخول القرآن مدينة كنو:

يرجع تاريخ دخول القرآن مدينة كنو إلى تاريخ دخول الإسلام فيها، إذ الإسلام أينما وضع قدميه صحبه التعليم إذ لا بد بالإسلام من القرآن، وقد ذهب المؤرخون إلى أن الإسلام دخل في كنو منذ القرن الرابع عشر الميلادي، وأن أول ملك أسلم فيها هو "علي ياجي" (Aliyu Yaji) وانتشر الإسلام في عهده<sup>١</sup>، وتذكر المراجع أنه دخل فيها عن طريق التبادل التجاري السلمي مع الرواد العرب من شمال إفريقيا إلى جنوب الصحراء، فمن خلال هذا التبادل انتشر الإسلام فيها، وتعتبر كنو من أهم ولايات الهوسا، وقد ازدهرت فصارت مركزا تجاريا هاما في غربي إفريقية في القرن الخامس عشر الميلادي، ومن المؤرخين من يرى أنه من الصعب تحديد تاريخ دخول الإسلام إلى هذه المدينة، لأنه إذا كان أول ملك أسلم هو هذا الأمير المذكور فمتى جاء الإسلام بالضبط؟ لأن الدين الجديد إذا دخل في أمة فأول من يرحب به ويعتقه هم الشعب، وقد أشارت الآيات القرآنية إلى ذلك، منها: قوله تعالى حكاية عن قوم نوح عليه السلام: ﴿قالوا أنؤمن لك واتبعك الأرذلون قال وما علمي بما كنا يعملون إن حسابهم إلا على ربي لو تشعرون﴾<sup>٢</sup> وهكذا قال الكفار للنبي ﷺ حينما وجه الدعوة إلى الطبقة العليا رغبة أن يسلموا، احتجوا بأنهم لا يقبلون الإسلام ما دام أن الفقراء والمساكين هم الذين

اعتنقوه من قبل، وجعلوا شرط دخولهم في الإسلام طرد الفقراء والمساكين من عند النبي صلى الله عليه وسلم. فرد الله عليهم في ذلك بقوله: " ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداوة والعشي يريدون وجهه ما عليك من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء فتطردهم فتكون من الظلمين وكذلك فتنا بعضهم ببعض ليقولوا أهؤلاء من الله عليهم من بيننا أليس الله بأعلم بالشاكرين"<sup>٣</sup> فلذا ذهب الشيخ مُحَمَّدُ الناصر الكبري إلى أن الإسلام دخل مدينة كنو منذ القرن الثالث الهجري، محتجا بقوله أن الوناغرة لما وصلوا إلى كنو قد وجدوا فيها معاهد، وعلماء مهرة، أمثال الشيخ أحمد المصري الملقب بـ "ولي مَيِّ غَيْرَ (Wali Mai Geza) الذي أسس معهده في حارة عَبَّارِي في القرن الثامن الهجري، وكان يدرس فيه القرآن الكريم، والفقه، وخاصة "مختصر خليل" والشيخ فتح الله القيرواني، المشهور بـ "بُنْسُرُنْ دَال" ( Bunsurun Dala) والشيخ زغيتي المعروف بـ مطاقي (Madatai) وغيرهم.<sup>٤</sup>

إذن فمن خلال ما تقدم نفهم أن الإسلام قد وجد بكنو قبل نزول الوناغرة فيها بقرون، ومنذ ذلك الحين قام العلماء بتأسيس مدارس لتعليم القرآن إذ لا يكون التعليم بلا مدرسة كما لا يكون بلا مدرس. وكانت المدارس القرآنية تسمى بأسماء مختلفة في بلاد الهوسا عامة ومدينة كنو خاصة، فمن هذه الأسماء: مَكْرَنْتَرُ أَلُّو (Makarantar Allo) أي

مدرسة الألواح، وذلك لأن التلاميذ يستعملون الألواح الخشبية فيها. وتسمى أيضا مَكْرَنْتَرُ تُوكَا (Makarantar Toka) أي مدرسة الرماد، نسبة إلى النار التي توقد فيها ليلا حيث لا كهرباء، فترى تلاً من الرماد نتيجة إيقاد النار، كما تسمى مَكْرَنْتَرُ مُحَمَّدِيَّة (Makarantar Muhammadiyya) أي المدرسة المحمدية نسبة إلى مُحَمَّدٍ ﷺ، تميزا لها عن المدارس الحديثة التي أسسها المستعمرون.<sup>٥</sup>

رأينا فيما سبق كيف دخل الإسلام مدينة كَنُو وأن دخوله كان مرتبطا بتاريخ دخول القرآن فيها، فهنا أسئلة تطرح نفسها:

كيف كانت قراءة القرآن آنذاك؟ هل هي مجودة؟ فإن كان الجواب بالنفي، فمتى بدأ الاهتمام بعلم التجويد خاصة وعلوم القرآن على وجه العموم؟ ومن الذي جاءوا به إلى هذه المدينة؟

فلإجابة عما سبق نقول: بدأت قراءة القرآن تظهر في جماعة هوسا الإسلامية الكنوية من خلال القرن الخامس عشر الميلادي، إلا أنها قراءة غير مجودة بل مشوبة بأخطاء نطقية نتيجة الصعوبات التي تعانيها هذه القبيلة في النطق بكثير من الحروف العربية التي ليست موجودة في لغتها الأم، أمثال: الحاء، والعين، والضاد، والذال، والصاد، وغيرها من الحروف. وهكذا استمر الأمر في هذه الحالة إلى أن بدأ بعض العلماء الأفاضل يزورون هذه المدينة من الدول الإسلامية المجاورة لها كما يهاجر

إليها بعض العلماء من البلدان الواقعة في نيجيريا، وكل من هؤلاء الزوار والمهاجرين يأتي إليها بما من الله عليه من علم وافر وخيرات فنية قاصدا بث الأخلاق الفاضلة في نفوس الأمة بالإضافة إلى ممارسته النشاط التجاري. وبهذه الطريقة وجد عدد كبير من قراء القرآن الكريم في كنو، إلا أنها قراءة سرديّة، الهدف منها تمكين كل فرد من هذه المجموعة المسلمة أن يقرأ القرآن، ويعرف القراءة والكتابة بصرف النظر عن وجود حفظة القرآن في تلك المدة البدائية، ولكن فيما بين القرنين؛ السابع عشر، والتاسع عشر الميلاديين بدأ عدد القراء يزداد شيئا فشيئا.<sup>٦</sup>

وفي منتصف القرن التاسع عشر الميلادي وجد عدد قليل من الحفاظ المتقنين بين هؤلاء المهاجرين إلى كنو والقاطنين بها، كما أخبر بذلك - المرحوم- الشيخ محمد ثالث "طن رونظي" (Dan ruwantsa) أن من الحفاظ الأوائل الحقيقيين المشهورين بحفظ القرآن حفظا متقنا في كنو أربعة هم: غوني<sup>٧</sup> كترو (Gwani Kuturu) وغوني مالم منذو أرزي (Gwani mal. Manzu Arzai) والشيخ رابع طن تنقي (Sheikh Rabiū Dantiki) وغوني حمد (Gwani Hamad).

وفي رواية أن هؤلاء الحفاظ في تلك الفترة هم: غوني حمد، وغوني مالم منذو أرزي، وغوني طن ثرو منلادن (Gwani Dan Charo Manladan) وغوني ندود (Nadudu) وغوني رابع طن تنقي، ومالم طن كروني مي

ياشي (Dan karofi mai yashi) وهؤلاء الحفاظ هم الذين كونوا حلقة قرآنية في كنو حيث يجتمعون ويتدارسونه فيما بينهم<sup>٨</sup>.

أما بالنسبة لبداية الاهتمام بالقراءة مع التجويد كما أخبر الشيخ ثالث طن رونظى سابق الذكر، إن بداية قراءة القرآن بالتجويد ترجع إلى وقت مجيئ "غوني حمد" ولكنه عندما وصل وجد الشيخ منذو أرزي، والشيخ رابع طن تنقي، يعلمان الناس القرآن مجودا، ولكن ليس على أنه علم مستقل بذاته، فبمجيئه إلى كنو قويت شوكة هذا العلم واشتهر بين الناس فبدءوا يزيدون علمهم عند هذا الماهر "غوني حمد"، وما زالوا على هذه الحالة التعليمية والتعلمية حتى وفد إليهم "غوني نافع" من منطقة "انشاروا" (Insharuwa) جمهورية نيجر، وكان قبل وصوله قرأ كتب التجويد وعلم الرسم ونهل من فيض العلم والمعرفة من والده غوني ممدو (Gwani mammadu) .

ثم جاء بعده غوني حمد من شرق بَرُنُو من بلد يسمى كارمكا (Karamka) وهو عربي.

ف "غوني نافع" كان أعلم الجميع بعلوم القرآن وتجويده، إلا أن غوني حمد ألسنهم لكونه عربي. وإلى هذين الشيخين يرجع الفضل في مجيئ القرآن بتجويده إلى كنو وانتشاره فيها.

ومن الأعلام المحليين الذين اشتهروا بتعليم الناس علم التجويد، وعلم الرسم والضبط، وعلم عدد آيات القرآن الكريم وحروفه الشيخ رابع طن تنقي، والشيخ مُجَّد منذو أرزي.

أصبح غوني حمد كأب لهما لمعرفة القرآن الكريم، فعكف عليه الشيخ رابع طن تنقي وأخذ عنه كتاب التزييل، والدرر اللوامع لابن عبد البر، كما قرأ عليه ثلاثة وثلاثين حزبا.

أما غوني نافع فيرجع إليه الفضل في تعليم العلماء كتاب الشاطبي، ومن ذلك انتشرت المعاهد القرآنية يقرأ فيها القرآن على نهج جديد غير الذي كان يقرأ عليه سابقا.<sup>9</sup>

ومن هذا المنطلق نجد بعضا من علماء كنبو القراء درسوا كثيرا من كتب التجويد المتداولة في تلك الفترة منهم الشيخ منذو أرزي.

### ترجمة الشيخ مُجَّد منذو أرزي:

مولده ونشأته:

هو الشيخ مُجَّد المحمود الملقب بـ منذو أرزي، ولد سنة ١٨٨٢م بـ دمغرم (Damagaram) الواقعة في دولة النيجر حاليا، وكان من أصل عريق، عميق الأصالة والبصالة، من أمراء دولة كوكاوا الواقعة الآن في أعمال مِينْدُغْرِي، ووالده مُجَّد المحمود بن مُجَّد مِي بن عمر بن مُجَّد النَّكْمَامِي حاكم دولة كوكاوا آنذاك، وهذا الجد هو الذي صحب الشيخ عمر

الفوتي، وأخذ عنه العهد في الطريقة التجانية، وذلك قبل الحروب التي سببت توزيع أعمالها إلى دُونِيَّاتٍ وَكُتَيْبَاتٍ، فانزاح جده إلى الشمال الغربي حيث استقر في مقاطعتها. وتلك المنطقة أطلق عليها بلاد دَمَعْرَم. وقد تحدث المنذوي عن هذا النسب في تخميسه لقصيدة "تحمدة الشيخ منذو في مديح شيخ الإسلام الحاج إبراهيم بن الحاج عبد الله نياس الكولخي" التي مطلعها:

لك الحمد ياربي على نعمائك صلاة وتسليم على خير خلقك  
مُجَّد المبعوث في الخلق حبك أتانا بكل الخير نور بأفركا

فعمت لنا البشرية لدى علمائنا

فجرثومة الكانيم جد لأمنا ومملكة الكانور كانت يميننا  
هناك تلاقى الشيخ فوتي بجدا هنيئا لنا والشيخ حل بأرضنا

وترنوا جميع الناس طلعة غوثنا<sup>١</sup>

ولد الشيخ منذو هناك في أيام ملكها أمير أحمد (كُورَن دَاغَا)، وكان أميراً جائراً يقتل الأولاد الذين ولدوا وليسوا من أصل إمارتهم، فهربت به والدته إلى الغابة حتى أصبح شاباً، ثم استمر والده مُجَّد مَي في تربيته وتعليمه القرآن والمبادئ الإسلامية، فحفظ القرآن في عنفوان شبابه، ثم بدأ ينتقل من بواد إلى قرى يقتطف من ثمار معارف القرآن وينهل من مشارب العرفان إلى أن ألقى عصا التسيار عند صهره وعالمه الماهر



الشهير، والنحير الوقير غوني ممد، والذي هو أيضا من أصل برناوي في قرية (إنشازوا) فأخذ عنه أكثر ما أخذه في فنون التجويد وعلوم القرآن والقراءات، ومن هناك هوت نفسه وتاقت إلى التماس ما تبقى له من آلات المعارف والعلوم، وكان ذلك في أيام الاستعمار الإنكليزي والفرنسي، فقطع المشتقات والعرقلات الوعرة حتى جاوز بلاد فرنسا ودخل في بلاد الأمن والاستيطان، إلى أن وصل إلى بلد كنو، في حدود ١٩٢٠م حيث التحق بالعالم العلامة والصوفي الفهامة، الشيخ مالم أدهم (باكن زوو)، فأحسن مثواه، وعلمه كل ما في جعبته من علوم التصوف فحواه، ثم إلى حي مدابو<sup>١١</sup>، فنهل منها علوم الفقه عند مالم سيوطي، ومالم عمر، ثم إلى عالم التفسير مالم أبوبكر<sup>١٢</sup> فوفر ونبي، إلى أن نصب الشيخ هو الآخر قدم التسيار في تعليم العلم والقرآن والأنوار، ففتح أول معهده هناك، فلبى به كل دان وقاص ينهلون منه غرفة تلو غرفة، منتقلا من حي إلى حي إلى أن وصل إلى هذا المستقر الذي أسداه إليه أمير كنو، عبد الله بايرو في الثلاثينيات فبنى فيه مسجده ومدرسته وبيته.

وفي الأربعينيات اجتمع الشيخ منذو بالشيخ إبراهيم الكولخي، فتعمق الشيخ منذو على يديه في علوم المعرفة وفنون محبة رسول الله ﷺ، حتى لقبه الشيخ إبراهيم بـ "الشيخ المبارك" الأمر الذي زاده شهرة وميزة من بين أقرانه وزملائه.

وقد تغنى المنذوي بذلك في تخميسه للقصيد المذكورة حيث يقول:  
فقد جاءنا برهام مذ كان يافعا وأودع فينا السر فآثر يانعا  
فطالعه سعد متى كان طالعا أتانا بشعبان بضحوة الأربعا  
بوارق نصرنا برقت لكلنا  
إذا قال قائل فمن أين وزنه فبحر طويل من ولي يزينه  
وبرهام سماه المبارك عينه وقائل ذا مُحَمَّد يعرفونه  
بمنذو مديح الفيض ظهرا وباطنا

وبعد ذكر وزن القصيدة، وقائلها الملقب بـ"الشيخ المبارك" ختم بذكر  
ما قام به من التخميس، الذي يرجع تاريخه إلى شهر مارس، سنة  
٢٠٠٨م

فخمسها من صلبه ابن ليحتوي من الخير فيه، ربنا أعط منذوي  
وسائر إخوان رشادا وتحتوي برمز (وبشر المؤمنين فينزوي  
ثمانية ألفين مارس بصفرا

#### رحلاته العلمية وشيوخه:

كما رأينا قبل قليل أن الشيخ قطع الفيافي وجاب الصحاري تحصيلا  
للعلم، فقد سجل أحد من الباحثين الأماكن التي حل بها الشيخ لتلقي  
العلم على النحو التالي:

"لقد من الله على الشيخ منذو باللقاء بعلماء وجهاء ومشايخ أذكياء، يبايع المعرفة والعرفان، وأرباب الفصاحة والبيان، فقدم على بيوتهم ودخلها من أبوابها... وهدفه طلب العلم والمعرفة.

شد رحاله ممتطيا الجد والكد إلى قرية "ظنغيا" (Tsangaya) مقصده، والاتحاق بقارئها غرضه، والتزود من فيضان معرفته وأمنيته، وقد تم له ذلك بعون الله تعالى. ثم توجه بعدئذ نحو "إنكي بلوا" (Inke-Bulwa) حيث يوجد فيها الماهر الشهير "غوني أحمد" ونهل من معين معرفته، ثم واصل سيره نحو "مريا" (Mirya) حيث القارئ الإمام "يحيى" فتعلم منه، ثم غادره ملتجئا إلى "كولرم" (Kularam) حيث القارئ يوسف الملقب بـ "مالم مالي" (Malam Mali) وشرب منه ما قدر له أن يشرب، ثم غادره وتوجه إلى "إنشاروا" (Insharuwa) حيث العالم الشهير "غوني ممدو" (Mammadou) وارث الماهر النحرير "غوني دفشيا" (Difshiya) مقارئ بلاد هوسا، رضوان الله عليهم أجمعين، نزل الشيخ برحابه فأكرم مثواه، وأخذ على يديه علوم القراءات، والرسم والضبط، والتجويد. وتزوج من ابنته. ومن ثم توجه إلى كنو، قاصدا التزويد والتزواد<sup>١٣</sup> فأقر بها وأسس معهده، وقد أنتجت حياته تغيرات كثيرة في دعم المدارس القرآنية (الكتاتيب) حيث كان معهده كشعلة أولى اقتبست منها المعاهد في أنحاء القارة وصارت على منواله.

توفي رحمه الله في صباح يوم الاثنين سنة ١٩٧٠م<sup>١٤</sup> وخلف بعده أربع زوجات، وعشرة أولاد، وخمس بنات، ولم يزل ستة من أولاده على قيد الحياة، فهم وأحفاده وأسباطه يتولون شئون المعهد بعده، كما تبقت ابنتان من بناته على قيد الحياة، فجزى الله الجميع خير جزاء.

#### صفاته وأخلاقه:

كان الشيخ مندو- رحمه الله- متواضعا، فلا يباهي بغزارة علمه، وكان يحترم الناس؛ الشريف فيهم والوضيع، محبا للعدل، وكان رجلا مثاليا في صلة الرحم، ومحسنا إلى الجيران، كما كان قدوة في نظافتي البدن والروح، وكان محبا للعلم، ومولعا بالمعرفة، لذا كان شغفه ترتيل القرآن اثناء الليل وأطراف النهار.<sup>١٥</sup>

#### آثاره:

أما الآثار التي خلفها الشيخ فهي عبارة عن أهم الإنجازات التي حققها في حياته والتي لم تزل تقوم بأدوار هامة في نشر الدراسات القرآنية والعربية ليس في ولاية كنو فحسب، بل في أقطار البلاد داخل الدولة وخارجها، وهذه الإنجازات تتمثل في الآتي:

#### ١/ تلامذته:

حفظ على يد الشيخ ألفين وخمسمائة تلميذ القرآن عن ظهر قلب، وتمهر عشرون من بينهم، ومن هؤلاء التلاميذ الأوائل: مالم آدم (والد طنّ

دَوْدَ وَأَذْهَمَ)، والحاج دَتَيْجُو أَذْهَمَ، ومالم إبراهيم عَرَبَ كدوننا، ومالم لِيَمَنُ (الابن الأكبر للشيخ منذو)، ومالم لَأَمِنُ منذو، ومالم مختار منذو، ومالم لون الحافظ (وهو صهر للشيخ)، ومالم مُجَّدُ إِيشَ كدوننا، والحاج إبراهيم تُوعُو، ومالم أحمد مَيِّ قُوسَ مَرَاطِي، ومالم إدريس مَيِّ كَجِ مَلْفَا، ومالم عبد الرحمن نَأْنُدُو، والحاج شريف تجاني أدْكَوَا، ومعلم الحسن مَادَا<sup>١٦</sup>.

ولم يقف الشيخ عند تعليم القرآن الكريم فحسب، بل تصدر لتعليم علم التجويد وعلوم القراءات، وكان يدرس الطلاب الكتب الآتية:

- كتاب (حز الأمانى ووجه التهاني) المعروف بـ الشاطبية، مع

الاعتماد على شرحه المسمى: (سراج القارئ)

- غيث النفع في قراءات السبع، للعلامة المحقق علي النوري الصفاقسي.

- النشر في القراءات العشر، للشيخ مُجَّدُ بن مُجَّدُ المعروف بابن الجزري.

- الدرر اللوامع لابن عبد البر.

- التيسرة لأبي عمرو الداني.

- الحصرية لموسى الخاقاني.

- النونية للسخاوي.

- الجزرية، لابن الجزري.

ومن أخذ عنه علم القراءات بالإضافة إلى من سبق ذكرهم: الشيخ صالح بن عبد الله المعروف بـ (عُوي طَنْ زَرْع).  
وتمهر-على يد الشيخ منذو- بالمعرفة في "القراءات السبع" ما يربو على عشرة مهرة.<sup>١٧</sup>

فهذه الكتب المذكورة برمتها وإن كانت في القراءات، والهدف من تدريسها هو الوقوف على اختلاف القراء، فإن الأصول التي اختلف فيها القراء لا تخرج عن سبعة وهي: اختلاف الأسماء في الأفراد والتنثية والجمع، واختلاف تصريف الأفعال من ماض ومضارع وأمر، واختلاف وجوه الإعراب، والاختلاف بالنقص والزيادة، والاختلاف بالتقديم والتأخير، والاختلاف بالإبدال، والاختلاف في اللهجات<sup>١٨</sup>. فهذه الظواهر كلها ظواهر لغوية، إذ ترجع إلى: النحو، والصرف، واللهجات، وعليه فإن الشيخ من طرف خفي أسهم في نشر العلوم العربية.  
٢/ نسخته للمصحف:

نسخ بخط يده ثلاثة وخمسين مصحفاً، من بينها الذي قام بطبعه ونشره المرحوم الدكتور آدم عبد الله بايرو (أمير كنو، الراحل) ووزعه إلى ذوي الجاه داخل البلاد وخارجها، ومن حصل على هذه النسخ:  
رئيس جمهورية نيجيريا الحالي (الفريق، مُحَمَّد بخاري)، ورئيس جمهورية نيجر، وأمير المؤمنين سلطان سعد أبوبكر، وأمير أرغُنْغُنْ، وغيرهم.

٣/ قرضه للشعر:

قرض قصيدة للترحيب بالشيخ إبراهيم الكولحي في عشرين بيتا،  
والتي خمسها ابنه مُجَّد السنوسي المندوي، ومطلعها:  
أنا بكل الخير نور بأفركا فعمت لنا البشرى لدى علمائنا  
ومقطعها:

وقائل ذا مُجَّد يعرفونه بمنذو مديح الفيض ظهرا وباطنا

٤/ تأسيسه لمدينتين؛ الأولى في محافظة عُملَ بنيجيريا، وهي: (عَرْنُ  
بقي) والأخرى في مقاطعة دَمَعَرَمَ بالنيجر، وهي: (دُعُو-دُعُو).

٥/ تأسيسه للمعهد الكبير في حارة أَرَزَي، وفروعه في سائر أقطار  
البلاد، داخل نيجيريا وخارجها:<sup>١٩</sup>

**التعريف بالمعهد ودوره في نشر الدراسات القرآنية والعربية:**

يقع هذا المعهد القرآني في حارة أَرَزَي (Arzai) وهي حارة من أحياء  
مدينة كنو، وتقع في محافظة دال (Dala L.G.) حاليا، تحدها حارة أدكاوا  
(Adakawa) غربا، وحارة مزوغل (Mazugal) شرقا، وحارة دوراوا  
(Daurawa) جنوبا. وأَرَزَي من الحارات القديمة في كنو، وهي متوسطة  
المساحة.

بدأ هذا المعهد حركته التعليمية في حارة فوق (Koki) بمدينة كنو في  
بيت الشيخ الكبير الورع مالم أدهم (Adahama) حيث يسكن الشيخ

منذو هناك عندما هاجر إلى كنو، ولشهرته في مجال تدريس القرآن الكريم سمع به أمير كنو - في تلك الفترة - الحاج عبد الله بايرو فأهداه أرضا واسعة في حارة أرزي فانتقل إليها بعدما تم بناء بيته بها، وبني بجانبه مسجدا ومدرسة، ولم يزل الشيخ بها إلى أن توفاه الله عام ١٩٧٠م.

بدأ المعهد بعدد قليل من الطلبة لا يجاوز عددهم خمسين طالبا، ولما ذاع صيته صار بيته كعبة الطلاب ودائرة المعارف، فكان الطلاب يأتون إليه رجالا وركبانا من كل فج عميق، فعكف الشيخ على مهنة التدريس التي لا يقبل فيها من أحد مقابلا، بل يتولى إطعام تلاميذه، ويكسوهم ويزوجهم من بناته، وبنات تلاميذه الكبار، وكان يهتم بالزراعة في فصل الخريف، ومنها يطعم تلاميذه وذوي الحاجة من جيرانه.<sup>٢٠</sup>

وأما منهجه في التدريس فقد قسم الشيخ معهده إلى ثلاثة أقسام:

- القسم الصباحي: فكان يقوم بالتدريس فيه بعد صلاة الصبح مباشرة، إلى أن ترتفع الشمس، فيطلق سراح التلاميذ لكسب المعيشة، ولكن أبناءه يواصلون الدرس بحيث لا يسمح لهم آنذاك بالتكسب حتى لا يشغلهم ذلك عن القرآن.
- القسم المسائي: يجلس فيه الشيخ بعد صلاة العصر إلى الاصفرار.



- القسم الليلي: ويجلس الشيخ فيه بعد صلاة العشاء إلى الساعة العاشرة، أو على حسب ما تقتضيه الظروف.
- أما بالنسبة لطريقته في التدريس، فهناك ثلاثة طرق استعملها الشيخ:
  - ١- الطريقة الرمادية، وهي عبارة عن نار توقد ليلاً ويجتمع التلاميذ حولها.
  - ٢- الطريقة التدريسية، وهي أن يأتي التلاميذ ويلقنهم الشيخ القراءة.
  - ٣- طريقة الألواح المهارية، وهي خاصة بالذين تمهروا في القرآن.<sup>٢١</sup>

### التطورات التي طرأت على المعهد عبر الأعوام:

حدثت لهذا المعهد تطورات كثيرة منذ تأسيسه إلى يومنا هذا، ومن أهم هذه التطورات وأكبرها أثراً مايلي:

كما يستقر في ذهن كل واحد أن المدارس القرآنية من قبل لم تكن تضيف إلى قراءة القرآن شيئاً من العلوم الإسلامية والعربية، فأول تطور شاهده هذا المعهد هو إضافة مواد في الدراسات الإسلامية والعربية، منذ وقت مبكر، مما أدى إلى تغيير اسمه من معهد الشيخ منذو أرزي، إلى "معهد الشيخ منذو لتجويد القرآن والمبادئ الإسلامية، أرزي"، وهذا يرجع إلى ما أضيف إليه من المواد. ومن ثم بدأ استعمال الزي المدرسي

للتلاميذ. ثم أخذ هذا النظام يتطور شيئاً فشيئاً حسب الظروف والعوامل الداخلة فيه.

ولما قبل المعهد هذا النظام الحديث- المتمثل في إضافة المواد- أخذ ينسخ من طور التقليد إلى طور التجديد، حيث يقسم التلاميذ إلى فصول حسب أعمارهم ومستواهم العلمي، وتغير نظام التعليم بسبب ذلك، حيث بدأ استعمال الأدوات التعليمية الحديثة؛ من سبورة، والطبشير، بدلا من استخدام الدواة والقلم والألواح الخشبية.<sup>٢٢</sup>

ومن ثم كان الدرس يكتب على السبورة، وينقله التلاميذ في دفاترهم، وهذه الدروس التي يتلقاها التلاميذ تتمثل في تعلم الحروف الهجائية، والتجويد، وعلوم القرآن، والنحو، والفقه، والتوحيد، والسيرة النبوية، والتهديب. والغرض من هذا كله هو تثقيف التلاميذ بالثقافة العربية الإسلامية التي لا بأس بها بعد قراءة القرآن الكريم.<sup>٢٣</sup>

تطور هذا النظام بقبول المعهد المنهج الحكومي للمدارس الإسلامية، وصار يسير على نهجه، فأضاف إلى منهجه بعضاً من المواد التي ما أولاهها عناية فائقة من قبل، مثل مادة الإنشاء، والإملاء، والتعبير، وذلك ليتمكن التلاميذ من التعبير باللغة العربية، وليتمشى مع المدارس الحكومية الحديثة جنبا إلى جنب. وكان ذلك في منتصف الثمانينيات.

ظل المعهد على هذا النظام إلى أن قسم إلى قسمين؛ قسم لحتم القرآن دون حفظه في الصدور، وآخر لحفظ القرآن عن ظهر قلب، فخصص لكل قسم مقرر يسير على نهجه، وكان قسم التحفيظ يتركز على علوم القرآن والتجويد، واللغة العربية أكثر من ركونه إلى الدراسات الإسلامية، وذلك ليتمكن التلاميذ من معرفة ما يتلونه من آي الذكر الحكيم. وكان هذا التقسيم في أواخر الثمانينيات. وقد حفظ القرآن على هذا النظام حوالي أربعمئة ما بين طالب وطالبة، فعن طريقه بدأ تخريج الحفاظ بشكل جماعي.<sup>٢٤</sup>

ومما طور التعليم العربي في هذا القسم-التحفيظ- المسابقة القرآنية، حيث كانت موضع تنافس بين المعاهد القرآنية والمدارس الإسلامية، وقد مهدت الطريق لإتقان النطق الصحيح بالأصوات العربية، وخاصة عند تجويد القراءة، فهذه المسابقة القرآنية أدت إلى تخصيص فصل لتدريب الطلاب كيفية النطق بالحروف العربية من حيث إخراجها من مخرجها، مع مراعاة الصفات التي يمتاز بها حرف عن غيره، كما يدرّبون على مواجهة ما يطرح عليهم من الأسئلة بالإجابة، حيث كان السؤال في بعض مستويات المسابقة يطرح باللغة العربية. كما يتلقى المشاركون في قسم التفسير تدريباً خاصاً المتمثل في الإلمام بأوجه القراءات، وعلوم البلاغة، إذ أن من يتسابق في هذا القسم يسأل عن هذه الفنون.<sup>٢٥</sup>

وقد نظم الشيخ مُحَمَّد السنوسي المنذوي الأصول التي اختلف فيها  
القراء لمتلقي هذا التدريب ليسهل حفظها في الآيات الآتية:  
وذي الأصول الدائرات في اختلاف قراءات فسبعة لام تلا  
هاك لها عدا إذا لم تدري لعلها تفهمك النهج التلا  
أولها الإظهار والإدغام والإخفاء والإقلاب والصله كلا  
والمد والتوسط والقصر يلي الإشباع والتحقيق والتسهلا  
والبدل والإبدال أسقط ونقل تخفيفه والفتح والمميلا  
وقلن ورقن وفخمن وأغلظن وأخلص الإخفا تلا  
تشميمه وأرسلن وشدت تثقيله والوقف سكت يعلا  
والقطع والإسكان والروم فتى الإشمام والحذف كذا يجتلى  
أخيرها ياء الإضافة تلي ثم الزوائد فعيها للتلا  
فمن يكن يعرف هذا الأصلا يكن وقيرا عند وفد والملا  
وإن سئلت من ينظم هذه فقل سنوسي نجل منذو يافلا  
صل إلهي أبدا وسلمن على الذي عليه هذا أنزلا  
مُحَمَّد وآله والصحب وكل خادم له مرتلا<sup>٢٦</sup>  
فهذه الآيات كما يُرى تنطوي على مصطلحات صرفية، وتجويدية،  
ولغوية، فهي بدورها تعرف التلاميذ خصائص اللهجات العربية المتمثلة في  
النقل والتسهيل والمد والقصر وغير ذلك من وجوه اختلاف القراءات.

ولما فتح قسم علوم القرآن بكلية أمين كنو للشريعة والقانون، وسمح لكل من حفظ القرآن عن ظهر قلب أن يلتحق به ليحصل على شهادة دبلوم، كان طلاب هذا المعهد من الدفعة الأولى ممن التحقوا بالكلية، ومن ثم تكونت حلقة دراسية بقيادة الشيخ مُجَّد السنوسي المنذوي، وتولى تدريس كتاب الشاطبي في القراءات السبع، - وكانت الدروس مسجلة في السجيل، - كما تولى تدريس علوم القرآن والبلاغة، وكتاب "تحفة الأطفال في التصريف" للشيخ إبراهيم انياس، كما قام - أيضا - بترجمة كتاب الدواوين الست للشيخ إبراهيم انياس، باللغة المحلية، ولم تنزل هذه الدروس تجرى في يومي الخميس والجمعة بعد العصر.

وقد ألف الشيخ كتبا التي تستخدم في المعهد وغيره من المعاهد كمقرر في التجويد وعلوم القرآن، وأصول القراءات، وهي على النحو التالي:

- التحفة المنذوية في علم التجويد (الجزء الثالث).
- تحدث فيه عن التعريف بعلم التجويد، ثم مخارج الحروف، ثم أحكام النون الساكنة والتنوين، وأحكام الميم الساكنة، والميم والنون المشددين، وأحكام "ال" القمرية والشمسية، وأخيرا تحدث عن أنواع الإدغام.
- التحفة المنذوية (الجزء الرابع) تحدث فيه عن أحكام المدود.

- التحفة المنذوية (الجزء الخامس) تحدث فيه عن صفات الحروف.<sup>٢٧</sup>
  - فتح اللطيف المنان في تعاريف أصول قراءات القرآن، وهو نظم اختصر فيه كتاب "الإضاءة في أصول القراءات".
  - الوجيز في تاريخ جمع القرآن وتدوين القراءة وتاريخ بعض القراء.
- ومن قبل هذه الكتب المذكورة، ألف الشيخ محمد نور محمد أرزي<sup>٢٨</sup> كتابا في علوم القرآن بعنوان: (إرشاد الصبيان إلى مبادئ علوم القرآن) وهو على طريق سؤال وجواب، والكتاب يحتوي على طائفة من الأحاديث الشريفة التي تحدثت عن فضل القرآن الكريم، وفضل قارئه، والتحذير من نسيانه، وما يتعلق بذلك. هذا بجانب ما يمس علوم القرآن، من: التعريف بالقرآن، ومراتب نزوله، وما إلى ذلك.
- وفي الآونة الأخيرة أرسل المعهد علماءه إلى جهات علمية مختلفة ليتلقوا تدريبات فنية التي تساعدهم على تنمية مهاراتهم وخبراتهم، فمنهم من تلقى التدريب من معهد الشيخ إبراهيم الطيب، والبعض الآخر من قبل جمعية الدعوة الإسلامية العالمية (الليبية) حينما قامت بتنظيم دورات لمعلمي اللغة العربية لتزويدهم بخبرات جديدة مستحدثة، وذلك في أواخر التسعينات.
- وفي نهاية الدورات تجرى الامتحانات على المشاركين، ويحصل المتفوقون على التعيين بشكل رسمي من الجمعية، فتمنحهم مكافأة شهرية مقابل العمل التدريسي الذي يقومون به.

فهذا المعهد ضمن المدارس التي اختارتها الجمعية ليكون تابعا لها، وقد فاز المعهد- نتيجة ماتقدم- بالحوز بالكتب المدرسية المعاصرة في اللغة العربية والدراسات الإسلامية، وكانت الجمعية تشرف على المعهد آن ذاك وخاصة الأساتذة الذين تم تعيينهم من قبلها. فنتيجة هذه التطورات حصل التلاميذ على التعبير عن أنفسهم باللغة العربية مما أمكنهم من القيام بالنشاطات في الاحتفالات المتنوعة باللغة العربية، وهذه النشاطات عبارة عن تقديم المسرحيات، وإنشاء القصائد المطربة، وخير مثال على ذلك قصيدة الترحيب بأمر كنو،- المرحوم- الحاج آدو بايرو، لما زار المعهد لمناسبة الاحتفال بختم القرآن عام ٢٠٠٠م، وها بعضا من أبياتها:

أهلا وسهلا مرحبا	بأمر كانوا آدم
أهلا وسهلا مرحبا	بخدم دين قائم
أهلا وسهلا مرحبا	بأولي القران خادم
في الوعد كان موافيا	هو ذاك بايرو آدم
في الدين كان مجاهدا	لا يخش لومة لائم
هو عادل هو عابد	في الليل ليس بنائم
وتحاره يسعى له	في رد كل مظالم
فالله واهب ملكه	لك يا أمير آدم

في الخير كان مواظبا مهما تراه عازم  
طابت وطاب معاشه حياك رب دائم  
رفع المدارس فاتحا ومع المساجد قائم  
في كل سبت أو أحد يجيي المدارس آدم  
أديت كل أمانة وفيت عهدا جازم  
معهد مندو أرزي في حب بايرو آدم  
معهد مندو أرزي يرتاح منظر آدم<sup>٢٩</sup>

ومن أمثلة المسرحيات التي أجريت في إحدى الاحتفالات بالمولد النبوي الشريف، مسرحية بعنوان: "المرأة المثالية" تتكون من عدة مشاهد، وتتحدث عن مشاكل الأسرة، فقسمها الكاتب إلى ثلاث طبقات؛ الطبقة المثقفة، والمتوسطة في الثقافة، والمتدنية. وها المشهد الأول منها، وهو يمثل الأسرة المثقفة التي تعيش عيشة عز وكرم تحت سيدها الحاج فيصل.

المشهد الأول:

الحاجة زكية ( زوج الحاج فيصل) تستقبل بنتها نعيمة وسليمة، بعد رجوعهما من المدرسة.

سليمة ونعيمة: السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين يا أمه!



الحاجة زكية: وعليكما السلام ورحمة الله وبركاته يا بنتاي، أهلا وسهلا قدوم مبارك، ما شاء الله! تفضلا بالجلوس.

نعيمة: ما هذا الاستقبال الحسن يا أمنا الكريمة؟

سليمة: لا خليها يا أمنا!! يا أختي نعيمة كفي لسانك عن أمنا.

الحاجة زكية: لا يا سليمة- هذا ليس بشيء، ولا تشددي على أختك، ومع كونكما بنتي لكن أخصكما باحترام خاص، وذلك لاهتمامكما بالدروس، وحتى ربنا الكريم يرفع شأن ذوي العلم والمعرفة في كتابه الكريم حيث يقول: "يرفع الله الذين ءامنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات"

لذا استقبلتكما هذا الاستقبال الحسن احتراما للعلم.

(دخلت زميلة لها-هند-)

هند: سلام الله وبركاته عليكم يا أهل البيت.

زكية وبتناها: وعليك السلام ورحمة الله وبركاته.

هند: والله ليعجبني ما أراه يجري بينك وبين أبنائك من الترابط والعلاقة الحسنة، ولو كانت الأمهات أمثالك لحسنت أخلاق بنينا وبناتنا، وهذا ما يستحسن فعله من قبل الأمهات.

زكية: وهذا ليس بشيء، إنما من واجباتنا نحن الأمهات خصوصا.

يا نعيمة ويا سليمة: أدخلنا المطعم وتناولوا الطعام.

هند: جئت لأسلم عليك فقط، وأنا مستعجلة وسنلتقي فيما بعد  
إن شاء الله.

زكية: بارك الله فيك، وشكرا.<sup>٣٠</sup>

ومن التطورات أيضا أن المعهد ترقى حيث فتح بجانب القسم  
الابتدائي القسم الإعدادي، وذلك في سنة ٢٠٠٥م. ليسهل على  
المتخرجين من المعهد خاصة، ومن المدارس الأخرى، الالتحاق به بعد  
انتهاء مرحلتهم الابتدائية.

وعلى هذا النظام خَرَّج المعهد نخبة من المثقفين الذين لم يزالوا ينشرون  
الدراسات القرآنية والعربية أينما وجدوا أنفسهم.

#### الخاتمة:

تمت بعون الله كتابة هذا المقال وقد سلط أضواء على الإسهامات  
التي قام بها بعض المتحمسين الغيورين من الأمة الإسلامية في نشر  
الدراسات القرآنية والعربية في ولاية كنو وما جاورها ردها من الزمن، وقد  
توصل البحث إلى النتائج الآتية:

- إن تاريخ دخول القرآن مدينة كنو مرتبط بدخول الإسلام فيها.
- إن الشيخ منذو أرزي كان من العلماء الأوائل الذين وفدوا إلى  
كنو، ومن القراء المهرة الذين قاموا بنشر الدراسات القرآنية فيها.

- إن المعهد الذي أسسه، والذي يعتبر من أبرز آثاره كان من المراكز الأولية التي قامت بنشر الدراسات القرآنية والعربية في مدينة كنو وما حولها، حتى صار شعلة يُقتبس من نوره، ولم يزل يقوم بأدوار فعالة نحو تحفيظ أبناء المسلمين القرآن، وتزويدهم بمعلومات قيمة إلى يومنا هذا.
- إن المعهد تطور تطوراً ملموساً بسبب العوامل التي أثرت فيه حتى استطاع أن يخرج نخبة من المثقفين الذين يمارسون التدريس فيه، وفي غيره من المدارس.

### الهوامش والمراجع:

- ١- شيخ أحمد سعيد غلادنتي، (الدكتور) حركة اللغة العربية وآدابها في نيجيريا، ١٨٠٤-١٩٦٦م، العبيكان للطباعة و النشر، الرياض، ط٢/، ١٩٩٣م، ص: ٢٧
- ٢- الشعراء ١١٠-١١٣
- ٣- الأنعام ٥٢-٥٤
- ٤- مُجَّد آدم أبوبكر، المدارس القرآنية في مدينة كنو، نشأتها، منهجها، ومساهماتها في نشر الثقافة الإسلامية والعربية، بحث تكميلي لنيل شهادة الليسانس في اللغة العربية، مقدم إلى قسم اللغة العربية، جامعة بايرو، كنو. ١٩٩٥م. ص: ٢٣

- ٥- سكيروج سليمان، الكتاتيب في كنبو بين الماضي والحاضر، بحث تكميلى لنيل شهادة الليسانس في اللغة العربية، مقدم إلى قسم اللغة العربية، الجامعة الإسلامية، نيجر، ١٩٩٥م. ص: ٥٤
- ٦- سكيروج سليمان، المرجع السابق، ص: ٥٥
- ٧- وكلمة (غوني) تعني الماهر
- ٨- مقابلة شفوية مع الأستاذ سكيروج سليمان في مقابلته مع المرحوم الشيخ مُجد ثالث طن رونظى، بتاريخ ٦/٦/٢٠١٥م
- ٩- سكيروج سليمان، المرجع السابق، ص: ٥٧
- ١٠- والقصيدة في عشرين بيتا، والجزئين الأخيرين هما أصل القصيدة، والأجزاء الثلاثة الأول للمخمس.
- ١١- ومدابو حارة بمدينة كنبو، يشار إليها بالبنان من ناحية العلماء، وخاصة الفقه المالكي.
- ١٢- وهو إمام زاوية قوق، ومسجد الحسن طن تات آنذاك
- ١٣- أنظر: سكيروج سليمان، المرجع السابق، ص: ٦٢-٦٣
- ١٤- سنوسي المنذوي، (الشيخ) ملخص بعنوان: (ومن أحيائها فكأنما أحياء الناس جميعا) ص: ٢
- ١٥- سكيروج سليمان، المرجع السابق، ص: ٦٢
- ١٦- مقابلة شفوية مع الشيخ سنوسي المنذوي، في بيته بتاريخ ٨/٦/٢٠١٥م

- ١٧- مقابلة شفوية مع المنذوي، بتاريخ المذكور.
- ١٨- أنظر: عبد الفتاح عبد الغني القاضي، الوافي في شرح الشاطبية في القراءات السبع، مكتبة السوادى للتوزيع، جدة، ط/١، ١٩٩٩م. ص: ٦-٧
- ١٩- سنوسي المنذوي، الملخص السابق، ص: ٣
- ٢٠- سكيرج سليمان، المرجع السابق، ص:
- ٢١- مُجَدِّد السنوسي المنذوي، لمحة تاريخية من الماضي والحاضر في الطرق والمنهج التدريسي التربوي بمعهد الشيخ منذو أرزي، كنو- نيجيريا، الطبعة الأولى: ٢٠٠٦م، بدون مكان الطبع. ص: ٩
- ٢٢- إلا أن هذا النظام له أثر سلبي، حيث لا يتقن الطلبة الرسم العثماني كما يتقنه من يستخدم اللوح.
- ٢٣- مُجَدِّد السنوسي المنذوي، المرجع السابق.
- ٢٤- مقابلة شفوية مع مُجَدِّد المجتبي لون الحافظ، رئيس قسم التحفيظ الحالي، بتاريخ: ٢٧/٦/٢٠١٥
- ٢٥- بشير لون، تطور التعليم العربي في بعض المدارس القرآنية والإسلامية بمدينة كنو، تاريخ ودراسة، بحث تكميلي لنيل شهادة الليسانس في اللغة العربية، قسم اللغة العربية، جامعة بايرو، كنو ٢٠٠٨م، ص: ٣٩-٤٠
- ٢٦- يرجع تاريخ نظم هذه الأبيات إلى ١٧/٥/١٩٩٨م.

٢٧- أما جزئي الأول والثاني فهما عبارة عن منظومة بلغة هوسا تحتوي على بيان مخارج الحروف.

٢٨- وهو رجل داعية، ومن تلامذة الشيخ مندو

٢٩- يرجع تاريخ هذه القصيدة إلى ٢٨/٣/٢٠٠٠م. ويبلغ عدد أبياتها

ثلاثة وأربعين بيتا

٣٠- هذه المسرحية من انتاجات سكيرج سليمان، وهو من أحفاد الشيخ

مندو، قام التلاميذ بتمثيلها في الاحتفال بالمولد النبوي عام ٢٠٠٨م

## مدينة تمنطيط ودورها التجاري وسط الصحراء حتى نهاية القرن الثالث عشر الهجري

إعداد:

الأستاذ الدكتور أحمد جعفري

كلية الآداب واللغات

الجامعة الإفريقية أحمد دراية أدرار - الجزائر

[adjaafri@univ-adrar.dz](mailto:adjaafri@univ-adrar.dz)

تعتبر مدينة تمنطيط<sup>(١)</sup> من أهم وأقدم المدن التجارية بالصحراء الجزائرية الكبرى، وقد أهلها لذلك جملة من العوامل نذكر منها موقعها الجغرافي الهام الذي جعلها تتوسط كبريات المدن التجارية في شمال القارة، إضافة إلى هجرة العديد من السلالات البشرية واستقرارهم بها من يهود وبربر، وعرب، وزنوج وغير ذلك. وهو ما جعل المدينة أيضا قبلة العديد من التجار والصناع والحرفين من شتى الأقطار، وانتشرت بها على الخصوص محلات صياغة الذهب والفضة، حيث يذكر الشيخ محمد الطيب بن عبد الرحيم في مخطوطه الذي خصه لتاريخ المدينة وسماه: القول البسيط في أخبار تمنطيط<sup>(٢)</sup> " أنه كان يوجد بها حوالي ثلاثمائة وستون صائغا يهوديا في صناعة الذهب والفضة وحدها. وبالجملة فقد اجتمع في هذه المدينة - كما قال - " العلم والعمارة والولاية والديانة والرئاسة، وانتصبت بها الأسواق والصنائع والتجارة والبضائع، وكان لا يستغني عنها غني ولا زاهد"<sup>(٣)</sup>.

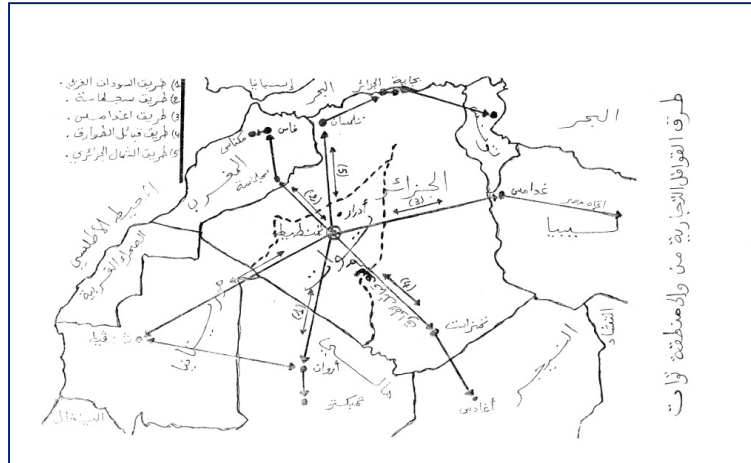
وقبل المؤرخ مُحَمَّد الطيب بن عبد الرحيم احتلت المدينة تمنطيط حيزا واسعا في كتابات المؤرخين والرحالة العرب والأعاجم ، وتحدثوا عنها وعن نشاطها التجاري والثقافي مطولا فهذا ابن خلدون(ت.٨٠٨هـ)<sup>(٤)</sup> يصف الإقليم التواتي عامة وتمنطيط خاصة بقوله : " .....وفواكه بلاد السودان كلها من قصور صحراء المغرب مثل توات وتكدرارين ووركلان"<sup>(٥)</sup>. ثم نراه يتحدث عنها في موضع آخر من الكتاب واصفا قصورها وعمراتها ونشاطها التجاري بقوله : "....وتسمى وطن توات، وفيه قصور متعددة تناهز المئين آخذه من الغرب إلى الشرق، وآخرها من جانب الشرق يسمى تمنطيط ، وهو بلد مستبحر في العمران، وهو ركاب التجار المترددين من المغرب إلى بلد مالي من السودان لهذا العهد ومن بلد مالي إليه بينه"<sup>(٦)</sup>. بل إن الرحالة العياشي (١٠٩٠هـ) ذهب إلى أبعد من كل هذا حين جعل المدينة تمنطيط مجمع القوافل التجارية العابرة للصحراء جميعا، لما توفره من فرص العرض والطلب للتجار والزبائن معا على حد سواء وبخاصة في صرافة الذهب والفضة وهو ما جعله يطيل البقاء في الإقليم حيث يقول: "وسبب إقامتنا في هذه البلاد هذه المدة أن كثيرا من الحجاج لما غلا صرف الذهب في تافلات أخروا الصرف إلى توات ، فإن الذهب فيها أرخص ، وكذلك سعر القوت من الزرع والتمر وهذه البلدة هي مجمع القوافل الآتية من بلاد تنبكتو ومن



بلاد أقدر من أطراف السودان ويوجد فيها من البضائع والسلع التي تجلب من هناك شيء كثير" (٧).

كانت المدينة تمنطيط وإلى وقت قريب جدا تتوسط مجموع طرق القوافل التجارية العابرة للصحراء ، وهو ما مكنها من الارتباط التجاري والثقافي بمعظم تلك المدن المحيطة بها شمالا وجنوبا وهذا بواسطة طرق القوافل التجارية المعلومة من مثل (٨):

- ١- طريق السودان الغربي الذي كان يربط المدينة بمنطقة مالي وموريتانيا.
- ٢- طريق سجلماسة وهو الذي يربط المدينة بمنطقة المغرب الأقصى.
- ٣- طريق أغدامس وهو الذي يربط المدينة من جهة الشرق بليبيا ومصر.
- ٤- طريق قبائل الطوارق والبربر الضاربة جنوب توات.
- ٥- طريق الشمال الجزائري وهو الذي يربط المدينة بمدن الشمال كتلمسان ووهران والجزائر وبجاية.



ولقد شملت السلع المعروضة والمتبادلة في أسواق المدينة تمنطيط شتى أنواع الملابس، والأسلحة، والتمور والحناء، والنحاس، وريش النعام، والشاي والتبغ، والسكر، والفلفل، والصمغ العربي، وغيرها.

تقع مدينة تمنطيط وسط الإقليم التواتي الذي يمتد في حدوده القديمة من حدود واد الساورة إلى حدود صحراء تنزروفت حيث يعتبر الشيخ البكري أن "بينه وبين سجلماسة مسافة ثلاثة عشر يوما ... وغربا عشرين يوما لأول السودان، ومن غدامس عشرين يوما، ومن بلاد الزاب عشرة أيام شرقا، ومن ناحية أولاد عيسى قدر أسبوع إسرعا لبلاد البيض سيدي الشيخ، وعدد قصوره في القرن الحادي عشر مائتا قصرا أوسطها بودة وتيمي وتمنطيط"<sup>(٩)</sup>. وهو تابع في عهدنا الحالي إلى ولاية أدرار جنوب العاصمة الجزائر بنحو ١٥٠٠ كلم.

وتمنطيط من حيث اللفظ لفظ "أعجمي ويقال إنه مركب من اسمين عجميين وهما ( أتما ) و ( تيط ) ومعنى ( أتما ) النهاية و ( تيط ) معناها العين"<sup>(١٠)</sup>، وبعد التركيب وحذف ألف ( أتما ) الأخيرة وإبدال ألف ( اتط ) الأولى نونا، صار الاسم على تركيب ( أتمتيط )، ثم أسقطت الألف الأولى للتخفيف، وأبدلت التاء الثانية طاء، فأصبح الاسم على صورة نطقه الحالية ( تمنطيط ). ومع هذا فقد تناقلت الذاكرة الجماعية

معنا آخر للفظ ويعني أن اللفظ مركب من كلمتي (أمان) وتعني (الماء) و(تيت) وتعني (العين) أي بمعنى عين الماء .

وبالرجوع إلى الجانب العمراني في تاريخ الإقليم التواتي عامة وتمنطيط خاصة نجد أن نص ابن خلدون السابق من أقدم النصوص التي تناولت بالحديث عمارة الإقليم فحديثه عن تمنطيط وعمارتها كان محل إعجاب كبير لديه ، بل إن حديثه عن تخطيط وهندسة التواتيين للفقارة كان عجيبة لم يسبق له أن اطلع عليها.

وبعد ابن خلدون جاء المؤرخ سيدي محمد بن بابا حيدة وخصص كتابا مستقلا لمدينته تمنطيط و هندستها ، وطبيعة أبنيتها قائلا: "وهي متصلة البنيان في قصور غير متباعدة السيسان بل هي متلاصقة العمران .... وحوها أصول وبساتين ماؤها بفقاقير جارية .... وقد جاءها الماء من الجهات الثلاث شرقا وغربا وقبلة بخلاف غيرها من البلدان ، ويقال إن فيها ثلاثمائة وستة وستون فقارة منها ما هو جار الآن ومنها ما هو معطل ، قيل وقصورها أصل عددها كذلك ثلاثمائة وستة وستون قصرا يستضاف فيها الضيف كل يوم بقصر على عدد السنة" (١١).

ومعلوم أن النمط العمراني لهذا القصر بالذات في تلك الفترة وما قبلها هو خليط في هندسته بين النمط الإسلامي والنمط الإفريقي إلا

أن هذا النص التاريخي ، وما سبقه به ابن خلدون يمكن أن يقودنا إلى جملة من الاستنتاجات الأولية أهمها:

١- انضواء مجموعة مما يعرف محليا بالقصور أو القصبات وبأسمائها الخاصة تحت مسمى جامع فنجد تنطيط وفيها كما قال المؤرخ ثلاثمائة وستة وستين قصرا متصلة بعضها ببعض.

٢- تقارب القصور ، وتلاصق العمران.

٣- بناء المدينة وسط مجار ثلاثة للمياه وهي ما تعرف محليا بالفقارة.

٤- إحاطة المدينة بواحات النخيل أو ما يعرف محليا بالجنة .

لقد كانت المجتمعات الإسلامية في إقليم توات -وإلى وقت قريب جدا - تسكن في تجمعات سكنية جماعية محاطة بصور خارجي ضخم، فردي حيناً ومزدوج حيناً آخر . ويسمى التجمع عامة القصر أو القصبة. ويجمع على قصور.

يتشكل القصر من بناية خارجية عامة بداخلها مساكن فردية، ويحكم القصر عامة باب خارجي كبير. كما تأتي معظم هذه القصور محاطة بخنادق دفاعية وبأبراج أربعة أو خمسة بحسب شكل القصر. وهذه التحصينات الدفاعية في إنشاء العمارة التواتية تمتد جذورها كبقية المدن الإسلامية من فعل الرسول (ص) في المدينة المنورة وما قام به من

حفر للخندق بها من الجهة الشمالية جهة الخطر حينها وقد كان بطول ٣٠٠ ذراع وبعمق أربعين ذراعاً<sup>(١٢)</sup>، وأول ما يتبادر إلى الأذهان بعد الإطلاع على هذه التصاميم هو طبيعة البيئة الصحراوية التي وجدت فيها هذه القصور والتي كانت في مجملها بيئة حربية<sup>(١٣)</sup> يغزو فيها وإذا توغلنا إلى داخل القصر وجدنا هناك البيوت والأزقة الضيقة بسبب مساحة القصر الإجمالية التي تتحكم فيها الظروف الاقتصادية وتحت البيوت تكون هناك دهاليز صغرى للتبريد وحفظ المنتجات، وتحت القصر إجمالاً هناك الدهليز أو النفق الجامع الذي تتخذه الجماعة للتبريد في فصل الصيف الحار، و وسط كل هذا يأتي المسجد كأهم بناية في وسط القصر. وبالقرب منه أحياناً هناك بئر الشرب الاحتياطي. وبين كل هذا وذاك تأتي مساحة القصر المركزية الكبرى كأكبر مساحة وسوق داخل القصر للعرض وتبادل السلع التجارية. وهذه أهم القصبات التاريخية المشكلة لقصر تمنطيط<sup>(١٤)</sup>

اسم القصة	تاريخ تأسيسها	القبائل التي سكنتها
أولاد ميمون	القرن الثاني هجري / الثامن ميلادي	قبيلة أولاد سلام
أولاد أمجد	القرن العاشر هجري / السادس عشر ميلادي	قبائل أولاد أمجد

اسم القصة	تاريخ تأسيسها	القبائل التي سكنتها
تايلوت	بداية القرن الثاني عشر ميلادي	قبائل اللمتون ( لمتونة)
أولاد يعقوب	منتصف القرن الثاني عشر ميلادي	قبائل أولاد يعقوب
أولاد اهمالي	القرن السادس ميلادي	قبائل أولاد همال
أولاد داود	القرن الخامس عشر ميلادي	قبائل أولاد داود بن عمر
أولاد اعلي بن موسي	خلال القرن الثاني عشر ميلادي	قبائل أولاد اعلي بن موسي
قصور أولاد يحي	هي مجموعة من القصبات المندثرة لا يعرف تاريخها	قبائل أولاد يحي - أولاد مولاي عبد الواحد بن الزويني

وقد تحدث صاحب البسيط بشيء من الإسهاب عن توافد قبائل عديدة في مراحل مختلفة إلى القصر وتعميرهم له ، و أول قبيلة نزلت به يقال لها اللمتون و يقصد بهم المثلثون أولاد يوسف بن تشافين وفدوا إلى القصر حين انكسرت دولتهم بالمغرب والأندلس<sup>(١٥)</sup> ، وبعدهم توافدت القبائل تباعا على القصر ، وكانت لكل قبيلة قصرها أو قصبتها الخاصة التي تؤسسها بمجرد نزولها في القصر .

### النشاط الاقتصادي والتجاري بتمنطيط:

لقد شكل عنصر الماء بالإقليم أحد أهم روافد الحياة الاقتصادية والتجارية بالإقليم ، ان لم يكن محركها وشريان حياتها الأساسي ، وهو ما تفتن له سكان الإقليم عامة منذ نزولهم بهذه الصحاري حيث أبدعوا في اكتشاف الفقارة ونظام توزيع مياهها ، وهو ما مكنهم من خلق نشاط فلاحي مميز أنعكس على باقي مناحي الحياة الاقتصادية والاجتماعية ، وامتد صدها التصديري شمالا وجنوبا.

ونظام الفقارة هو واحد من أهم وأغرب أنظمة السقي التقليدية في العالم وقد وقف عنده المؤرخون والرحالة العرب والأعاجم بكثير من الدهشة والإعجاب، كما الأمر مع ابن خلدون في القرن التاسع الهجري الذي له في وصفها أمر عجيب نراه معه يتعرض إلى أدق تفاصيل إنشاء الفقارة وجريان مائها حيث يقول. "وفي هذه البلاد الصحراوية إلى وراء العرق غريبة في استنباط المياه الجارية لا توجد في تلول المغرب وذلك أن البئر تحفر عميقة بعيدة الهوى. وتطوى جوانبها إلى أن يوصل بالحفر إلى حجارة صلدة فتحت بالمعاول والفؤوس إلى أن يرق جرمها ثم تصعد الفعلة ويقذفون عليها زبرة من الحديد تكسر طبقها عن الماء فينبعث صاعداً فيفعم البئر ثم يجري على وجه الأرض وادياً. ويزعمون أن الماء ربما أعجل بسرعته عن كل شيء. وهذه الغريبة موجودة في قصور توات وتيكورارين وواركلا

وربغ. والعالم أبوالعجائب. والله الخلاق العليم" (١٦). وبنظام الفقارة استطاع الإنسان التواني أن يلي كافة احتياجاته الفلاحية بل وتمتد يده تصديرا إلى بلاد السودان كما يذكر ابن خلدون دائما " ..... وفواكه بلاد السودان كلها من قصور صحراء المغرب مثل توات وتكدرارين ووركلان" (١٧).

والفقارة، هي عبارة عن سلسلة من الآبار المائية المتصلة بعضها ببعض في طريقة تصاعدية عجيبة وطريقة توزيعية للمياه أعجب، وهو نظام قديم جدا تعددت الروايات في أصله ومصدره واتفقت على شيوعه وانتشاره في أكثر من عشرين منطقة من ربوع العالم. غير أن ما يميز المنطقة التواتية في نظامها المائي هذا هو توارثه عبر الأجيال منذ عدة قرون وإلى الآن مع المحافظة على كثير من مقوماته وأسس بنائه، بالإضافة إلى أنه ساهم وبشكل كبير في توازنات السكان وانتشاره داخل الإقليم ومن ثم الاستقرار واستمرار العيش إلى الآن وسط ظروف طبيعية جد قاسية، كما كان لهذا النظام أيضا الأثر البارز في غرس روح العدالة والمساواة بين أفراد المجتمع تبعا لقدرة كل فرد، ومدى حضوره ونجاعته في أعمال الحفر والصيانة السنوية التي يعرفها النظام، إضافة إلى ما يصحب كل ذلك من قيم ومثل تضامنية عليا هذا دون أن ننسى أثر كل ذلك على كافة التحولات الاجتماعية والمجالية التي عرفها ويعرفها الإقليم.



وإذا تحدثنا عن قصر تمنطيط وأنظمة الفقاقير به وجدنا به أولا أحد أهم وأقدم فقارة بالإقليم والمسماة ب"هنو" وهي فقارة تظل إلى الآن بلا نظام توزيع للمياه بل يتم التوزيع بها وفق قاعدة التداول بين المالكين على مدار ساعات اليوم.

وإضافة لهذه الفقارة توجد بالقصر فقارات عديدة نذكر منها : فقارة المخلوف، تيمدين، قرنج، أولاد سيدي واعلي، ميمون، سيدي توامي، أولاد حمو، حبا النبو، بالحاج. مازر، أولاد سيد الشيخ، تقورت.

ومن أهم المحاصيل الفلاحية بالقصر كغيره من قصور الإقليم نذكر: النخيل حيث تشكل التمور الغذاء الرئيسي والمنتج التجاري الأول لسكان الإقليم عامة، ويأتي بعده نبات القمح بنوعيه ثم الحنا والتبغ وباقي الخضروات.

وغير المحاصيل الفلاحية فقد شملت الصادرات التواتية إلى السودان الغربي أيضا بعض الملابس، والأسلحة وفي المقابل تتم مقايضة هذه السلع بالشاي والسكر والنحاس وريش النعام والقطن والعبيد جنوبا باتجاه السودان الغربي. وبالسكر والفلفل والصمغ والصفوف ومشتقات الحليب والملح و أدوات الزينة و الخيل والطور والقمح و الزيت والمنسوجات شمالا. باتجاه عين الصفراء والمشربة ومعسكر وتلمسان إلى حدود سجلماسة وغدامس شرقا وغربا وغيرهما .

وعن أسعار هذه السلع فإن مجملها كان يتم وفق تجارة المقايضة المعلومة سلعة بسلعة ، والبعض الآخر كان يشتري بالذهب وغيره من بقية العملات حيث نجد أن ثمن الحمل الواحد من الملح في مدينة مالي (المجاورة للإقليم ) كان يعادل عشرة مثاقيل من الذهب ، ويصل في بعض الأحيان إلى أربعين مثقال.<sup>(١٨)</sup>

وفي كل هذا كانت تمنظيط القلب التجاري النابض للإقليم انطلاقا من موقعها الإستراتيجي الهام والمميز أولا ، ومن تمركز معظم التجار العرب والأعاجم بداخلها .  
تمنظيط والحركة الصناعية.

عرفت مدينة تمنظيط خلال هذه الفترة أزهى فترات حركتها الصناعية، وهذا بشهادة مؤرخ المدينة الشيخ سيدي محمد الطيب الذي يقول عنها "وهي بما قاعده فيها العلم والإمارة والولاية والديانة والرياسة، انتصبت بها الأسواق والصنائع والبضائع والتجارة وكاد أن لا يستغني عنها غني ولا زاهد لما فيها من الدين والبركة والحاجة والحمد لله فهي موردة الركبان و معشر العربان ورياسات البلدان ..... وترتسي بها التجار في الآوان ..."<sup>(١٩)</sup>.

ومن خصائص النشاط الصناعي والتجاري بهذه المدينة أن تخصص فيه عائلات بأكملها وتصير في ذلك مضرب المثل لغيرها ، كما هو

الأمر مع قبيلة أولاد داوود بن اعمر التي نزلت بالقصر في حدود القرن التاسع الهجري، ووصفها الشيخ سيدي مُجَّد الطيب بقوله: "وكانوا أهل شماخة... وعزة ورياسة بنوا الحمام، وضربوا السكة ولم يبق منهم إلا بقية ضعافا . وقصورهم الآن قاعدة السوق بتمنطيط وبها الحدادون والنجارون والخرازون والدلالون والعطارون والصباغون والجزارون وغير ذلك" (٢٠).

كما أن المدينة اشتهرت من بين نظيراتها من مدن الإقليم التواتي بالحضور اليهودي المكثف حيث يذكر الشيخ مولاي أحمد الإدريسي: "أنها كانت معقلا لليهود" (٢١) كما يذكر أيضا مؤرخ المدينة الشيخ الطيب أنه كان بها "ثلاثمائة وستة وستين صانعا يهوديا" واستطاعوا بهذا العدد أن يسيطروا على مقاليد الحركة التجارية بالمدينة لعصور، مما انعكس سلبا على حركة التوازن بينهم وبين المسلمين. وهو الخطر الذي نفظن له الشيخ الإمام المغيلي (٩٠٩هـ) وجعله يدخل معهم في حروب انتهت بإجلائهم عن المدينة نهائيا.

لقد حل الإمام المغيلي بأرض توات على الأرجح سنة ٨٨٢هـ (٢٢) ووجد اليهود يومها قد ضربوا بأذناهم في كل شاردة وواردة من أمور حياة التواتيين بالإضافة الى تمردهم على كثير من الأحكام الشرعية عليهم، وهو ما رأى فيه الإمام المغيلي إسقاطا لصفة الذمي عنهم،

ووجوباً لهدم ما استحدثوه من كنائس في أرض المسلمين . ومن هنا بدأ الخلاف مع بعض علماء عصره وعلى رأسهم قاضي توات آنذاك الشيخ أبو عبد الله العصموني<sup>(٢٣)</sup> وفي هذه القضية ومن حولها أثيرة قضايا فقهية عدة استمع فيها المغيلي إلى آراء معارضيه وأنصاره<sup>(٢٤)</sup>، واستقر به الرأي أخيراً عند إسقاط صفة الذمي عن اليهود ، أولاً ثم محاربتهم وإخراجهم من منطقة توات أرض المسلمين ثانياً.

وإذا انتقلنا إلى الحديث عن أهم الصناعات التي اشتهرت بها المدينة وعم صداها كافة الأقطار المجاورة وجدنا منها:

- ١- صناعة الفضة: وقد اقتصت بها قبائل بعينها وصنعت منها أدوات الزينة بإشكالها المختلفة .
- ٢- صناعة الجلود: وقد اقتصت بها قبائل بعينها أيضاً، وصنعت منها الأحذية والحقائب وغيرها.
- ٣- الصناعات الطينية: وصنعت منها أدوات الشرب والأكل والزينة ، إضافة إلى أدوات الفلكلور المختلفة .
- ٤- الحدادة: وقد تخصصت فيها بعض القبائل أيضاً واستخرجت منها الأدوات الفلاحية تحديداً من المنجل والمسحاة والقادوم وقد تعدته إلى بنادق الصيد وكذا بنادق الفلكلور .

أدوات الوزن والقياس:

استعان التواتيون في تجارتهم بمجموعة من أدوات القياس، والكيل، والوزن وهي نفس الأدوات والوسائل التي كانت سائدة في الصحراء الإفريقية عامة في تلك الفترة غير أن بعضها يبقى محليا تبعا للنشاط المحلي الذي وسمت به كما هو الأمر مع أدوات الكيل والوزن الفلاحية التي نذكر منها:

"الشقفنة" وتسمى أيضا: "الحلافة" صيغة مبالغة من الحلف على العدل والمساواة، أو الصبارة. وهي في شكلها صفيحة نحاسية مستطيلة أو دائرية ذات ثقوب عديدة ومتدرجة من الأصغر إلى الأكبر. أما وحدات القياس فأصلها جميعا يسمى الحبة و بها يكون قياس ماء الفقارة إجمالا حيث يقولون في هذه الفقارة ١٠٠ حبة ماء أو ٢٠٠ حبة ماء وما إلى ذلك. وغير الحبة هناك من الوحدات أيضا:

الماجل: ولها مسميات مختلفة منها: الحبة- العود- الصبع - قيراط نحاس أحيانا. وهو أربعة وعشرين قيراط. والقيراط: هو جزء من أربعة وعشرين جزء من الماجل. وهناك أيضا قيراط القيراط وهو جزء من أربعة وعشرين من القيراط.

الربع : وحدة قياس يساوي ستة قيراط .

الفلس : هو الحد الأدنى لوحدات القياس الخاصة بتكبير الماء ، و٥٧٦ فلس تمثل عود أي قيراط.

قيراط نحاس: هو الوحدة الأولى التي يتم بها قياس إجمالي ماء الفقارة. ومن أدوات الكيل والميزان<sup>(٢٥)</sup> المستعملة في المبادلات التجارية بالمدينة تمنطيط في تلك الفترة وإلى الآن تقريبا نذك:  
الميزان: وهو مصنوع من سعف النخيل والألياف ويتوسطه عود خشبي كبير.

القصة: وتستعمل لكيل التمر والقمح.

أزقن: وهو وحدة للكيل مقدارها قصة.

القامة: وهي لقياس الطول وتساوي ٠٢ متر.

القروي: وهو صاع كبير لكيل التمر والحبوب وما شابه، وهو خمسة أقصاع.

لحمل أو لغرارة: ويساوي ١٥٠ كيلو تقريبا.

الذراع والقامة والشبر والقدم وكلها تستخدم في قياس الطول.

وبجميع هذه الأنشطة الاقتصادية والتجارية التي طبعت المدينة تمنطيط وحركت سكونها لمدة طويلة إضافة إلى النشاط العلمي المميز الذي وصفت به المدينة استطاعت تمنطيط أن تحتل محل الريادة وموقع العاصمة الثقافية والاقتصادية للإقليم التواقي قاطبة ولفترة طويلة من الزمن، وهو ما أهلها لتبوء مكانة مرموقة من بين كبريات العواصم

التجارية والثقافية في صحرائنا الكبرى ، وتحدث عنها العام والخاص من المؤرخين والرحالة العرب والأعاجم على حد سواء .

### المصادر والمراجع

أولاً: المخطوطة:

- ١- البسيط في أخبار تمنطيط ، الطيب، بن عبد الرحيم. خزنة تمنطيط.
- ٢- درة الأقاليم في أخبار المغرب بعد الإسلام . الشيخ سيدي محمد بن عبد الكريم. خزنة تمنطيط أدرار.
- ٣- الدرّة البهية في الشجرة البكرية. الحاج محمد العالم. خزنة تمنطيط أدرار .
- ٤- نسيم النفحات في ذكر جوانب من أخبار توات. الشيخ مولاي أحمد الإدريسي. خزنة تاسفاوت. أدرار.

ثانياً: المطبوعة:

- ١- إقليم توات خلال القرنين الثامن والتاسع عشر الميلاديين د: فرج محمود فرج، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر ١٩٧٧م.
- ٢- تاريخ أفريقيا الغربية الإسلامية من مطلع القرن السادس عشر إلى مطلع القرن العشرين. أ. د يحي بوعزيز. دار هومة. الجزائر ٢٠٠١.
- ٣- تحفة النظر في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار ، ابن بطوطة ، دار صادر بيروت لبنان . .

٤- سكان تدكلت القدماء والاتكال على النفس. الحاج التومي سعيديان. دار هومة/ الجزائر ٢٠٠٥.

٥- العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر المعروف بتاريخ ابن خلدون. دار الكتاب اللبناني ١٩٨٣ م بيروت لبنان .

٦- العمارة الدينية الإسلامية في منطقة توات مدينة تمنطيط نموذجاً من القرن ٦هـ إلى القرن ١٣هـ. دراسة تاريخية أثرية عمرانية ومعمارية. مذكرة لنيل شهادة الماجستير في الآثار الإسلامية إعداد بن السويسي محمد. إشراف عبد لعزیز محمود لعرج لعرج. جامعة الجزائر معهد الآثار. ٢٠٠٨.

٧- ماء الموائد (الرحلة العياشية). تحقيق محمد حاجي، ط٢، ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م، مطبوعات دار المغرب للتأليف والنشر.

٨- المعيار المغرب أحمد بن يحيى الونشريسي / دار الغرب الإسلامي. المملكة المغربية.

٩- نيل الابتهاج بتطريز الديباج للشيخ سيدي أحمد بن بابا التنبكتي. دار الكتب العلمية بيروت لبنان.



ثالثا: المجالات:

- ١- مجلة طريق القوافل ص ٦٥. المركز الوطني للبحوث في عصور ما قبل التاريخ وعلم الإنسان والتاريخ ٢٠٠١. موضوع : مساهمة قوافل الصحراء والحضارة الإسلامية في السودان الأوسط. أ.الماحي عبد الرحمان عمر .
- ٢- مجلة المدينة العربية العدد ٤٩ / موضوع: مدخل لدراسة المدينة الإسلامية. الدكتور ابن يوسف إبراهيم .

#### الهوامش والمراجع:

- (١) تمنطيط مدينة تاريخية قديمة يرجع تاريخها إلى ما قبل الإسلام بقرون بعيدة. وهي حاليا تابعة لولاية أدرار التي تبعد عنها بعشر كيلومترات تقريبا .
- (٢) مخطوط القول البسيط في أخبار تمنطيط . ص ١٨
- (٣) المصدر السابق .
- (٤) ذكرها في كتابه العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر المعروف بتاريخ ابن خلدون . مج ١/ج ١ ص ٩٣، مج ٦/ج ١١ ص ١٢٠، ١٢٣، ١٣٣، ٢٠٦. مج ٧/ج ١٣ ص ١١٨، ١١٩. دار الكتاب اللبناني ١٩٨٣ م بيروت لبنان .

- (٥) المصدر نفسه مج ١/ج ١ ص ٩٣.
- (٦) المصدر نفسه مج ٦/ج ١١ ص ١٢٠.
- (٧) الرحلة العياشية . أبو سالم العياشي . الجزء الأول . ص ٢١.
- (٨) إقليم توات خلال القرنين ١٨ و ١٩ م ، فرج محمود فرج ، ص ٧٠. وينظر أيضا: مساهمة قوافل الصحراء والحضارة الإسلامية في السودان الأوسط. أ.الماحي عبد الرحمان عمر . مجلة طريق القوافل ص ٦٥. المركز الوطني للبحوث في عصور ما قبل التاريخ وعلم الإنسان والتاريخ ٢٠٠١. وينظر خريطة طرق القوافل من وإلى الإقليم في الملحق.
- (٩) مخطوط درة الأقلام في أخبار المغرب بعد الإسلام . ص ٣ . الشيخ سيدي محمد بن عبد الكريم . خزانة تمنطيط أدرار . وينظر أيضا : مخطوط الدرّة البهية في الشجرة البكرية . ص ١٣١ وما بعدها . الحاج محمد العالم .
- (١٠) البسيط في أخبار تمنطيط ، الطيب، بن عبد الرحيم، تحقيق فرج محمود فرج ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر، ١٩٨٤، ص ١٥
- (١١) محمد بن بابا حيدة. مخطوطه القول البسيط في أخبار تمنطيط تحقيق فرج محمود فرج . ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر ١٩٧٧م. ص ٤
- (١٢) ينظر : الدكتور ابن يوسف ابراهيم . مدخل لدراسة المدينة الإسلامية مجلة المدينة العربية العدد ٤٩/ص ١٦ . وما بعدها

(١٣) لقد سجل الشيخ سيدي مُجَّد بن عبد الكريم في مخطوطه درة الأقلام في أخبار المغرب بعد الإسلام معظم هذه الحروب والفتن التي دارت رحاها في الإقليم تباعا .

(١٤) العمارة الدينية الإسلامية في منطقة توات مدينة تمنطيط نموذجاً من القرن ٦هـ إلى القرن ١٣هـ. دراسة تاريخية أثرية عمرانية ومعمارية. مذكرة لنيل شهادة الماجستير في الآثار الإسلامية إعداد بن السويسي مُجَّد. إشراف عبد لعزیز محمود لعرج لعرج. جامعة الجزائر معهد الآثار. ٢٠٠٨.

(١٥) البسيط في اخبار تمنطيط. الطيب بن عبد الرحيم ص ٠٨.

(١٦) تاريخ ابن خلدون مج ٧/ج ١٣ ص ١١٨ وما بعدها .

(١٧) المصدر نفسه مج ١/ج ١ ص ٩٣ .

(١٨) ينظر: تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار ، ابن بطوطة ، دار صادر بيروت لبنان. ص ٧٦٤ .

(١٩) مخطوط البسيط في خبر تمنطيط وخبر ما وقع في الزمان وما اشتملت عليه من المكان. الشيخ سيدي مُجَّد الطيب بن الحاج عبد الرحيم. ص ٠٢

(٢٠) المصدر نفسه ص ١١

(٢١) مخطوط نسيم النفحات . خزنة تاسفاوت . أدرار

(٢٢) ينظر مخطوط درة الأقلام في أخبار المغرب بعد الإسلام. ص ١٩. سيدي مُجَّد بن عبد الكريم. خزنة كوسام. و تقييد مخطوط في خزنة بن الوليد أدرار .

(٢٣) نزل الشيخ العصموني بأرض توات قادما من تلمسان سنة ٨٦٢هـ . وتولى بها القضاء سنة ٨٧٧هـ. المصدر السابق .

(٢٤) ينظر: المعيار المغرب أحمد بن يحيى الونشريسي ج/٢ ص ٢١٩ وما بعدها /دار الغرب الإسلامي . المملكة المغربية . و كتاب نيل الابتهاج بتطريز الديباج للشيخ سيدي أحمد بن بابا التنبكتي . الجزء الثاني /حرف الميم . ص ١٥١ وما بعدها . دار الكتب العلمية بيروت لبنان. وتاريخ أفريقيا الغربية الإسلامية من مطلع القرن السادس عشر إلى. مطلع القرن العشرين. أ. د يحيى بوعزيز . دار هومة. الجزائر. ٢٠٠١.

(٢٥) ينظر: سكان تدكلت القدماء والإتكال على النفس. الحاج التومي سعيدان. ص ١٦٧. دار هومة الجزائر ٢٠٠٥.

**الصور البيانية في قصيدة "جمع الخردة من قصيدة البردة"**

إعداد:

إبراهيم صالح جيبيا

الجامعة الفدرالية دوتسنا، ولاية كاتسنا - نيجيريا

[isjibia@fudutsinma.edu.ng](mailto:isjibia@fudutsinma.edu.ng)

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين ولا عدوان إلا على الظالمين  
أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له جعل اللغة العربية أسمى  
اللغات وأفصحها واختار منها خير نبي أرسل وأنزل بها أشرف كتاب  
منزل وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ﷺ أما بعد: فهذه المقالة تتحدث  
عن الصور البيانية من قصيدة (جمع الخردة من قصيدة البردة) للدكتور  
إبراهيم أحمد مقري. والدافع لكتابة هذه المقالة هو إظهار محاولة الشعراء  
النيجيريين في توظيف الظواهر البلاغية في أشعارهم، التي تتزين بها  
أشعارهم. وتعالج هذه المقالة قضية الصور البيانية من هذه القصيدة،  
وتتضمن هذه المقالة على النقاط التالية:

- ١- ترجمة الشاعر.
- ٢- عرض القصيدة.
- ٣- تحليل الصور البيانية الواردة في القصيدة.
- ٤- الخاتمة.

### ترجمة الشاعر:

هو إبراهيم أحمد مقري بن سعيد بن خالد بن حمزة من أصل عربي،  
ووالدته هي السيدة سودة (بلاربا) بنت مُجَّد بَلُو بن أحمد بن الشبي  
خعمر الوالي زاريا.<sup>١</sup>

ولد إبراهيم أحمد مقري في مدينة زاريا سنة ١٩٧٦م/١٣٩٦هـ نشأ  
وترعرع في مدينة زاريا، ربا أبوه وأمه تربية إسلامية. وأخذ مبادئ التعليم  
على يد أسرته حيث أخذ القرآن الكريم ومبادئ الكتابة على يد والدته  
السيدة سودة وأخذ الثقافة العربية والإسلامية على يد والده الشيخ أحمد  
المقري ومن علمائه الذين كَوَّنوا شخصيته في مجال العلم بفنونه المختلفة  
وخاصة الأدب العربي النيجيري الشيخ شريف إباهيم صالح الحسين  
البرناوي، وبروفيسور مُجَّد أول أبوبكر، وبروفيسور حمدي حسن،  
وبروفيسور سامي الكرمي.<sup>٢</sup> بدأ تعليمه الابتدائي في مودوجي (modoj)  
الابتدائية بكشنة. واستمرَّ بالتعليم في مدارس النظامية إلى أن نال شهادة  
الليسانس في اللغة العربية والصحافة في جامعة الأزهر سنة ١٩٩٩م.  
وواصل الدراسة للحصول على على درجة الماجستير فحصل على  
شهادة الماجستير بجامعة أحمد بلُو زاريا سنة ٢٠٠٥م. ثم واصل السير  
للحصول على شهادة الدكتوراه بجامعة بايرو كنو فحصل على الشهادة  
سنة ٢٠٠٩م.

وكان للشاعر أعمال والنتاج الشعري كثيرة، ومنها: قصيدة (جمع الخردة من قصيدة البردة)<sup>٣</sup>. وكان إماما بجامع عاصمة نيجيريا (أبوجا) حاليا فجزاه الله عنا خيرا.

### عرض القصيدة: (جمع الخردة من قصيدة البردة):

وهي تخميس قصيدة البردة للبوصيري، نظمها الدكتور إبراهيم أحمد مقري، أبياتها مائة وستون بيتا، ولما قرأ الشاعر قصيدة البردة أعجب بها فرأى إمكانيته ومقدرته على أن يخمسا، وكان أصل القصيدة على شطرين وأضاف لها ثلاثة أشطر من مبدأ كل بيت إلى آخرها وذلك أن التخميس يشمل خمسة أشطر، ومطلعها:-

يا أيها الصب من وجد ومن ألم ما شأن هذا الذي في الصد منحدم  
فلم تزل هائما في وهدة الدجم أمن تذكر جيران بذي سلم  
مزجت دمعا جرى من مقلة بدي

وآخرها:

ويسألونك عن زهر الحياة فتي منها، ونرجو غدا أزهى وإنيفت  
حسي الرجاء وإقراري بمنقصتي أبياتها قد أتت ستين مع مائة  
فرّج بها كربنا يا واسع الكرم

### تحليل الصور البيانية الواردة في القصيدة:

**التشبيه:** ومن حيث الصور البيانية الواردة في الأبيات، أولاً نوجه أنظارنا إلى ظاهرة التشبيه. وعرف بعض البلاغيين التشبيه بأنه الدلالة على مشاركة أمر لآخر في معنى بإحدى أدوات التشبيه لا على وجه الاستعارة الحقيقية ولا المكنية ولا التجريد<sup>٤</sup>. ومهما يكن من أمر فإن للتشبيه دورا كبيرا في عملية النظم الشعري حتى إن كثيرا من البلاغيين واللغويين القدامى كالثعالبي وغيره جعلوه غرضا من أغراض الشعر<sup>٥</sup>.

لقد لجأ الشاعر إلى بعض التشبيهات كما لاحظ الباحث في الأبيات التالية:

وكيف تخفي الذي في القلب يضطرم والدمع يهمع إعلانا به ودم  
كما تعانق فيك الجلد والعظم أيجسب الصب أن الحب منكم  
ما بين منسجم منه ومضطرم

فالقاريء لهذا البيت يدرك أن الشاعر شبّه فيه سيلان الدمع من العين لإعلان ما في القلب، بتعانق الجلد والعظم في جسم الإنسان وهذا تشبيه بليغ.

وكقوله:

فإنني في هواه مغرم دله صب أسير غرام هائم وله



ففي هذا الشطر نلاحظ تشبيها مؤكدا إذ حذف فيه أداة التشبيه وهى الكاف فشاعرنا شبه نفسه في محبة الرسول ﷺ بأنه كمغرم، وكذلك، وكصب، وكأسير، وكغرام، وكهائم، وكوله.

وكذلك قول الشاعر:

وهل يضر ببحر غرف مغرف فاغرف كما شئت مداح وانصرف  
هو الفريد بكل مدح فلتصف كالزهر في ترف والبدر في شرف  
والبحر في كرم والدهر في همم  
والأم في رحمة أو في رعايتها لا... إنه مثله فانظر لحالته  
لدى المعارك جلد في بسالته كأنه وهو فرد في جلالته  
في عسكر حين تلقاه وفي حشم

فإننا نلاحظ في هذين البيتين ظاهرة التشبيه المرسل المفصل لذكر أداة التشبيه ووجه الشبه فيه. حيث نرى الشاعر يشبه ممدوحه وهو النبي ﷺ: بأنه كالزهرة في اللطافة والنضارة، وكالقمر في علو منزلة، وكالبحر في الجود، وكالدهر في همته، وكالأم في رافتها بولدها الصغير وكيفية قيامها برعايته، وكذلك يصور لك بسالة النبي ﷺ في المعركة كأنه فريد في الجيش الكثير لا يماثله أحد في الشجاعة.

وهكذا إذا تتبعنا هذه القصيدة إلى نهايتها ندرك مزيدا من ظواهر التشبيه لكننا اقتصرنا على ذكر ماتقدم من الأمثلة لأن المجال لايسعنا من ذكر أكثر منها نظرا لضيق المجال.

**الاستعارة:** وتعرف هذه الظاهرة بأنها هي اللفظ المستعمل في غير ما وضع له لعلاقة المشابهة مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الأصلي<sup>٦</sup> كان الشعراء يستخدمون ظاهرة الاستعارة تجويدا لشعرهم ولعلاقتها الوثيقة بالتشبيه.

لقد استخدم الشاعر هذه الظاهرة في مثل قوله:

قد أشربوني كئوس الحب من أزل لم أرو من عله كلا ولا نهل  
فقول الشاعر: ( قد أشربوني كئوس الحب ) لا يريد بذلك الشرب الحقيقي وإنما استعارها ليدل بها على تعمق الحب في قلبه وذلك لأن الحب لم يكن شيئا مشروبا وإنما يتعمق في القلب، وكذلك قوله: ( لم أرو ) لا يعني بها الروي الحقيقي من شرب الماء وإنما يعني بذلك أنه لم يسأم من محبة الرسول ﷺ وكذلك لفظي ( عله ونهله ) فالمراد بالأول الشرب الأخير وبالثانية الشرب الأول، واستخدمهما الشاعر في غير معنهما الحقيقي.

وكذلك قول الشاعر:

ويل لمن تاه في قعر الضلال فظن بن المصطفى آخذا دار المور وطن  
وقوله في هذا الشطر: ( قعر الضلال ) فالمراد به: البئر لكن الشاعر لا يريد بذلك البئر المحفور وإنما استعار هذه اللفظة ليدل بها على عمق الضلالة. ومعنى العمق: البعد إلى الأسفل، وبهذا المعنى نلاحظ العلاقة

المشابهة بين العمق والبئر الذي هو معنى القعر المستعار للدلالة على العمق.

وكقوله أيضا:

كما غدا الشرك مشرودا بدون أب يحميه من ذل ما يلقي ومن تبب  
فقول الشاعر: "بدون أب يحميه" لا يعنى بذلك أن للشرك والد وإنما  
استعار لفظة الأب ليدل بها على سناديد الشرك الذين يقومون بالدفاع  
عنه لعلاقة المشابهة بين دفاع الأب عن ابنه ودفاع السناديد عن الشرك.

وقوله:

حق الكساد له في البيع والعرض فالذنب أمسى رداي والهوى مرضي  
قوله (ردائي) لا يعنى به الرداء الأصلي المصنوع من القطن وغيره  
وإنما استعار هذا اللفظ ليدل به على انغماسه في الذنب حتى أصبح  
الذنب غطاء له أو ثوبا لا يفارقه.

فالقارئ لهذه القصيدة إذا أمعن النظر يدرك فيها كثيرا من الألفاظ  
المستعارة التي لا يريد الشاعر بها معناها الحقيقيه وإنما يستدل بها على  
معنى آخر لعلاقة المشابهة.

المجاز: فالمجاز كما قال بعض البلاغيين هو: اللفظ المستعمل في غير  
ما وضع له لعلاقة مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الحقيقي<sup>٧</sup>، فيكون لفظ

المجاز اسم مكان، وقد أطلق على الكلمة المستعملة في غير ما وضعت له باعتبار أنها طريق إلى تصور المعنى المراد منها<sup>٨</sup>.

كان للمجاز دور كبير في إنشاء الأدب شعرا كان أو نثرا، ولذلك

نرى شاعرنا يستخدم بعض الألفاظ على غير حقيقتها مثل قوله:

يا أيها الصب من وجد ومن ألم ما شأن هذا الذي في الصدر من حدم  
فلم تزل هائما في وهدة الدجم أمن تذكر جيران بذي سلم  
مزجت دمعا جرى من مقلة بدم

إن لفظ الصدر الذي استخدمه الشاعر إنما يعني بذلك القلب، لا الصدر الحقيقي الذي هو مقدم كل شيء، ويقال: صدر الكتاب، وصدر النهار، وصدر الأمر، وصدر القوم: رئيسهم. وصدر الإنسان: الجزء الممتد من أسفل العنق إلى فضاء الجوف<sup>٩</sup>.

إن لفظ الصدر الذي استخدمه الشاعر إنما يعني بذلك القلب، لا الصدر الحقيقي الذي هو مقدم كل شيء، ويقال: صدر الكتاب، وصدر النهار، وصدر الأمر. فإطلاق الصدر بمعنى القلب في قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ تُحِبُّوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْذُوهُ يَعْلَمُهُ اللهُ﴾ آل عمران الآية: ٢٩ مجاز، لأنه لا يعني بهذا اللفظ المعنى الحقيقي للقلب. والذي يدل على ذلك قوله تعالى في آية أخرى: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبَ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ الحج الآية ٤٠.

وكذلك قول الشاعر :-

صفي ظمانا وأما الشرك حيرتها يزداد وأسأل "سطيحا" إذ يجيب، وها  
فقول شاعرنا في هذا الشطر (وأما الشرك حيرتها) يعنى أهل الشرك  
فيإطلاق الشرك بمعنى أهلها مجاز وكذلك كل لفظ من هذا النوع مثل  
قوله تعالى ﴿وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعَيْرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا﴾ يوسف:  
(الآية ٨٢) فالمراد بالقرية أهلها وكذلك العير فإن القرية والعير لا  
ينطقان فتسألًا، وكذلك إذا تتبعنا هذه القصيدة إلى آخرها نجد كثيرا من  
المجاز استخدمه الشاعر في بعض أبياتها.

**الكناية:** فهي ظاهرة من ظواهر علم البيان، وتعرف في اصطلاح علماء  
البيان بأنها: لفظ أطلق وأريد به لازم معناه، مع جواز إرادة المعنى الأصلي.  
فالمتكلم يترك اللفظة الموضوع للمعنى الذي يريد التحدث عنه ويلجأ إلى  
لفظ آخر موضوع لمعنى آخر تابع للمعنى الذي يريده فيعبر به عنه<sup>١</sup>.  
والكناية ثلاثة أنواع: كناية عن صفة، وكناية عن موصوف، وكناية  
عن نسبة. وقد استخدم الشاعر ظاهرة الكناية بأنواعها الثلاثة في هذه  
القصيدة الرائعة في أبيات عدة منها قوله:

أم عدت ماضيك أم طيف لخاطفة سرى لتهييج نار فيك ساكنة  
كم للهوى العذري من أسرى ومن ترة أم حبة الريح من تلقاء كاظمة  
وأومض البرق في الظلماء من إضم

فقول الشاعر في هذا البيت (كم للهوى العذري) كناية عن شدة الحب وهي كناية عن نسبة. وكذلك قوله:

كالإبداء الإنتهاء و العكس فانتبه نور ابن نور ابن نور غير مشتبه  
طهارة الأصل إن تدري علي به أبان مولده عن طيب عنصره  
يا طيب مبتدأ منه ومختتم

فقوله: (نور ابن نور ابن نور غير مشتبه) كناية عن شرف النبي ﷺ على من سواه وهي كناية عن نسبة أيضا. وكذلك قول الشاعر:  
فلن يشيب مدى الدنيا الغراب بها تدوم دوام اكتشافات عجائبها  
واسأل "حمل" آية السلطان بعد "سها" فما تعد وما تحصى عجائبها  
ولا تسام على الإكثار بالسأم

فقوله في هذا البيت: (فلن يشيب مدى الدنيا الغراب بها) كناية عن دوام القرآن على حال واحد وهي كناية عن صفة. وكذلك قوله في البيت التالي:

الضاربي الرأس بالهندي إن جحدت المالكين ذمام الحرب إن شبكت  
الحافظين دماء الناس إن سفكت والكاتبين بسمر الخط ماتركت  
أفلامهم حرف جسم غير منعجم

فقوله: ( الضاربي الرأس بالهندي ) كناية عن بسالة الصحابة وشجاعتهم  
عن موصوف. وأما قوله:

فابن حواء مشتاق لما حرما ولم يتاجر بذا فرد سوى ندما  
فـ (ابن حواء) كناية عن الإنسان وهي كناية عن نسبة.  
وكذل قوله:

قد بعث نفسي له نقدا يدا بيد فلست أخشى كساد صاحبي بغد  
مالي سواه طرا الحالات من سند إن لم يكن في معادي آخذا بيدي  
فضلا وإلا فقل يا زلة القدم

فـ (قد بعث نفسي له نقدا يدا بيد) كناية عن شدة محبته للنبي صلى  
الله عليه وسلم، وهي كناية عن صفة.  
فظاهرة الكناية كثيرة في هذه القصيدة الرائعة يدركها الدارس من  
خلال متابعتها لأبياتها.

#### الخاتمة:

الحمد لله الذي وفق الباحث بإتمام هذه المقالة بمنه وكرمه، لقد  
احتوت هذه المقالة دراسة الصور البيانية من قصيدة (جمع الخردة من  
قصيدة البردة) للشاعر الدكتور إبراهيم أحمد مقري. حيث تناول الباحث  
أربعة ظواهر من الصور البيانية في القصيدة. وهي التشبيه، والاستعارة،  
والمجاز، والكناية، ودعمها بالأمثلة مناسبة من أبيات القصيدة.

وقد توصل الباحث إلى نتائج، منها:

١- أن الشاعر قد حاول جادا في استخدام الصور البيانية في هذه القصيدة.

٢- اتسم الشاعر بعمق الفصاحة في استخدام هذه الظواهر في شعره.

٣- لعبت الظواهر المدروسة دورا في تجلية المعاني المقصودة في القصيدة.

#### الهوامش والمراجع:

١- فن المديح عند اليخ إبراهيم أحمد مقري دراسة أدبية بحث تكميلي للحصول على درجة الماجستير في اللغة العربية بجامعة باييرو كنو إعداد مُجد عليّ ٢٠٠٨م، (ص: ١٠).

٢- مقابلة شفوية مع تلميذ الشاعر حمدة عمر زاريا.

٣- خلاصة العشاريات د. إبراهيم أحمد مقري الطبعة الأولى سنة: ١٤٣٣هـ/٢٠١٢م دار الاتحاد للطباعة القاهرة: (ص: ٦)

٤- علم البيان: دراسة تحليلية لمسائل البيان، د. بسويني عبد الفتاح فيّود، الطبعة الثانية سنة ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨ مؤسسة المختار القاهرة، ص ١٨

٥- شعر عمر بن الفارض، دراسة أسلوبية صادق رمضان، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٨م (ص: ٩٩)

٦- علم البيان دراسة تحليلية لمسائل البيان د. بسويني عبدالفتاح، ( ص: ١٣٩)



- ٧- البلاغة الواضحة للبيان والمعاني والبديع، التأليف: علي الجازم و مصطفى أمين بلا طبعة والتاريخ. ص: ٧١)
- ٨- علم البيان دراسة تحليلية لمسائل البيان د. بسيوني عبد الفتاح فيود. (ص: ١١٨)
- ٩- المعجم الوسيط د. إبراهيم أنيس د. عبد الحكيم منتصر، عطية الصراحي، مُجدِّد خلف الله أحمد بلا طبعة والتاريخ (ص: ٥٣٥)
- ١٠- علم البيان دراسة تحليلية لمسائل البيان د. بسيوني عبد الفتاح فيود (ص/١٩٩).

## اللغة العربية وصلاحيتها لتدريس العلوم والتكنولوجيا بالمدارس العربية في نيجيريا ولاية كوارا أنموذجا

إعداد:

الدكتور محمد الأول شاويش

شعبة اللغة العربية، كلية الدراسات الإنسانية

جامعة سلي لاميطو بكفن هوسا، ولاية جغاوا - نيجيريا

[kanojakara303@gmail.com](mailto:kanojakara303@gmail.com)

### Abstract:

This paper of research consists of a glance at the Arabic Language, and the effective roles it had played towards the spread of sciences and humanities, in the ancient epochs, in different parts of the globe, as it also deals with some impediments obstacles, and detestation that Arabic language faces from enemies presently. And lastly, the paper treated main topic of the research objectively, i.e. viability of the Arabic Language for teaching science and technology, at Arabic Schools in Nigeria, in our present epoch.

### ملخص:

يحتوي هذا البحث على نظرة عاجلة عن اللغة العربية وأدوارها الفعالة، في نشر العلوم والمعارف الإنسانية في العصور القديمة في مختلف أقطار الكرة الأرضية، وما تواجهه في عصرنا الراهن، من العراقيل والعقبات، من قبل مبغضيها وأعدائها، كما يتناول في النهاية، الموضوع الهدف لهذه الورقة، ألا! وهو صلاحية اللغة العربية لتدريس العلوم والتكنولوجيا بالمدارس العربية في نيجيريا في زمننا الحاضر.

## مقدمة:

لا غرو أن اللغة - كأى لغة - ما هي إلا وعاء الفكر ووسيلة تعبير، هذا من وجه، ومن وجه آخر، فهي تراث وتاريخ يحكي امتزاج وتلاقي الثقافات التي استمدت منها اللغة كيانها، ولهذا كله فاللغة في أي مجتمع هي وعاء ثقافته، والثقافة من حيث هي تكتسب بالمعايشة، والتفاعل الاجتماعي بين أفراد الجماعة، ومن ثم فهي تكتسب اجتماعيا، وليس بيولوجيا فتورث، وهي الخصائص التي جعلت من اللغة - أيا كانت - ظاهرة ثقافية، وليست عرقية.

ولعل من فطن إلى تقرير ثقافية اللغة هو رسولنا الأعظم، صلوات الله وسلامه عليه، حيث قال في شأن اللغة العربية: "ليست العربية لأحدكم بآب ولا أم، إنما العربية باللسان، فمن تكلم العربية فهو عربي". فكل من تكلم العربية فهو عربي، هذه حقيقة يقرها النبي عليه الصلاة والسلام، منذ أكثر من أربعة عشر قرنا، ونجد لها اليوم ما يبرهن عليها، وذلك من تعدد صور الانتماء الثقافي حيث نجد شعوبا تمتد أواصر الانتماء الثقافي بينها وبين شعوب أجنبية، تبعد عنها - جغرافيا - بعدا شاسعا، ففي إفريقيا مثلا، تعرف دول وسط إفريقيا وشرقها وغربها - على كثرتها - بأنها ناطقة بالإنجليزية أو الفرنسية (Anglophone) أو (Francophone). وما وجدت اللغات الأوربية المكملة المرموقة إلا لتوافر

عوامل اجتماعية وثقافية وسياسية - تكاد تكون معلومة للجميع - جعلتها تمتد خارج نطاقها الاجتماعي والجغرافي.

إن تعليم اللغة العربية في الأقطار الغير الناطقة بها دائما يكون مرتبطا بشكل أو بآخر بالدين الإسلامي الحنيف، والحالة في نيجيريا لا تختلف، إلا أن هناك عوامل أخرى ساعدت على نقل التعليم العربي ونشره في نيجيريا<sup>٢</sup>.

منها: - عوامل تاريخية<sup>٣</sup> وثقافية<sup>٤</sup> ودبلوماسية<sup>٥</sup>، بالإضافة إلى العامل الرئيسي وهو علاقة الدين الإسلامي باللغة العربية.

ونظرا إلى تلك الاعتبارات، فقد بذلت المنظمات والمعاهد والأفراد جهودا كبيرة لتنمية التعليم العربي، ودججه ضمن منهج التعليم في نيجيريا، ولكن هذه الجهود لم تتجاوز مرحلة اعتبار العربية لغة تُدرّس في المعاهد والكليات والجامعات النيجيرية، وأما بالنسبة للابتدائيات والثانويات فليرجع الدارس إلى الخاتمة من هذه الورقة، وعلى الأكثر تدرس بها الدراسات الإسلامية، وبعبارة أخرى فإن اللغة العربية رغم قدمها في البلاد، ورغم اهتمام المسلمين بها، لم تكن إلا مادة من ضمن المواد الدراسية.

وهذا البحث يحاول أن يلفت أنظار المهتمين بالدراسات العربية والمسؤولين التربويين في نيجيريا، إلى أنه آن الأوان للغة العربية أن تكتسي

ثوبا جديدا، وتلعب دورا أكثر وطنية وأشد جدية من ذي قبل، إذ وطننا النيجيري طموح إلى التقدم العلمي والتكنولوجي، في كل مرافق الحياة في القرن الجاري (القرن الحادي والعشرين الميلادي)<sup>٦</sup>. وحصر اللغة العربية في إطارها الضيق كما هو الحال لن يحقق الهدف المنشود في هذا الصدد.

\*يهدف هذا البحث إلى إلقاء الضوء في إمكانية نشر العلوم المختلفة عن طريق استخدام اللغة العربية، كما يهدف إلى لفت أنظار دارسي اللغة العربية، ومن يهمهم الأمر من المسؤولين التربويين، إلى صلاحية اللغة العربية لتدريس العلوم والتكنولوجيا، في نيجيريا في عصرنا الراهن.

ويتناول بشكل موجز التعريف باللغة العربية، وأدوارها الفعالة في نشر العلوم والمعارف الإنسانية، في العصور القديمة، واستخدامها في تدريس العلوم المتباينة في كثير من بلدان عالمنا الحديث، كما يتناول تاريخها في نيجيريا ولفت أنظار المسؤولين إلى صلاحيتها لتدريس العلوم والتكنولوجيا، بالمدارس العربية في نيجيريا في زمننا هذا؛ لأنها في نظري، إحدى النوافذ التي يطل منها الإنسان على معطيات الحضارة وعلومها المختلفة، وهي عندي بمثابة الرئة التي يتنفس بها الفرد هواء العلم ونسيمه، وهي - فوق ذلك - وعاء الفكر ووسيلة التعبير، ولا يقبل

أن تبقى أداة فكرنا ولسان معرفتنا وثقافتنا، غريبة وأجنبية عنا في تعاملنا معها في الشؤون العلمية والفكرية.

### التعريف باللغة العربية:

قد ذكرت المصادر التاريخية للأدب العربي، أن اللغة العربية تعد إحدى اللغات السامية، وهي إحدى أكثر لغات العالم استعمالاً، وإحدى اللغات الخمس الرسمية في هيئة الأمم المتحدة ومُنظّماتها، وهي اللغة الأولى لأكثر من ٢٩٠ مليون عربي، واللغة الرسمية في ١٨ دولة عربية، كما يُجيدها أو يُلمُّ بها نحو ٢٠٠ مليون مُسلم من غير العرب إلى جانب لغاتهم أو لهجاتهم الأصلية. ويُقْبَل على تعلّمها كثيرون آخرون من أنحاء العالم لأسباب تتعلّق بالدين أو بالتجارة أو العمل أو الثقافة أو غير ذلك. والعربية هي اللغة السّامية الوحيدة التي قُدِّر لها أن تحافظ على كيانها وأن تصبح عالمية. وما كان ليتحقّق لها ذلك لولا نزول القرآن الكريم بها؛ إذ لا يمكن فَهْم ذلك الكتاب المبين الفَهْم الصحيح والدقيق وتذوّق إعجازه اللغويّ إلا بقراءته بلغته العربية. كما أن الثّراث الغني من العلوم الإسلامية مكتوب بتلك اللغة. ومن هنا كان تعلّم العربية مَطْمَحًا لكلّ المسلمين الذين يبلغ عددهم نحو مليار مُسلم في شتّى أنحاء العالم. ويمكن القول إن أكثر من نصف سكان إفريقيا يتعاملون بالعربية،<sup>٧</sup> انشعبت اللغة العربية هي وأخواتها من أرومة واحدة، ونبتت في أرض

واحدة، فلما خرج الساميون من مهدهم لتكاثر عددهم اختلفت لغتهم الأولى، بالإشتقاق والإختلاط، وزاد هذا الإختلاط انقطاع الصلة، وتأثير البيئة، حتى جعلوها حقيقة علمية لا إبهام فيها ولا شك، ويرد العلماء اللغات الآرامية والكنعانية والعربية إلى اللغات السامية، كما يردون اللغات الآرية إلى اللاتينية واليونانية والسنسكريتية، ومن فروع الآرامية الكلدانية، والآشورية والسريانية، في حين تكون الكنعانية مصدرا للبرانية والفينيقية، بينما تشمل العربية المضربة الفصحى وغيرها من لهجات مختلفة تكلمتها قبائل اليمن والحبشة، والراجح أن اللغة العربية هي أقرب المصادر الثلاثة إلى اللغة الأم<sup>١</sup>.

واللغة العربية أكثر تشبها باللغة العبرانية، وتختلف معها في مخارجها عن أكثر اللغات الأوربية، ولذا يجد الأجانب صعوبة كبيرة في النطق بها، وتاريخ نشوئها مختلف فيه، ولكن معظم المؤرخين يردون نشأة العربية وانتشارها إلى اتصال إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام بقبيلة جرهم التي تزوج منها وتعلم منهم اللغة ذاتها، وأما العصر الجاهلي فيرجع إلى قرن ونصف قرن، قبل بعثة النبي عليه الصلاة والسلام، وفي تلك الفترة وصلت اللغة العربية إلى درجة كما لها القصوى، وقد اتفقوا على أن لهجة قريش تمتاز بأنها أفصح لهجات العرب قاطبة، وقد نزل القرآن الكريم بها، وهي أكثر اللهجات انتشارا في البلاد العربية<sup>٢</sup>. غير أن هذه

الميزة التي اختصت بها لهجة قريش، لم تمنع من استعمال ألفاظ كثيرة لقبائل عربية أخرى في التخاطب والأدب حتى في القرآن الكريم<sup>١٠</sup>.

### أدوار اللغة العربية في نشر العلوم والمعارف الإنسانية في العصور القديمة:

قد لعبت اللغة العربية أدوارا فعالة في نشر العلوم الطبيعية والمعارف الإنسانية المتباينة في العصور القديمة، من ذلك أنها استخدمت في هذا الشأن الجليل، بداية من العصر الأموي إلى عصرنا هذا.

ذكرت المصادر التاريخية كالمزهر للسيوطي، والكامل للمبرّد، والبيان والتبيين للجاحظ وغيرها، أن الأمة العربية قد اتصلت بالأمم المغلوبة المستعربة، فازدهرت نتيجة ذلك الاتصال الخصب المثمر - بين الثقافة العربية الخالصة وبين ثقافات تلك الأمم - الحركتان العلمية والأدبية، بما طوتا من معارف وعلوم، وكان هذا الاتصال يأخذ منذ العصر الأموي طريقين، هما: طريق المشافهة مع المستعربين، وطريق النقل والترجمة، وقد ظل الطريق الثاني ضيقا زمن الأمويين، إذ لا يعدو ما يُذكر من أنه ترجمت لخالد بن يزيد بن معاوية بعض كتب في الصنعة والطب والنجوم، ثم إن الخليفة الأموي عمر بن عبدالعزيز، قد أمر بترجمة كتب في الطب، لأهران بن أعين، وأن كتابا في تاريخ الساسانيين ونظمهم السياسية ترجم لهشام بن عبدالمملك الأموي، وقد مضت بيئات



المستعربين العلمية تمارس نشاطها حينئذ، وكانت تمثلها الأديرة وما بها من حلقات علمية من المدارس متناثرة في جند يسابور القريبة من البصرة، وفي نصيبين وحران والرها وأنطاكية والاسكندرية، وكانت تغلب عليها جميعا الثقافة اليونانية، كما كان يغلب عليها علماء السريان المسيحيين، وقد نشطوا منذ القرن الرابع الميلادي في ترجمة الآثار اليونانية إلى اللغة العربية، وقد استمر نشاطهم في هذه الترجمة محترما حتى القرن التاسع الميلادي<sup>١١</sup>.

وكان الخلفاء العباسيون منذ فاتحة عصرهم العباسي، يعنون بحركة النقل العلمي والثقافي عناية شديدة، وينفقون عليه الأموال الطائلة، وكأنهم لا يريدون به أن يقف عند حد أو عند غاية.

وكان أبو جعفر المنصور العباسي أول خليفة قرب إليه المنجمين، وعمل بأحكام النجوم، وقد ترجمت له الكتب من اللغات العجمية إلى العربية بشكل وافر، منها: - كتاب كليلة ودمنة، وكتاب السند هند، وترجمت له كتب أرسطاطاليس، في المنطقيات وغيرها، كما ترجم له كتاب المجسطي لبطليموس، وكتاب الأثرمطيقي، وكتاب أوقليدس<sup>١٢</sup>.

وهكذا استمرت اللغة العربية تستخدم في نقل أفانين العلوم والثقافة المستمدة من الأمم العجمية، حيث قامت الأمة العربية بهذا الاستمداد العلمي والثقافي، من الفرس والهند واليونان، كما يبدو أنهم قد استمدوا

أيضا من الصائبة ورثة الكلدانيين في الفلك والتنجيم. وقد صور نالينو أثر كتاب السند هند في علم الفلك العربي، وكيف وصل إلى العرب ونقل إلى العربية، فقال: إن وفدا من الهند وفد على أبي جعفر المنصور، سنة (١٥٤)، وغيرهم، وفيهم رجل ماهر في معرفة الكواكب وحسابها، وسائر أعمال الفلك على مذهب علماء أمته، وخصوصا على مذهب كتاب باللغة السنسكريتية، اسمه (بَرَاهْمَسُبُّهْتُسِيدُ هَانْت) ألفه سنة (٦٢٧)، أو (٧٠٦هـ) الفلكي الرياضي (بَرَهْمَكَبْتُ) فكلف المنصور ذلك الهندي بإملاء مختصر الكتاب، ثم أمر بترجمته إلى اللغة العربية، وباستخراج كتاب منه يتخذة العرب أصلا في حساب حركة الكواكب، وما يتعلق به من الأعمال<sup>١٣</sup>.

ومن الذين لمع اسمهم لعهد المنصور في ترجمة كتب الطب من اللغات العجمية إلى العربية، أبو يحيى البطريق المتوفى سنة (١٨٠)، إذ عني بنقل طائفة من كتب أبقراط وجالينوس، ونشطت حركة الترجمة أيضا في عهد هارون الرشيد ووزرائه البرامكة نشاطا واسعا، وكان مما أذكى جذوتها حينئذ إنشاء دار الحكمة وخزانة الحكمة، وتوظيف طائفة كبيرة من المترجمين بها، وجلب الكتب إليها من الروم، وكان يقوم على هذا العمل الضخم، يوحنا بن ماسويه، وكان طبيبا نسطوريا من مدرسة جند يسابور<sup>١٤</sup>.

وقد تولى ذلك الغزاري وعمل منه زيجا (أي علم الجداول الفلكية)، فاشتهر بين علماء العرب، حتى إنهم لم يعملوا إلا به إلى أيام المأمون، حيث ابتدأ مذهب بطليموس في الحساب والجداول الفلكية، وقد اقتصر العرب على الجزء الأخير من اسم الكتاب السابق وهو (سرهانت)، ثم حرفوه قليلا وسموه السند هند.

ويذكر نالينو ممن أخذوا عن هذا العالم الهندي: يعقوب ابن طارق، وكان رياضيا ممتازا، وله مؤلفات قيمة في الفلك<sup>١٥</sup>.

ومعلوم أن الإسلام كان يدعو أمته في قوة إلى العلم والتعلم، فبمجرد أن اكتسح العرب العراق وإيران والشام ومصر، مضوا ينهلون من كل الثقافات التي كانت منداحة في هذه البلدان، وأسعفهم في ذلك إنهم عربوا شعوبها، وأخذت بنفسها تعرب لهم كل مدخراتها وكنوزها الثقافية، وما يقتضي القرن الثاني الهجري، حتى تكون قد دخلت العربية في سيول ثقافية وعلمية لا حصر لها، مما مكن العرب أن يتحولوا سريعا إلى أمة علمية، تعني بكل جوانب العلم الذي كان معروفا عند الأمم القديمة، وخاصة الفرس، والهنود، والسريان، واليونان، وتشارك فيه مشاركة جادة خصبة مضيئة إليه علوما جديدة<sup>١٦</sup>.

وقد استوقف العالم الذي فتحه العرب المسلمون خيالهم المضطرم، فأخذوا يدرسون الآداب والفنون والعلوم، يمثل نشاطهم في فتوحاتهم، ولم

يلبث الخلفاء بعد أن شادوا دولتهم، أن أنشأوا في جميع المدن المهمة مراكز للتعليم، وجمعوا حولهم كل عالم قادر على ترجمة أشهر الكتب، ولاسيما كتب اليونان<sup>١٧</sup>.

وقد وجد العرب في بلاد فارس وسوريا- حينما استولوا عليها - خزائن مختلفة من العلوم، فسرعان ما قاموا بنقل ما في اللغة السريانية منها إلى اللغة العربية، ولم يلبثوا أن أمروا بأن ينقل إليها ما لم يكن قد نقل، فأخذت دراسات العلوم والآداب في تلك الفترة تسير قُدماً إلى الأمام، ولم يدم اكتفاء العرب بما نقل إلى لغتهم طويلاً، حتى تعلم عدد غير قليل منهم، اللغات الأجنبية، ليستقوا منها العلوم، وقد تعلموا اللغة اللاتينية واللغة القشتالية في إسبانيا كما يشهد بذلك ما في مكتبة الأسكوريال؟ من المعجمات العربية اليونانية، والعربية اللاتينية، والعربية الإسبانية التي ألفها علماء المسلمين<sup>١٨</sup>.

ولم يقتصر شأن العرب على ترقية العلوم بما اكتشفوه عن طريق ترجمة علوم الأمم الأجنبية إلى اللغة العربية خاصة أنفسهم، بل قد نشروها كذلك في مختلف أقطار الكرة الأرضية؛ بما قاموا به من إنشاء المعاهد والجامعات، وما ألفوا من الكتب في مختلف العلوم والفنون، فكان لهم الأثر البالغ في أوروبا من هذه الناحية، وقد كان العرب وحدهم أساتذة الأمم النصرانية، في عدة قرون التاريخ، كما أن أوروبا لم تطلع على علوم قدماء اليونان والرومان،

إلا بفضل العرب، وأن التعليم في جامعاتها لم يستغن في ذلك الزمن عما نقل إلى لغاتها من مؤلفات العرب، إلا في الأزمنة الحاضرة<sup>١٩</sup>.

وأما العلوم والمعارف الإنسانية التي استكشفتها العرب من الأمم الأجنبية ونشروها للأمم الأخرى في أنحاء الكرة الأرضية، فلا نستطيع إيرادها كلها في هذه العجالة، ولكننا نستطيع أن نتحف الدارسين بذكر شيء منها من أمثال الرياضيات التي اتسع بحثهم فيها، في القرون الماضية، ولا سيما علم الجبر الذي يرجع اكتشافه؟ إليهم، كما يرجع الفضل إليهم في تطبيقه على علم الهندسة، وقد بلغ علم الجبر من الانتشار بينهم ما ألف منه محمد بن موسى الخوارزمي كتابا موطئا له، بأمر من الخليفة العباسي المأمون بن هارون الرشيد، في أوائل القرن التاسع الميلادي. ويعتبر محمد بن موسى الخوارزمي المنشئ الأول للعصر الجديد في التاريخ العالمي للرياضيات، حيث اكتشف علم الجبر وقواعده، وأعطاه اسمه الذي عرف به في العالم كله، ومن كتابه الجبري هذا اقتبس الأوروبيون معارفهم الأولى لعلم الجبر بعد زمن طويل<sup>٢٠</sup>.

ومنها علم الفلك: كما أسلفنا، أن بغداد الحاضرة العباسية كانت مركزا مهما لمباحث علم الفلك، ونذكر بجانب مدرسة بغداد الفلكية، مدرسة القاهرة التي أخذت؟ بعد أن فصلت عن بغداد في آخر القرن العاشر الميلادي، تنافسها في ميدان العلم<sup>٢١</sup>.

ومنها العلوم الجغرافية: كان العرب من السياح المقادير في كل وقت، وكانوا لا يخشون المساوف والمراحل واليوم أيضا؟، وكانوا يجوبون بقوافلهم داخل إفريقيا كأمر بسيط، فيصادفهم فيها الأوربيون الذين لا يبلغونها إلا بشق الأنفس، والكتب المؤلفة باللغة العربية في هذا المجال مهمة للغاية، وكان بعضها أساسا لدراسة علم الجغرافيا في أوربا، في قرون كثيرة<sup>٢٢</sup>.

ومنها الفيزياء والميكانيكا: قد ضاعت كتب العرب المهمة في الفيزياء، ولم يبق منها غير أسمائها، ككتاب الحسن بن الهيثم في الرؤية المستقيمة والمنعكسة والمنعطفة في المزايا المحرقة، ومع ذلك، فقد استدلل الباحثون على أهمية كتب العرب في الفيزياء، ولاسيما كتاب الحسن في البصريات الذي نقل إلى اللغة اللاتينية والإيطالية<sup>٢٣</sup>.

ومن العلوم المترجمة إلى اللغة العربية في الأزمنة القديمة في أنحاء العالم، الميكانيكا وهي عبارة عن معارف العرب العلمية الواسعة، ويستدل على مهارتهم فيها من بقايا آلاتهم الموصوفة في مؤلفاتهم.

ومنها الكيمياء: كانت كيمياء العرب مشوبة بالسيمياء؟، كما كان علم الفلك عندهم مشوبا بفن التنجيم، ولكن مزج العلم المثبت بالخيال لم يمنع العرب من الوصول إلى اكتشافات مهمة، وأقدم علماء العرب في الكيمياء وأكثرهم شهرة، هو جابر بن حيان الذي عاش في أواخر القرن الثامن الميلادي، والذي ألف كتبا كثيرة فيها، وقد نقل عدد غير قليل

من كتبه إلى اللغة اللاتينية، كما نقل كتابه (الإستتمام) - الذي هو أهم كتبه - إلى اللغة الفرنسية في سنة (١٦٧٣ م)، فدل هذا على دوام نفوذه العلمي في أوروبا مدة طويلة<sup>٢٤</sup>.

ومنها العلوم التطبيقية: أي المعارف الصناعية، ولم يهمل العرب أمر التطبيقات الصناعية، مع قيامهم بالمباحث النظرية، وكان لصناعات العرب تفوق عظيم، بفضل معارفهم العلمية، وما أدت إليه صناعاتهم من النتائج، فمعلوم مثلاً إنهم كانوا يعملون استغلال مناجم الكبريت والنحاس والزنبق والحديد والذهب، وإنهم كانوا ماهرين في الدباغة، وفي فن تسقية الفولاذ، وإنه كان لسنائجهم وجلودهم وورقهم شهرة عالمية، وإنه لم يسبقهم أحد في كثير من فروع الصناعة إلى عصرهم، بفضل لغتهم العربية<sup>٢٥</sup>.

ومنها العلوم الطبيعية والطبية: لم يقدّم التاريخ الطبيعي عند العرب في البراءة على شروح مؤلفات أرسطو، ولكن العرب لم يلبثوا أن فضلوا درسه في الطبيعة على درسه في الكتب، وللعرب الفضل فيما وضعوا من الكتب الممتعة الكثيرة في الحيوانات، والنباتات، والمعادن، والمتحجرات... الخ<sup>٢٦</sup>.

يعد الطب والفلك والرياضيات والكيمياء أهم العلوم التي عني العرب بها، وأتمّ العرب أعظم اكتشافاتهم في هذه العلوم، وترجمت مؤلفات

اعرب الطبية في جميع أوربا، ولم يتلف قسم كبير منها، كما أصاب كتبهم الأخرى.

آثار العرب الطبية: كان عدد المؤلفين من أطباء العرب كبيرا إلى الغاية، وقد خصص ابن أبي أصيبعة مجلدا من كتابه، لتراجم أطباء العرب، فنكتفي بذكر بعض من اشتهر منهم على النحو التالي:

- الرازي الكيميائي الذي اشتهر بعلم الكيمياء، وكان أيضا من أشهر أطباء العرب، ولد سنة (٨٥م) وتوفي (٩٣٢م) بعد أن زاول الطب في بغداد خمسين سنة، وقد ألف في شتى الموضوعات، بما فيها: الفلسفة والتاريخ والكيمياء والطب... الخ.

وكان طبيبا متواضعا حاذقا دقيقا، وأشهر كتبه هو الحاوي الذي جمع فيه صناعة الطب، وكتاب (المنصوري) الذي بعث به إلى الأمير منصور، والمؤلف من عشرة أقسام وهي: - التشريح، والأمزجة، والأغذية، والأدوية، والصحة، ودواء البشرية، ونظام السفر، والجراحة، والسموم، والأمراض على العموم، والحمى. وقد ترجمت أكثر كتب الرازي إلى اللغة اللاتينية، وطبعت عدة مرات، ولاسيما في مدينة البندقية (VENICE) سنة ١٥٠٩م، وفي باريس سنة ١٥٢٨م، وقد ظلت جامعات الطب في أوربا تعتمد على كتبه زمنا طويلا.



ومن أطباء العرب الشهيرين، علي بن العباس المعاصر للرازي تقريبا، وقد عاش في أواخر القرن العاشر الميلادي، ومن كتبه الطبية (الملكي)، المشتمل على الطبين النظري والعملي، وقد أظهر فيه عدة أغاليط لبقرات وجالينوس وأريبا سيوس، وبولس الإيجيني ومن إليهم، وقد ابتعد فيه عن مبادئ الطب اليوناني كثيرا في معالجة الأمراض على الخصوص، مع اعتماده عليها، وقد ترجم إتيان الأنطاكي هذا الكتاب إلى اللغة اللاتينية، سنة ١١٢٧م، وطبع في مدينة ليون سنة ١٥٢٣م<sup>٢٧</sup>.

وكان الرئيس ابن سينا أشهر أطباء العرب، وقد بلغ من التأثير في عالم الطب عدة قرون ما لقب معه بأمير الطب، ولد سنة ٩٨٠م، وتوفي سنة ١٠٣٧م، وكانت كتبه الطبية ممتازة، مع وفاته غير مُسِنَّ، نتيجة إفراطه في العمل، وانهماكه في اللذات<sup>٢٨</sup>.

ويشتمل (القانون) الذي هو كتابه المهم في الطب على علم وظائف الأعضاء، وعلم الصحة، وعلم الأمراض، وعلم المعالجة، والمادة الطبية، ووصفت فيه الأمراض بأحسن مما وصفت به في الكتب التي ألفت قبله.

وقد نقلت كتب ابن سينا إلى أكثر لغات العالم، وظلت مرجعا عاما للطب ستة قرون، وبقيت أساسا للمباحث الطبية في جميع جامعات فرنسا وإيطاليا، وكان طبها يعاد حتى القرن الثامن عشر، ولم ينقطع تفسيرها في جامعة مونبيليا إلا منذ خمسين سنة<sup>٢٩</sup>.

وكان أبو القاسم القرطبي المتوفى سنة (١١٠٧م)، أشهر جراحي العرب، وقد تحيل كثيرا من آلات الجراحة ورسمها في كتبه، ولم يُعرف أبو القاسم في أوروبا، إلا في القرن الخامس عشر الميلادي، وذاع صيته فيه، وكانت كتبه المصدر العام الذي استقى منه جميع من ظهر من الجراحين بعد القرن الرابع عشر الميلادي.

وكان الطب لدينا للعرب بعقاقير كثيرة، كالسليخة، والسنا المكي، والراوند، والتمر الهندي، وجوز القيء، والقرمز، والكافور، والكحول، وما إلى ذلك<sup>٣٠</sup>.

هذه هي اللغة العربية وأدوارها المشكورة السابقة الذكر، في نشر أفانين العلوم والمعارف الإنسانية، في العصور القديمة، أو بعبارة أخرى منذ تلك العصور إلى عصرنا هذا.

ومما لا يدع مجالا للشك، أنه لما أذن الله في نهوض الحضارة الأوروبية، انتقلت العلوم العربية بالترجمة إلى رطانات أوروبا، فأنعشت الأفرنج وأيقظت همهم، وصاروا أخص بتلك العلوم، وأشد بها ولعا من أهلها، وطاروا في الآفاق وأبحروا في البحار، وغزوا الدنيا، وملكوها، وصارت لغاتهم هي اللغات، وعلومهم هي العلوم.

هذا، ولا يخفى علينا أن للعرب آثارا ملموسة في الأدب والفن وغيرها من المعارف الإنسانية التي نشرت في جميع أنحاء المعمورة، مما لا

يمكننا إيرادها هنا، وكلها قد نشرت في العالم القديم والحديث، عن طريق استخدام بنت عدنان (اللغة العربية الفصحى)، التي لم يزل أعداؤها الألداء يتآمرون - ليل نهار - لإماتها واقتلاع جذورها من أساسها.

### التحديات التي تواجهها اللغة العربية في عصرنا الراهن:

إننا (المهتمين باللغة العربية) إذا لم نعتز صراحة منذ البداية، أن اللغة العربية تواجه منا حقيقية بين العرب أنفسهم، آل بنا الأمر إلى نوع من الخدر الذي ينسى المريض آلامه، فيظن البرء ثم لا يلبث أن يزول عنه الخدر وتتعاوده الآلام أقسى مما كانت، بحيث لا يجري معها ما كان يسكنها من قبل الضعف الذي يشهده واقع العربية في غير بلادها، ولعل الدافع الديني القوي هو الذي يكمن وراء الاعتزاز بالعربية، والحرص على تعلمها، والإقبال على تعلمها بين المسلمين من الناطقين بغير العربية.

إن من أهم ما تواجهه اللغة العربية في العصر الحديث، تحديات ومشكلات مزاحمة اللغات الأجنبية الحاقدة لها، هذه ظاهرة لا تخطئها الملاحظة، وخاصة في البلاد الإفريقية أو البلاد غير الناطقة بالعربية.

ونكبة النكبات في هذا الصدد، النظرة الدونية لمعلم اللغة العربية الذي يحمل على كاهله ميراثا ثقيلا من حيث نظرة المجتمع إليه، ولا

تستثني من ذلك البلاد العربية مع كل أسف، إلا أن الوضع في البلاد الغير العربية أشد وطأة.

إن الصورة النمطية التي رسمت وعلقت في أذهان الكثيرين منذ قديم الزمان، ولا زالت إلى الآن في بلاد إفريقيا غير ناطقة بالعربية هي: أن معلم هذه اللغة لا يصلح إلا للأعمال الدعوية، كأن يكون إماما أو خطيبا، أو مدرسا ومحفظا للقرآن الكريم أو مفسرا له، في أحد الكتاتيب والخلوي والمدارس القرآنية، أو غير ذلك، من مهام لا تتجاوز الأمور الدينية، لما بين العربية والإسلام من صلوات، ومن ثم فهو لا يصلح لمسئوليات مدنية أو مناصب قيادية، أو أدوار اجتماعية أخرى، قد يكلف بها معلم المواد الأخرى<sup>٣١</sup>.

ومن هذه التحديات: تحديات للإسلام والثقافة العربية الإسلامية في إفريقيا كلها، فنذكر منها على سبيل المثال ما يلي:

- محاولة إثبات أن المثقفين باللغة العربية لا يصلحون لتيسير الحياة العامة للشعوب، وإنما ينفعون فقط في مجال الحياة الدينية.
- محاولة إيهام الناس بأن الإسلام وثقافته يعتبران عقبة وعرقلة في سبيل التقدم والتطور في حياة البشرية.
- محاولة إقناع الأفارقة وغيرهم ممن لا ينطقون باللغة العربية بأن العرب يريدون تعريبهم والقضاء على لغاتهم وثقافتهم الأفريقية.

- إيهام الناس بأن اللغة العربية لا تصلح لتدريس العلوم العصرية والتكنولوجيا الحديثة، وإنما تصلح لتعليم العبارات الدينية، مثلها في ذلك مثل اللاتينية القديمة، لغة الطقوس المسيحية في العصور القديمة.
- إقناع الناس بأن الدول العربية دول غنية ولكنها لا تعين الأفارقة، بل إن أوروبا هي التي تعين هذه الشعوب بتقديم الخدمات المتنوعة إليهم، ولذلك يجب أن يكون التعاون الثقافي والفكري والحضاري معها وليس مع البلدان العربية، كما نهضت فرنسا بتقديم معوناتها السياسية والإقتصادية وتراثها ولغتها، وأن يقوم أولوا الأمر الأفارقة بمحاربة اللغة العربية وثقافتها الإسمية، أو على الأقل التقليل من أهميتها وأهميتها حملتها<sup>٣٢</sup>.
- وفي سنة (١٨٨٣م) وقف المستر جلال ستون رئيس الوزارة البريطانية لعهد ملكة إنجلترا فيكتوريا في مجلس العموم البريطاني، ويمسك بيده نسخة من المصحف (أي القرآن المجيد المنزل بلسان عربي مبين)، وقال لأعضاء المجلس: "إنه ما دام هذا الكتاب باقيا في أيدي المصريين، فلن يستقر لنا قرار في تلك البلاد". فالرجل يحس أن مبعث القوة في هذا الشعب هو القرآن الكريم (الكتاب العربي)، وهو صخرة المقاومة التي يرتطم بها الاستعمار ويعانيها، فيجب أن تتحطم، ويجب أن تزول<sup>٣٣</sup>.

كان الاستعمار الأوربي البغيض أشد عداوة للغة العربية، كما كانت أهدافه المرسومة المدبرة المنظمة هي القضاء على عقائد سكان المستعمرات الدينية، والعادات والتقاليد الموروثة، واستبدالها بالعقائد الصليبية وغيرها من التقاليد الأوربية المناقضة للأخلاق الإنسانية السامية، ولم يكن الأمر سهلاً بالنسبة للاستعمار.

قد جاء دنلوب المتخرج في كلية اللاهوت البريطانية، يرسم لمصر سياسة التعليم، يا عجباً! سياسة التعليم في بلد مسلم، يضعها قسيس، نعم! لينزع هذا الكتاب (العربي) من أيدي المصريين، وليستطيع الاستعمار أن يستقر في هذه البلاد.

ووضع دنلوب سياسته التعليمية التي أتت في النهاية ثمارها المرجوة منها على مهل وبطء، كما هو شأن السياسة البريطانية في كل مكان. فتح دنلوب مدارس حكومية تدرس العلوم المدنية، وتعلم اللغة الإنجليزية - لغة الاستعمار - وتخرج موظفين كتبة في الدواوين التي يحتلها ويديرها الإنجليز، يقبضون رواتب تعد بالجنيهات لا بالقروش<sup>٣٤</sup>.

ولم يكن أولئك المتخرجون في تلك المدارس متعلمين في الحقيقة، وإنما هم مجموعة من الكتبة، لا يصلحون لغير هذه الوظيفة، ولا يصلحون إلا لتلقي الأوامر من المدير الإنجليزي، وتنفيذها في عبودية كاملة ورعب وتقديس، وأن هذه السياسة التي رسمها دنلوب، لم تكن تهدف إلى تخريج

متعلمين، وإنما تهدف إلى تخريج عدد من العبيد، يؤمرون فيطيعون، ويشار إليهم فينفذون، بجانب الهدف الآخر الخفي الذي تحقق في ذات الوقت - كما ورد في مثل من أمثال الإنجليز: "في بطاء ولكن أكيد العقاب" (SLOW BUT SURE IN CONSEQUENCE).<sup>٣٥</sup>

وفي جميع المدارس التي فتحتها دنلوب، كان الناظر أو المدير الإنجليزي يحيط نفسه بجو من القداسة والرهبنة، كأنه إله يعبد، يسري في النفوس منه الرعب، وتتوجه إليه القلوب بالتوقير والتقديس، وكانت تلك خير وسيلة - لا للتربية - وإنما لزرع العبودية في النفوس.

أما اللغة العربية فقد كانت وما تزال مرتبطة بالإسلام في نفوس المسلمين، العرب منهم وغير العرب سواء، فلا بد إذن من تحقيرها، والزراية بها، حتى تنتقل الزراية والتحقير - بالطبيعة - إلى ما يرتبط بها من معاني الدين، وليكن أي شخص معلم اللغة العربية، فهو موضع الزراية والتحقير، ويلقاه الناس في كل مكان بالازدراء والنفور، أف!!! هذا مدرس لغة عربية، ولا تصيبه الضربة وحده في واقع الأمر، وإنما تصيب معه اللغة العربية والدين، بصورة جمعاء، وخاصة في أيام الاستعمارات الأوربية البغيضة.

وقد أثار المستشرقون والمستعمرون وأذناهم من أبناء العربية، حملة عنيفة ضد اللغة العربية الفصحى، منادين بأعلى أصواتهم إلى هجران

استخدامها في الكتابة، واستبدالها بالعامية، فنارت بذلك عاطفة شاعر النيل العظيم، حافظ إبراهيم (١٨٧٢-١٩٣٢م)، فنظم قصيدة على لسان اللغة العربية وهي تدافع عن نفسها من هجوم الأعداء عليها، وكان ذلك في سنة (١٩٠٣م) فقال رحمه الله على لسانها هذه الأبيات:

رَجَعْتُ لِنَفْسِي فَاتَّهَمْتُ حَصَاتِي وَنَادَيْتُ قَوْمِي فَاخْتَسَبْتُ حَيَاتِي  
رَمَوْنِي بَعُومٍ فِي الشَّبَابِ وَلَيْتَنِي عَقُمْتُ فَلَمْ أَجْزَعْ لِقَوْلِ عُدَاتِي  
وَلَدْتُ وَلَمَّا لَمْ أَجِدْ لِعِرَائِسِي رِجَالًا وَأَكْفَاءَ وَأَدْتُ بَنَاتِي  
وَسَعْتُ كِتَابَ اللَّهِ لَفْظًا وَغَايَةً وَمَا ضِغْتُ عَنْ آيٍ بِهِ وَعِظَاتِ  
فَكَيْفَ أَضِيقُ الْيَوْمَ عَنْ وَصْفِ آلَةٍ وَتَنْسِيقِ أَسْمَاءٍ لِمُخْتَرَعَاتِ؟  
أَنَا الْبَحْرُ فِي أَحْشَائِهِ الدَّرْكَامُ وَهَلْ سَأَلُوا الْغَوَاصَّ عَنْ صَدَفَاتِي؟  
فِيَا وَيْحَكُمْ أَبْلَى وَتَبْلَى مُحَاسِنِي وَمَنْكُمْ وَإِنْ عَزَّ الدَّوَاءُ أَسَاتِي  
فَلَا تَكْلُونِي لِلزَّمَانِ فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ أَنْ تَحِينُ وَفَاتِي  
أَرَى لِرِجَالِ الْغَرْبِ عِزًّا وَمَنْعَةً وَكَمْ عِزُّ أَقْوَامٍ بَعْزُ لُغَاتِ  
أَتَوْا أَهْلَهُمْ بِالْمُعْجَزَاتِ تَفَنُّنًا فِيَا لَيْتَكُمْ تَأْتُونَ بِالْكَلِمَاتِ  
أُطْرِبُكُمْ مِنْ جَانِبِ الْغَرْبِ نَاعِبٌ يُنَادِي بِوَادِي فِي رِبْعِ حَيَاتِي؟  
وَلَوْ تَزْجُونَ الطَّيْرَ يَوْمًا عَلِمْتُمْ بِمَا تَحْتَهُ مِنْ عَثْرَةٍ وَشَتَاتِ  
سَقَى اللَّهُ فِي بَطْنِ الْجَزِيرَةِ أَعْظَمًا يَعَزُّ عَلَيْهَا أَنْ تَلِينَ قَنَاتِي



حَفِظْنَ وَدَادِي فِي الْبَلَى وَحَفِظْتَهُ لَهْنٍ بِقَلْبٍ دَائِمٍ الْحَسْرَاتِ  
 وَفَاخَرْتُ أَهْلَ الْغَرْبِ وَالشَّرْقِ مُطْرَقًا حَيَاءً بِتِلْكَ الْأَعْظَمِ النَّخِرَاتِ  
 أَرَى كُلَّ يَوْمٍ فِي الْجَرَائِدِ مَزَلًّا مِنْ الْقَبْرِ يَدِينِي بَغِيرِ أَنَاةٍ  
 وَأَسْمَعُ لِلْكِتَابِ فِي مِصْرَ ضَجَّةً فَأَعْلَمُ أَنَّ الصَّائِحِينَ نُعَاتِي  
 أَيَهْجُرْنِي قَوْمِي عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِلَى لُغَةٍ لَمْ تَتَّصِلْ بِرُؤَاةِ  
 سَرْتِ لَوْثَةِ الْإِفْرَنْجِ فِيهَا كَمَا سَرَى لُعَابُ الْأَفَاعِي فِي مَسِيلِ فُرَاتِ  
 فَجَاءَ كَثُوبٍ ضَمِنَ سَبْعِينَ رُقْعَةً مُشَكَّلَةً الْأَلْوَانِ مُخْتَلِفَاتِ  
 إِلَى مَشَعْرِ الْكِتَابِ وَالْجَمْعِ حَافِلٍ بَسَطْتُ رَجَائِي بَعْدَ بَسْطِ شَكَايَتِي  
 فِيمَا حَيَاةً تُبْعَثُ الْمَيِّتَ فِي الْبَلَى وَتُنْبِتُ فِي تِلْكَ الرُّمُوسِ رُفَاتِي  
 وَإِنَّمَا مَاتَ لَا قِيَامَةَ بَعْدَهُ مِمَّا لَعْمَرِي لَمْ يُقَسَّ بِمَمَاتِ<sup>٣٦</sup>

ومما لا يدع مجالاً للشك أن شاعر النيل قد تحدث على لسان اللغة العربية الفصحى، وأعلن دهشتها من مضمون هذا الحديث الظالم ضدها، الحديث الذي يدعي أن اللغة الفصحى لم تعد قادرة على التعبير عن متطلبات العصر الحديث.

وخلاصة القول أن اللغة العربية قد دافعت عن نفسها من ادعاءات أعدائها الذين ينفثون السم في دماء لغة العرب بغية قتلها، وليس أمام أصحابها إلا أن ينقذوها ويبعثوها حية قوية، وإن لم يفعلوا ذلك، فكأنهم يقتلون لغتهم بأنفسهم.

### اللغة العربية في نيجيريا:

تعتبر اللغة العربية في الغرب الإفريقي لغة كلاسيكية لأهلها إذ أنها ساهمت في فهم تاريخ غرب إفريقيا وثقافتها، وقد ذكر ديفيد سن، أن وهب بن مُنَّبّه هو أول من دون تاريخ منطقة جنوب الصحراء الكبرى في سنة (٧٣٨م)، وكان تدوينه باللغة العربية مما يدل دلالة واضحة على ارتباط تاريخ إفريقيا جنوب الصحراء بهذه اللغة، وفي نيجيريا بصفة خاصة، فإن اللغة العربية قد لعبت دورا مهما في محو الأمية وتعليم الكبار، قبل مجيء المستعمرين الإنجليز إلى المنطقة<sup>٣٧</sup>.

ولا يخفى على الدارسين الدؤوبين والباحثين الواقعيين أن اللغة العربية قد أسهمت إسهاما جبارا في تاريخ الإنسانية، وباعتبار أنها قد أصبحت إحدى اللغات الدولية، فإن هناك جهودًا كبيرة لجعل العربية موفية بالتعبير العلمي في كل المجالات الحيوية، بما فيها العلوم والتكنولوجيا.

قد ذكرنا أن التعليم العربي في الدول الناطقة بغير العربية دائما يكون راجعا إلى أغراض دينية، ولكن الدكتور شيخو أحمد سعيد غلادنتي، يرى أن السبب الأول لتعليم اللغة العربية في نيجيريا هو سبب تجاري، حيث فرضت المعاملات التجارية بين الشمال الإفريقي وسكان جنوب الصحراء الكبرى وجود لغة التعامل بين الفريقين، فالتجارة بطبيعة الحال يستلزم معها إيجاد التخاطب بين البائع والمشتري، كما توجد الصلة القوية بينهما،

وبما أن اللغة العربية كانت أرقى من اللغات المحلية، فمن الطبيعي أن تكون هي اللغة المستخدمة بين التجار في ذلك الزمن<sup>٣٨</sup>. ولكن غلادثي نفسه يقر بأن التعليم العربي الحديث، هو الذي أوجد نوعين من المدارس في نيجيريا، وهما: الكتاتيب، والمدارس النظامية، ولا يكاد الإنسان يرى مدينة في الغرب الإفريقي بما فيها بلاد الهوسا، مهما قل سكانها، إلا وجد فيها النوع الأول من المدارس أو النوع الثاني، ولكن كثيرا من التربويين النيجيريين، يرون أن المنهج في تلك المدارس، ليس منهجا يجعل من خريجها مواطنين ملائمين لتيسير التقدم في البلاد<sup>٣٩</sup>؛ لأن المنهج مقصور على القراءة العربية والدين الإسلامي، ولذلك لاحظ التربوي البروفيسور علي فافنوا في كتابه (تاريخ العلم في نيجيريا) أن المسلمين وجدوا أنفسهم أمام حالة محزنة وخطيرة، بين اختيار المنهج البريطاني، وترك المنهج الإسلامي، ثم بين اختيار المنهج الإسلامي، والتخلف عن سير التقدم، وإذن فلا بد من إصلاح جذري للتعليم العربي في نيجيريا، ومن المنتظر بطبيعة الحال أن يكون هذا الإصلاح صادرا من زعماء الإسلام، ممن يهتمهم أمر الملايين من أبناء نيجيريا الذين لهم علاقة وثيقة بمنهج التعليم العربي، وقد أتى بعض الإصلاحات المطلوبة من الطرق التالية:

- إصلاح مبنى على إضافة بعض المواد الحديثة في منهج التعليم العربي، وأول من حاول هذا الإصلاح هو أمير كنو السيد

عبدالله بايرو رحمه الله، الذي قام بتأسيس مدرسة الشريعة الكبرى في عام (١٩٣٤م)، وقد أضيفت في منهجها مواد إنجليزية، وقد أكمل كثير من خريجي هذه المدرسة دراساتهم الجامعية، في جامعات لندن والقاهرة والخرطوم وليبيا<sup>٤</sup>، ثم أسست بعد ذلك مدارس قليلة على نفس المنهج، في بعض الولايات النيجيرية الشمالية، مثل ولاية سكوتو، وولاية برنو، وعلى الرغم من أن ولاية كورا من الولايات النيجيرية الشمالية، فإنها لم تنجح في إنشاء مدرسة عربية حكومية إلا في عام (١٩٨٠م) في عهد التجربة الديمقراطية الثانية في نيجيريا. ويسير على المنهج السابق عدد كبير من المدارس العربية والإسلامية في الجنوب الغربي من نيجيريا، حيث أضيفت المواد الإنجليزية إلى منهج التعليم العربي، غير أن عيب هذا المنهج حسب ملاحظة التربويين، هو أنه بعد إضافة المواد الإنجليزية أخذ مستوى اللغة العربية يضعف في تلك المدارس إلا القليل النادر منها.

- إصلاح قائم على الاعتراف بمقدرة اللغة العربية على الوفاء بمتطلبات الإنسان الحديث، ولعل الشيخ آدم عبدالله الإلوري هو زعيم هذا النوع من الإصلاح، وقد أسس مركزه على هذا النهج، حيث لم يرض بإضافة ولو مادة واحدة من المواد الإنجليزية إلى

منهج مركزه، وقد نسج على منواله أيضا كثير من الشيوخ في بلاد يوربا، ويلاحظ التربويون أنه على الرغم من أن مستوى خريجي هذا المركز من الناحية اللغوية مستوى جيد، إلا أنه لا يمكن للإنسان النيجيري المعاصر أن يتناسى أهمية اللغة الإنجليزية في العالم بصفة عامة، وفي نيجيريا بصفة خاصة.

- إصلاح مبنى على إضافة المواد العربية إلى منهج التعليم الإنجليزي، ولقد لعبت المنظمات الإسلامية في بلاد يوربا، من أمثال جمعية أنصار الدين، وجمعية نور الدين، وجمعية أنصار الإسلام أدوارا فعالة في هذا المضمار، ولكن يجب على الإنسان أن يتساءل ما مستوى اللغة العربية في مثل هذه المدارس؟ الخلفية ضعيفة، والأوقات لتدريسها قليلة، بالإضافة إلى أنها مجرد مادة اختيارية<sup>٤</sup>، إذن هذه المدارس لن تستطيع أن تخرج مؤهلين في الدراسات العربية إلا النذر القليل.

- إصلاح ممتاز، يمكننا أن نسميه بالإصلاح الكمالي، نسبة إلى الشيخ كمال الدين الأدبي الإلوري من ولاية كوارا، وهو إصلاح يمشي جنبا إلى جنب مع أهداف هذا البحث، وهو إصلاح مستورد أيضا، وحاصله: أن الشيخ كمال الدين حفظه الله، قد طلب من الأزهر الشريف، تأسيس معهد ديني أزهرى بمدينة

إلورن في نيجيريا، وهو الأول من نوعه في الغرب الإفريقي كله، وقد أسس فعلا، فلعب دورا فعلا في هذا الصدد، بفتح أعين الناس لمعرفة ما كانوا يجهلون عن إمكانية تدريس العلوم، مثل الرياضيات، والجغرافيا، والكيمياء، والفيزياء، والهندسة، وما إلى ذلك، عن طريق استخدام اللغة العربية في التدريس وتلقي العلوم، ولقد تخرج من هذا المعهد في مرحلته الإعدادية، شباب، أكملوا دراساتهم في الدول العربية، وتخصصوا في الطب، والهندسة، والجيولوجيا، وغيرها. يا حبذا لو كان الأزهر الشريف، وهو رائد الثقافة العربية في عالمنا الحديث، يؤسس معاهد أزهرية أدبية وعلمية في هذه البلاد<sup>٤٢</sup>.

ولنعلم أن اللغة العربية لغة ذات أصالة وتاريخ وثقافة وحضارة، ومكتبتها غنية بكل أنواع المؤلفات في شتى أنواع الآداب والفنون والعلوم، وهي كلغة من بين لغات العالم العشر الأوائل، مؤهلة للانفتاح على ثقافة العصر بكل مكوناتها، بما يمكن أن تستورده من مصطلحات العلوم المسماة بالحديثة، وكل ما يمكن أن يغني مادتها اللغوية من تعابير جديدة سواء بواسطة الترجمة، أو أو التوليد أو التعريب.

إن لمن الإجحاف الشديد إنكار كل التقدم الذي حققته اللغة العربية في النصف الثاني من القرن العشرين، علما وأدبا وبجثا علميا، على

الرغم على تعثرها في مجال التعليم بسبب إقصائها المعتمد من المنظمة التعليمية، مما أدى إلى عدم تجديد طرقها ولا أقول هذا صدورا عن هوى أو تعصب أو عاطفة، فماذا كانت لغة التأليف في العلوم العربية أو الشرعية؟ بل ماذا كانت لغة التأليف في الإجتماع والرياضيات والطب والفلك والزراعة، والكيمياء والطبيعة والصيدلة والهندسة والفلسفة؟ وماذا كانت لغة التراث العلمي العربي الهائل الذي قال فيه كارينسكي...؟ "وأن البحوث الحديثة قد دلت على عظم ديننا لعلماء المسلمين الذين نشروا العلم"<sup>٤٣</sup>. فبأي لغة نشر العلماء المسلمون نور العلم ذاك؟ إنهم نشروه باللغة العربية القادرة العظيمة التي نقل عنها الغربيون، وهم يشهدون أنها لغة العلم.

قد نقل د. عبدالحليم منتصر ما جاء في مقدمة أحد كتب الكيمياء التي نقلها بعض الغربيين عن اللغة العربية قوله: "إنكم يا معشر اللاتينيين لا تعرفون بعد ما هي الكيمياء؟ ولا ما هي تراكيبيها وأصولها؟ وسترون ذلك شروحا في هذا الكتاب الذي ينقل عن العربية"<sup>٤٤</sup>.

اللغة العربية التي تملأ مؤلفاتها خزائن مكتبات العالم شرقية وغربية، ولا يزال الناهلون ينهلون من بعض نفائسها حتى اليوم، اللغة العربية التي ظلت مؤلفاتها المراجع المعتمدة لدى جامعات أوروبا، حتى القرن السابع عشر للميلاد<sup>٤٥</sup>.

ومع كل هذه الشواهد والبراهين الساطعة، لا يزال بعض الحاقدين أو المتخاذلين من المستشرقين وأذياهم من أبناء العروبة يرمون اللغة العربية بالقصور، وعدم القدرة على استيعاب العلوم، أو ملاءمتها لمتطلبات العصر، حتى أن أكثر أبناء العربية قد صدقوا هذه المقولة، فتقاعسوا عن التعريب واصطناع العربية وحيدة للعلوم في بلادها، وهذه فرية مررها المستعمرون وأعوانهم وأبواقهم منذ عهود الاستعمار العسكري والسياسي، فقد أشاعوها عن وعي، لأنهم أرادوا تقوية وجودهم واستمراره في جميع البلاد المستعمرة بالاستعمار الثقافي والفكري، وبذلك يضمنون تبعيتنا لهم. ولا يزال أحفادهم ينفثون سمومهم ويثوئها، ففي بحث ألقاه د. جراند غوليوم عن مشكلات التعريب في الندوة اللسانية الأولى لجمعية اللسانيات بالمغرب، ما بين ١٢-٢٤ إبريل ١٩٨٧م في كلية الآداب بالرباط، قال: "قضية التعريب موضوع حساس صعب، لأن اللغة ظاهرة اجتماعية هامة"<sup>٤٦</sup>.

لاحظ ربطه حساسية موضوع التعريب وصعوبته، بكون اللغة اجتماعية هامة، وكأنه يربط ذلك بحال المجتمع العربي الذي يراه ويرى لغته ليس أهلا للعلم.

وأتساءل أخيرا فأقول: ما كانت حال اللغات الأوربية عند نقل العلوم إليها من العربية؟ وماذا كانت حال تلك المجتمعات أيضا



بلهجاتها المختلفة؟ وهل يقصد أن صلة العربية بالقرآن سبب لتخلفها وقصورها؟

وليعلم الدارسون أنني من أنصار تدريس العلوم كلها باللغات المحلية الأصلية في بلادنا العزيزة (نيجيريا)، كلغات الإيبو واليوربا والهوسا، فبذلك يمتلك المواطنون العلوم المتباينة، فيفهمونها فهما جيدا؛ لأن امتلاك نتائجه من تقنية واختراعات، ممكن بالمال أو المعاهدات والاتفاقيات مع دول الغرب الأوربي فإن هذا الامتلاك لن يفيد كثيرا.

إن رضانا بتعليم العلوم والتكنولوجيا باللغات الاستعمارية سيقبها غربية عنا وعلينا مهما بلغ عدد المتعلمين من أبناء أمتنا؛ لأن ممارستهم العلمية ستبقى باللغة الأجنبية التي تلقوا بها العلوم.

وإذا كان الأمر كذلك، ولما كانت القارة الإفريقية قد تلقت علومها بالإنجليزية والفرنسية مثلا، وأقنعت نفسها أنه لا يحسن التعبير عن هذه العلوم إلا باللغات الأجنبية، فإنه بعلمها سيظل غريبا عن أبنائها، بل قد يكون الإنجليزي أو الفرنسي أو من يتحدث بلغتهما أقرب إليه لمناقشته في مسائل علمه وهمومه وخواطره العلمية ونتائج بحثه.

وإذا لم تترجم العلوم إلى اللغات المحلية، وتنشر على مستوى أبناء الأمة جميعها، فسيبقى العلم للجامعيين تسلية ومتعة شخصية، إذا لم يستهدف خدمة المواطنين ونشره عليهم وإشراكهم بقضاياهم ونتائجهم.

وأما بالنسبة لاختياري موضوع هذا البحث - صلاحية اللغة العربية لتدريس العلوم والتكنولوجيا بالمدارس العربية في نيجيريا في عصرنا الحاضر - فإني أحس إحساسا عميقا بعدم الإنصاف الصادر من المسؤولين، في شأن تربية أبنائنا، من حيث اكتساب العلوم والمعارف المتباينة، فقد أولوا اهتمامهم البالغ في تكوين الناشئين الذين ينتمون إلى المدارس الإنجليزية المدنية التي أسسها المستعمرون الإنجليز، فيتلقون فيها أفانين العلوم والمعارف الإنسانية، بما فيها الدراسات الدينية بلغة الاستعمار الرسمية، في حين يتلقى زملائهم الذين ينتمون إلى المدارس العربية التي أسسها بالأصالة زعماء الدين، الدراسات الإسلامية والعربية باللغة العربية، فجل ما يحتوي عليه منهج هذه المدارس مواد عربية وإسلامية إلا القليل اليسير من اللغة الإنجليزية والرياضيات ولغة محلية واحدة، مما أضيف إلى المنهج، وأما العلوم المطلوبة الأخرى، من الطب والفيزياء والكيمياء والهندسة والعلوم الاجتماعية المفيدة فإنهم محرومون عن اكتسابها، لأنها تدرس باللغة الإنجليزية في المدارس المدنية، ولا يليق بهم اكتسابها، لعدم معرفتهم باللغة الإنجليزية، وبالتالي أن اللغة العربية التي يتلقون بها دراساتهم العربية والإسلامية غير مناسبة في نظر المسؤولين، لأنها لغة الدين، ولن تصلح لتدريس العلوم والمعارف الإنسانية.

ولم تكن هذه النظرية التي استولت على أفكار كثير من زعمائنا السطحيين، وغيرهم من أدعياء الموضوعية العلمية، أو الأكاديمية، إلا عدوى التقليد التي خيلت للمساكين، أن طريقهم الوحيد إلى التقدم والتطور هو طريق أوربا الظافرة، وإلا فسيظلون سادرين في الرجعية والانحطاط والتأخر والخرافة. ولا بد لنا والحال هي هذه من تغيير جذري لهذا الوضع الذي يعيش فيه أبنائنا الطلبة، كما يجب على المسؤولين أن يطبقوا العدل والإنصاف بين طلبة نيجيريا في جميع الحقوق والواجبات؛ لأن تفضيل بعضهم على بعض في اكتساب العلم والمعرفة فمن أشنع الظلم والطغيان الذي يجب على كل غيور أن يحاربه.

إن قضية تدريس العلوم والتكنولوجيا باللغة العربية في المدارس العربية النيجيرية يجب ألا تكون موضع مناقشة أو خلاف.

وأرجو أن لا يغيب عن البال، أنه يجب أن يكون طلاب نيجيريا سواسية في اكتساب العلم والمعرفة بالإنجليزية والعربية، ويجب أن يتلقوا أفانين العلم باللغة التي يتقنونها ويجيدونها إنجليزية كانت أم عربية.

ولعل أبرز العوائق في تدريس العلوم والتكنولوجيا بالمدارس العربية النيجيرية في نظر بعض التربويين النيجيريين قضيتان، هما:

١- اللغة العلمية المناسبة القادرة على التجريد التي تستطيع تحمل

مفاهيم العلوم وتفي بحاجة التعبير عنها.

٢- المصطلح العلمي العربي: وتتمثل هذه القضية في وضعه ودقته ودلالته، ثم الإتيان على توحيد المصطلحات وإشاعة استخدام مصطلح واحد للمفهوم الواحد.

ويبقى بعد هاتين القضيتين - وهو الأهم - الجانب الإنساني الفردي، وإخلاص النوايا وشحن الهمم.

ومهما يكن من أمر فلا مشكلة في تدريس العلوم والتكنولوجيا باللغة العربية في المدارس الملائمة لذلك؛ لأن تاريخ العربية العريق الطويل يؤكد قوتها وقدرتها على تحمل العلوم وأفكارها ومفاهيمها، وقد أثبتت أنها لغة مطواعة مرنة خلاقية، فقد استوعبت رسالة السماء وتشريعاتها ونظمها الدينية والاجتماعية والاقتصادية، كما استوعبت علوم الأمم الأرض السابقة كلها، فهضمت علوم اليونان والهنود والسريان والفرس كما أسلفنا، وأضحت خلال قرنين من الزمان بعد الإسلام تقريبا، لغة العلوم والفنون والإبداعات الوحيدة، والأفضل لكل أمة أن تجعل من لغاتها القومية لغة تدريس جميع العلوم والمعارف الإنسانية، كما سبق أني قد أعربت عن أنّ هذه الفكرة هي رأيي وهدفي المنشود.

ويذكر الدكتور عبدالحليم منتصر: "أن اللغة العربية كانت يوما هي اللغة العلمية، وأنها كانت تحتكر المؤلفات العلمية، لا تكاد تنشر إلا بها، نعم! لقد كانت العربية يوما هي اللغة الدولية في هذا الميدان".

وبقيت هي لغة العلوم الدولية قرونا، وتعلمت أوروبا في بادئ الأمر العلوم بالعربية، ولكن أهلها تنبهوا إلى خطورة تدريس العلوم بلغاتهم القومية، فنقلوا علوم العربية إلى لغاتهم، فاصبح العلم بذلك أوريبا، ولو بقوا يدرسونه ويدرسونه بالعربية - كما نفعل نحن الآن بدراسته باللغة الغربية لبقى عربيا، وبقيت نتائجه أيضا رغم وجوده في أوروبا عربية. لقد شعرت أوروبا بخطورة الموقف مبكرة، فقامت بما يجب القيام به في حينه، فأقبلت على ترجمة العلوم من العربية إلى لغاتها. ولم تسمح للعربية أن تبقى لغة للعلم عندها، فاصبح العلم مذ ذاك أوريبا<sup>٧</sup>.

وقد أحس جل شعوب الأرض - تقريبا - بأهمية نقل العلوم إلى لغاتها القومية، حينما نالت حريتها واستقلالها من ربة الاستعمار الأوربي البغيض، حتى أن معظم شعوب العالم الثالث فعلت ذلك، وها هي تقطف ثمرة جهدها ذلك، فالهند والباكستان وكوبا وتايوان وفيتنام، كلها حرصت على نقل العلوم، ولم تأبه كثيرا بنقل التقنية، ونتائج العلم فقط، فقد حرص هؤلاء جميعا على امتلاك العلم بنقله إلى لغاتهم، ولم يمر بعد ذلك زمن طويل حتى أثمرت تجاربهم بالتقنية ونتائج العلم والصناعات والمخترعات، ولم نغد نحن مما حولنا، أو من تجارب غيرنا.

وأعتقد اعتقادا جازما أن تغريب العلم - بالإبقاء على لغته أجنبية أعجمية - تغريب للفكر أيضا بالضرورة، فالعلاقة والصلة بين اللغة

والفكر علاقة حتمية، وتأثيرهما ببعضهما متبادل، إذ يقول الفيلسوف الفرنسي دي بونالد: "الفكر والكلمة جسم واحد لا يحصل دون أن تحدث لغة، ولا تحدث لغة لا تكون ذاتها فكراً"<sup>٤٨</sup>.

وليثق الجميع أن اللغة العربية لها قابلية فائقة على تدريس العلوم والفنون والتكنولوجيا... فالخوارزمي والبيروني وابن النفيس والرازي والإدريسي وابن خلدون، كلهم ألفوا بالعربية، وتعد تأليفهم علمية، بل مراجع في بابها، وحجة على ما وصل إليه البحث في عهدهم، فالعربية لم تقعهم عن أن يصلوا إلى القمة المعرفية، ويكونوا أساتذة عباقرة عالميين.

وليثقوا أيضاً أن مسألة صلاحية تدريس العلوم والتكنولوجيا باللغة العربية في المدارس العربية النيجيرية فأمر لا إشكال فيه ولا غبار، كما سيأتي بيان الخطة المقترحة في الخاتمة.

وقد أثبتت العربية أنها جديرة بحمل أمانة العلم ومسؤوليته حينما، تعرضت لتلك التجربة في عصر الحضارة الإسلامية العربية، وبرهنت أنها لغة حية أدت المعاني الجديدة والمفاهيم المستحدثة والطارئة، فأمدت الفقيه والمحدث والنحوي والبلاغي والمتكلم، والفيلسوف والطبيب والصيدلي والمهندس، وازدهرت حتى صارت اللغة العلمية العالمية التي احتكرت النشر العلمي الرفيع، فالبيروني (ت: ٤٣٠هـ) العالم الفارسي

يقول في كتابه (الصيدنة): - وإلى العربية نقلت العلوم من أقطار العالم فازدانت وحلت في الأفتدة والأوردة<sup>٤٩</sup>. (\*)

وإني أقول بكل صراحة: إن لغة الاعتزاز هي العربية الفصحى، ولو كنت عربيا لكنت بالطبع فخورا بهذه اللغة، مع أنني كمسلم أفتخر بما افتخارا عظيما مؤمنا بأنها تمكن العربي من إبراز شخصيته أمام لغات الأمم الكبرى، وتشعره بأنه يمتلك لغة حضارية ممتازة.

#### خاتمة:

قد وصلنا إلى نهاية هذا البحث بعد الجولة التاريخية عن العربية في ماضيها القديم، وما تواجهه وتعاينه من الأعداء في العصر الحديث، وموقفها الحالي في نيجيريا، ومع ذلك كله فقد رأينا أن ما ينسب إليها الأعداء من أنها لغة تتسم بالتحجر والصعوبة منادين بالخلاص منها، جاعلين أصابعهم في آذانهم، من سماع ثناء العلماء المتفقهين العارفين لها الذين أخبروا بأن خصائص اللغة العربية التي يعتبرها الأعداء تحجر أو صعوبة، هي عين سمات قدرتها وسر جمالها وحيويتها وسحرها.

وقد حاول هذا البحث قدر الإمكان أن يشير إلى بعض المشكلات التي تواجه الكثيرين من طلاب اللغة العربية والدراسات الإسلامية في نيجيريا، مما يجرمون في اكتساب العلوم والتكنولوجيا عن طريق التلقي باللغة العربية في جميع المستويات الدراسية.

وليس مراد هذا البحث خلق جو سياسي في البلاد، وإنما هو يريد إلفات أنظار القائمين بشؤون التعليم في البلاد العزيزة إلى أهمية التعليم العربي، وقدرته على تحمل أعباء العلوم والتكنولوجيا في مدارس نيجيريا العربية.

ولتحقيق هذه التطلعات وتسهيل اكتساب العلوم والتكنولوجيا لطلاب اللغة العربية في نيجيريا، وليسهم التعليم العربي في ركب الحضارة الإنسانية في هذه البلاد، يقترح الباحث إضافة إلى ما تقدم؛ أنه لا بد من العمل والجد لتحقيق هذا الغرض المنشود بتطبيق ما يلي:

- ضرورة أن يبدأ المسؤولون بإنشاء المدارس العربية النموذجية في هذا الصدد، وأنا واثق أنهم سيسعدون إن تحقق هذا الأمر، وستثمر هذه التجربة خيرا ولو بعد حين.
- طلب المساعدة والتبرعات من الدول العربية في تحقيق هذا الغرض المنشود.
- إضافة بعض الحرف والصناعات وعلم الحاسوب في المدارس العربية النموذجية المؤسسة لتحقيق هذا الهدف، وغيرها من المدارس العربية الإسلامية الموجودة حاليا.
- إضافة بعض العلوم الأساسية، مثل الرياضيات، والعلوم الإجتماعية والجغرافيا، بشرط تدريسها باللغة العربية في جميع المدارس العربية النيجيرية.



- والمدارس العربية النموذجية المؤسسة تكون في مناطق مختلفة في الولايات النيجيرية الشمالية والجنوبية، وخاصة ولايات كنو، وسكوتو، وكورا، وبرنو وأويو، ولاغوس، على أن تكون الدراسة في المدارس جارية على المنهج المقترح التالي:

أ- مرحلة روضة الأطفال (٣-٥ سنوات): وتكون مرحلة القراءة العربية، وخاصة قراءة القرآن الكريم، ويلتزم المدرسون باستخدام اللغة العربية في التدريس والتخاطب مع التلاميذ، مثل ما يحدث في روضة الأطفال الإنجليزية.

ب- المرحلة الابتدائية من (٦-١٢ سنة): تدرس جميع المواد المنهجية باللغة العربية بينما تكون اللغة الإنجليزية مادة إجبارية.

ج- المرحلة المتوسطة، المدارس الإعدادية (١٣-١٥ سنة): تكون الدراسة في هذه المرحلة باللغة العربية، في حين تكون اللغة الإنجليزية مادة إجبارية.

د- المرحلة الثانوية (١٦-١٨ سنة): لا فرق بينها وبين المرحلة السابقة.

ومن المنتظر بعد هذه المراحل المذكورة كلها أن يكون التلاميذ والطلاب قد اكتسبوا مهارة لغوية كافية في اللغة الإنجليزية، يقدر أن يتقدموا في دراساتهم إلى الجامعات الناطقة باللغة الإنجليزية إن شاءوا.

- ويرجى مرة أخرى أن تقدم الدول العربية الغنية عن طريق المنظمات كإيسسكو، التسهيلات المادية والبشرية في سبيل تحقيق هذا المنهج.
- مضاعفة الجهود وتوحيدها في سبيل تحقيق التراث العلمي العربي، وضرورة تنسيق ذلك، وتشجيع تحقيقه.
- عقد دورات لغوية لتحسين لغة مدرسي العلوم المختلفة في كل مراحل التعليم، وإعدادهم إعداداً لغوياً علمياً عالياً.
- الاهتمام بالترجمة ونقل العلوم المختلفة من اللغات الأوربية وخاصة اللغة الإنجليزية والفرنسية إلى اللغة العربية، وإغراء العلماء والأساتذة الجامعيين بذلك، وحثهم ومكافأهم على ذلك مكافأة معقولة.
- تشكيل لجان علمية فنية عربية متخصصة دائمة - على المستوى القومي - إضافة إلى ما هو موجود في البلاد العربية من أمثال مجمع اللغة العربية في مصر والعراق وغيرهما، وذلك لمتابعة المصطلحات الأجنبية الوافدة، ووضع مصطلحات عربية مقابلة لها، على أسس علمية موضوعية.

#### المراجع:

الألباني مُجَدِّ ناصر الدين، سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة، وأثرها

السيئ في الأمة الحديث رقم (٩٢٦). islamweb.netfatwa.

حافظ إبراهيم، قصيدة أنا البحر، الديوان، دار صادر، بيروت،  
٢٠١٢م.

حكيم سليم، اللغة العربية في نيجيريا، بيروت، ١٩٦٦م.  
حمزة أشولا عبدالرحيم (الدكتور)، اللغة العربية والتقدم العلمي  
والتكنولوجي في نيجيريا في القرن الحادي والعشرين (آلام وآمال)،  
مجلة التواصل، فصيلة ثقافية شاملة، العدد الأول، شهر الربيع/مارس  
١٣٧٢/٣ من وفاة الرسول ﷺ، (٢٠٠٤ مسيحي) تصدر عن  
جمعية الدعوة الإسلامية العالمية.

رشدي أحمد معيمة (أ.د.)، معلم العربية لغير الناطقين بها في إفريقيا،  
إعداده وتدريبه، المجلة العربية للدراسات اللغوية، العدد: ١٩، شوال  
١٤٢٣هـ/ ديسمبر ٢٠٠٢م، يصدرها معهد الخرطوم الدولي للغة  
العربية بالخرطوم، جمهورية السودان.

الزيات أحمد حسن، تاريخ الأدب العربي، دار المعرفة، بيروت - لبنان،  
ط: ١٣، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م.

شوقي ضيف (الدكتور)، تاريخ الأدب العربي، العصر العباسي الأول،  
دار المعارف، ط: ١٩، ٢٠٠٨م، القاهرة.

شوقي ضيف (الدكتور)، تاريخ الأدب العربي، العصر العباسي الثاني،  
دار المعارف، القاهرة.

مجلة دراسات عربية، العدد ١٥، الرقم ١، من السلسلة الجديدة أكتوبر ٢٠٢٠م

عبدالحليم منتصر (الدكتور)، تاريخ العلم ودور العلماء العرب في تقدمه،  
دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٠م.

علي توفيق الحمد (الدكتور)، العربية وخصائص اللغة العلمية، المجلة  
العربية للدراسات اللغوية، العدد: ١٨، ربيع الأول ١٤٢١هـ/ يونيو  
٢٠٠٠م.

غلاذنتي شيخو أحمد سعيد (الدكتور)، حركة اللغة العربية وآدابها في  
نيجيريا، القاهرة، دار المعارف، ١٩٨٢م.

لوبون غوستاف، حضارة العرب، ترجمة عادل زعيتر، دار العالم العربي،  
القاهرة، ط: ١، ٢٠٠٩م.

مُحَمَّد قطب (الأستاذ) هل نحن مسلمون، دار الشروق، بيروت،  
١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

A.B. Fafunwa, History of Education in Nigeria, London, George  
Allen, 1974m.

C.O. Taiwo, The Nigeria Education System, Lagos, Nelson, 1981.

J.O. Hunwick (ed), Report on a Seminar on the Teaching of  
Arabic in Nigeria, Ibadan and Kano, 1965.

J.O. Hunwick, Federal Republic of Nigeria, National Policy on  
Education, Lagos, 1981.

M.G. Raji, Modern Secular Approach to the Study of Arabic  
Literature in Nigeria, a paper presented at Departmental  
Seminar, 1986/87 Session, Dept. of Nigeria and African  
Languages, Ahmadu Bello University, Zaria.

Ogundbiyi, Propects for the Teaching of Arabic Language in Nigerian Universities, Journal of NATAIS, Vol. 12, 1. P: 80-87.

### الهوامش:

- ١- رواه ابن عساكر عن سلمة بن عبدالرحمن مرسلا قد حكم عليه الألباني بأنه ضعيف جدا، والله أعلم.
- ٢- انظر: حمزة أشولا عبدالرحيم (الدكتور)، اللغة العربية والتقدم العلمي والتكنولوجي في نيجيريا في القرن الحادي والعشرين (آلام وآمال)، مجلة التواصل، ص: ٦٠
- ٣- انظر: J.O Hunwick (ed) Report on a seminar on the Teaching of Arabic in Nigeria, Ibadan and Kano, 1965, p: 31
- ٤- انظر: A.B. Fafunwa, History of Education in Nigeria, p: 57.
- ٥- انظر: J.O. Hunwick Report, op.cit, p: 32.
- ٦- انظر: Federal Republic of Nigeria National Policy on Education, p: 1.
- ٧- الموسوعة العربية العالمية (٢٠٠٩)
- ٨- انظر: الزيات أحمد حسن، تاريخ الأدب العربي، ص: ١٥.
- ٩- انظر: غوستاف لوبون، حضارة العرب، ص: ٤٣٩.
- ١٠- انظر: شوقي ضيف (الدكتور): تاريخ الأدب العربي، العصر العباسي الأول، ص: ١٠٩.
- ١١- نفس المرجع، ص: ١١٠.
- ١٢- نفس المرجع، ص: ١١١.

- ١٣- نفس المرجع، ص: ١١١.
- ١٤- نفسه، ص: ١١١.
- ١٥- انظر: شوقي ضيف (الدكتور)، تاريخ الأدب العربي، العصر العباسي الثاني، ص: ١١٥.
- ١٦- غوستاق لوبون، حضارة العرب، المرجع السابق، ص: ٤٣٣.
- ١٧- نفس المرجع، ص: ٤٣٤.
- ١٨- نفسه، ص: ٤٣٧.
- ١٩- نفسه، ص: ٤٦٧.
- ٢٠- نفسه، ص: ٤٦٧-٤٧٧.
- ٢١- نفسه، ص: ٤٧٧.
- ٢٢- نفسه، ص: ٤٧٧.
- ٢٣- نفسه، ص: ٤٧٧.
- ٢٤- نفسه، ص: ٤٨٨.
- ٢٥- نفسه، ص: ٤٨٨.
- ٢٦- نفسه، ص: ٤٨٩.
- ٢٧- نفسه، ونفس الصفحة إلى ص: ٤٨٩.
- ٢٨- نفسه،
- ٢٩- نفسه،
- ٣٠- نفسه، ص: ٤٩٠.

- ٣١- انظر: رشدي أحمد طعيمة (أ.د.) معلم العربية لغير الناطقين بها في إفريقيا، إعدادة وتدريبه، المجلة العربية، ص: ٤١.
- ٣٢- نفس المرجع، ص: ٤٣.
- ٣٣- انظر: مُجَّد قطب (الأستاذ)، هل نحن مسلمون، ص: ١٣٣.
- ٣٤- المرجع السابق، مُجَّد قطب، ص: ١٣٥.
- ٣٥- المرجع السابق، مُجَّد قطب، ص: ١٣٥.
- ٣٦- انظر: حافظ إبراهيم (قصيدة أنا البحر) الديوان.
- ٣٧- انظر: علي توفيق الحمد (الدكتور)، العربية وخصائص اللغة العلمية، المجلة العربية، ص: ٦.
- ٣٨- انظر: غلادنتي شيخو أحمد سعيد (الدكتور)، حركة اللغة العربية وأدائها في نيجيريا، ص: ٦-٨.
- ٣٩- انظر: A.B. Fafunwa, op. cit. p: 65-66.
- ٤٠- انظر: حكيم سليم، اللغة العربية في نيجيريا، ص: ٢٤.
- ٤١- حكيم سليم، المرجع السابق، ص: ٢٦-٢٨.
- ٤٢- المرجع نفسه، ص: ٢٨.
- ٤٣- انظر: عبد الحليم منتصر (الدكتور)، تاريخ العلم ودور العلماء في تقدمه، ص: ٨٠.
- ٤٤- انظر: علي توفيق الحمد (الدكتور)، العربية وخصائص اللغة العلمية، المجلة العربية، ص: ٦.

- ٤٥- مرجع سابق، ص: ٦.
- ٤٦- علي توفيق الحمد، المرجع السابق، ص: ٧.
- ٤٧- عبدالحليم منتصر، المرجع السابق، ص: ٤.
- ٤٨- علي توفيق الحمد، المرجع السابق، ص: ٥.
- ٤٩- نفس المرجع، ص: ١١.
- (\*) انظر أيضا: المراجع التالية نظرة عامة.
- عبدالرحيم عيسى الأول: قضية اللغة الرسمية في نيجيريا التنافس بين اللغات وموقف اللغة العربية في القضية، مقال منشور في مجلة إسلامية علمية) مجمع البحوث الإسلامية، الجامعة الإسلامية العالمية، ١٩٩٤م، ص: ١٢٦.
- السهلاني محمد جواد، مفهوم الحضارة الإسلامية، مجلة التوحيد، ١٩٨٩م، ص: ١١٦-١٢٧.
- M.G. Raji, Modern Secular Approach to the Study of Arabic Literature in Nigeria, a paper presented at Departmental Seminar, 1986/87 Session, Dept. of Nigeria and African Languages, Ahmadu Bello University, Zaria.
- Ogundbiyi, Propects for the Teaching of Arabic Language in Nigerian Universities, Journal of NATAIS, Vol. 12, 1. P: 80-87.
- C.O. Taiwo the Nigeria Education System, Lagos, Nelson, 1981.



## تصوير الصوت والشكل في التهجئة العربية عند كتاتيب هوسا في شمال نيجيريا

إعداد

الدكتور أبوبكر نوح فنذا

قسم اللغة العربية، جامعة بايرو كنو، نيجيريا

[abubakar.ara@gmail.com](mailto:abubakar.ara@gmail.com)

مقدمة:

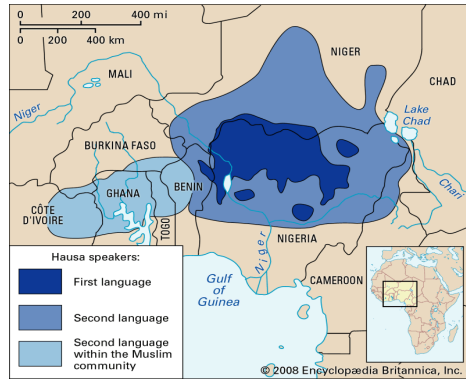
حُظيت كتاتيب هوسا بطريقة مثالية في مهارة تعليم التهجئة العربية عند تعليم قراءة القرآن الكريم، فقد اصطلح علماء هذه الكتاتيب على تسمية كل حرف -على اختلاف أشكاله في الكلمة- بتسمية مستقلة بحيث يسهل على الطالب أن يميز الحرف الذي لا يتغير بتغيير موضعه في الكلمة ، والذي يأتي بأشكال مختلفة بتسمية تصور للطالب كيفية النطق بالحرف وكتابته في آن واحد. تهدف هذه الورقة إلى تسليط الضوء في متابعة هذه المهارة ليعرف مدى دقة قراء هوسا في شمال نيجيريا في تسمية كل حرف مع اختلاف وضعه في الكلمة. تقف الورقة في بادئ الأمر على التعريف بهوسا وشمال نيجيريا فمنهج الكتاتيب فيها في تعليم التهجئة العربية، ثم دراسة تهجئة اللغة العربية ومصطلحاتها لدى كتاتيب هوسا في شمال نيجيريا من جانبين: الأول: الحروف التي تأتي على شكل واحد بغض النظر عن موضعها في الكلمة، والثاني: الحروف التي

تأتي على شكلين أو أكثر في الكلمة، بالإضافة إلى ذكر المصادر الثقافية لتسمية هذه الحروف، وأخيرا الخاتمة مع ذكر الهوامش والمراجع. مستخدما المنهج الوصفي في معالجة الموضوع ووصلت الورقة إلى أن هذه الكتابات لها طريقة متميزة في التهجئة العربية من حيث الأساليب والمصطلحات المحلية التقليدية تبعا لوضع كل حرف.

### التعريف بـ "هوسا" وشمال نيجيريا

تطلق كلمة "هوسا" على الموطن واللغة<sup>١</sup> والشعب<sup>٢</sup> والقبائل الساكنة بين مملكة برنو شرقاً والمنطقة الواقعة في الضفة الغربية لنهر النيجر غرباً، ومن حدود مملكة أهير شمالاً إلى حدود نهر بينوي جنوباً.<sup>٣</sup> كما تطلق تلك الكلمة على اللغة التي يتحدث بها هؤلاء الشعوب والقبائل، فهي لغة كانت ولا تزال منتشرة على نطاق واسع في غرب أفريقيا كلها، وهي إحدى اللغات الأفريقية الثلاث وهي العربية، ثم الهوسا، فالسواحلية. وقد ساعد في انتشارها خفتها وسهولة التعبير بها وانضباطها بقواعد ثابتة كالعربية... وبسبب انتشار قبائلها في أنحاء شتى للتجارة والسياحة وتكوينهم جاليات كبرى في الأقطار والمدن المتنوعة؛ ويؤيد هذا القول شيوخو أحمد سعيد غلادثي بقوله أن هناك اتصال بين العرب وولايات هوسا منذ القرن العاشر الميلادي وأن بعض الممالك لولايات هوسا ككنو، وكشنة، وزكرك، التي اشتهرت بنشر اللغة العربية والدين كانت في

نفس الوقت مراكز تجارية هامة. وتلك الممالك لم تزدهر إلا في القرن العاشر الميلادي° وبعبارة أخرى تسكن قبيلة الهوسا شمال نيجيريا أساسا ويمتد انتشارها من جبل الهواء بجمهورية النيجر شمالا إلى منطقة جوسن "بلاثو" وسط نيجيريا جنوبا، ومن بحيرة تشاد شرقا إلى مدينة جني بجمهورية مالي غربا. وتوضح الخريطة الآتية الموقع الأصلي لقبائل الهوسا من حيث موطن المتحدثين بها كاللغة الأم، ومواقع انتشارها كلغة ثانية:



والهوسا أكبر التجمعات العرقية النيجيرية إذ تبلغ نسبتهم -حسب بعض التقديرات- ربع سكان البلاد. وقد دخل أبناء هذه القبيلة في الدين الإسلامي أفواجا منذ عهود قديمة، وتقدر نسبة المسلمين بينهم بـ ٩٨%.

وأما هذا البحث فهو يتطرق فقط إلى كتاتيب هوسا في شمال نيجيريا لا الغير لما أن هوسا أكثر انتشارا فيها وهي موطنها الأصلي.

كتاتيب هوسا في شمال نيجيريا ومنهجها في تعليم التهجئة العربية:

المفهوم اللغوي للكتاتيب:

"الكتاتيب جمع كتاب مشتق من التكتيب أي تعليم الكتابة أو هو مكان صغير لتعليم الصبيان القراءة والكتابة وتحفيظهم القرآن".<sup>٧</sup>

فالكتاتيب عبارة عن الحلقات الأوائل المعقدة لتعليم قراءة القرآن الكريم، كتابة وقراءة وحفظا، وهي تستخدم الألواح المصنوعة من الخشب وهي بمنزلة السبورة اليوم، ويكلف التلاميذ في البوادي والأرياف بجمع الوقود لإيقاد النار في وسط الحلقة ليلا، والتي تكون بمنزلة المصابيح عند مدارس الإسلامية الحديثة.<sup>٨</sup>

وقد انتشر تعليم القرآن الكريم بانتشار الإسلام وينقسم طلابها إلى قسمين: قسم يقرؤون القرآن الكريم من غير حفظ وآخر يقرءونه للحفظ.

فالقسم الأول يلتحق به الغلمان عندما يبلغون خمس سنوات من العمر وتسمى (مدرسة اللوح) لاستخدام الألواح عند التعليم، وهؤلاء الطلاب لا حصر لهم في شمال نيجيريا إذ قلما تجد المرء لم يلحق أولاده بالكتاتيب لهذا الغرض، لأن ضمير الأب المسلم لا يرتاح إلا بعد أن يلحق أولاده فيها. وطريقة التعليم فيها هو أن يكتب المعلم للولد الحروف الهجائية أولا غير مضبوطة بالشكل من سورة الفاتحة، وسور

العشر من سورة الفيل إلى سورة الناس بدابة بالمعوذتين فالإخلاص حتى سورة الفيل.

وأما القسم الثاني من الطلاب فهو لحفظ القرآن وعرفوا أصلا في مدينة بَرْنُو<sup>١</sup> مع أنهم موجودون في مدن غيرها وطريقة الحفظ عندهم أن يكتب التلميذ الثمن الأول من سورة البقرة على لوحه ثم يقرؤه المقرئ ويُسمعه بعد حفظه وهكذا حتى يكمل حفظ القرآن.<sup>١٠</sup>

### منهج كتابت هوسا في شمال نيجيريا في تعليم التهجئة العربية:

تُعلم كتابت هوسا التهجئة العربية باستخدام الخط المغربي في مدارسها مع أن هذا المنهج يختلف باختلاف البيئات والمجتمعات والمدارس، ومع هذا، يحاول الباحث تناول ما عم البيئات والمجتمعات والمدارس. حيث تستخدم في هذه المدارس الألواح المصنوعة من الخشب إلى أن يتقن الطالب قراءة القرآن الكريم وكتابته. فهم يتبعون الطرق المختلفة في مختلف المراحل التي تعتبر كمراحل ابتدائية وإعدادية في الزمن الحاضر:

ففي مرحلة التهجي يحاول المعلم أن يعلم التلاميذ الحروف أولا عن طريق كتابة سورة الفاتحة مع قصار السور من سورة الناس إلى سورة الفيل بدون الضبط بالشكل، وتسمى هذه المرحلة بـ "بَبَّعُو" (BABBAKU) وكل هذا يكون باللغة المحلية فمثلا في هوسا يقال "أَلْ

عَمْبَاكِي وَوُ دَلْ " يعني بها الألف والعين والواو والذال التي في قولك "أعوذ" وهكذا يدرّب الطالب على هذا المنهج حتى يعرف شكل الحروف العربية. ثم حروف سورة الفاتحة فالمعوذتين إلى سورة الفيل محاولة تدريب الطالب على كيفية رسم جميع الحروف العربية عن طريق القرآن الكريم.

وبعد أن عرف الطالب قراءة الحروف وكتابتها فينطلق إلى المرحلة الثانية فيكتب له المعلم هذه السور القصار مع الضبط بالشكل ليعرف الطالب الشكل وكيفية كتابته. وهذه المرحلة تسمى عند القراء بـ"فَرَزَرُو" ( FARFARU ) كذلك يكون باللغة المحلية فمثلا في هوسا يقال "بِسْمِ" BI BA DA KISRA KAS ITACE "BI" BIS KISRA "TADAURI "SIN" MI- ARA DA KISRA KASA ITACE" MI"

ففي هاتين المرحلتين يتدرّب بها التلاميذ على قراءة القرآن مستخدمين الألواح الخشبية. والبعض يستخدم الآية الأخيرة لسورة الفتح لأنها كما يقولون اشتملت على جميع حروف الهجائية العربية: والآية هي قوله تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيغِيظَ بِهِمُ

الْكُفَّارَ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا  
عَظِيمًا ﴿الفتح: ٢٩﴾

يلاحظ من هاتين المرحلتين أن الطالب يدرك كيفية رسم الحروف بأشكالها المتنوعة سواء كان الحرف في بداية الكلمة أو وسطها أو آخر الكلمة عن طريقة تطبيقية بحتة، وتختلف التسمية لحرف إذا كان في بداية الكلمة أو في وسط الكلمة فمثلا: الحاء التي في كلمة "مُحَمَّدٌ" تسمى "حَا سَابِي" (Ha sabe) أي الحاء التي تكتب بخط مخالف، وأما التي في قوله تعالى: "رُحَمَاءُ" مع أنها في وسط الكلمة ولكن لم تكن على السطر لأنها مسبوقه بحرف منفرد تسمى: "حَا قَرَمِي" أي الحاء الصغيرة، في حين تسمى "الهَاء" هَا بَبَا" أي الهاء الكبيرة، مشيرين بذلك إلى مخارج هذه الأصوات وصفاتها عن طريق إضافة صفتها في التسمية، فالباحث يفضل استخدام السور القصار من سورة الفاتحة والمعوذتين إلى سورة الفيل مع عدم ورود بعض الحروف في تلك السور كالزاي والطاء، ولكن تكررت بقية الحروف بكثرة بأشكالها المتنوعة وكلما تكرر الشيء كان أقر في الذهن.

مفهوم الخط المغربي المستخدم في كتاب هوسا في شمال نيجيريا:  
الخط المغربي نوع من خطوط الأجدية العربية، تأثر بالخط الكوفي،  
ينتشر استخدامه في بلاد المغرب العربي، إذ أن موطنه عموم بلاد المغرب

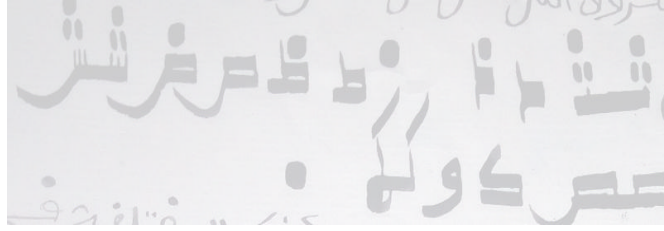
من ليبيا إلى تونس إلى الجزائر إلى المغرب إلى موريتانيا وحتى جنوب الصحراء، كما استخدم سابقا في الأندلس.

### بعض خصائصه

- ليس للخط المغربي قواعد محددة أو موازين كما هو الحال بالنسبة للخطوط العربية الأخرى. ولانعدام تلك القواعد فإن الحرف الواحد قد يكتب بأكثر من طريقة في نفس الوثيقة.
- يحتفظ الخط المغربي ببعض الرواسب التي ورثها من الخط الكوفي من ذلك أن الألف المتصلة تنحدر قليلا عن مستوى السطر بزائدة كوفية، كما أن حروف الكاف والصاد والضاد والطاء والظاء تكون ممتدة بما يذكر بالخط الكوفي.
- قلما تحتفظ حروف الألف واللام والطاء والظاء بشكلها العمودي إذ كثيرا ما تكون في شكل منحنى وتحمل في أعلاها ما يشبه النقطة الغليظة. وبالنسبة لحرف الظاد قد ترسم النقطة على يسار الشلة.
- لا ترسم عادة السنينة بعد حرفي الصاد والضاد، وقد ترسم نقطة الضاد داخل الحرف.
- تتخذ بعض الحروف امتدادا مبالغا فيه إذا كانت في آخر الكلمة وأساسا منها س ش ي ل ن.



- كما قد لا تكتب نقط الحروف النهائية في ف ق ن.
- يتميز الخط المغربي فيما يتعلق بإعجام حرفي الفاء والقاف، حيث ترسم الفاء بنقطة من أسفل والقاف بنقطة واحدة من فوق.<sup>١١</sup>
- الحروف العربية ومصطلحاتها عند كتاتيب هوسا في شمال نيجيريا:**
- ينفرد كل هجاء - باختلاف موضعه في الكلمة - بمصطلح خاص حتى لا يوجد إلتباس صوتا وكتابة وفي السطور التالية تفصيل لهذه الحروف:
- أ- الحروف التي تأتي على شكل واحد بتسمية واحدة:**



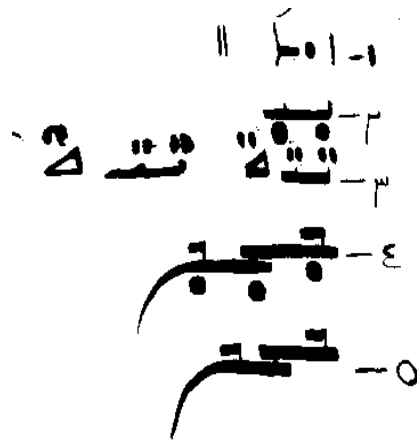
الحروف التي وردت في الصورة السابقة هي الثاء والذال والذال والراء والزاي والطاء والظاء والصاد والشين والضاد والكاف والواو واللام ألف والهمزة.

ففي اصطلاح كتاتيب هوسا في شمال نيجيريا تسمى "الطاء والزاي والطاء والظاء والشين والكاف ولام ألف" بمصطلحات مزدوجة وهي "sin cha" وهو مزدوج بين السين و ch الموجودة في لغة هوسا، وزيّ راء، "zaira" المزدوجة بين الزاي والراء، و"طَامَلْ هَنْ" "twamal hannu" المزدوج بين طا واليد، و"ظَامَلْ هَنْ" "zwamal hannu" المزدوج بين ظا

واليد، و"شِنَمِي رُوَا" "Shinmairuwa" المزدوجة بين الشين ونقط، و"كُولَاسَن" "kaulasan" مزدوجة بين صوت الكاف واللام والسين، و"لَمَلُو" "Lamalu" مزدوجة بين اللام والألف، كاصطلاحها العربي لأنهم يسمون الألف، "أَلُو" بترخيم الألف، ولما ازدوج اللام والألف قيل: "لَمَلُو" مع حذف المد الذي بعد اللام ونقل حركة الهمزة إلى الساكن قبلها. وسموا "الدال، والذال والراء والصاد والضاد" بمصطلحات منفردة وهي "دَلْ وَذَلْ وَرَا وَصَدِ وَضَدِ" "Dal,dhal,Rwaa, swadi,and " وهي "Rwadi" وهي مأخوذة من اصطلاحاتها العربية مع حذف المد، وبالنسبة للضاد تنطق كالراء المفخمة عند البعض لعدم وجود الحرف في لغة هوسا وأحيانا كاللام أو الدال<sup>١٢</sup>.

ب- الحروف التي لها أشكال مختلفة وتسمية مختلفة حسب


موضعها في الكلمة




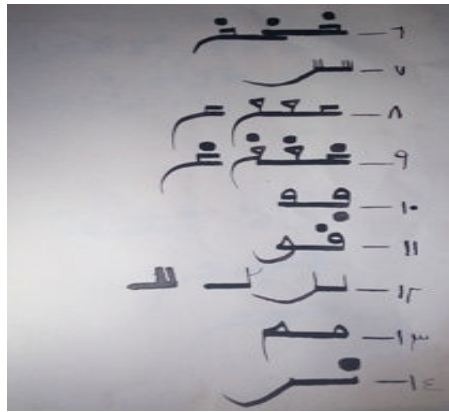
في الرقم الأول فيها حرف اللألف بأشكاله المختلفة **ا** **آ** **أ** **إ** **أ** فإذا كان منفرداً يسمى "ألو" "Alu" بترخيم الحرف ونقل حركة الحرف الأخير إلى ما قبله وهو اللام مع إشباعه. وإذا كان موصولاً بالكلمة يسمى " "ألو باقي" "Alu Baqi" الألف السوداء تميزاً للألف الذي يأتي فوق السطر الذي يسمى "ألو جا" "Alu Ja" الألف الحمراء، وإذا تكرر الألف للوصل بين الكلمتين يسميان "ألو تباري" "Alu tavare" الألف التوأم، في مثل قوله تعالى: **تَتَّبِعُوا مَعَهُ قَوْمًا** أي الألف الممدود الذي في آخر "يد" لعلامة الرفع وهمزة القطع التي في "أبي".


وفي الرقم الثاني حرف الباء بشكليه **ب** **بـ** فإن كان في بداية الكلمة أو وسط الكلمة يسمى "با" "Baa" كاصطلاحه العربي بحذف الهمزة، وإذا كان في آخر الكلمة أو منفرداً يسمى "با عُجِي" "Ba guje" لعدم وصله بشيء.

وفي الرقم الثالث حرف التاء على اختلاف أشكاله المختلفة **ت** **تـ** **تـ** فإذا ورد في بداية الكلمة أو وسطها يسمى "تا" "Taa" بتغيير بسيط في اصطلاحه العربي، وإذا كان منفرداً أو في آخر الكلمة يسمى "تأ عُجِي" "Taa guje" إشعاراً بانفصاله عن غيره. وإذا كان مربوطاً يسمى "تأ كُر" "تأ المدورة".


وفي الرقم الرابع هناك حرف الجيم على اختلاف أشكاله المختلفة  فإذا جاء في أول الكلمة يسمى "جِنُ قَرَمِي" "Jin qarami" الجيم الصغيرة، وفي وسط الكلمة يسمى: "جِنُ سَابِي" "Jin save" الجيم بخطين مخالفين، وإذا كان في آخر الكلمة أو منفردا يسمى "جِنُ قَرَمِي كُومَا بَايَا" "Jin qarami koma baya" الجيم الصغيرة المذيلة.

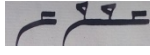
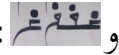
وفي الرقم الخامس حرف الحاء باختلاف وروده في الكلمة  فهو كسابقه في التسمية، حَا قَرَمِي، "Ha qarami" الحاء الصغيرة، وحَا سَابِي، "Ha save" الحاء التي بخطين مخالفين، وحَا قَرَمِي كُومَا بَايَا.

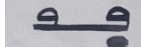


والشيء نفسه في السادس وهو حرف الحاء، بأشكاله  حَا قَرَمِي مَي رُؤَا، "Kha qarami mairuwa" وحَا سَابِي

"مِي رُوَا"، "Kha save mairuwa" و"خَا قَرَمِي مِي رُوَا كُومَا بَايَا. Kha qarami mairuwa koma baya"

وفي الرقم السابع حرف السين بشكليته  ويسمى "سِنْ قَيْقَسَشِي" "Sin qeqasashshe" السين اليابسة، إذا كان في أول الكلمة أو في وسطها، وإذا كان في آخر الكلمة أو منفردا يسمى "سِنْ آرَا،" "Sin aara" السين المقوسة المشبهة بالراء.

وفي الرقم الثامن والتاسع حرفا العين والغين  و  باختلاف موضعهما في الكلمة، ففي أول الكلمة يسميان "عَمْبَاكِي و" "am baki, and gam baki" العين والغين مفتوحتا الفم، وفي وسط الكلمة ، يسميان "عَل لِكَافَا،" "Al likafa" و"عَل لِكَافَا" "Gal likafa" العين والغين المشبتهتان بعكاف سرد الحصان أو الجمل، وفي آخر الكلمة يسميان: "عَل لِكَافَا كُومَا بَايَا،" "Al likafa koma baya" و"عَل لِكَافَا كُومَا بَايَا" "Gal likafa koma baya" العين والغين المذيلتان مغلوقتا الفم، وإذا كانا منفردين يسميان: "عَمْبَاكِي كُومَا بَايَا" "Am baki koma baya" و"عَمْبَاكِي كُومَا بَايَا" "Gambaki koma baya" العين والغين المذيلتان مفتوحاتا الفم.

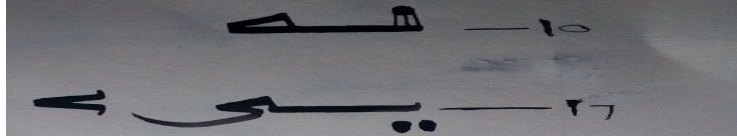
والرقم العاشر هو حرف الفاء بشكليته  الذي يسمى "فَا" "Faa" كاصطلاحه العربي إذا كان في أول الكلمة أو وسطه، وفي آخر الكلمة أو منفردا يسمى "فَا عُجِي" "Fa guje".

والرقم الحادي عشر، هو حرف القاف بشكليته **قو** ويصطلح عليه بـ "قَوْنَكِي" القاف الذي له الرأس إذا كان في أول الكلمة أو وسطها وإذا كان في آخر الكلمة أو منفردا تسمى "قَهْوُو" "Qahuwaw".

وفي الرقم الثاني عشر حرف اللام بأشكاله المختلفة **لر - ل** فهو "لَنْ جَائِي" "Lan jaye" اللام الموصول، إذا كان في أول الكلمة أو وسطها، وإذا كان منفردا أو في آخر الكلمة يسمى "لَنْ" آر "Lan aara" اللام المشتبهة بالراء، وإذا كان ممدودا في الكلمة المتصلة في مثل "لكن" تسمى "لَنْ ظاغي" "Lan tsage" اللام المشقوقة، وإذا تكرر اللام في مثل: "الله" تسمى "لَنَّ" "Lan Lan". بتكرار بداية المصطلح.

وفي الرقم الثالث عشر حرف الميم **مه** الذي يسمى "مِنْجَائِي" "Min jaye" الميم الموصول، إذا كان في أول الكلمة أو وسطها، ويسمى "مِيَارَا" "Mii aara" الميم الشبيهة بالراء.

وفي الرقم الرابع عشر حرف النون **نر** ويسمى: "نُنْ" مَيْطَا "Nun mai xa" النون المعجمة، وإذا كان في آخر الكلمة أو منفردا يسمى "نو آرا" "Nuu aara" النون المشبه بالراء.



والخامس عشر، هو حرف الهاء **هـ**، فإن كان في أول الكلمة أو وسطها يسمى "ها بَبَا" "Ha babba" الهاء الكبيرة، وإذا كان في آخر الكلمة يسمى: "ها كُرِّي" "Ha kuri" الهاء المدورة.

والأخير السادس عشر، هو حرف الياء **ياء** وهي تسمى: "يا" "Yaa" كاصطلاحه العربي بحذف الهمزة، إذا كان في أول الكلمة أو وسطها، وإذا كان مقصورا أو منفردا أو متحركا في آخر الكلمة يسمى "يا آرا" "Ya aara" الياء المشبهة بالراء، وإذا كان ممدودا في آخر الكلمة يسمى "زَوَيْد" "Zawaidi" أي الياء الزائدة<sup>١</sup>

#### المصادر الثقافية لهندسة تسمية الحروف عند كتاتيب هوسا:

تقتبس كتاتيب هوسا في شمال نيجيريا تسمية الحروف من نواحي ثلاثة، الأولى، ترك الحروف باصطلاحها العربي بتغيير بسيط لعدم الالتباس بغيرها من الحروف في الشكل. والناحية الثانية المشابهة الشكلية بين الحروف والأخيرة المشابهة الشكلية بين الحروف وبين الأشياء الطبيعية من الإنسان والحيوان وأشياء أخرى وفي النقطة التالية معالجة هذه النواحي:

## • تصوير الصوت والشكل بترك الحروف باصطلاحها العربي بتغيير بسيط لعدم الالتباس بغيرها من الحروف.

هناك حروف كثيرة سميت باصطلاحها العربي بتغيير بسيط وهي، الألف والباء والتاء والفاء في أول الكلمة ووسطها، وهكذا الدال، والذال، والراء، والصاد، والضاد، والواو، واللام ألف والهمزة.

وما حدث في الألف والباء والتاء والفاء والراء من التغيير هو حذف الحرف الأخير مع تمديد الحركة إشباعا فيقولون: "ألو" "Alu"، با، وتا، وفا، ورا، وهكذا. وفي الدال والذال والصاد والضاد، والواو يحذف حرف المد الذي في جوف الكلمة مع تسكين الحرف الأخير في الدال والذال والواو، ويقال: "دل، ودل ووؤ" "dal, dhal, and waw"، واللام ألف، سُمِّيَ "لَمَلُو" "Lamalu"، بحذف مد الوسط في اللام وإضافته إلى الألف تركيبا مزجيا. وأما الهمزة فقد سميت كما سميتها العرب بتغيير السكتة مدًا وقالوا "أَلْهُمَزًا"<sup>١٥</sup>

والملاحظ في تسمية هذه الحروف أنها بنيت على أساس الأمن من اللبس صوتا وكتابة في مواضعها، فمن ذلك لم تردف بصفة تميزها عن غيرها مما يوحي بعقربة الشعب الهوساوي في اختراع المصطلح.



• تصوير الصوت والشكل بالمشاهدة الشكلية بين الحروف.

هناك حروف سميت بإضافة صوت آخر لشبها به كتابة أو صوتا، وهي كما يلي:

أ- ما يشابه السين صوتا وهو حرف واحد وهو الثاء الذي

يسمى *sin cha*.

سمي هذا الحرف بهذا المصطلح المزدوج تمييزا له نطقا وكتابة وإشعارا بأن ليس في لغة هوسا هذا الصوت، فمن ذلك أطلق عليه مصطلح مزدوج بصوتين، صوت يقاربه في اللغة العربية وهو السين، والآخر يشابهه في لغة هوسا، مما يشعر الطالب بكيفية النطق بهذا الصوت وكتابته في آن واحد. في حين أن البعض يطلق على هذا الحرف بـ "ch" اختصارا. لأن السين تخرج من طرف اللسان مع فويق الثنايا السفلى<sup>١٦</sup> والثاء كذلك تخرج من طرف اللسان مع طرف الثنايا العليا و "ch" في لغة هوسا تخرج من ظهر اللسان مع التصاقه بالحنك الأعلى<sup>١٧</sup>، وهذا يدل على إمكانية إبدال النطق بين الحروف الثلاثة.

ب- ما يشبه الراء كتابة وهي حروف كثيرة: "ز، س، ل، ن، م،

ي، ش، ص، ض.

ر							
ض	ص	ش	ي	م	ن	ل	س

فهذه الحروف كلها تشبه الراء شكلا لاسيما الزاي والنون<sup>١٨</sup>، وإلحاقا للبقية فمن ذلك ركبت تركيبا مزجيا وسميت "زَيُّ رَا" "Zai ra" و"سِنُّ آرَا" "Sin aara" نُو آرَا، "Nu Ara" مِي آرَا، "Mi Ara" يا آرَا، "Ya aara" إشعارا لنطق الحرف وشكل كتابته، وأما الشين والصاد والضاد مع أنها تشابه الراء كتابة فلم تتركب بها ولعل هذا يعود إلى عدم وجود الصاد والضاد في لغة هوسا، واكتفي بمصطلحيهما المذكورين سابقا. وبما أن الشين موجودة في هوسا ولكن اكتفي بمصطلحها سواء في أول الكلمة أو آخرها.<sup>١٩</sup>

### ج- ما يشبه الواو كتابة: "ق"


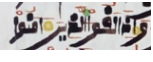
تسمى القاف التي في آخر الكلمة "قَهْوَوُ" مشابهة بالواو غير أن القاف أقوس من الواو ولأنها في الخط المغربي ليست منقوطة، انظر آخر الآتين "الفلق" "خلق":








وهذا يوحي بصوت الحرف مع الإشعار بكيفية كتابته في الموضع. تصوير الصوت والشكل بالمشابهة الشكلية بين الحروف وبين الأشياء الطبيعية من الإنسان والحيوان وأشياء أخرى. هناك حروف تشابه كتابتها بالأشياء الطبيعية وهذه الحروف هي: "ا" "ب،ة، ججج، ووحح، وخبخ، س،ش، وط، وظ، وععع ع وغبغغ، غ، ن، ول، وم، وف، ه.ه.<sup>٢٠</sup>

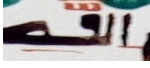
## ١ - ما ركب بالنظر إلى شكل الحرف في الكتابة.

هناك حروف كثيرة وهي: ل، ا، و، ج، ح، خ، ن، و،  
ل، و.

يسمى الألف للمد في آخر الكلمة "ألو بقي" "Alu baqi" اعتباراً  
بأنه يكتب بالمداد الأسود وتمييزاً بالألف التي تكتب على الكلمة في  
مثل:  لأنه تكتب بالمداد الأحمر فصور صوت الحرف  
وشكله في الكتابة. وإذا تكرر الألف يسمى "ألو تباري" "Tavarya"  
تباري جمع تَبْرِيًا ومعناه المدق، وذلك يكون في مثل قوله تعالى:  
 إشعاراً إلى الألفين الأولى في "ا" للتمييز "لقوا" والأخرى في  
بداية الألف واللام في "الذي".


وهكذا في الجيم والحاء والحاء في مختلف مواضعها في الكلمة، ففي  
بداية الكلمة تسمى "جِن قَرَمِي"، "Jin qarami" وحا قَرَمِي "Ha qarami"  
وحَا قَرَمِي "Kha qarami mairuwa"، الجيم والحاء والحاء الصغيرة  
لشطب ذيولها، وفي وسط الكلمة تسمى "جِن سَابِي"، "Jin Save" وحا  
سَابِي "Ha save" وحا سَابِي مَي زُوا "Kha save mairuwa" " الجيم  
والحاء والحاء مخالفة الخطين ، وذلك في مثل: الأول   
الثاني  الثالث 

وبالنظر إلى كتابة هذه الحروف الثلاثة يلاحظ أنها تكتب بالخطين مخالفين، الخط العلوي والآخر السفلي مع شق بينهما بخط عمودي، فسميت بذلك المصطلح إشعارا للصوت والشكل في آن واحد. والشيء نفسه في الجيم والحاء والحاء المنفردة أو التي في آخر الكلمة تسمى "جِن قَرَمِي كُومَا بَايَا" "Jin qarami koma baya"، حَا قَرَمِي كُومَا بَايَا، "Ha qarami koma baya" حَا قَرَمِي مَي رُؤَا كُومَا بَايَا "Kha qarami mai ruwa koma baya"، أي الحروف التي لها ذيول متقهقرة، إشعارا بالصوت والشكل. وبالنسبة للحاء بمختلف وضعها يشير إلى مخرج الحرف بأنها مبللة تميزا بينها وبين الكاف، حتى إذا أخطأ الواحد بنطق الحاء كافا فيقال: "بللها" أي ارجعها إلى مخرجها وهو أقصى الحلق.<sup>٢١</sup> وأما حرف النون الذي في أول الكلمة أو وسطها يسمى "نُون مَي طَا/ نُون عُدَا" "Nun maixa/Nun guda" النون المعجمة إشعارا بالصوت والشكل للحرف وتميزا للنون الذي في آخر الكلمة الذي لا ينقط فمثال الأول:  والثاني  فالنون الذي في كلمة "أنعمت" نقط والذي في كلمة "الرحمن" غير منقوط في الخط المغربي. هكذا حرفا اللام والميم اللذان في أول الكلمة أو وسطها تسميان: لَنْ جَايِي، "Lan jaye" و مِنْ جَايِي، "Min jaye" أي اللام والميم الموصولان أي اللذان مد ذيلهما. فكان هذا إشعارا إلى الصوت في


البداية والشكل أخيرا. والشيء نفسه إذا تكررت اللام في مثل "الله" أو "الله" يصطلح بتكرار صدر مصطلحه فيقال: لَنَلْنُ:  إشعارا بصوت الحرف أولا وانتهاء بالإشارة إلى تكراره


## ٢- الحروف باعتبار شكل الأشياء الطبيعية.


س، ش، وط، وظ، وعع ع وغغغ غ، ه ه ه، ب، ت، ف ق.  
 هذه الحروف سميت باعتبار شكلها مع مقارنتها بالأشياء الطبيعية  
 فمثلا: السين والشين سميت السين بـ"سِنٌ قَيْسَسِيٌّ" " sin  
 "qeqasashshe"السين اليابسة، والشين تسمى: شِنٌ مَيِّ زُوَا، الشين  
 المبللة، فوصفت السين لعدم النقط فوقها باليابسة، ووصفت الشين  
 لأنها معجمة بأنها مبللة، إشعارا بالصوت والشكل وتمييزا لطبيعة  
 كتابتهما وإضافة إلى ذلك يشير المصطلحان إلى صفة هذين الحرفين أي  
 الصغير للسين والتفشي للشين.

والطاء والظاء تسميان: "طَامَلٌ هُنُّ، وَظَامَلٌ هُنُّ" twamal hannu,  
 "zwamal hanuu" أي الطاء والظاء ذواتا اليد، سمي الحرفان بتركيب  
 مزجي بين الصوت والشكل بإطلاق بداية الحرف بصوته وانتهاء بشكله  
 باستعار طبيعة طمس اليد  .

وأما حرفا العين والغين باختلاف موضعهما يوحيان بصوتهما  
 وشكلهما معا ففي أول الكلمة أو في حال انفرادهما سميا "عَمْبَاكِي"


وَعَمْبَاكِي "Ambaki, and Gambaki" ع غ، ع، غ. العين والغين المفتوحتا الفم، إشعارا بنطقهما في بداية الحرف وإشارة إلى شكلهما وهي طبيعة الفم حينما كان مفتوحا . مع ردف "كُومًا بَيَا" "Koma baya" أي الذيل المقوس إلى الوراء، حالة كونهما منفردتين.

وأما حرفا العين والغين اللذان في وسط الكلمة أو آخرها، فيسميان: "عَلْ لِكَاَفَا" "Al likafa"، و"عَلْ لِكَاَفَا" "Gal likafa" العين والغين الشبيهان بعكاف الفرس، مع الإشارة إلى "كُومًا بَيَا" إذا كانتا في آخر الكلمة، إشعارا بالصوت والشكل بطبيعة شكل العكاف. .

وهكذا يسمى الهاء الذي في أول الكلمة أو وسطها بـ"هًا بَيَا" "Ha babba" أي الهاء الكبير تمييزا بينه وبين الهاء الصغير الذي نوقش سابقا فصار هذا إشعارا بصوت الهاء وشكلها في آن واحد. والشيء نفسه في الهاء التي في آخر الكلمة، والتاء المربوطة حيث أنهما يسميان باسم يوحي بصوتهما وشكلهما ويسمى الهاء "هًا كُرِّي" هاء الصلة، و"تًا كُرِّي" إشعارا ببداية صوتهما الهاء والتاء، وإشارة إلى شكلهما بـ"كُرِّي" وكُرِّي دائرة شبيهة بالكرة، توضع في عد الآي، وتجعل في الآية العاشرة:  ولكون هاء الصلة والتاء المربوطة يشبهان تلك الدائرة فسميا

باسمها. ٢٢

وأما حروف الباء والتاء والفاء التي في آخر الكلمة أو المنفردة، فتسمى بـ"با عُجِي"، "Ba guje" وتا عُجِي، "Ta guje" وفا عُجِي "Fa guje" أي الباء والتاء والفاء التي انفصلت عن غيرها من الحروف، وكما يقال في هوسا، "ya guje shi" أي فر منه وانفصل عنه.

وهكذا حرف القاف الذي في أول الكلمة الذي يسمى "قَوْنَكِي/ قَوْمِيْرُورًا" أي القاف المعجمة إشعارا بالصوت بـ"قَو" وشكلا بـ"نَكِي" أي الذي فوقه نقطة وخاصة بأن القاف في الخط المغربي ينقط بنقطة واحدة "  وإذا كان في آخر الكلمة فلا ينقط فسمي: قَهْوُو. كما أشير سابقاً<sup>٢٣</sup>.

## الخاتمة

ناقشت الورقة تصوير الصوت والشكل في التهجئة العربية عند أصحاب كتاتيب هوسا في شمال نيجيريا، فوصلت الورقة إلى النتائج التالية:

- ١- تيسير كتاتيب هوسا لتعليم القراءة والكتابة باللغة العربية لشعبها مع استخدام لغتهم.
- ٢- محاولة الرجوع إلى أصول التهجئة بربط الصوت والرمز في مصطلح واحد الذي يعتبر طورا من الأطورا التي مرت بها الكتابة العربية.

- ٣- الاهتمام التام للجانب الكتابي في تعليم التهجئة إذ لا تقل أهمية الكتابة عن القراءة، فمن ذلك يعلمون القراءة والكتابة بطريقة مزدوجة بين الصوت والشكل.
- ٤- الملاحظة الدقيقة في تسمية الحروف بما يوحي بصوتها وشكلها في آن واحد.
- ٥- استقلال أكثر الحروف بتسمية منفردة في مختلف وضعها في الكلمة سواء في أول الكلمة أو وسطها أو آخرها حسب التغير الذي يطرأ على الحرف في الموضع.
- ٦- الاستعانة بالمصادر الثقافية الطبيعية من الإنسان والحيوان وغيرها في وصف شكل الحروف لتقرير أصواتها وأشكالها في أذهان الطلاب.

#### الهوامش والمراجع:

- ١- تذكر الهوسا إيجازاً من حذف المضاف وإبقاء المضاف إليه ويفصل السياق معناها فإن قيل الهوسا وعني بها اللغة حذف منها "لغة" وإن عني بها الشيعب حذف منها "شعب" وإن عني بها موطن حذف منها "موطن" وهكذا.
- ٢- داوود، الطاهر مُجَّد، مدى صلة القرابي بين اللغة العربية ولغة الهوسا، رسالة الدكتوراه مقدمة إلى قسم اللغة العربية جامعة بايروا كنو عام ٢٠٠١. ص ٧٩



- ٣- المرجع السابق نفسه والصفحة.
- ٤- آدم عبد الله لإلوري, موجز تاريخ نيجيريا, مكتبة الحياة- بيروت, ١٩٦٥م, ص ١٤٤.
- ٥- غلادنت, شيخو أحمد سعيد. (د) حركة اللغة العربية وآدبها في نيجيريا. (المكتبة الإفريقية) ط٢؛ سنة ١٤١٤هـ ١٩٩٣م. ص ٥٩
- ٦- مقال بعنوان: قبيلة الهوسا سيدي أحمد ولد أحمد سالم: <http://www.aljazeera.net/specialfiles/pages/091df5e2-585f-479c-b190-d5d8140d44d0> تاريخ الزيارة: ٢٢/٠٣/٢٠١٨م
- ٧- إبراهيم مصطفى، وآخرون، المعجم الوسيط، تحقيق: مجمع اللغة العربية، دار الدعوة، ج٢، ص ٧٧٥.
- ٨- الإلوري، آدم عبد الله ، الإسلام في نيجيريا والشيخ عثمان بن فودي، الطبعة الأولى، القاهرة، مكتبة وهبة ١٤٣٣هـ ٢٠١٢م ص ٥٨.
- ٩- ولاية تقع في الشمال الشرقي لنيجيريا وهي مشهورة بقراءة القرآن منذ أن دخل الإسلام في نيجيريا
- ١٠- علي أبوبكر (الدكتور) الثقافة العربية في نيجيريا. الطبعة الثانية، كنو، دار الأمة للوكالة المطبوعات، ٢٠١٤م ص ١٧٤-١٧٨.
- ١١- [http://ar.wikipedia.org/wiki:Maghribi\\_script.jpg](http://ar.wikipedia.org/wiki:Maghribi_script.jpg) 15/06/2015
- ١٢- مقابلة شخصية مع المحافظ آدم مُجد جبيرل هوساو بتاريخ ٢٠١٩/١١/١٢ في كتابه

١٣- مقابلة شخصية مع الحافظ مُجَّد الثالث بن الماهر غمبو تاكي في يوم

الإثنين مساءً في بيته ٢٠١٩/١٢/٩م

١٤- رخم المصطلح بحذف حرف الأخير ونقل حرف الفاء إلى الساكن

قبلها ومدت الحركة إشباعاً.

١٥- مقابلة شخصية مع الحافظ مُجَّد الأول حسين في يوم الأربعاء مساءً في

بيته ٢٠١٩/١٢/١١م

١٦- الحصري، محمود خليل، أحكام قراءة القرآن الكريم، ط١؛ دمشق،

مكتبة السنة مركز زيد بن ثابت، سنة ٢٠١١م ١٤٣٢هـ ص ١١١

17- M.A.Z. Sani, Tsarin Sautin da Nahawun Hausa, University, Press plc, p7

١٨- تكتب النون في آخر السطر غير منقوطة في الخط المغربي فتشبه الراء أكثر.

١٩- والبعض يصطلح على الشين " شِنْ آراء، والصاد " صَدِ راء، بينما الضاد

ترك على مصطلحه إلا أنه ينطق كالراء المفخمة التي تسمى " راء مِي

رُؤا" الراء المبللة.

٢٠- مقابلة شخصية مع الحافظ مُجَّد أول إنو في بيته يوم ٢٠١٩/١١/١٩ مساءً

٢١- مقابلة شفوية مع الماهر كبير يعقوب في مكنتي ٢٠١٩/١١/١٢م

٢٢- مقابلة شفوية مع الحافظ مُجَّد الأول طيب إنو، مرجع سابق.

٢٣- مقابلة شخصية مع الحافظ ثالث الماهر غمبو تاكي بتاريخ

٢٠١٩/١١/٢

## تخطيط دروس اللغة العربية والتربية الإسلامية: مفهومه، أهميته، وخطواته

إعداد:

الدكتور أبوبكر الصديق سبسي

جامعة الآداب والعلوم الإنساني بماكو، جمهورية مالي

[cisseaboubakr@yahoo.fr](mailto:cisseaboubakr@yahoo.fr)

### مقدمة:

يتميز عصرنا الحالي بالانفتاح الكبير والتطور الهائل في جميع جوانب المعرفة حتى أصبح العالم كأنه قرية واحدة من جّراء سرعة الاتصالات وآثار التكنولوجيا الحديثة. وقد صحب هذا التطور تحديّ جسيم يتمثل في: كيف نساعد الأجيال الناشئة عن طريق التعليم النوعي المتميز على مسايرة ومواكبة التقدم العلمي والمعرفي المذهل الذي يشهده العالم الآن.

إن المجتمع المتطور الذي يواكب عالم التكنولوجيا وسرعة المعلومات يتطلب أفراداً مدربين على المهارات المختلفة. لذا تنفق الأمم والمجتمعات الحالية مبالغ باهظة من أجل النهوض بأنظمتها التعليمية حتى يصبحوا مجتمعا متطورا قادرا على قراءة الحاضر لاستشراف المستقبل، مجابهة التحديات العالمية المتمثلة في محاربة الإرهاب والجريمة والبطالة التي قد يكون من أهم أسبابها الجهل أو التعليم السيئ.

قد يكون إصلاح التعليم ببناء المؤسسات التعليمية الجديدة، وتطوير المناهج الدراسية وغير ذلك، إلا أن أي إصلاح حقيقي ينبغي أن يبدأ بإعداد المدرّس وتأهيله تأهيلاً كافياً، نفسياً، ولغوياً، وخلقياً، وتربوياً، وأكاديمياً، وتوعيته بالمواطنة الصالحة، وتمكنه من تخصصه، وإدراكه بطبيعة مهنته، وقدرته على إيجاد بيئة تعليمية مشوّقة. وفي حالة المدارس العربية الإسلامية في جمهورية مالي، يتمّ إصلاح التعليم بعوامل عديدة، منها: تقوية المستوى اللغوي للتلاميذ والقضاء على الضعف اللغوي، إذ توجد علاقة ارتباطية قوية جداً، ذات تأثير وتأثر بين اللغة والفكر. ذلك أنّ التلميذ لا يستطيع أن يتكلم بما لا يقوى على التفكير فيه. ولا يستطيع أن يفكر بعيداً عن قدرته اللغوية. والمستوى اللغوي للتلميذ هو الذي يحدد مستقبله التعليمي. فكلماً يكون مستواه اللغوي قوياً كلما يرجى له مستقبل زاهر في البحث والإنتاج.<sup>١</sup>

يدخل موضوع تخطيط الدروس في إطار الإعداد الأكاديمي للمعلم؛ إذ لا بد للمعلم من هذا النوع من التخطيط لحسن أداء واجبه الوظيفي والوفاء بشرف ميثاق التدريس. ويظهر جلياً لكلّ من عرف الجيل الأوّل من خريجي المدارس العربية الإسلامية في مالي، والذين درسوا على أيديهم، قوّة مستواهم اللغوي ورسالتها. وقد تركوا لنا دواوين شعر،

ومؤلفات كثيرة في فنون اللغة العربية والدراسات الإسلامية رغم أن معظمهم لم يتجاوز المستوى الثانوي.

وقد تعيّر هذا الواقع المشرف منذ عدّة سنوات؛ حيث لاحظت أثناء تدريب المعلمين في أوقات متباينة، وبمدارس مختلفة، وفي كثير من مدن جمهورية مالي،<sup>٢</sup> لاحظت أن معظم المدرسين في المدارس العربية الإسلامية لا يقومون بتخطيط الدروس، ولا يعرفون ماهيته، ولا خطواته. وليس لهم إلا الوقوف أمام التلاميذ بالكتاب المدرسي - إن وجد - وقراءته ثم شرحه من دون إعداد أو تخطيط. وقد نتج عن ذلك ضعف حادّ في المستوى اللغوي لدى التلاميذ. وهذا الضعف يتبعهم حتى وصولهم إلى الجامعة. فثار في نفسي (ما الذي يمكن عمله لمساعدة هؤلاء المدرسين وتلاميذهم؟ وكيف؟) وأثارت لدي هذه الظاهرة قضية تخطيط الدروس وأهميته لهؤلاء وغيرهم. ولما استقر الرأي على الكتابة فيه برزت إشكالية البحث حول التساؤلات الآتية:

١- ما مفهوم تخطيط الدروس؟

٢- ما أهمية تخطيط التدريس في تفعيل العملية التعليمية؟

٣- ما خطواته وعناصره؟

٤- ما أنواعه؟

٥- ما مستويات تخطيط الدروس؟

وسأجيب عن هذه التساؤلات من خلال المرتكزات الآتية:

- ١- مفهوم تخطيط الدروس.
- ٢- أهمية تخطيط الدروس.
- ٣- أنواع تخطيط الدروس.
- ٤- خطواته وعناصره.
- ٥- أهميته في تفعيل العملية التعليمية.
- ٦- مستوياته.
- ٧- نماذج من تخطيط الدروس في مجال اللغة العربية.

#### أهداف البحث:

يهدف هذا البحث إلى:

- بلورة مفهوم تخطيط الدروس للمعلمين في المدارس العربية الإسلامية في جمهورية مالي بمرحلة الأساس.
- بيان أهمية تخطيط الدروس للمعلمين ودوره في تحسين أداء المعلمين، وتقوية التلاميذ لغويا وأدائياً.
- تزويد المدرسين بنماذج تدريسية جاهزة تنير الدرب لهم.

#### حدود البحث المكانية:

يقتصر هذا البحث من حيث المكان على المدارس العربية الإسلامية بمدينة باماكو، عاصمة جمهورية مالي والمدارس التي قام الباحث بتدريب

المعلمين بها في مدينة كاي، وسيقو، وكوتبالا، ومبت. وذلك في مرحلة الأساس دون غيرها.

وسأعتمد على المقابلة والملاحظة لإجراء هذه الدراسة مستعينا بالمرجع في المجال. وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

### المفهوم اللغوي والاصطلاحي للتخطيط:

جاء في لسان العرب: مادة خطط، والتخطيط التسطير.

التهذيب: التخطيط كالتسطير، تقول: خطت عليه ذنوبه: أي سطرت، انتهى<sup>٣</sup>

وفي معجم المعاني الجامع التخطيط مصدر خطط، يخطط، تخطيطا ويعني وضع خطة مدروسة للنواحي الاقتصادية والتعليمية والإنتاجية وغيرها للدولة.<sup>٤</sup>

وأما تخطيط الدروس فإن أدبيات التربية تحفل بالعديد من التعريفات لإيضاح مفهومه الاصطلاحي، منها تعريف محمد رجب فضل الله وصالح محمد صالح بأنه: "تصور ذهني مسبق للمواقف التعليمية التي يهيئها المعلم لتحقيق الأهداف التربوية، قوامها: تحديد الأهداف، واختيار الأساليب لتحقيقها، وتقويم مدى تحققها في فترة زمنية معلومة ومستوى معين من الطلاب"<sup>٥</sup>

وعرفاه أيضا بأنه "عملية عقلية عقلانية"<sup>٦</sup> تعتمد على قدرة المعلم على التصور المسبق لعناصر الموقف التعليمي وقدرته على التخطيط

لذلك الموقف، وقد تكون الخطة تشمل مقررا كاملا لسنة واحدة، أو فصلا دراسيا، قد تكون قصيرة معدة لحصة واحدة أو أكثر أو لأسبوع واحد".<sup>٧</sup>

ومن تعريفاته أيضا أنه "عملية تحضير ذهني وكتابي يضعه المعلم قبل الدروس بفترة كافية، ويشتمل على عناصر مختلفة لتحقيق أهداف محددة"

كما عرّف بأنه "صياغة أهداف واضحة يسير عليها حسب خطوات محددة، ويختار لها الوسائل والأنشطة" وهو "أسلوب أو منهج يهدف إلى حصر الإمكانيات المادية والموارد البشرية المتوفرة ودراستها وتحديد إجراءات الاستفادة منها لتحقيق أهداف مرجوة خلال فترة زمنية محددة".<sup>٨</sup>

وقد توسع الدكتور عبد الغني إبراهيم مُجد في تعريف تخطيط الدروس حيث قال: "هو عملية عقلية منظمة تؤدي إلى وضع خطة مفصلة للدرس، يتم إعدادها قبل التدريس بوقت مناسب، وتهدف إلى رسم صورة واضحة لما سيقوم به المعلم و طلابه خلال المدة التي يقضيها معهم في الفصل—أو خارجه أثناء الحصة".<sup>٩</sup>

وبالنظر المتفحص نجد أن المعنى اللغوي للتخطيط لا يبعد كثيرا عن معناه الاصطلاحي إذ أن كلا منهما يدل على التسطير ووضع صورة



ذهنية لخطة معينة والسير عليها ابتغاء الوصول إلى الأهداف المرسومة من وراء تلك الخطة.

ومن المصطلحات التي تستخدم في معنى تخطيط الدروس: الإعداد أو التحضير، فيقال مثلاً: يطلع المدير أو المشرف التربوي على كراسة تحضير الدروس أو إعداد الدروس ويصححها قبل تنفيذ الدروس.

### أهمية تخطيط الدروس في تفعيل العملية التعليمية

لا يستغني المعلم الجاد والمخلص عن تخطيط الدروس، مهما كان مستواه الأكاديمي وتمكنه من مادته، خاصة في مرحلة الأساس. ويستعين في ذلك بكراسة الإعداد، ويحكم مدير المدرسة أو المشرف التربوي على أداء المعلم من خلال كراسة التحضير؛ لأن هذه الكراسة بمثابة المرآة له. وهو كذلك بمثابة سلاح الجندي الذي لا يستغني عنه أبداً.

فكما أن العمارة الشائقة لا تستغني أبداً عن تخطيط المهندس المعماري من الصورة الذهنية إلى الخطة المكتوبة التي يعمل عليها البناء؛ فكذلك تخطيط الدروس للمعلم.

إن قدرة المعلم على وضع خطة جيدة للدرس، دليل واضح على قدرته على حسن تنفيذ تلك الخطة، وبالتالي نجاح الدرس. وأما إن فشل في وضع الخطة فهو بالقطع سيفشل في التدريس. وقد اشتهر بين التربويين: الفشل في التخطيط يعني التخطيط للفشل.<sup>١٠</sup>

علاوة على ذلك فإن تخطيط الدرس يقضي على شعور المعلم بالقلق والاضطراب الطبيعي الذي يصيبه أثناء محاولاته الأولى في التدريس، كما يحفظه من التخبط والاعتباط، ويزيد في ثقته بنفسه، ويبعد عنه النسيان أثناء القيام بالعملية التدريسية؛ إذ من الطبيعي أن ينسى الانسان عن معلوماته السابقة بسبب كثرة الانشغالات والتقدم في السن. وقد ثبت علميا أن الانسان الذي يترك ما يتعلمه سنة كاملة ينسى (٧٥%) منه. وبما أن التخطيط يحث - بلا شك - على القراءة؛ فإن القراءة هي السبيل لمقاومة النسيان وتحديث المعلومات وبالتالي نيل الكفاءة في التدريس.<sup>١١</sup>

ولتخطيط الدروس دور محوري في النهوض بالمستوى اللغوي خاصة والتعليمي عاقمة، للتلاميذ وتحسن العملية التعليمية في جوانبها المختلفة بالمدرسة، ذلك أنه وسيلة المشرف المقيم (مدير المدرسة) والمعلم الأول للحكم على معلم الفصل وبالتالي مساعدته.<sup>١٢</sup>

#### بالنسبة للمعلم:

- يساعد التخطيط الجيد للدرس المعلم على حسن اشتقاق الأهداف التربوية وصياغتها بشكل يمكن ملاحظتها وقياسها.
- يكسب المعلم احترام طلابه؛ لأن الطلاب يقدرون اهتمامه بالدرس المتمثل في الإعداد الجيد، وتنفيذه للدرس خطوة بعد خطوة وبشكل متوازن من البداية حتى النهاية.

- يتيح للمعلم فرصة تحسين أدائه التدريسي كما يمكنه من الانتقاء بين الطرائق المختلفة في المواقف التعليمية المتباينة.
- يساعده على الانضباط في تنفيذ الدرس، خاصة إذا حدد لكل خطوة من خطوات الدرس الزمن الخاص لها.

#### أما بالنسبة للمتعلمين:

- فيساعد التخطيط الجيد للدرس المتعلمين على المشاركة والتفاعل مع الأنشطة الصفية أثناء تنفيذ الدرس.
- يُمكن المتعلمين من معرفة واستيعاب الأهداف السلوكية للدرس تمهيدا لتحقيق تلك الأهداف لديهم.
- يساعد المتعلمين على التفاعل مع المدرس أثناء تنفيذ الدرس.
- يقبل الطلاب على الدرس بحماس زائد كلما كانت أهدافه ماثلة أمامهم.<sup>١٣</sup>

#### أنواع تخطيط الدروس

- درج علماء التربية على تقسيم تخطيط الدروس إلى قسمين:  
التخطيط بعيد المدى والتخطيط قصير المدى.

#### التخطيط بعيد المدى:

- هو التخطيط الذي يتم لمدة فصل دراسي أو عام دراسي. ومعلوم أن مدة الفصل الدراسي في جمهورية مالي يتراوح غالبا بين (١٣) و (١٤)

أسبوعاً في التعليم الجامعي (النظام القديم) أما نظام (L.M.D) المعمول فيه حالياً. فالأصل فيه تغطية الساعات التدريسية لكل مادة. وأما التعليم في مرحلة الأساس أو المرحلة الثانوية، فإن مدة العام الدراسي تسعة أشهر أي من غرة أكتوبر إلى نهاية يونيو. بالإضافة إلى إجازتين قصيرتين في الأسبوعين الأخيرين من شهر ديسمبر وشهر مارس. وهو ما يعادل (٣٤) أسبوعاً و(٢٤٠) يوماً.

تختلف طبيعة الموضوعات وبالتالي مدة تدريسها، حيث منها موضوع قد يأخذ حصة واحدة وآخر يأخذ حصتين وأكثر...

ويقوم المعلمون بالتخطيط بعيد المدى عند بداية كل فصل دراسي في النظام الفصلي كما هو الشأن للدراسة الجامعية في مالي. وفي مطلع كل سنة دراسية بالنسبة للتعليم الأساسي والثانوي تحت عنوان: توزيع المقرر، ولا يقتصر هذا التخطيط على توزيع المقرر على أسابيع الفصل الدراسي، بل يتضمن كذلك:

- تحديد أهداف التدريس لكل وحدة دراسية
- حصر الوسائل والإمكانات الموجودة بالمدرسة أو البيئة المحلية للاستفادة منها.
- حصر الأدوات والأساليب التي سوف تستخدم في التقويم.

• إعداد تصور للأنشطة الصفية واللاصفية المقترحة التي يمكن تنفيذها خلال الفصل الدراسي أو السنة الدراسية؛ وذلك لأن كل الأمور السابق ذكرها يستغرق تخطيطها وقتاً، وعدم إعطائها الوقت الكافي يؤدي غالباً إلى تعجل المعلم وقيامه بالتدريس تاركاً أو ناسياً عن بعض الأهداف المهمة؛ لعدم توافر الوقت اللازم لإعداد تلك التجهيزات مما قد يفقد تتابع خطوات الدرس، واتساق إجراءاته.

#### للتخطيط بعيد المدى كفايات لازمة للمعلم، منها:

• معرفة الأهداف العامة للمادة والعمل على تحقيقها: إن عدم معرفة الأهداف يؤدي إلى عدم تحقيقها. ولذا يجب على المدرس معرفتها سواء كانت معرفية أم وجدانية أم حركية. والأهداف في واقع الأمر أهم أجزاء الخطة التدريسية السنوية أو الفصلية أو الأسبوعية أو حتى اليومية؛ إذ عليها تُبنى كافة أجزاء الخطة الأخرى. وتتوقف جودة الخطة على جودة صياغة أهداف الدرس؛ لذلك يجب على المعلم أن يهتم بكتابة هذه الأهداف بدقة.

• التمكن من المادة، حيث يجب على المعلم الإجابة التامة لمادته التي يدرسها، والسعي الحثيث في معرفة كل جديد عن هذه المادة؛ لأن ذلك بمثابة رأس ماله. فالمعلمون الأكثر فاعلية هم من يسيطرون تماماً على مادتهم وكيفية تدريسها.<sup>١٤</sup>

ونلمس تَمَكُّنَ المعلم في مادته أثناء إجابته عن أسئلة التلاميذ وإثارته لاهتمامهم ودافعيتهم نحو هذه المادة.

• معرفة الحقائق العامة للمادة ومفاهيمها، وتحليل المحتوى؛ وذلك بتجزئته إلى مكوناته من مفاهيم، وحقائق، ومعلومات، وقواعد، ونظريات، وقيم، واتجاهات.

• مراعاة الحقائق النمائية للتلميذ: يكون الدرس ناجحاً إذا توافق مع حاجات الطالب وحققها.

• توزيع المادة على مدار الفصل الدراسي.

• الوسائل المقترحة: يخطط المعلم ويوضح الوسائل التي يحتاج إليها في المواد المختلفة لتجهيزها المسبق. ويتعاون مع إدارة المدرسة أو قسم الوسائل-إن وجد- لتوفير تلك الوسائل التعليمية المطلوبة. ففي مادة القرآن الكريم يحتاج مثلاً إلى المسجل، والسيدى، والأسطوانات، والفلش...

• المراجع: يجب أن يواكب المعلم كل ما استجد في مجال التربية وموضوع الدرس، وعليه أن يعود إلى المراجع ومصادر التعلم الأخرى غير الكتاب المدرسي كي تتسع مداركه حول موضوع الدرس، واستعداداً للإجابة عن الأسئلة المفاجئة من الأذكياء والمتفوقين المهتمين بالمادة.

- الملاحظات: عند تدريس موضوع معين متعلق بحدث معين، ينبغي أن يكون في حينه. فإن كان وقت الحصة لا يواكب الحدث الجاري كتب المعلم ذلك في الملاحظات. كأن تكون الحصة المتعلقة باستقلال مالي في شهر نوفمبر<sup>١٥</sup>، والدرس المتعلق بركة الفطر بعد العيد. وإذا لاحظ المعلم خطأ علمياً أو مطبعياً أو غير ذلك، جمعها في صورة ملحوظات وأرسلها إلى قسم تطوير المناهج بالوزارة، بعد أن يكون قد صححها للتلاميذ في الفصل من غير طعن في القائمين على ذلك القسم.
- الأنشطة الصفية واللاصفية المقترحة: يجب أن يكون لدى المعلم تصور عنها، يقدرها ويخططها حتى يتمكن من تنفيذ المادة بأريحية.<sup>١٦</sup>
- التخطيط للمواد المساندة للمنهج (المواد الإثرائية) وتعني الزيادة أو الحذف في وحدات المنهج حسب مصلحة الطلاب. فإذا لاحظ المدرس قصور المنهج عن الحد المطلوب في مادة دراسية أو موضوع، وأن هذا سيؤثر تأثيراً سلبياً في تحصيل الطلاب أو يجعلهم ضعفاء في قابل أيامهم، قام بإثراء جانب النقص. وكتب ذلك في الملحوظات للجهات الرسمية مثل قسم تطوير المناهج. وفي حالة ضعف بعض التلاميذ في مواد معينة خصص لهم وقتاً لمعالجة الضعف مراعاة منه للفروق الفردية.<sup>١٧</sup>
- التخطيط للإنجازات المتوقعة: عندما تظهر نتائج الامتحانات ونسبة النجاح فيها دون توقعات الإدارة المدرسية؛ فإنها قد تفكر في

سبل رفع نسبة النجاح، وإعادة سمعة المدرسة. وقد يكون من الإجراءات المتخذة بهذا الصدد تغيير مدرس الفصل. والمدرس الجديد يخطط ويعمل على رفع نسبة التفوق في المدرسة، وزيادة عدد التلاميذ المتفوقين. ويمكن أن يكون من الإنجازات المتوقعة بالمدرسة تطوير الأنشطة الصفية واللاصفية، والتخطيط لتطوير العملية التعليمية بصورة عامة.

### التخطيط قصير المدى

هو التخطيط اليومي، ويقصد به التخطيط الذي يُعدُّه المدرس في مذكرة خاصة لكل درس على حدة حسب الجدول اليومي للمقرر.<sup>١٨</sup> والتخطيط قصير المدى نوعان: تخطيط ذهني يسبق التخطيط الكتابي. ذلك أن المدرس قبل القيام بتخطيط الدرس يقرأه قراءة استطلاعية ثم قراءة تحليلية ثم قراءة ناقدة. وأثناء القراءة يتوصل إلى الأهداف التعليمية، والطريقة الأنسب، والوسائل التعليمية، وأساليب التقويم، والحقائق والمفاهيم، والاتجاهات وكل هذا أثناء الإعداد الذهني.

وأما التخطيط الكتابي فهو مفكرة للمعلم مثل الرسم المعماري للبنية الذي يسير على ضوءه البناء في جميع مراحل البناء. وللتخطيط الكتابي كفايات لا بد منها للمدرس، وهي:



### • صياغة الأهداف التعليمية صياغة إجرائية

يقصد بصياغة الأهداف التعليمية صياغة إجرائية صياغتها على هيئة سلوك أو أداء قابل للملاحظة والقياس. وتسمى أيضا الأهداف السلوكية أو الإجرائية.<sup>١٩</sup>

وتعرف الأهداف التعليمية بأنها: " تلك العبارات التي تكتب للتلاميذ لتصف بدقة ما يمكنهم القيام به خلال الحصة الدراسية أو بعد الانتهاء منها مباشرة".<sup>٢٠</sup>

ويجب أن تكون الأهداف السلوكية شاملة لجميع الجوانب التعليمية. ولا تركز على الجوانب المعرفية فقط كما يفعله معظم المعلمين وينسون عن الأهداف المهارية والوجدانية. وفي الأهداف المعرفية لا ينبغي التركيز على مستوى التذكر والفهم فقط.

وقد درج التربويون على صياغة الهدف التعليمي أو السلوكي في القالب الآتي:

أن + فعل سلوكي + المتعلم + جزء من المادة التعليمية + الظرف أو الشرط الذي يتم في ضوءه التعلم + مستوى الأداء أو التحقق المطلوب.

ويجب أن تشمل هذه الأهداف على ثلاثة عناصر مهمة هي: فعل السلوك والجملة التابعة لها، والظرف أو الشرط، وأخيرا المحك أو معيار أداء السلوك.

مثال في مادة القرآن الكريم: أن يتلو الطالب سورة الأعلى، حسب أحكام التجويد، وبنسبة صواب لا يقل عن ٩٥%.

مثال في مادة الجغرافيا: أن يعدد الطالب عواصم دول غرب أفريقيا، كما درس في الكتاب المقرر، وخلال ثلاث دقائق.

مثال في مادة الفقه: أن يُوظّف الطالب المعلومات التي درسها عن مقادير الزكاة في موقف تعليمي آخر.

#### • صياغة أهداف شاملة لجميع الجوانب التعليمية:

وذلك حسب تقسيم بلوم<sup>٢١</sup> وزملائه الأهداف التعليمية إلى ثلاثة جوانب: الجانب المعرفي الذي يختص بالمعلومات والمعارف والنظريات. وقد قسمه بلوم وزملاؤه إلى ستة مستويات متدرجة من الأسهل إلى الأصعب. هي: الحفظ، الفهم، التطبيق، التحليل، التركيب، التقويم.<sup>٢٢</sup>

من الأفعال المستخدمة في هذا المجال: (يذكر - يحدد - يُعرّف - يعد - يعدد - يتلو - يتعرف - يختار - يعنون - يقابل بين - يصف - يسمي - يكتب - يسترجع - يستدعي)<sup>٢٣</sup>

من أمثلة الأهداف في المجال المعرفي:

- أن يذكر الطالب أسماء رؤساء جمهورية مالي من الاستقلال إلى ٢٠٢٠م بدون خطأ.

- أن يلخص إنجازات كل منهم في فترة حكمه بنسبة صواب لا يقل عن ٩٠%.
- أن يقارن بين أسلوب كل منهم في الحكم بنسبة صواب لا يقل عن ٩٠%.

**الجانب الوجداني:** يهتم هذا الجانب بالسلوك الانفعالي والعاطفي، وإبداء مشاعر الحب والتقدير، والتسامح، والتذوق الجماعي، وتقبُّل الأشياء والاستجابة لها. وقد قسم كراثول<sup>٢٤</sup> هذا المجال إلى خمسة مستويات، هي: التقبل والتلقي، الاستجابة، التقدير، التنظيم القيمي، التكامل.

ومن الأفعال المستخدمة في هذا المجال: (يدعم - يعزز - يساعد - يساند - يدافع عن - يحاول - يبرر - يشارك في...)

من أمثلة الأهداف في المجال الوجداني:

- أن يصغي الطالب باهتمام إلى أستاذ العلوم أثناء حديثه عن أخطار الملاريا.
- أن يشارك زملائه بقريته في التوعية عن أخطار الملاريا.
- أن يمنع أطفال أسرته من النوم بدون ناموسية وقاية من الملاريا.

**الجانب المهاري:** يعرف كذلك بالمجال الحركي أو الأدائي أو النفس حركي. يدور هذا الجانب حول المهارات الحركية لأطراف الجسم كحركة

اليدين والقدمين أو الجسم بشكل عام. وقد ظهر في العصر الحديث على يد **سمبسون** الذي قسمه إلى سبعة مستويات:

الملاحظة أو الإدراك الحسي، الميل أو الاستعداد، التجريب، الممارسة، الإتقان، التكيف، الإبداع.

من الأفعال المستخدمة في هذا المجال: (يختار-يعزل-يفرق-يربط- يشاهد- ينصت- يبدي- يتطوع- يستجيب- يشرح- يمارس..<sup>٢٥</sup>)

ومن أمثلة الأهداف في المجال المهاري:

- أن يكتب الطالب ٥٠ كلمة بالحاسوب لمدة ثلاث دقائق بدون خطأ.
- أن يقود السيارة لمسافة ١٠ كيلومترات دون أن يرتكب خطأ.
- أن يخاطب الأصم بلغة الإشارة ويتفاهم معه بنسبة إصابة لا تقل عن ٨٠%.

جدير بالذكر أنه ليس من الضروري أن تحتوي أهداف درس من الدروس اليومية على الجوانب الثلاثة من الأهداف، كالجانب المعرفي، والوجداني، والنفسي - حركي)، بل يتوقف ذلك - إلى حد كبير - على طبيعة مادة الدرس. ويلاحظ أن الأهداف المعرفية بالذات تمثل القاسم المشترك الأعظم في مختلف الدروس.

• **ربط الأهداف بحاجات الطلبة:** ذلك أن أهداف الدرس كلما ارتبطت بحاجات الطلبة كانت محل اهتمام زائد بالنسبة إليهم. وذلك بتنوع أساليب التدريس، وإعطاء حرية التعبير لهم. واشتراك جميع الطلبة -بغض النظر عن مستواهم- في فعاليات الدرس من البداية حتى النهاية.

• **تنظيم المادة العلمية في ضوء أهداف الدرس:**

ترتبط المادة العلمية (المحتوى) بالأهداف السلوكية السالفة الذكر ارتباطاً وثيقاً، فالأهداف هي التي تحدد لنا نوع المادة العلمية المطلوب تقديمها لتحقيق تلك الأهداف. ولذا يجب تنظيم المادة العلمية بشكل متسلسل، بحيث يغطي كل خطوة من خطواته هدفاً من أهداف الدرس.

• **اختيار الوسائل التعليمية الملائمة والفاعلة:**

تؤدي الوسائل التعليمية دوراً محورياً في نقل المحتوى التعليمي إلى الطلاب ببساطة ووضوح، مع الاقتصاد في الجهد والوقت. وكلما تكون متنوعة بالصور والخرائط والرسومات والصور المتحركة والمجسمات كان ذلك من أكبر أسباب نجاح الدرس. ويعتبر وجود قسم الوسائل التعليمية بالمدرسة لتوفير كافة أنواع الوسائل للمدرسين، والاستفادة من البيئة المحلية لِمَنْ النقاط المهمة التي لا غنى عنها.<sup>٢٦</sup>

• اختيار طريقة التدريس المتمركز حول الطالب: الحوار، المناقشة، مسرحية الدروس، لعب الأدوار، أسلوب التعليم باللعب، حل المشكلات، التعليم التعاوني وهلم جرا...

عند اختيار الطريقة سواء أكانت من الطرائق النشطة السالفة الذكر أم التقليدية، يجب أن يتم ذلك بناء على المعايير الآتية:

- الربط بين أهداف الدرس والطريقة المختارة. فإذا كان الدرس لإكساب الطلاب قيمة اجتماعية مثلا، اكتفى المعلم بذكر أهمية تلك القيمة. وأما إذا كان الهدف إكسابهم مهارة مثل مهارة أخذ ضغط دم المريض أو إجراء الحقنة عليه. فلا بد أن تتضمن الطريقة فرصا يتدرب فيها الطلاب على المهارة المطلوبة.
- الاهتمام بطبيعة المادة الدراسية: لكي ندرس الطلاب خط النسخ فمن غير المناسب استخدام طريقة المحاضرة؛ إذ التدريب العملي أكثر ملائمة منها.
- تحقيق رفع مستوى المشاركة الصفية من خلال الطريقة المختارة: وذلك بإتاحة فرصة المشاركة لجميع الطلاب.
- مرونة الطريقة بحيث يمكن الاستفادة في ظلها من أساليب تدريسية أخرى.

- مناسبة الطريقة لأعداد الطلبة: من غير المناسب اختيار طريقة المناقشة لمجموعة تضم مائة طالب.
- استخدام الوسائل التعليمية المتاحة لتسهيل الفهم والاستيعاب.<sup>٢٧</sup>

• **تخطيط المدى الزمني لكل خطوة من خطوات الدرس:** يجب على المدرس عند تخطيط الدرس تحديد مدة زمنية لكل خطوة من خطوات الدرس، الأمر الذي يساعده على إغلاق الدرس والانتهاء منه في المدة المقررة. ولا مانع من المرونة بحيث تزيد المدة المحددة لبعض خطوات الدرس أو تنقص قليلاً.

• **اختيار وسائل التقويم المناسبة:** تكون الأسئلة قبلية لمعرفة مستوى الطلاب ومدى استعدادهم للدرس الجديد. وتكوينية أثناء الدرس للتأكد من متابعتهم له. ونهاية لضمان فهم الدرس. وينبغي أن يجتنب صياغة الأسئلة بطريقة غامضة مثل قوله: "تحدث عن جمهورية مالي"، وإلقاء أسئلة تلميحية للإجابة، مثل: "تقع مدينة تمبكتو شمال مالي... أليس كذلك؟ أو صياغة سؤالين في سؤال واحد، مثل: "ما أماكن زراعة القطن في مالي، وما أثر زراعة القطن على الناتج المحلي؟ وله أن يعطي للطلاب فرصة التفكير العميق عند إلقاء الأسئلة ولا يستعجل في إعطاء الكلام. وأن يوزع الأسئلة بأسلوب متوازن بين جميع

الطلاب. ولا يكتفي المعلم بالأسئلة الشفوية، إذا كان هناك داع للأسئلة الكتابية.<sup>٢٨</sup>

• إعداد الملخص السبوري: بعدما يفهم الطلاب الدرس ويستوعبونه يأخذ المدرس من أفواههم الملخص السبوري وبمشاركتهم الفعالة. ولا يستأثر به أبدا. فالملخص السبوري عملية تعاونية تحت إشراف المدرس الذي يقوم بتوجيه الأسئلة وإشراك أكبر قدر من الطلاب. ويأمرهم بتدوين الملخص في دفاترهم الخاصة بالمادة في نهاية الحصة.

• الواجب المنزلي: هو ركن أساسي في التحضير. ويجب أن يبين المدرس للطلاب أهداف الواجب، وأن يعمل معهم لحل نموذج أو نموذجين من الواجب كي يهتدوا بها في الباقي وإلا قد يلجأ البعض منهم إلى أن ينقل من زميله.

• تقويم الخطة: ينقص التقويم الذاتي كثيرا من المدرسين، الأمر الذي يؤثر تأثيرا سلبيا على أداء كثير منهم. و إذا أراد المدرس أن يصحح خطته فعليه أن ينظر إليها و يتأكد من وجود المعلومات العامة مثل الموضوع، الحصة، الصف، عدد التلاميذ، الأهداف التعليمية، مستويات الأهداف، التنوع بين مجالات الأهداف، تحديد أسلوب التمهيد، مدى استخدام الأحداث الجارية، الأسئلة الاستفتاحية، المواقف التعليمية، تنظيم المحتوى، الدقة العلمية، الأخطاء اللغوية، اتسام



المحتوى بالتكامل، تحديد تقنيات التعلم، صحة اللغة و الكتابة، الاهتمام بالمظهر العام والشكل، (الهندام)، الالتزام باستخدام اللغة العربية الفصيحة، دقة الكتابة للآيات القرآنية، اسم السورة، رقم الآية، الدقة في سند الأحاديث، تسجيل الوسائل التعليمية الملائمة والفاعلة، اختيار طريقة التدريس المتمركز حول الطالب، أساليب التقويم، إعداد الملخص السبوري، الواجب المنزلي.

### الإطار التطبيقي للتخطيط بعيد المدى:

إنّ معلّم اللغة العربية، فورما يوكل إليه تدريس فصل جديد سواء كان ذلك في المرحلة الابتدائية أو المتوسطة. وجب عليه الاهتمام بنوعي التخطيط (البعيد المدى والقريب المدى).<sup>٢٩</sup>

ففي التخطيط بعيد المدى:

- يقرأ المعلّم الجديد كلّ المقرّر من أجل فهمه وتحليله.
- يقوم بتحديد وتشخيص أهداف جميع المواد أو فروع المادّة التي سيقوم بتدريسها.
- يقوم بحصر الوسائل التعليمية التي سوف يحتاج إليها لحسن تنفيذ دروسه.
- يضع تصوّراً عن الأنشطة التعليمية الصفّية اللاصفية والواجبات المنزلية بهدف تعزيز ما سيتعلمه التلاميذ.

- يقوم بتوزيع المقرّر على أسابيع السنة الدراسية مراعيًا الموضوعات التي قد تأخذ حصّة واحدة أو أكثر.
- يحتاط كثيرا للعطل الرسمية، ولا يتركها تؤثر تأثيرا سلبيا في تنفيذ المقرر.
- يضع تصوّرا للإنجازات المتوقعة، بأن يسعى جاهدا لنموّ عدد التلاميذ المتفوقين في فصله.<sup>٣٠</sup>

#### الإطار التطبيقي للتخطيط القصير المدى (اليومي):

وبما أنّ دفتر التحضير (التخطيط) بمثابة المرآة التي تعكس أداء المعلّم في الفصل أثناء تنفيذ الدرس؛ فإننا سنعرض نموذجين من نماذج تحضير الدروس في مجال اللغة العربية: النموذج الأوّل في القراءة، والثاني في النحو.

#### نموذج تخطيط يومي في مادة القراءة للصفّ الرابع الابتدائي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

#### المعلومات العامة

الصف: الرابع الابتدائي

المادة: القراءة

التاريخ: ٢٧ / ٢ / ٢٠٢٠م

**الحصة: الأولى****عدد التلاميذ: ٤٢****الموضوع: (مزرعتي) من كتاب القراءة****الأهداف السلوكية الإجرائية:****-الأهداف المعرفية:**

- أن يتعلّم التلميذ الكلمات الجديدة الآتية (أرز-دخن-ذرة-بصل-فول)  
 أن يقرأ المقاطع الآتية (ذا-ذو-ذي) بدون خطأ.

**-الأهداف الوجدانية:**

- أن يتعلّم التلميذ قدرة الله خالق هذه النباتات.  
 أن يتعلّم شكر الله وعظم نعمه علينا بهذه المزروعات.  
 أن يقدر رعاية المزروعات وعدم إتلافها.

**الأهداف المهارية:**

أن يتعلّم التلميذ قراءة وكتابة الكلمات الجديدة.  
 أن ينطلق من قراءة المقاطع الجديدة إلى قراءة وكتابة الكلمات القصيرة.

**الوسائل التعليمية:****أ-الكتاب المقرر في القراءة****ب-صور وبطاقات للمزروعات: الأرز، الدخن، الذرة، البصل، الفول.**

### الطريقة:

الطريقة التوليفية (الجزئية والكلية)

إجراءات الدرس:

### المقدمة:

يبدأ المعلم الدرس بقصة عن المزرعة التي زارها أحد التلاميذ خلال العطلة الصيفية، ورأى فيها الأرز، والدخن، والفاول، والذرة، والبصل. ويسأل عمّن أنبت هذه المزروعات الجميلة النافعة. ثمّ يستنبط منهم عنوان الدرس، ويدوّنه على السبورة.

### العرض

أطلب من بعض التلاميذ إعادة سرد القصة، ثمّ أتدرج معهم بالأسئلة حول الصورة المعلقة لأستنبط منهم عبارات تختصر القصة، وتكون هي عبارات كتاب القراءة.

### القراءة النموذجية

أقرأ النصّ من الكتاب المقرّر قراءة معبّرة ثلاث مرّات، مع الإشارة بهدوء إلى كلّ كلمة عند قراءتها كي يقترن الصوت بالصورة. وأشرح الكلمات الصعبة.

- القراءة النموذجية: أمر التلاميذ بقراءة النصّ معاً ثلاث مرّات بقصد تشجيع الضعفاء والخائفين.
- القراءة الفردية: أعطي فرصة القراءة الفردية لأكبر عدد من التلاميذ على غير ترتيب. وتكون هذه القراءة جهرية.
- كتابة المفردات المقصودة باللون الأحمر، والتركيز عليها أثناء القراءة.

### نموذج تخطيط يومي في مادة النحو للصفّ السادس الابتدائي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

#### المعلومات العامة

الصف: السادس الابتدائي

المادة: النحو

التاريخ: ٢٧ / ٢ / ٢٠٢٠ م

الحصة: الثانية

عدد التلاميذ: ٣٦

الموضوع: التوكيد

- تحديد أهداف الدرس السلوكية:

الأهداف المعرفية:

أ- أن يتعرف التلميذ على التوكيد في حالة الرفع بدون خطأ.

- ب- أن يتعرف على التوكيد في حالة النصب بدون خطأ.  
ج- أن يتعرف على التوكيد في حالة الجر بدون خطأ.  
د- أن يتعرف على التوكيد في حالة التثنية والجمع بدون خطأ.  
هـ- أن يطبق القاعدة في موقف آخر وبنسبة صواب تصل إلى ٩٥%.

#### الأهداف الوجدانية:

- أ- أن يصغي باهتمام أثناء الشرح والمناقشة.  
ب- أن يعتز باللغة العربية باعتبارها لغة القرآن الكريم.

#### الأهداف المهارية:

- أ- أن يقرأ التلميذ الأمثلة المكتوبة على السبورة مع التركيز على التوكيد بدون خطأ.  
ب- أن يقرأ التلميذ جميع أمثلة التوكيد المعروضة عليه مع الضبط السليم.

#### • الوسائل التعليمية:

- أ- الكتاب المقرر في النحو.  
ب- ورقة مُقَوَّاه أو بطاقات مكتوب عليها الأمثلة.  
ج- السبورة الخشبية الإضافية مكتوب عليها الأمثلة.

## • إجراءات الدرس:

التهيئة للدرس:

أولاً: مرحلة ما قبل الدخول في الدرس الجديد

- يلقى المدرس السلام على التلاميذ عند دخوله في الفصل، ثم يلقى إليهم النظرة ويعطيهم فرصة للهدوء.
- يسجل أسماء التلاميذ الغائبين في سجل الغياب.
- يناقش معهم الواجب المنزلي إن وجد.

ثانياً: التمهيد للدرس الجديد بما يشاء من الأساليب الآتية:

أ- إلقاء أسئلة مثيرة للتفكير.

ب- ربط الدرس الجديد بالدرس السابق.

ج- ذكر حدث من الأحداث الجارية متعلق بالموضوع.

## • التمهيد:

يمكن للمعلم أن يمهد للدرس بأن يطلب من التلاميذ جملاً يستخلص منها الجمل التي فيها التوكيد ويسجل منها مثالين أو ثلاثة على السبورة. ثم يناقشهم مناقشة سريعة حتى يستخلص منهم توكيداً. ثم يسجل التوكيد على السبورة عنواناً للدرس الجديد.

## • العرض:

هناك أساليب كثيرة يمكن أن يستخدمها المعلم في عرض الدرس:

- شرح المعلومات الصعبة بالأمثلة والتشبيهات.
  - توظيف الوسائل التعليمية.
  - طرح الأسئلة المختلفة.
- ومن نماذج العرض المفضلة عندي:
- يطلب المدرس من التلاميذ قراءة النص على السبورة أو الكتاب المقرر ثم يناقشهم فيه. يكتب السؤالين على السبورة.  
جاء محمدٌ محمدٌ. رأيت مُجَدًّا مُجَدًّا. مررت بمحمدٍ بمحمدٍ.  
جاء المعلم نفسه. رأيت المعلم نفسه. مررت بمحمدٍ نفسه.
  - يقرأ المعلم هذه الأمثلة ثم يقرأها التلاميذ مع التركيز على الضبط، يجب أن تكون حركة التوكيد بلون مخالف بارز مع وضع خط تحت المؤكد بهدف إبرازهما.  
يجري مناقشة إعرابية حتى يعرب التوكيد والمؤكد ويسجل المدرس القاعدة المستخلصة من أفواه التلاميذ على السبورة.
  - يطلب من التلاميذ تغيير الاسم المؤكد إلى المثني وبالتالي يتغير التوكيد ويبرز علامة الإعراب في المثني بلون مخالف، ويعرب ذلك كالسابق، ويسجل القاعدة المستخلصة على السبورة.
  - ثم يقوم بعد ذلك بتغيير المؤكد إلى الجمع وبالطريقة السابقة ويسجل القاعدة أيضا على السبورة.



- يقوم بعد ذلك بتغيير المؤكد إلى المؤنث مفردا و مثنى و جمعا و يناقشهم في ذلك ويستخرج القاعدة كالسابق.
- يجري مقارنة بين التوكيد والمؤكد من خلال الأمثلة المسجلة على السبورة.

#### • الربط:

يربط المدرس في هذه الخطوة بين التوكيد والمؤكد في حالة الرفع والنصب والجر والإفراد والتثنية والجمع، ويطلب منهم إعرابها.

#### • التقويم:

يجب على المدرس أن يقيس في نهاية الدرس مدى فهم تلاميذه لموضوع الدرس من خلال أهدافه.

- ١- يوزع بطاقات فيها أمثلة ويطلب من التلاميذ قراءتها وإعرابها.
- ٢- يطلب من بعض التلاميذ قراءة قاعدة التوكيد المكتوبة على السبورة.

٣- يسجل بعض تدريبات الكتاب المقرر ويطلب من التلاميذ حلها حتى يطمئن من فهمهم للدرس.

#### • الواجب المنزلي:

يقوم التلاميذ بما يلي:

- حل تدريبات مختارة من الكتاب المقرر.

- كتابة جمل من التوكيد من عند أنفسهم تمثل صورته وأحواله المختلفة.
  - يعطي أمثلة للتلاميذ يقومون بإعرابها.
- وجدير بالذكر أن نماذج وأشكال بطاقات تخطيط الدروس كثيرة جداً، بعضها بهذا الشكل وبعضها على شكل جداول. المهم في الأمر هو توافر جميع عناصر التخطيط فيها والتسلسل المنطقي بين العناصر.

#### ملحوظة:

يوجد العديد من أنواع التخطيط اليومي، بعضها على شكل جداول وغيرها. ويكفي أن تشمل الخطة التدريسية على خطوات الدرس الأساسية.

#### **نتائج البحث**

١- توصلت الدراسة إلى أن ما يتميز به عصرنا من الانفتاح الهائل في جوانب المعرفة المختلفة، ومن سرعة تداول المعلومات نتج عن ذلك تحدٍ جسيم تمثل في كيف: نساعد الأجيال الناشئة على مواكبة هذا التقدم العلمي الهائل.

٢- إن السبيل الوحيد لمواكبة التقدم العلمي هو التعليم النوعي الذي يقدر المتعلم في ظلّه على قراءة الحاضر واستشراف المستقبل مجابهاً بذلك التحديات المحلية والعالمية.

٣- إن معظم المدرسين بالمدارس العربية الإسلامية في جمهورية مالي، لم يتلقوا تعليماً تربوياً تأهلياً في كليات التربية أو المعاهد المتخصصة، ولا تدريباً أثناء الخدمة يساعدهم على تخطيط دروسهم. هذا الواقع جعل العملية التدريسية ناقصة لديهم.

٤- هدفت الدراسة بناءً على المعطيات السالفة الذكر إلى تعريف تخطيط الدروس، وأهميته، وخطواته، وعناصره ومستوياته.

٥- اهتمت الدراسة بالأهداف التربوية، ومجالاتها، ومستوياتها، وكيفية صياغة أهداف إجرائية.

٦- اهتمت كذلك بمدخل التدريس، وانتقاء الطرائق النشطة مثل المناقشة والحوار ومسرحية الدروس، ولعب الأدوار، وحل المشكلات، والتعلم التعاوني.

٧- تطرقت إلى الوسائل التعليمية وأنواعها ومهارات عرضها.

يوصي الباحث بالآتي:

١- قيام السلطات التربوية في مالي بتوسعة نطاق تدريب المعلمين أثناء الخدمة في المدارس العربية الإسلامية.

٢- تنظيم المدارس دورات تدريبية داخلية لتقوية كفاءات هيئة التدريس عن طريق التدريس المصغر.

٣- قيام المديرين - باعتبارهم مشرفين محليين - بمتابعة المدرسين في تخطيط دروسهم اليومية.

٤- حث الباحثين التربويين على تأليف كتيبات سهلة الاقتناء والأسلوب؛ تمكن المدرسين من التدريب الذاتي في تخطيط الدروس.

٥- إيلاء مزيد من الاهتمام برواتب المدرسين وعلاواتهم تحفيزاً لهم على أداء رسالتهم.

#### الهوامش والمراجع:

١- أبو بكر الصديق سيسى: تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها (مشكلات وحلول) بحث مقدم إلى الندوة العلمية بعنوان: بلسان عربي مبين، بمناسبة اليوم العالمي للغة العربية، بماكو، ١٩/١٢/٢٠٢٠م

٢- هي مدينة بماكو العاصمة، و كاي، وسيقو، و كوتياللا، ومبت. وأثناء دورات تدريب المعلمين المنظمة من قبل وزارة التربية والتعليم، من عام ٢٠٠٥ إلى ٢٠٢٠م

٣- انظر موقع ( <https://www.maajim.com/dictionary> ) ، تاريخ الاقتباس ٦/٧/٢٠١٩م

٤- معجم المعاني الجامع، معجم عربي - عربي (<https://www.almaany.com/>) بتاريخ الاقتباس نفسه. و انظر كذلك

إبراهيم أنيس و زملاؤه: المعجم الوسيط، بدون ذكر دار النشر، وتاريخه،  
ص: ٢٦٧

٥- مُجَّد رجب فضل الله وصالح مُجَّد صالح، المناهج والتدريس في التعليم ما  
قبل الجامعي: معارف وتطبيقات، مكتبة الرشد، الرياض، المملكة  
العربية السعودية، ٢٠١٥، ص: ٢٥٧)

٦- العقل جهاز يستطيع الانسان به أن يتصور الأشياء ويحكم عليها  
(الغزالي ١/٨٥). وأما العقلانية فهي القول بأولية العقل وتقديمه على  
غيره (said.net).

٧- نفس المرجع ونفس الصفحة

٨- راجع موقع <https://forum.muyazh.com> أهمية التخطيط و الإعداد  
للدروس ، تاريخ الاقتباس ١٠/٤/٢٠١٩م

٩- عبد الغني إبراهيم مُجَّد: أساليب التدريس، جامعة السودان المفتوحة،  
الخرطوم، ٢٠٠٥، السودان، ص: ٧٣

١٠- عبد الغني إبراهيم مُجَّد، المرجع السابق، ص: ٦٧

١١- انظر فتحي علي يونس وزملائه: التربية الدينية الإسلامية بين الأصالة  
والمعاصرة، عالم الكتب، الطبعة الأولى، ١٩٩٩، القاهرة، ص: ٣٩٢

١٢- مقابلة شخصية مع الدكتور عيسى إسحاق سنكارى مدير مدارس  
التعاون للتربية، يوم الجمعة ٥/٣/٢٠٢١م، بساحة المدرسة.

- ١٣- انظر مُجَّد رجب فضل الله وصالح مُجَّد صالح، المناهج والتدريس في التعليم ما قبل الجامعي، مرجع سابق، ص: ٢٥٩) وكذلك عبد الغني إبراهيم مُجَّد: أساليب التدريس، مرجع سابق، ص: ٦٩
- ١٤- راجع موقع: [www.massarate.ma](http://www.massarate.ma) بعنوان: الخبرة وأهميتها في العملية التعليمية، تاريخ الاقتباس: ٢١/١١/٢٠١٩م
- ١٥- ذكرى استقلال مالي في ٢٢ أكتوبر، وينبغي أن يكون الحدث المتعلق به قبله كي يفهم الطلاب مغزاه الحقيقي.
- ١٦- داود حلس: "التخطيط بعيد المدى وقصير المدى" محاضرة عامة مسجلة على اليوتيوب، بتاريخ ٧/٦/٢٠١٩م
- ١٧- فقد لاحظ الباحث أثناء زيارة تعليمية عام ٢٠١٢م إلى تركيا تخصيص بعض المدارس فترة الإجازة الصيفية لتعليم وتقوية التلاميذ الضعفاء، حيث يتفوقون مع أوليائهم كما ينسقون مع مدرسيهم على إعطائهم جرعا علاجية في مواطن ضعفهم.
- ١٨- وزارة التربية الوطنية، "تخطيط الدروس وتقييم التعلم" (بماكو: مشروع التعليم الثنائي اللغة، ص: ٤)
- ١٩- انظر حسن حسين زيتون: تصميم التدريس: رؤية منظومية، عالم الكتب، القاهرة، ٢٠٠١م، ص: ١٨٥
- ٢٠- جودة أحمد سعادة: صياغة الأهداف التربوية والتعليمية في جميع المواد الدراسية، دار الشروق للنشر والتوزيع، ٢٠٠٥، عمان، ص: ١٣٨

- ٢١- هو بنجامين بلوم: عالم نفسو تربوي أمريكي. عاش بين ١٩١٣-١٩٩٩م. قام بوضع تصنيف للأهداف التربوية.
- ٢٢- انظر فؤاد أبو الهيجاء: أساليب وطرق تدريس اللغة العربية وإعداد دروسها اليومية بالأهداف السلوكية، دار المناهج، عمان، الأردن، ٢٠٠١، ص: ٤٢
- ٢٣- مقالة بعنوان: مهارات بناء الأهداف، <https://www.new-educ.com/> ، تاريخ الاقتباس: ٢٧/١/٢٠٢٠م
- ٢٤- هو أحد زملاء بلوم. قام بتصنيف الأهداف التربوية في المجال الوجداني، وقسمها إلى خمسة مستويات.
- ٢٥- كمال عبد الحميد زيتون: التدريس: نماذجه ومهاراته، عالم الكتب، القاهرة، ٢٠٠٩، ص: ١٧٩
- ٢٦- مقابلة شخصية مع الشيخ ألي ديكو مستشار تربوي في أكاديمية التعليم بمدينة مبت، أثناء زيارته إلى بماكو، يوم السبت ٦/٣/٢٠٢١م بقاعة اجتماعات وزارة التربية والتعليم.
- ٢٧- انظر: كمال عبد الحميد زيتون: التدريس: نماذجه ومهاراته، مرجع سابق، ص: ٣٣٤-٣٣٥ وانظر كذلك: [mawdoo3.com](http://mawdoo3.com) بعنوان: أهمية اختيار طريقة التدريس بتاريخ: ٢٦/٢/٢٠٢٠م
- ٢٨- انظر صلاح الدين عرفة محمود: تعليم وتعلم مهارات التدريس في عصر المعلومات، عالم الكتب، القاهرة، ٢٠٠٥م ص: ٢٥٦-٢٥٨

مجلة دراسات عربية، العدد ١٥، الرقم ١، من السلسلة الجديدة أكتوبر ٢٠٢٠م

٢٩- مقابلة شخصية مع الأستاذ إسماعيل كوني مدرب المعلمين، ومدرب في مدرسة الفتح النموذجية، في حيّ نيامانا، بمدينة بجاكو، بتاريخ

٢٠٢١/٣/٦م

٣٠- (إيادعلي دجني: محاضرة مسجلة على اليوتيوب بعنوان: مهام ومهارات المعلم في الإدارة الصفية، كلية التربية، قسم أصول التربية،

بتاريخ ٢٠٠٨/١٠/٨م).